سردم العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي- العربي

تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة الأولى- العدد الرابع- ربيع 2004

موقع المجلة على الإنترنيت:

www.sardam.info

المراسلات:

تلفاكس: 00447043129839

ايميل: info@sardam.info

أو عن طريق سكرتير التحرير:

nawzadaa@yahoo.com

- المقالات تعبر عن آراء الكتاب انفسهم ولا تعكس بالضرورة آراء المجلة
- يخضع ترتيب المواد لإعتبارات فنية

محتويات العدد

سردم العربي - العدد الرابع - 2004

"سردم العربي" تخطو نحو سنتها الثانية

بصدور هذا العدد تكون مجلة "سردم العربي" قد انهت سنتها الاولى و هي تواصل مسيرتها و تخطو نحو سنتها الثانية طارحة على الواقع الثقافي و السياسي، كردستانياً و عراقياً، العديد من الاسئلة الاساسية من خلال طرح الثقافة الجادة التي تؤمن بالحوار و التسامح و التعايش و تعمل من اجل تحقيق ذلك، ومن خلال اظهار الجوانب الحقيقية لتاريخ كردستان و كل ما يتعلق بالشعب الكردي و قضيته و ثقافته و ارادته في وطنه و العمل لترسيخ مانصبوا اليه من الواقع الجديد و اغنائه نحو غدٍ جديد ملؤها الحرية و الديمقراطية و حق تقرير المصير و الشراكة في السلطة و الثروة.

كانت السنة الاولى من عمر المجلة بمثابة الخطوات الاولى لتأسيس هذا المنبر و لتشييد هذا الجسر الثقافي بغية التعبير عن جزء من تطلعات الكرد الثقافية و التاريخية و العمل على اضاءة جوانب عديدة من واقعنا و سياستنا و ثقافتنا و تاريخنا. وكما اكدنا في مقدمة العدد الاول فاننا نطمح ان تكون المجلة منبراً لكتاب و مثقفين و مؤرخين كرد و عرب و من قوميات اخرى لنشر بحوثهم و دراساتهم و ارائهم بلغة الضاد، كما نطمح ان تتواصل هذه الصداقة من اجل الحوار الثقافي الكردي العربي و نشر المزيد من حقائق واقعنا التأريخي و الثقافي و السياسي و حقوقنا التأريخية و طموحاتنا المستقبلية. نحن ننطلق من مسؤولية تأريخية و نقدر هذه المسؤولية للعمل الثقافي في ظروف كالتي نمر بها، و تساندنا في هذه الجهود اقلام جادة و بموضوعات مهمة يشكل نشرها اغناءً لتطلعاتنا.

من هنا نؤكد مرة اخرى بأن مجلتنا ليست مجلة ادبية او فنية و لا تنحصر اهتماماتها ضمن نطاق محدد، بل هي مجلة ثقافية فكرية عامة تهتم بالدرجة الاساس بالدراسات و البحوث التأريخية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية الى جانب اهتمامها – وفي حدود معينة – بالنصوص و المواد الادبية، لذلك خصصنا صفحات عديدة وافرة للدراسات و البحوث و الوثائق، و صفحات قليلة للنصوص الأدبية، و نرجو من جميع الشعراء و الادباء ان يدركوا هذه الحقيقة و تكون مساهماتهم ضمن الخط العام لسياسة مجلتنا و ان لا يرسلوا الينا النصوص الادبية المترجمة الا من خلال اتفاق مسبق مع سكرتير التحرير.

و من هذا المنطلق نوجه الدعوة الى جميع الباحثين و المؤرخين و المعنيين بالشؤون الكردستانية برفدنا بما لديهم من بحوث و دراسات لغرض نشرها، و سنستمر في نشر المواد المتخصصة التي تعالج مختلف جوانب تأريخ المجتمع الكردستاني و التي تهم ابناء شعب كردستان و علاقتها بشعوب المنطقة و لاسيما المشاكل الملحة التي تتعلق بقضايانا المستقبلية.

تجدر الاشارة الى اننا قد نشرنا في اعداد السنة الاولى من مجلتنا فصولاً من بعض الكتب التأريخية المطبوعة ذلك لعدم اطلاع القاريء العربي عليها بسبب سياسات نظام البعث البائد التضليلية و حجب تلك المعلومات عن اعين القراء لمدة طويلة، اذ اننا نواصل نشر بعض الفصول من بعض الكتب نهدف الى ان يطلع القاريء العربي اطلاعاً واسعاً على قضايانا التاريخية الملحة.

سكرتير التحرير

القضية الكردية في المعادلة الدولية ودورها في مستقبل الشرق الاوسط

1 - 2

د. خالد يونس خالد*

تجربة كردستان العراق في علاقاتها مع الجيران

نجح الكرد في تكوين علاقات مع الدول التي تحيط بكردستان العراق كتركيا وسوريا وإيران والكويت والأردن. كما كان التعامل السياسي والتجاري مستمرا بين كردستان العراق وتلك البلدان، مما عزز الإقتصاد الكردي وأنشط التبادل التجاري، وتبادل العملات الصعبة. وكان الهدف السياسي للكرد إضافة إلى الأهداف الإقتصادية المذكورة، هو إثبات وجودهم بقدرتهم على التعامل مع الجيران، وتحقيق السلام والإستقرار في المنطقة، وللبرهنة للدول الكبرى بأن وجود قوة حاكمة في كردستان لن تكون تهديدا للسلام والأمن الاقليمي والدولي. ومن المهم الإشارة إلى أن الإستراتيجية المرسومة هي ضرورة النظر إلى القضية الكردية بمنظار دولي، وتوسيع الدائرة الداخلية التي سبق وأن توسعت إلى دائرة أقليمية. وفي كل هذه المحاور مازال الشعب الكردي في كردستان العراق يلعب بالورقة العراقية، وفرض نفسها بقوة سياسية ودبلوماسية في تطور العراق الموحد ولكن بشروط دولية تحت عباءة المعارضة. نعم عراق ديمقراطي تعددي برلماني فدرالي، وهذا الهدف التكتيكي الذي إرتفع في الوقت الحاضر إلى مستوى الإستراتيجية ضمان لوحدة العراق وإستقراره. أما إذا هبت عواصف سياسية ضد التيار الديمقراطي والدولي فإن العراق يدخل مرحلة جديدة، وهي مرحلة التقسيم، مرحلة لا يريدها أي عراقي حريص على الديمقراطية والوحدة والسلام والتقدم لبلد عانى شعبه العظيم الكثير من المآسي والآلام على أيدي

جلاوزة البعث والدكتاتور صدام. إنهم عراقيون، ويريدون عراقا ديمقراطيا تعدديا برلمانيا فدراليا، ينعم فيه الشعب العراقي كله، وبكل طوائفه بالحرية والمساواة بعدالة. ولكن لايمكن تحقيق هذه الوحدة بمعزل عن الفدرالية الديمقراطية التعددية البرلمانية.

الجغرافيا هي العامل الثابت والحاسم في صنع التاريخ

كلمة كردستان تتكون من (كرد) و (ستان) وتعني وطن الكرد. والكرد يعتبرون بأن وطنهم كردستان مقسم بين الدول التركية والعراقية والإيرانية والسورية، ومساحتها حوالي 500 كيلو متر مربع. وهناك حقيقة مفادها أنه لا حرية للإنسان إلا فوق أرضه، فالجغرافيا هي العامل الثابت والحاسم في صنع التاريخ. مقولة كان يرددها دائما الزعيم الفرنسي الجنرال ديغول إبان الحرب العالمية الثانية، وهو يقود شعبه لمقاومة النازية والإحتلال النازي. فإلى متى سنظل نحن في الشرق الأوسط نغني، ومخيمات اللاجئين تزداد يوما بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة، وحتى هذه المخيمات لم تعد تحمينا من الظلم والإضطهاد؟

كركوك قلب كردستان النابض وقدس الأقداس في جغرافية كردستان

حين كانت الأنظمة العراقية المتعاقبة تطلب من الراحل البارزاني الأب بالتنازل عن كركوك مقابل منح الشعب الكردي حكما ذاتيا حقيقيا ومتطورا، كان البارزاني الخالد يقول بوضوح واختصار "لا أستطيع أن أتحمل المسؤولية التاريخية بالتنازل عن كركوك، إن كركوك قلب كردستان". وقال البارزاني الإبن : "لن نتنازل عن كركوك، إنها كردستان" . وقال السيد جلال الطالباني: "إن كركوك قدسنا، إنها قدس الأقداس". ولهذا إزدادت معاناة الكرد، وتعرضوا للتشريد والقهر وحملات الإبادة الجماعية، بينما تعرض قلب كردستان إلى حملات التعريب والتهجير وتغيير المعالم والآثار التاريخية للمدينة. وظل الشعب الكردي متمسكا بكركوك، وعاشقا لكل طرقاتها وبساتينها، ونظم الشعراء عشرات قصائد حب بلا نهاية لحبيبتهم التي تأبى أن تستسلم للإضطهاد والإستغلال. وبقيت كركوك صامدة صمود شعبها بكل طوائفه وألوانه وتوجهاته. إن كركوك في منظور الشعب الكردي العاصمة الكردية لكردستان.

لقد أدركت القيادات الكردية مثلما أدرك الشعب الكردي لا في كردستان العراق فحسب بل في عموم كردستان، بأن كركوك تشكل الحلقة الإستراتيجية في تحديد حدود كردستان العراق، إنها علامة حمراء في العقلية الكردية للتأكيد على الجغرافيا، كعامل ثابت وحاسم في صنع التاريخ.

وضع الحجر الأساس لمطار أربيل الدولي

مدينة أربيل، عمرها خمسة آلاف سنة، وسورها تعتبر أحد الآثار الرائعة التي تحظى برعاية

اليونسكو ومنظمات الآثار العالمية. وهي اليوم عاصمة أقليم كردستان العراق، أو كما يسمونها الكرد القوميون الذين يتطلعون إلى دولة كردية في "عموم كردستان" ، جنوب كردستان، أو كردستان الجنوبية، في الوقت الذي يعتبرون كردستان تركيا شمال كردستان، وكردستان إيران شرق كردستان، وكردستان سوريا غرب كردستان أو شمال غرب كردستان.

في عاصمة أقليم كردستان العراق (أربيل)، وضع القائد العسكري الأمريكي في كردستان والمسؤولون الكرد ومنهم السيد محمد محمود عبد الرحمن نائب رئيس وزراء كردستان (مركز أربيل) حجر الأساس لمطار أربيل الدولي في أوائل شهر يوليو/تموز من هذا العام (2003)، وهو يتقدم بثقة نحو العلم الكردستاني ويقبلها أمام شاشات التلفاز، وعيون ملايين الكرد تدمع في كل مكان. وبهذا دشن الكرد والأمريكيون خطوة كبيرة لربط كردستان العراق بخطوط المواصلات الدولية، مما يعني خروجها من الدائرة المغلقة المحاطة بتركيا وسوريا وإيران والعراق.

بعد كردستان العراق، الورقة الكردية في سوريا وإيران وتركيا:

بدأ كرد كردستان الشمالية- تركيا بالتحرك من جديد، وتنظيم قواتهم وشن عمليات عسكرية ضد القوات التركية في الأيام الأخيرة. وذهبت قوات PKK أكثر من ذلك بإستعدادها لضرب مواقع إيرانية وسورية، بإعتبارها قوة لا يُستهان بها لإقناع أمريكا بالتعامل معها في الظروف الراهنة. فبعد أن كان النظام السوري والنظام الإيراني حليفين لحزب العمال الكردستاني الذي كان العدو الأول لأمريكا في المنطقة، أصبح اليوم مرشح محتمل للصداقة الأمريكية لضرب حلفائها بالأمس. إذن الورقة الكردية أصبحت ورقة قد تدخل سيناريوهات جديدة في الشرق الأوسط في حدود أوسع من الحدود العراقية. لقد أصبحت ورقة أقليمية دولية.

ومن هذا المنطلق يريد حزب العمال الكردستاني أن يدخل اللعبة الأمريكية. ولم يقف الأمر عند كرد كردستان الشمالية بل شملت كردستان الشرقية-إيران. ويبدو أن النظام الإيراني أدرك هذه الحقيقة بالتفاعل مع القضية الكردية بنفس الدرجة من التفاعل مع الولايات المتحدة ووكالة الطاقة النووية لغرض تجنب العقوبات الدولية أو ضربة أمريكية. لكن ليس من الضروري أن تكون هذه الضربة عسكرية أمريكية مباشرة إنما قد تكون الورقة الكردية. فإيران تريد التفاعل مع القضية من خلال علاقاتها المحدودة مع قيادة الإتحاد الوطني الكردستاني وتكوين علاقات جديدة مع قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني. ومن جانب آخر إيجاد قنوات التعاون بين الحزبين الكردستانيين العراقيين وقيادات الأحزاب السياسية الشيعية بمختلف تياراته، جماعات الصدر والحكيم والسيستاني وقوات بدر وغيرهم.

ومن جانب آخر خرج كرد كردستان الغربية- سوريا من قوقعة المطالبة بالحقوق الثقافية إلى رحاب أكثر تقدما بفعل الوعي القومي والإجتماعي المتزايد لدى الشعب الكردي هناك. حيث بدأت الأحزاب السياسية من يسارية وإسلامية وقومية تطالب بتوحيد صفوفها، وتدخل الساحة الثقافية والسياسية عبر قنوات كردستانية مختلفة، والتنسيق مع الشعب الكردي في كردستان العراق، ومن خلال الكتابة والتوعية في مختلف وسائل الإعلام.

وفي كل الأحوال فإن أغلب الفصائل الكردستانية بدأت تتحرك نحو الساحة الدولية، وتوسيع دائرة القضية الكردية من قضية محلية وداخلية إلى قضية أقليمية ودولية. فالكرد بدءوا يستوعبون المعادلات الدولية الشرق أوسطية، وخفايا نظام العلاقات الدولية. ولعل من أهم العوامل التي ساعدت على ذلك سياسة الإبادة الجماعية التي مارسها نظام البعث وصدام حسين بحق الشعب الكردي وإستخدام السلاح الكيمياوي ضده، والتسفير والتهجير والتعريب والتفريس والتتريك في جميع أنحاء كردستان. كما أن الإنتفاضة العراقية المباركة في آذار عام 1991، حطم جدار الخوف من قوة النظام العراقي وبالتالي الأنظمة الأخرى التي تتحكم بكردستان.

تصفية المعارضين أو قبولهم بالأمر الواقع

تمكنت القيادات الكردستانية العراقية من كسب ود وصداقة الولايات المتحدة الأمريكية إلى درجة الإرتفاع إلى مستوى الإستراتيجية المتبادلة. فالتنظيمات الكردستانية ساندت كليا الوجود الأمريكي في العراق، ونسقت سياساتها ضمن الإستراتيجية الكردستانية الأمريكية في إطار عراق ديمقراطي تعددي برلماني فدرالي. وعلى هذا الأساس تم الإعتراف بالتنظيمين الكردستانيين الكبيرين الأساسيين الديمقراطي الكردستاني والوطني الكردستاني. ومنع التنظيمات الكردستانية الأخرى. كما تمت تصفية المعارضين على الساحة العراقية بعد سقوط النظام العراقي المتمثلة بالبعث وصدام حسين. فقد شاركت الكوماندو الأمريكية مع قوات الإتحاد الوطني الكردستاني بالزحف على مواقع جماعة أنصار الإسلام الكردية وتصفيتهم وإبادتهم تقريبا، وتحطيم مواقعهم والحصول على معلومات إستخباراتية مهمة عن علاقاتهم بتنظيم القاعدة والنظامين الإيراني والعراقي. وسيطروا على كميات كبيرة من الاسلحة.

تمت مشاركة التركمان والكلدوآشوريين في المعادلة بالحجم الذي يناسب مصلحة الكرد والأمريكيين ضمن العراق الموحد.

العمل على توحيد الأقليمين الكرديين في السليمانية وأربيل، وتوحيد الخطاب الكردي، وإبعاد العناصر المعارضة لهذا التوجه.

تصريحات السيد مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني بالسماح لمجاهدي خلق بالبقاء في العراق. والمعروف أن مجاهدي خلق تعاونوا مع النظام العراقي ضد القضية الكردية ولهم

مواقف سلبية من حقوق الشعب الكردي. لكن السيد البارزاني تحرك من منطلق مصلحة العراق بإحتمال إستخدام ورقة مجاهدي خلق في اللعبة الأقليمية لاحقا. وعلى هذا الأساس تم تسليح عناصرهم ووضعهم على الحدود العراقية الإيرانية لمنع تسلل عناصر المسلمين الشيعة بين العراق وإيران.

نجاح الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا وإسرائيل بتصفية عبد الله أوجلان المتعاون مع سوريا والفلسطينيين وإضعاف دور PKK في المعادلتين الأقليمية والدولية، وإجباره بالتعامل مع الواقع الجديد.

تسلم الجيش الاميركي يوم 11 يوليو تموز كمية من الاسلحة الثقيلة وبنادق رشاشة وقاذفات «آر بي جي» من أفراد واحزاب سياسية كردستانية معينة وهي الحزب الشيوعي والحركة الاسلامية والاتحاد الوطني الديمقراطي وحزب العمل الديمقراطي، بينما رفض الجانب التركماني الذي يضم ثلاثة احزاب تركمانية قريبة من انقرة تسليم سلاحه الذي اصبح محظورا منذ الخامس عشر من يونيو (حزيران) بحسب قرار التحالف. ووافقت قوات التحالف بإحتفاظ الحزبين الكبيرين المتحالفين الديمقراطي الكردستاني والوطني الكردستاني بالإحتفاظ بكافة أنواع السلاح حفاظا على الأمن والنظام في كردستان.

المكاتب الدبلوماسية الكردستانية في الخارج

كانت هناك مكاتب كردستانية للتنظيمين الكردستانيين العراقيين الديمقراطي الكردستاني والوطني الكردستاني في أنقرة وطهران ودمشق وعمان إضافة إلى تنظيمات فرعية في بعض المدن التركية والإيرانية والسورية الواقعة على الحدود العراقية من جهة كردستان. كما تواجد اليوم مكاتب سياسية ودبلوماسية كردستانية في مختلف العواصم الأوربية وخاصة دول أوربا الغربية، ومعترف بها من قبل هذه الدول كممثلين عن حكومتي أقليم كردستان العراق. ومن المهم الإشارة إلى وجود مكتبين كردستانيين دبلوماسيين في مدينة القاهرة. يترأس المكتب الأول السيد حازم اليوسفي عن الإتحاد الوطني الكردستاني، ويمثل الثاني السيد صبري بوتاني عن الحزب الديمقراطي الكردستاني. وتواجد هذين المكتبين في القاهرة له دلالة خاصة، فمصر كانت على الدوام على إتصال وإحتكاك بالقضية الكردية منذ أيام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. وكانت هناك إذاعة مصرية تبث برامج عن القضية الكردية، واحتج في حينه السفير التركي في القاهرة على الإذاعة التي تقوم بالدعاية للكرد. فبعث إليه الراحل عبد الناصر وقال له بحكمة ودهاء: "إنكم في تركيا تدعون بعدم وجود شعب كردي، وعدم وجود قضية كردية، وإذا كان الأمر كذلك فلِمَ هذا الإحتجاج؟ وسكت السفير التركي ورجع خائبا".

لا تزال مصر الدولة العربية المدركة بأهمية وخطورة القضية الكردية، جاهدة بضرورة الإتصال الدائم بها، حتى أن القاهرة إحتضنت في السنين الأخيرة مؤتمرات بأسم "الحوار العربي الكردي".

فإذا ما أشرنا إلى مؤتمر من هذه المؤتمرات، وهو مؤتمر القاهرة في مايو/أيار عام 1998، وشاركت فيه اللجنة المصرية للتضامن برئاسة السيد أحمد حمروش، الإتحاد الوطني الكردستاني، الحزب الديمقراطي الكردستاني، ممثلون عن السفارات البريطانية والهولندية والفرنسية والأمريكية والروسية والباكستانية إضافة إلى كلمات ألقيت من قبل عدد كبير من الشخصيات الكردية والعراقية والعربية في ندوة الحوار العربي الكردي ومؤتمر الملل والنحل تجاوز المئة شخصية.

كان الراحل عبد الناصر أحد القادة العرب الذين نصحوا الرئيس العراقي عبد السلام عارف في إطار الإتحاد الإشتراكي العربي (العراقي المصري) بضرورة إيجاد حل للقضية الكردية في العراق، وإمكانية إستخدام الورقة الكردية ضد إسرائيل، لكن عارف ككل الدكتاتوريين العراقيين الذين حكموا العراق بعد الزعيم العراقي الراحل عبد الكريم قاسم، تجاهلوا الواقع، وفكروا ببطونهم بدلا من أن يفكروا بعقولهم وجروا العراق وشعب العراق إلى حكم الطاغية صدام، والذي أصبح الإرهابي رقم واحد، وضمن نفس المستنقع المتعفن الذي وقع فيه هتلر وموسوليني وفرانكو ومَن على شاكلتهم.

ولعل من المفيد الإشارة إلى نبوغ الزعيم الليبي العقيد معمر القذافي، والذي كان متأثرا بالراحل عبد الناصر، بإعترافه الكامل بحقوق الشعب الكردي، وردد هذا التصريح حتى أثناء زيارة رئيس الوزراء التركي أربكان إلى العاصمة الليبية طرابلس.

وأستضافت ليبيا مؤتمرات عالمية للدفاع عن حقوق الشعوب المضطهدة وأدرجت القضية الكردية كإحدى أهم هذه القضايا، وحضرها ممثلون كرد، وأصدرت قرارات تعترف بحق الشعب الكردي في تقرير مصيره.

الشعب الكردي يتحرك اليوم على كافة الأصعدة، حيث يعتبر المهاجرون الكرد أكبر قوة أجنبية منظمة في المنفى بعد اللوبي الصهيوني، حيث يملكون مئات دور الطباعة، والمنظمات الثقافية والمهنية، والإذاعات والمكتبات. ولهم علاقات حميمية مع مراكز قوى أوربية وأمريكية فعالة، من إعلام وصانعي قرار. كما أن المثقفين الكرد تجاوزوا حدود الحساسيات الحزبية في الخارج، وإن كانت هذه الحساسيات باقية في الداخل. فليست للمثقف حدود قومية، والواجب الوطني يتحتم عليه تجاوز التشنجات السياسية من أجل الحرية، وهي العروسة التي تخطبُ بالعلم والمعرفة والنضال.

الإستفتاء يقول بتشكيل دولة كردستانية ولكن؟

مواقف متباينة: هناك مؤسسات أوربية وأمريكية وكردية تحبذ تشكيل دولة كردية في الجزء الجنوبي من كردستان (كردستان العراق) ، لكن القيادات الكردستانية في الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي يترأسه البارزاني الإبن، والإتحاد الوطني الكردستاني الذي يترأسه السيد الطالباني يفضلون البقاء ضمن العراق. في حين هناك قوى كردستانية أخرى تعمل بشكل منظم ومن خلال قنوات سياسية ودبلوماسية من أجل تشكيل دولة

كردية. فعلى سبيل المثال ولا الحصر "المؤتمر الوطني الكردستاني" الذي يترأسه السيد جواد ملا ومقره في لندن، وموقف الحزب الإسلامي الكردستاني الذي يترأسه السيد محمد صالح كابوري، إضافة إلى مواقف شخصيات كردية معروفة مثل السيد جمال نبز في ألمانيا.

لنأخذ مثلا رسالة جواد ملا رئيس المؤتمر الوطني الكردستاني إلى رئيس الوزراء البريطاني السابق جون ميجر بعد الغزو العراقي للكويت، والداعية بتأييد دولة كردية. وكان موقف ميجر واضحا من خلال رسالة جوابية أوصلها J . S. Wall بأن القيادات الكردية تفضل البقاء في حدود العراق وترفض دولة كردستانية. وقد جاءت في الرسالة:

"نحن نؤيد الحكم الذاتي وليس الإستقلال للمنطقة الكردية في شمال العراق. القيادات السياسية في المجتمع الكردي قد أخبرتنا بأن هذا ما يريدونه". (أنظرمجلة Kurdname لسان حال تنظيم كاك، العدد 21 ، يونيو 1992، ص 1، باللغة الأنكليزية). وبطبيعة الحال عقد المؤتمر الوطني الكردستاني عدة مؤتمرات في أوربا، محددة أهدافها بضرورة تأسيس دولة كردستانية مستقلة على عموم التراب الكردستاني.

الإستفتاء يقول بتشكيل دولة كردستانية مستقلة

أجرى مركز أبحاث المكتبة الكردية في نيويورك ، والتي تترأسها الأميركية مدام فيرا أول إحصائية للرأي العام الكردي من نوعها في المهجر، بصدد مجموعة من القضايا الهامة والمتعلقة بالقضية الكردية، والمطروحة على الساحة الكردستانية والدولية. وقد وزع المركز إستمارة تتضمن عشرين سؤالا باللغة الإنكليزية على المجموعات المختلفة للجواب عن الأسئلة.

العنوان "عرض الرأي العام الكردي". ونشرت نتائج الإحصاء في مجلة أمريكية يصدرها المركز بأسم "Kurdish life" ، نيويورك ، عام 1992.

نحن هنا لسنا بصدد طرح جميع الأسئلة والأجوبة إنما نشير إلى السؤال الكبير: ماذا يريد الكرد؟

وهذا السؤال يتكون من أسئلة فرعية نأخذ سؤالين إثنين.

أولهما: "هل تقتنع بالحقوق الثقافية والمدنية للكرد في الدولة التي ولدت فيها؟"

وجوابا على هذا السؤال قال 87٪ لا لم أقتنع. وضمن هذه النسبة المئوية جاوب:

94٪ من كرد كردستان تركيا بالنفي.

90٪ من كرد كردستان العراق بالنفي

67٪ من كرد كردستان إيران بالنفي.

أغلبية كرد كردستان سوريا جاوبوا بالنفي.

والسؤال الثاني: هل تريد أن ترى دولة كردستانية مستقلة في الشرق الأوسط؟

كان الجواب بالشكل التالي:

100٪ من كرد كردستان تركيا وسوريا بالإيجاب. (نعم نريد دولة كردية).

99٪ من كرد كردستان العراق بالإيجاب.

67٪ من كرد كردستان إيران بالإيجاب.

وجاوب 95٪ من الكرد بشكل عام بأنهم مستعدون للنضال من أجل كردستان مستقلة. واعتقد 97٪ من الكرد بأن "كردستان مستقلة هدف يستدعي النضال من أجله".

الراعي والرعية ولكن مَن هو الرئيس؟

يتمتع الكرد بشكل عام بحساسية بالغة في تقبل النقد، خاصة إذا كان هذا النقد صادر عن كردي، فيعتبر النقد تهجما بحجة أن الظروف التي تمر بها كردستان حساسة. والكردي حذر إلى أبعد الحدود في صياغة عباراته، والإبتعاد عن التشخيص، في حين أنه يعطي لنفسه الحق كل الحق في إمتلاك النقد للآخرين من غير الكرد. طبيعي هذه الخاصية تصعب على الكردي تشخيص أخطائه بنفسه، وبهذا تتكرر الأخطاء. فتاريخ الكرد بشكل عام هو تاريخ المآسي والنكسات، لعدة أسباب أهمها أن كردستان محتلة ومقسمة، إضافة إلى خيانة بعض القيادات الكردية لبعضها البعض والإقتتال الداخلي بين الكرد أنفسهم. فإذا إرتكب زعيم كردي خطأ ما يجد الزعيم الآخر حجة لضربه، فيلتقي الجمعان، وتسير شلالات من الدماء، لاتهدأ قبل أن تتدخل جهة غير كردية للتصالح، أو يصفي أحدهما الآخر.

ومن هذا المنطلق، ورغم أن الوضع الكردي أصبح جيدا بعد تشكيل المنطقة الآمنة في كردستان العراق من قبل فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية عام 1991، ثم إجراء إنتخابات ديمقراطية لإنتخاب ممثلي البرلمان الكردستاني في أيار عام 1992، فإن الشعب الكردي لم يجد قناعة لإنتخاب رئيس يكون بمثابة راعٍ يرعى الرعية في أقليم كردستان العراق. وقد جرت إنتخابات لإختيار رئيس من بين أبرز أربعة مرشحين وهم:

مسعود البارزاني، جلال الطالباني، محمود عثمان، رسول مامند، ولم يستطع أي من هؤلاء الحصول على نسبة 51٪ من الأصوات ليكون رئيسا. وبقيت أقليم كردستان العراق منذ الإنتخابات ولحد اليوم بدون رئيس. لكن في المقابل جعل كل رئيس حزب نفسه رئيسا، وجمع حوله أنصار حزبه، ودخل في صراع مع الآخرين.

وفي إستطلاع أجرته بعض المنظمات فيما إذا كانت السلطة بيد الأمريكيين أو حزب كردستاني معين إختارت الاغلبية حكم الأمريكيين. ولعل لهذا الموقف دلالته، وهو مايتمتع الفرد الكردي من حساسية تجاه القيادة، رغم الأجواء الديمقراطية في أقليم كردستان، والتقدم الكبير في الماديات وبناء القصور الفخمة التي تمتلكها عناصر قيادية، والحروب الداخلية والتصفيات الجسدية، والعقلية الحزبية المتزمتة، والتعامل مع المواطنين بمعايير حزبية وليست وطنية وعلمية وإخلاص ومسؤولية. مما أدى إلى هجرة مئات الآلاف من الكرد إلى خارج كردستان في فترة السلام والديمقراطية والحرية في المنطقة الآمنة من كردستان التي تحررت من ظلم حكم البعث وصدام حسين. ومهما يكن من أمر

فالوضع الكردي في المنطقة المحررة أفضل من جميع النواحي من المناطق التي كانت ترزح تحت حكم دكتاتورية صدام حسين ودمويته وسياساته الإستبدادية بحق الشعب العراقي ككل من عرب وكرد واقليات.

العلم الكردستاني

يبدو أن سلطات الإحتلال إعترفت بالعلم الكردستاني ذات الألوان الخضراء والبيضاء والحمراء تتوسطها قرص الشمس الصفراء. وبذلك قررت السلطات الكردستانية التي تقبض على السلطة في أقليم كردستان بمركزيه أربيل والسليمانية برفع العلم الكردستاني على المباني والمؤسسات الكردية في المدن الكردستانية. وبهذه الخطوة تقدمت القضية الكردية خطوات كبيرة إلى الأمام نحو تثبيت الشخصية الكردستانية على جغرافية كردستان العراق. فالعلم رمز شرف الشعب، وعنوان وجوده وإثبات ذاته إضافة إلى الدلالة السياسية الكبيرة في الإعتراف بالوجود الكردي، وبمعاني ما تحملها الألوان الزاهية التي تزين العلم. والأهم من كل ذلك، القوة السيكولوجية للإنسان الكردي، وشعوره القومي والوطني بالدفاع عن ذلك العلم الذي يرمز كرامته، ويعبرعن الإعتراف بوطنه.

سيناريوهات تدويل القضية الكردية في المرحلة الراهنة

هناك مشكلة إزاء القضية الكردية في الشرق الأوسط، وهي أن الأنظمة التي تتحكم بكردستان لا تفهم لغة الحوار والديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها. وبدأ الكرد يفهمون بأنه لابد أن يكونوا طرفا في المعادلة الدولية في الشرق الأوسط. فالمنطقة قادمة نحو التغيير والتفاعل مع التطورات الدولية بفعل النظام العالمي الجديد، وضرورة مقاومة الإرهاب، والتحول نحو الديمقراطية والحرية وبأساليب جديدة وفعالة مبنية على الفكر النير والممارسة السلمية والتعاون الدولي.

الوضع الكردستاني والأقليمي والدولي يتطلب من القوى الكردستانية كافة أن تميز بين الأصدقاء والأعداء بعيدا عن الأهواء، وبعيدا عن الإرهاب وعبادة الشخصية. فالقضية الكردية تبلورت بشكل فعال في الساحة الشرق أوسطية، وإمكانية الإستفادة منها في المعادلة العراقية نحو هدف معين يؤدي إلى التوازن الإستراتيجي في المنطقة لصالح عملية السلام الشرق أوسطي، وتحقيق الإستقرار الإستراتيجي الذي يحكمه القطب الواحد. وأنا لا أعني هنا بأن الإستقرار الإستراتيجي هو الإستقرار والأمن في المنطقة فحسب، بل تحقيق ما يصبو إليه السيد الذي يريد أن يحكم العالم ضمن الإستراتيجية المرسومة في سياسة الأمن القومي.

ولكن بالنسبة للكرد فان هناك عدة سيناريوهات تحكم القضية:

1-عراق ديمقراطي فدرالي تعددي برلماني يتمتع فيه الشعب الكردي بحقوقه ضمن وحدة

العـراق، وضـرورة دخـول العـراق في معادلـة السـلام العربي الإسرائيلي، والإستقرار الإستراتيجي.

2-تشكيل دولة كردية في الأقليم الجنـوبي الـذي يسمى بكردسـتان العـراق، ومسـاحته 73 ألـف كيلومتر مربع، للقيام بعملية توازن إستراتيجي

3-تحريك الكرد في عموم كردستان للدخول في المعادلة.

4-ضرب الحركـة التحرريـة الكرديـة أو تهمـيش الدور الكردي إذا تطلب الإسـتقرار الإسـتراتيجي ذلك.

5-بقـاء القـوات الأمريكيـة في العـراق، وتشـكيل نوع من الإتحاد بين العراق وبعض دول الجوار.

6-الإبقاء على الحالة الراهنـة في العـراق، وخلـق المتاعب والإضطرابات في بعض دول الجوار.

7-إعطاء دور مميز لبعض القيـادات الكرديـة في العراق وتوحيدها، وتصفية المعارضة الكردية.

الإشكاليات الكردية التي تحكم القضية الكردية في المعادلة الدولية

قلنا أكثر من مـرة بـأن القضـية الكرديـة دخلـت اللعبة الدولية، ولكن هناك في هـذه اللعبـة إشـكاليات مـن قبـل الكـرد وقيـاداتهم بشـكل يُضـعف القضـية الكرديـــة علـــى جميـــع المســـتويات الكردســـتانية والأقليمية والدولية. ومن أهم هذه الإشكاليات:

1-التطرف الديني المذهبي الكردي الذي يحكم بعض الجماعـات الإسـلاموية وربطهـا بالجهـات الإرهابيـة. وقـد حاولـت القـوات الأمريكيـة تصـفية بعـض هـذه الجماعات بالتنسيق مع قيادتي الطالباني والبـارزاني بعد تحرير العراق ثم إحتلالها.

2-مـازال تـدويل القضـية الكرديـة علـى مسـتوى محدد أقليميا رغم أن هذا التـدويل دخـل اللعبـة العالميـة ولكـن بشـكل غـير مـؤثر لخمسـة أسـباب أساسية وهي:

أولا: عدم وجود زعيم كردي واحد يقود الحركة التحررية الكردية في أي جـزء مـن أجـزاء كردسـتان، بـل هنـاك قيـادات متنافسـة ومتنـاحرة. كـل واحـد يعتبر نفسه زعيما، ولكن أحـدا لم يُنتخب مـن قبـل الشعب بالاغلبية، إنما أُنتخِبَ مـن قبـل حزبـه. فلـم يسـتطع أحـد مـن المرشـحين، كمـا ذكرنـا أعـلاه، الحصول على 51٪ من أصوات الناخبين في إنتخابات عـام 1992 في كردسـتان العـراق ليصـبح رئيسـا للأقليم.

ثانيـا: عـدم وجـود خطـاب كـردي موحـد في المحافل الدولية.

ثالثا: العداء المبطن بـين القيـادات. فبينمـا نجـد بأن قياديي الكرد، وما أكثرهم، يتبادلون القـبلات في كل مناسبة صغيرة كانـت أم كـبيرة، نجـد بـأن القلـق وعدم الثقة والشكوك يحكم العلاقـات بـين القواعـد. كمـا أنـه إذا مـا إنحـاز مسـتقل لهـذا الجانـب أو ذاك، يصبح الجانب الآخر ضده.

رابعـا: العقليـة الحزبيـة المتزمتـة، والإنتمـاء الحزبـي هـو المعيـار للوطنيـة، في حـين أن الكفـاءات تقـف في الصـفوف الاخـيرة، ممـا جعـل آلاف الكـرد يهاجرون إلى الخارج.

خامسا: الخوف من الآخر. وأعني خوف الكردي من الكردي، والتملق للقائد، وتحول بعض الحزبيين إلى جواسيس لكتابة التقارير على إخوانهم من الكرد لمجرد نقد بسيط يتفوه به بحق حزب كردي معين.

خروج الكرد من المعادلة الدولية هو خروج من التاريخ

كثيرا ما نسمع في المؤتمرات والسيمينارات وبين الباحثين والمتخصصين من الكرد وغير الكرد بان الخوف يتأتى من هذا الحزب الكردي أو ذاك إذا وجد الحزب بأن دوره مهدد من قبل الحزب الآخر. وبمجرد تحليل بسيط للوضع في أي جزء من أجزاء كردستان يعطينا الدليل. لنأخذ على سبيل المثال كردستان العراق. فالإتحاد الوطني الكردستاني توجه نحو إيران في النصف الثاني من تسعينات القرن الماضي لتصفية صديقه الحزب الديمقراطي الكردستاني والسيطرة على مدينة أربيل عاصمة الأقليم، وتوجه الحزب الديمقراطي الكردستاني نحو النظام العراقي البائد لمواجهة التحدي وطرد قوات الإتحاد الوطني الكردستاني من أربيل. وعلى أي حال لا نحتاج الدخول في تفاصيل هذه المأساة ولكن نؤكد بأن المخاطر موجودة.

أنا هنا لست بصدد نقد القيادات الكردية، فأنا أقدرها فيما تقوم به من دور بالشكل الذي يناسبها لخدمة الشعب الكردي، لكنني هنا بصدد إلقاء الضوء على الحقيقة المرة التي يصعب لكل عاقل أن يخفي نفسه وراءها بأسم القومية تارة وبأسم إلقاء العتب على الغير تارة أخرى، ونظل ندور وندور في حلقة مفرغة لأننا نخاف من النقد، ونخاف من الآخر، ونخاف من الذات، ونخاف من الفقر، ونخاف من السلطان. وبنفس الدرجة يخاف البعض من الممارسات الإستبدادية التي تمارسها الأنظمة التي تحكم كردستان، وخاصة نظام صدام الفاشي البائد.

لنكن صريحين في قول الحقيقة، بأن تدويل القضية الكردية يجب أن يكون على أساس عالمي وعلى أسس جديدة تكون الحلول فيها دولية ليتمكن الكرد من القيام بدور توازن. وأنا لا أعني بالأساس العالمي حتمية تشكيل دولة كردية إنما أعني ضرورة الإستقرار والتوازن على المحور العراقي أولا بإعتبار أننا عراقيون، وعلى محور الشرق الأوسط ثانيا ثم لتحقيق التوازن والسلام لصالح الجميع ثالثا. أما وأن تكون الحلول جزئية، فإن ازمات الشرق الأوسط ستظل تحكم المنطقة. كما أن تكرار قيادات الكرد لأخطاء الماضي يعني خروج الكرد من التاريخ.

كردستان العراق والأزمات التي تحكم الشرق الأوسط على المستوى العراقي

القضية الكردية ووحدة الضدين: الصراع والسلام

إذا لم تجد "منظومة" الشرق الأوسط حلا عادلا للقضية الكردية فإن عنصر الصراع يتغلب على عنصر السلام، وتبقى منطقة الشرق الأوسط في دوامة الحروب الداخلية والأقليمية، مما تهدد

بالتالي السلام العالمي. أما إذا أمكن إيجاد حل للقضية الكردية في الإطار الأقليمي فإنها ستكون عامل سلام وإستقرار في المنطقة.

القضية الكردية وأزمات الشرق الأوسط

من الصعوبة سرد تفاصيل دور عنصر الصراع في مقال موجز كالذي بين أيدينا ، إذ أمامنا عشرات الأمثلة المهمة في تاريخ الأزمات التي حكمت الشرق الأوسط منذ إنهيار الأمبراطوريتين العثمانية والفارسية بعد الحرب العالمية الأولى. ووقوع المنطقة تحت سيطرة الكولونيالية البريطانية والفرنسية ثم الدخول في مرحلة التحرير وتأسيس الدول القومية. لكن شعوب هذه الدول القومية لم تذق طعم الحرية إلى اليوم بفعل تسلط الانظمة الشمولية على السلطة. وعلى أي حال يمكننا أن نورد هنا بإيجاز بعض الامثلة من بين هذه الأمثلة العديدة التي تقنعنا بدور القضية الكردية كعنصر صراع ونزاع على المستويات الداخلية والأقليمية والدولية. وهذه الأمثلة تنطبق بشكل أو بآخر على كل من تركيا وإيران وسوريا مثلما تنطبق على العراق. ولكننا نعالج "كردستان العراق والأزمات التي تحكم الشرق الأوسط على المستوى العراقي" بإعتبار أن الموضوع هو موضوع الساعة.

الجمهورية العراقية الأولى
14 تموز 1958 _ 7 شباط 1963

بعد ثورة 14 تموز عام 1958 أعلنت الجمهورية العراقية الأولى، وأعلن الزعيم عبد الكريم قاسم سقوط القانون الأساسي العراقي لعام 1925 باعتباره قانونا مخالفا للأسس الديمقراطية، ثم أعلن الدستور الجديد الذي أعتبر الدستور العراقي المؤقت الأول في العهد الجمهوري. وجاء في مادته الثالثة: "العرب والكرد يعتبرون شركاء في الوطن الواحد ويقر هذا الدستور حقوقهم القومية ضمن الوطن الواحد". وبهذه المناسبة حصل الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي كان قد تأسس في عام 1946 على إجازة العمل السياسي في العراق، كما رجع البارزاني مصطفى من منفاه في الإتحاد السوفيتي إلى العراق، واستقبل إستقبال الأبطال. وهنأ الحزب الديمقراطي الكردستاني والبارزاني السلطة العراقية الجديدة وزعيمها عبد الكريم قاسم كما أشاد بإعلان الدستور الجديد. وعلق الحزب الشيوعي العراقي على المادة الثالثة من الدستور قائلا: "كانت خطوة إلى الأمام ومكسبا معنويا وديمقراطيا، إذ إعترفت بالشخصية القومية الكردية واعتبرتها شريكة مع العرب في الوطن العراقي". (أنظر تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ، بغداد ، آذار 1962، ص 17). وأعلن الحزب الديمقراطي الكردستاني في بيان صدر في تشرين الأول عام 1958 مايأتي: "إن الشعب الكردي مستعد للدفاع عن جمهوريته الديمقراطية الجديدة حتى آخر قطرة من دمه". (أنظر آشيريان، الحركة الوطنية الديمقراطية في كردستان العراق 1961-1968، ترجمة ولاتو، رابطة كاوا ، ط 1، بيروت، 1978، ص 66). ومن المفيد أن نذكر بأنه

كان للكرد دور كبير في إخماد تمرد عبد الوهاب الشواف ضد الزعيم قاسم في مدينة الموصل العراقية عام 1959. وتوجه آلاف المسلحين الكرد وبمحض إرادتهم إلى الموصل لمقاومة التمرد والقضاء عليه.

تغيرت الأوضاع السياسية بسرعة، حيث منعت الحكومة العراقية النشاط السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني والتنظيمات الأخرى، وبدأت السلطات بملاحقة أعضاء الحزب الكردستاني المذكور مما إضطر الكرد إلى تفجير ثورة 11 أيلول 1961 بقيادة البارزاني مصطفى. وهذا ما أضعف نظام الزعيم قاسم، وألهى الجيش العراقي بمعارك جانبية بين النظام العراقي والثورة الكردية. وبذلك ساهم الكرد في إسقاط الجمهورية العراقية الأولى، مما فسح المجال للبعث العراقي في تمرير إنقلاب 8 شباط الأسود عام 1963، والذي أسس نظاما دمويا مستبدا مسلطا على رقاب الشعب العراقي بعربه وكرده وأقلياته.

الجمهورية العراقية الثانية وإنقلاب 8 شباط 1963

بعد إنقلاب 8 شباط وتشكيل الجمهورية العراقية الثانية ، إنعدم إلتزام الحكام بالدستور نهائيا، وكان الإرهاب والتعذيب والإعدامات السمات الأساية للنظام، إضافة إلى الجرائم البشعة التي إقترفها الحرس القومي ضد أبناء الشعب. لكن الثورة الكردية برهنت وجودها وقاومت السلطة البعثية مما إضطر النظام إلى الإلتفاف حول القضية الكردية وإصدار بيان 9 آذار والمعلن في 11 آذار عام 1963. وجاء فيه: "لقد عاش العرب والأكراد كأخوة، يربطهم الوطن. ويعترف مجلس قيادة الثورة بحقوق الأكراد على أساس مبدأ اللامركزية. وهذا المبدأ سيدخل الدستور المؤقت والدائم وستشكل لجنة من أجل وضع برنامج واسع للامركزية". (أنظر أشيريان، نفس المصدر، ص 85). لكن لم يدخل هذا المبدأ في الدستور، ولم تطبق اللامركزية عمليا حتى سقوط النظام. ففي أوائل شهر حزيران سيق آلاف الكرد إلى السجون، وألقي القبض على رئيس الوفد الكردي صالح اليوسفي الذي كان متواجدا آنذاك في بغداد. وتحديدا في 6 حزيران 1963 شنت القوات العسكرية العراقية هجوما واسعا على كردستان ومواقع البيشمركة الكرد والبارزاني. وصرح الوزير العراقي طالب حسين شبيب في وزارة أحمد حسن البكر بأنه: "لا يجوز حتى الحديث عن منح الأكراد الحكم الذاتي وإذا لم يساوم الجنرال بارزاني بالقضية فإننا سوف نأجل القضية طويلا، وسنقضي على المتمردين دفعة واحدة". (أنظر آشيريان، نفس المصدر، ص 100). لكن بسبب قوة المقاومة الكردية المتواصلة أجبرت القوات العسكرية العراقية على التقهقر، وبرزت تناقضات في الحكومة العراقية، ومهدت السبيل لإنقلاب 18 تشرين الثاني عام 1963 وإقامة الجمهورية الثالثة.

الجمهورية العراقية الثالثة في 18 تشرين الثاني 1963

طلب عبد السلام عارف قائد إنقلاب 18 تشرين الثاني من قيادة الحركة التحررية الكردية تسليم

الأسلحة إلى القوات العراقية والإستسلام. لكن القيادة الكردية رفضت ذلك وقاومت النظام العارفي وأرغمته بإصدار بيان 10 شباط عام 1964، وجاء فيه: قررت الحكومة "منح الأكراد الحقوق القومية في إطار الجمهورية العراقية وتثبيت هذا الحق في الدستور". لم يحدد البيان ما يعنيه بالحقوق القومية، ومع ذلك رحب الحزب الديمقراطي الكردستاني بالبيان. ثبت ذلك في الدستور لكن هذا الدستور كان خطوة إلى الوراء بالمقارنة مع دستور الجمهورية الأولى. كما ركز رئيس الجمهورية عارف السلطات بيديه، وأخذ يعدل الدستور كيفما شاء دون إعتبار لحقوق العراقيين ومنهم الكرد.

مع نشر الدستور المؤقت الثاني أعلن إتفاق الوحدة بين العراق ومصر في 26 أيار عام 1964 دون ذكر أي شئ عن الحقوق القومية للشعب الكردي. ولم يعترف الدستور بأي تنظيم سياسي غير تنظيم النظام وهو "الإتحاد الإشتراكي العربي"، وهذا يعني منع الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي كان التنظيم الوحيد الذي يمثل الكرد آنذاك، بالعمل السياسي. ولذلك وصف الحزب الكردستاني هذا الدستور بأنه وثيقة رجعية بالنسبة للشعب الكردي.

أعلن رئيس الوزراء العراقي آنذاك طاهر يحيى بأن "الحكومة لا تستطيع أن تمنح الأكراد الحكم الذاتي لعدم وجود البرلمان المنتخب من قبل الشعب في البلاد. وبنفس الوقت إعتبر يحيى مطاليب الأكراد بتنفيذ إتفاقية 10 شباط (متطرفة) وأنها تعرقل الوحدة والصداقة مع العرب". (أنظر آشيريان، نفس المصدر ص 128). ثم بدأت الإصطدامات العسكرية بين القوات الحكومية والقوات الكردية. وأعلن رئيس الجمهورية عبد السلام عارف "نحن لا نعطي أي شبر من أرض وطننا، سيبقى الوطن العربي للعرب". وزعم بأن الكرد هم في الاصل عرب من سلالة (كرد بن عامر). لكن على النقيض من إعتبار الكرد عربا كانت الممارسات الإستبدادية ضد الكرد على أرض الواقع تؤكد بأن الكرد قوم آخر غير العرب. فقد صرح وزير الدفاع العراقي عبد العزيز العقيلي في 21 تشرين الأول عام 1965 في كلمة ألقاها في القصر الجمهوري بأن "القضية الكردية لا يمكن حلها إلا عن طريق الحرب" بينما كان وزير الداخلية العراقي صبحي عبد الحميد أكثر وضوحا بقوله "لا ينوي العراق الموافقة على الحكم الذاتي للأكراد لا اليوم ولا في المستقبل". (أنظر آشيريان، نفس المصدر، 130 و 132).

لكن الثورة الكردية إستمرت في إمتصاص قوة الجيش العراقي وإضعاف الإقتصاد العراقي، وتشويه المركز الدولي العراقي رغم الإنشقاق الكبير الذي حدث بين قيادة البارزاني مصطفى والمكتب السياسي لحزب البارزاني بقيادة جلال الطالباني وإبراهيم أحمد. توجه الطالباني وأعوانه إلى إيران، وتحالفوا مع نظام شاهنشاه إيران، لكن البارزاني نجح بالإلتفاف على المنشقين، بعقد كونفرانس، معلنا طردهم من الحزب، ثم الإتصال بالنظام الشاهنشاهي

الإيراني بطرد الطالباني وأعوانه. نجحت الثورة الكردية بالتفاهم مع الحكومة بالتوصل إلى بيان 29 حزيران 1966 والمعروف ببيان رئيس الوزراء الجديد آنذاك عبد الرحمن البزاز والمتضمن خمس عشرة نقطة. حيث ورد في النقطة الأولى: "تعترف الحكومة بحقوق الأكراد في إطار الدستور المؤقت وسوف يشمل الدستور الدائم على هذه الحقوق المتساوية". لكن سقطت حكومة البزاز ، وترأس الضابط العسكري ناجي طالب الوزارة، ونسف الإتفاقية وعلق قائلا: "إننا لا نريد تحويل العراق إلى لبنان آخر". (أنظر أدمون غريب، الحركة القومية الكردية، بيروت، 1973، ص 94). وبهذا إقتنع الكرد أكثر بضرورة مواصلة النضال ، وحصلوا على مساعدات إيرانية لضرب مواقع النظام العراقي. كما إتصل الكرد بالقوى العراقية المعارضة لإسقاط الجمهورية الثالثة عشية إنقلاب 17 تموز عام 1968.

الجمهورية الرابعة في 17 تموز 1968

قاد الضباط البعثيون بالتعاون مع الإخوان المسلمين وجماعة عبد الرزاق نايف إنقلاب 17 تموز وفي 30 تموز تمت تصفية النايف والإخوان المسلمين وتفرد البعث بالسلطة، وعين أحمد حسن البكر رئيسا للجمهورية. وكانت سمة النظام دكتاتوريا ودمويا حيث حاول فرض أفكار البعث على أبناء الشعب العراقي كله.

شنت القوات العسكرية العراقية هجوما كاسحا على المواقع الكردية ، واستعملت جميع أنواع الأسلحة، كما مارست المخابرات العراقية سياسة التصفيات الجسدية ضد العراقيين من عرب وكرد، وتعرض عدد كبير من اللاجئين الكرد المتواجدين في المخيمات داخل الحدود التركية للتسمم بينما نجا آخرون. وفي هذا الظرف الصعب وجدت قيادة البارزاني مصطفى فرصة الخلافات العراقية الإيرانية على شط العرب، فاتصلت بالحكومة الإيرانية، وحصلت على الاسلحة والدعم المادي. وتمكنت من صد الهجمات العراقية، وتنظيم هجمات مضادة، وكبدت القوات العراقية خسائر كبيرة وخاصة في معارك سورداش و مركة دولي شهيدان، وتعمقت الخلافات في قيادة البعث واشتد الإفلاس المالي مما أجبر النظام بالجلوس على طاولة المفاوضات. لقد كان التعاون والتنسيق الكردي الإيراني واضحا وعلنيا، كما كانت تتواجد ضباط إيرانيون في كردستان العراق لدعم القوات الكردية.

نتجت المفاوضات بين الجانبين الكردي والعراقي إلى قبول النظام العراقي بجميع المطالب الكردية ، وأسفرت عن إعلان إتفاقية 11 آذار1970 وتضمنت خمسة عشر بندا، والتي كانت مطابقة تقريبا لمشروع الحكم الذاتي الذي قدمه الحزب الديمقراطي الكردستاني في 9 آذار 1970.

إتفاقية 11 آذار 1970 بين القيادة الكردية ونظام العراق

أشارت الإتفاقية في البند الثاني إلى ما يلي: "إن مشاركة إخواننا الأكراد في الحكم وعدم التمييز بين كرد وغيرهم في تقلد الوظائف العامة بما فيها المناصب الحساسة والهامة في الدولة كالوزارات وقيادات الجيش وغيرها، كانت وما زالت من الأمور الهامة التي تهدف حكومة الثورة إلى تحقيقها. فهي في الوقت الذي تقر هذا المبدأ تؤكد ضرورة العمل من أجل تحقيقه بنسبة عادلة مع مراعاة مبدأ الكفاءة ونسبة السكان وما أصاب إخواننا الكرد من حرمان في الماضي".

ومن الجدير بالذكر أن صدام حسين الذي كان يشغل آنذاك منصب نائب الرئيس قد وقّع بنفسه على الإتفاقية. وإحتفل الشعب الكردي بل الشعب العراقي كله بالإتفاقية التي إعتبرت إتفاقية السلام والحكم الذاتي، والتي كانت في نفس الوقت صفعة بوجه شاه إيران، وانتصارا للكرد وقيادة البارزاني. وتوحدت الصفوف الكردية لمواجهة المرحلة الأصعب.

كان قد اعلن نظام الجمهورية الرابعة، قبل إتفاقية آذار 1970، الدستور المؤقت الثالث في 21 أيلول 1968 أي بعد إنقلاب تموز بشهرين وأربعة ايام. لكن هذا الدستور عُدل بعد صدور الدستور المؤقت الرابع في 16 تموز 1970. وبذلك أدخلت بنود جديدة في الدستور طبقا لإتفاقية 11 آذار المذكورة:

أ ـ يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية. ويقر هذا الدستور حقوق الشعب الكردي القومية وحقوق الأقليات كافة ضمن الوحدة العراقية.

ب ـ إضافة الفقرة التالية من المادة الرابعة من الدستور: تكون اللغة الكردية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية في المنطقة الكردية.

ج ـ تثبيت ما تقدم في الدستور الدائم.

هنا يجد الباحث كيف أن الدساتير العراقية أصبحت لعبة بيد الحكام المستبدبن الذين تسلطوا على رقاب الشعب العراقي. فقد أصاب لينين في هذا المجال في قوله: "إن جوهر الدستور يعتمد على تناسب القوى في الصراع الطبقي إذ أن الدستور يعكس تناسبها الفعلي". (أنظر يورين تشيركين، دولة الإتجاه الإشتراكي أداة للتحولات الثورية، ترجمة دار التقدم، 1976، ص 60، نقلا عن لينين، المؤلفات الكاملة ، مجلد 17).

أهداف البعث من إتفاقية 11 أذار 1970

رغم أن إتفاقية 11 أذار للحكم الذاتي كانت وثيقة تاريخية تقر بوجود الشعب الكردي وتعترف بحقوقه، فقد كان الهدف منها هو القضاء على الحركة التحررية الكردية بوسائل أخرى بعد فشل ما يمكن تحقيقه عسكريا. وذلك عن طريق التآمر والإغتيالات.

الإتفاقية لم تمنع الحرب ضد الشعب الكردي، لأنه كما قال كامل الجادرجي بأن النص في الدستور "أبقى المعضلة الكردية قائمة بكافة إحتمالاتها ومضاعفاتها إذ ليس المهم كما بينا النص على شعار يعترف بالحقوق القومية للأكراد، بل المهم هو تعيين طبيعة هذه الحقوق ومداها وكيفية ضمان التمتع بها". (أنظر كامل الجادرجي، من أوراق كامل الجادرجي، ط 1، بيروت ، 1971، ص 163). وقال صدام حسين :"أما أن يوجد عشرة رجال في أعالي الجبال أو مائة أو أي عدد آخر من ذلك في يوم ما يعارضون الثورة، فليس هذا بذي بال". (أنظر صدام حسين ، خندق واحد أم خندقان، بغداد، 1977، ص 27).

وأعقبت الإتفاقية مؤامرة إغتيال قائد الحركة التحررية الكردية الملا مصطفى البارزاني في 29 أيلول 1971، ومحاولة ثانية في 16 تموز 1972. لقد كانت قيادة البعث جدية في نسف إتفاقية آذار ، في الوقت الذي كان الشعب الكردي يعيش في وهم الحكم الذاتي في ظل سلطة مركزية إستبدادية.

وقد تجلى الموقف العدواني للبعث والقيادة العراقية في قول صدام حسين بأنه "لابد من إستكمال بعض المستلزمات الأخرى مثل ضبط الحدود، والترحيل من الحدود بعمق عشرين كيلومترا لكي لا يحدث تسلل. وإيجاد أجهزة لتقصي المعلومات والنزاعات وإبقاء جيش في المنطقة وتوزيعه على شكل معسكرات معينة وشق الطرق في الجبال". (أنظر صدام ، خندق واحد أم خندقان ، ص ص 34_35) . ولعل أبرز دليل للتكتيك البعثي من الإتفاقية هو ما صرح به أحد أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث في نيسان 1970 "بأنهم سيجردون البارزاني من جميع عناصر قوته بواسطة بيان آذار" (إتفاقية 11 آذار 1970).

وعلى أي حال فشلت الإتفاقية ولم تطبق بنودها كما لم تنفذ ما ورد في الدستور العراقي الرابع. وصمم النظام بإعلان قانون الحكم الذاتي رغم رفض قيادة البارزاني على مضمونه. وفي ذلك وافق الحزب الشيوعي العراقي (اللجنة المركزية) على ممارسات السلطة، خاصة بعد الإتفاقية العسكرية العراقية السوفيتية عام 1973، ودخول الحزب الشيوعي في الجبهة التقدمية التي تضمنت حزب البعث الحاكم. ودخل الشيوعيون في معارك دموية طاحنة مع قوات البارزاني مصطفى والحركة التحررية الكردية قبل أن ينقلب النظام على الشيوعيين ، ليتحولوا إلى جبهة المعارضة مع الكرد ضد النظام البعثي .

قانون الحكم الذاتي 1974

سياسة الأرض المحروقة بدأت بمجرد إصدار قانون الحكم الذاتي من طرف واحد. وخلال سنة واحدة بين 1974 – 1975 قتل حوالي (60) ألف عراقي منهم (14) ألف عسكري عراقي ومرتزق كردي موالين للنظام. وهذا كله

كان تناقضا مما قاله صدام حسين نفسه عقب إتفاقية 11 آذار 1970 "بأن السلطة المركزية تكون خاسرة إذا ما عولجت القضية الكردية بتصور عسكري". (صدام ، خندة واحد ام خندقان ، ص 28). لكن على أرض الواقع أعلن صدام حسين هدفه الحقيقي بمعاداته للكرد في مقال نشر في صحيفة حزب البعث بـ "أن النضال لتصفية هذه الزمرة تصفية نهائية أو إجتثاث جذورها وفروعها مهمة وطنية مقدسة". (أنظر جريدة الثورة الحكومية في 5 ديسمبر عام 1974).

إتفاقية 6 آذار 1975 بين العراق وإيران

أفرغ قانون الحكم الذاتي لعام 1974 إتفاقية 11 آذار لعام 1970 من مضمونها. فالقانون ليس فيه من الحكم الذاتي غير إسمه، مما دفع الحركة التحررية الكردية بالدخول في جولة أخرى من النضال المسلح، ولكن هذه المرة بشكل أكثر دموية، وبتدخل أقليمي ودولي. فقد وثقت القيادة الكردية علاقاتها مع النظام الإيراني الشاهنشاهي كما ذكرنا، وفسحت للقوات الإيرانية بالتدخل المباشر في كردستان العراق. ودخلت كتيبة إيرانية مزودة بكافة أنواع الأسلحة بما فيها الأسلحة المضادة للطائرات. كما ساهم خبراء إيرانيون وإسرائيليون بتدريب عناصر البيشمركة الكرد، ودخلت عناصر كثيرة في دورات عسكرية داخل كردستان وخارجها بما فيها إسرائيل. (أنظر نكديمون، الموساد الإسرائيلي في العراق ودول الجوار، عمان 1997). ووجدت الحكومة العراقية نفسها في موقف صعب للغاية في مواجهة المد الكردي الإيراني فحاولت الإلتفاف على الثورة الكردية بالتفاهم مع النظام الشاهنشاهي الإيراني وبتوسط من الرئيس الجزائري حينذاك هواري بومدين. ودخلت كل من مصر والأردن والولايات المتحدة الأمريكية في المعادلة. ورغم أن أمريكا كانت قد منحت القيادة الكردية 16 مليون دولار كمساعدة ، إلا أن مصالحها إقتضت ضرب الكرد حين وجدت حليفتها إيران الشاه قد حققت أهدافها من تدخلها في القضية الكردية. فقد وافق نائب الرئيس صدام حسين بالتنازل عن بعض حقوق العراق في شط العرب مقابل إنسحاب إيران دعمه للحركة التحررية الكردية. وبذلك تمت الإتفاقية بين الشاه الإيراني وصدام حسين في 6 آذار عام 1975 بإنهاء الخلافات العراقية الإيرانية وتم التوقيع على الإتفاقية في الجزائر العاصمة وبحضور هواري بومدين. وأسفرت الإتفاقية إنهيار الثورة الكردية، ولو مؤقتا إن صح التعبير، وحدثت نكسة أليمة بالشعب الكردي وحركته القومية، واعتبرها الكرد مؤامرة دولية طبخت بنودها في واشنطن، وأعلنت في الجزائر. وبذلك حقق صدام حسين إنتصارا ولو مؤقتا على الكرد. لكن لم يفكر أحد بأنه لا يمكن إعدام قضية شعب بهذه السهولة، ولم يأخذ صدام حسين حقيقة مفادها أن النصر في معركة واحدة قد لا يكون نصرا في الحرب كلها. فإتفاقية 6 آذار عام 1975 أصبحت وبالا على النظام العراقي ، وتجربة قاسية للشعب الكردي. لقد كانت الإتفاقية سببا من أهم أسباب الحرب العراقية الإيرانية.

كركوك: قرن و نصف من التتريك و التعريب

د. جبار قادر

لن اضيف جديدا اذا قلت بأن الانصياع الى حقائق العلم و قيمه لابد ان يبقى رائد الانسان الباحث عند تصديه لدراسة اية مسألة تاريخية كانت او تلك المرتبطة بالواقع اليومي المعاش. و مثل هذا الموقف هو امر لصالح الجميع، فكلما كانت طروحاتنا مبنية على الحقائق العلمية كلما كان النقاش مفيدا او مثمرا على الصعيدين العلمي و السياسي. و قبل الخوض في دقائق سياسات التتريك و التعريب في كركوك المدينة و اللواء (المحافظة) لابد من الاشارة الى ظاهرة تشويه حقائق التاريخ و الجغرافيا ذات الصلة بالكرد و كردستان و التي تسود صفحات العديد من المطبوعات التي تصدر باللغة العربية. و نالت كركوك هنا ايضا كما هو شأنها دائما حصة الأسد من هذه الحملة الظالمة لتشويه تأريخها المديد على ايدي اناس لا تمت كتاباتهم الى العلم و حقائق التاريخ و الجغرافيا بصلة و لن تنفع ما تقوم به هذه الصحف من اضفاء القاب المتخصص و الباحث و المخطط الاستراتيجي على كتابة تلك المقالات و الذين لا تتجاوز معارفهم حول المسائل التي يتصدون لدراستها و يكتبون فيها معارف تلميذ في الثانوية. و قد ادت هذه الظاهرة الى نشر مجموعة من الآراء و الطروحات البعيدة عن الحقائق العلمية المعروفة لدى القاصي و الداني في اوساط فئة واسعة من القراء. و تعتبر الكتابات المتعلقة بماضي كركوك و حاضرها نموذجا صارخا لتشويه الحقائق و الابتعاد عن العلم و قيمه فلما تعرضت مدينة في العصر الحديث مثل كركوك الى هذا الكم الكبير و المتشعب من المحاولات المحمومة و لمدة تقارب القرن و النصف لتدمير شخصيتها الكوردستانية و تغيير سمتها القومية الكردية. و قد غطت سياسة التعريب التي مارستها الحكومات العراقية المتعاقبة بحق كركوك المدينة و المنطقة منذ قيام الدولة العراقية عام 1921 و التي وصلت خلال العقود الأربعة الأخيرة على يد البعث المجرم الى مرحلة التطهير العرقي و حرب الابادة الجماعية، غطت على اخرى سبقتها و وضعت لبناتها الأساسية

الا و هي سياسة التتريك التي مورست بحق هذه المدينة و القصبات التابعة لها منذ منتصف القرن الماضي.

من المعروف ان كركوك في حدودها التاريخية و الجغرافية المعروفة كانت عبر القرون جزءا من الجسم الكردي. فقد كانت خلال القرون الأخيرة جزءا من امارة اردلان الكردية و قد كلف السلطان مراد الثالث امير الموكريين عام 1583 بادارة اقاليم الموصل و شهرزور و اربيل. و منذ اواخر القرن السابع عشر اصبحت ضمن ممتلكات الامارة البابانية التي حلت محل اردلان في الكثير من الاصقاع التي تعرف اليوم بكوردستان العراق، و كانت الامارة البابانية تضم في عصرها الذهبي، قلاجوالان، كركوك، اربيل، كوي، رواندوز، حرير، بانه، كفري، قرتبه، مندلي، بدره، داوده، عسكر، شوان، جمجمال، قرداغ، حتى نهر ديالى، سردشت، مركة، بشدر، ماوت، ئالان، كهلاله، جوارتا، سيويل، شينك، قزلجة، قرة حسن، قصر شيرين و زهاو. و قد بلغت الامارة درجة من السعة دفعت بلونكريك ان يسميها بامبراطورية السليمانية. و كل من لديه المام بسيط في التاريخ العثماني يعرف بأن كركوك كانت مركزا لأيالة شهرزور و التي كانت تشمل محافظات كركوك و اربيل و السليمانية بحدودها التاريخية و الجغرافية المعروفة. و حتى بعد التغييرات التي احدثها مدحت باشا في العراق و من ثم استحداث ولاية الموصل عام 1876 و الحاق كركوك بها ظلت تسمية شهرزور (شارزور) تطلق على منطقتي كركوك و اربيل، بينما بقيت شهرزور التاريخية من سنجق السليمانية المستحدث.

و لم تلاحظ تأثيرات تذكر للعثمنة خلال تلك الفترات في كركوك و توابعها رغم انها اصبحت رسميا ضمن الممتلكات العثمانية بموجب معاهدة اماسيا بين العثمانيين و الصفويين عام 1555. و حتى القبائل التركمانية التي رافقت حملة الشاه عباس الصفوي عام 1623 و بخاصة حملة نادر شاه الأفشاري عام 1743 على كركوك و اربيل و الموصل و التي تخلفت بعضها و اتخذت من بعض الأراضي القريبة من كركوك و الموصل مراعي لحيواناتها، كانت تعادي الدولة العثمانية و تناصر الدولة الصفوية التي كانت الانتماءات المذهبية و العرقية و الأجتماعية توحدها مع هذه القبائل. و لم تكن تلك القبائل تثير مخاوف السلطات المحلية الكردية لقلة عدد افرادها و انشغالها بتربية الحيوانات و ابتعادها عن ممارسة أي دور سياسي او اجتماعي، لذلك لم تتعرض لها و تركتها تمارس نمط حياتها و طقوسها الدينية مع ادراك العثمانية لحقيقة تخلفها عن اوربا الغربية و بدء المحاولات "الاصلاحية" التي عرفت في التأريخ (بالتنظيمات العثمانية)، و التي تهدف اساسا الى الابقاء على الدولة و وقف حد لعملية انحلالها و زوالها، بدأ الباب العالي يخطط لبسط سيطرتها المباشرة على كل الأقاليم الخاضعة للدولة العثمانية. و قد اصاب هذا التوجه العثماني الجديد الوضع الكردي في الصميم، اذ تخلى الباب العالي عن سياستها التقليدية في كوردستان و التي انتجتها منذ معركة جالديران عام 1514 و التي كانت تتخلص بابقاء الأمور في كوردستان بأيدي

الزعماء المحليين الكرد لقاء اعلان التبعية للدولة العثمانية و ما يترتب عليها من واجبات كذكر اسم السلطان في خطبة الجمعة و المشاركة في حروب الدولة و ارسال الهدايا و الآموال سنويا الى البلاط العثماني. و قد تقيد سلاطين ال عثمان بتفاصيل هذه السياسة لم يحيدوا عنها خلال القرون الثلاثة التي اعقبت تلك الواقعة. و حتى عندما كان السلطان العثماني يغضب على احد الزعماء المحليين الكرد عندما يخرج على طاعته او يتحالف مع اعدائه، كان يعين بعد التخلص منه احد اقاربه من افراد العائلة الحاكمة الكردية نفسها محله، لأن الأتفاقية التي وقف الزعماء الكرد بموجبها الى جانب السلطان في صراعه مع الصفويين كانت تنص على توريث العرش في الامارات الكردية و انتقال السلطة من الأب الى الابن.

و كنتيجة للتوجهات الجديدة للدولة العثمانية سقطت الامارات الكردية، التي تمثلت مواقفها ازاء سياساتها الجديدة في الانتظار و مقاومة القوات العثمانية الكبيرة عند تخومها. و لم يكن بامكان تلك الامارات المبعثرة و المتصارعة فيما بينها ان تكسب هذا الصراع الغير متكافئ اصلا. هكذا زالت اخر الامارات الكردية في الدولة العثمانية عند منتصف القرن التاسع عشر و فتحت الافاق امام السيطرة المباشرة للدولة على الاراضي الكردية. و رغم المحاولات الكبيرة منذ ذلك التاريخ لتكريس السيادة العثمانية في كركوك و غيرها، الا ان نجاحات العثمانيين كانت لا تزال محدودة جداً حتى النصف الثاني من ذلك القرن.

يبدو واضحا من المصادر التاريخية التي اشارت الى كركوك و التركيب السكاني فيها في ذلك الوقت بأن الكرد كانوا يشكلون جمهرة سكانها الأصليين و الاساسيين الى جانب مجموعة صغيرة من العوائل المسيحية و بخاصة الأرمنية التي قدمت اليها بدوافع اقتصادية و بهدف ممارسة مهن محددة. فقد قدر المهندس الروسي يوسف جيرنيك، الذي زار كركوك ضمن جولته في كوردستان خلال 1872-1873 لدراسة امكانيات الملاحة النهرية في حوضي دجلة و الفرات و روافدهما و نشر فيما بعد عام 1879 نتائج رحلته و دراساته في المجلد الرابع من نشرة قسم القفقاس للجمعية الجغرافية الملكية الروسية، قدر عدد سكان كركوك في ذلك الوقت بـ(12-15) الف نسمة و اكد بأنه و باستثناء 40 عائلة ارمنية، فان بقية السكان هم من الكرد و يبدو بأن افراد الحامية العسكرية العثمانية في كركوك لم يكونوا يحسبون ضمن سكان المدينة، بل كانوا غرباء عن المنطقة و بخاصة في المراحل الأولى من الوجود العسكري العثماني في كركوك و كانوا يعودون في اغلب الأحوال الى البلدان التي جندوا منها بعد انتهاء فترات خدمتهم باستثناء افراد معدودين يتخلفون عن العودة الى مواطنهم و يتخذون من هذه المدينة او تلك موطنا جديدا لهم لأسباب اقتصادية او اجتماعية.

ادركت الدولة العثمانية اهمية كركوك و القصبات التابعة لها كونها نقاطاً مهمة على طريق التجارة البرية بين ايران و المناطق المطلة على البحر المتوسط فضلا عن اهميتها الجغرافية و

الاســتراتيجية للاتصــالات الرسميــة و التحركــات العسكرية بين الباب العالي و ولايات بغداد و البصرة و الحدود العثمانية الايرانية الجنوبية.

و مـع تحـول كركـوك الى مركـز دائـم لحمايـة عسكرية عثمانيـة بـدأت سياسـة العثمنـة و مـن ثـم التتريك تخلف بصماتها شيئا فشيئا على كركوك و القصبات الواقعة على الطريق الى بغداد و الحدود مع ايران. فقد اسكنت الدولة عوائل محدودة من الاتراك كانت في الأغلب عوائل الموظفين العسكريين و المدنيين في هذه المدن. و شكل هؤلاء بالذات مع السكان المحليين الذين استتركوا بمرور الزمن القوة الأساسية للسلطة العثمانية في كوردستان العراق. و اصـبحت كركـوك نقطـة ارتكـاز مهمـة و مركـزا عسـكريا عثمانيـا، كمـا تحولـت الى مركـز لتجنيـد الجندرمة و الموظفين الذين كانت الدولة العثمانية تعتمد عليهم في تصريف شؤون المنطقة كونهم من ابنائها و مطلعين على اوضاعها اكثـر مـن غيرهـم و خاصـة مـن الـموظفين القـادمين مـن البـاب العـالي. لذلك نجد بأن نسبة الكرد في المدينة بدأت تنخفض شـيئا فشـيئاً حتـى وصـلت في نهايـة القـرن التاسـع عشـر، حسـبما يـزعم مؤلـف الموسـوعة العثمانيـة (قاموس الأعلام)، المؤرخ و الرحالة التركي (شمس الـدين سـامي) الـذي زار منطقـة كركـوك في اواخـر ذلك القرن، الى اكثر بقليل من ثلاثة ارباع السكان، فيمـا شـكل نسـبة الأقـل مـن الربـع الاخـر العـرب و المسيحيين بمختلف طوائفهم و اليهود و التركمان من سكان المدينة و للمرء ان يشك في الأرقام التي اوردها شمس الـدين سامي. و لكن مما لاشك فيـه انـه لم يكـن ميـالا للكـرد و خفـض بصـورة مقصـودة مـن نسبتهم فيما رفع من نسبة الأقوام الأخرى و بخاصة الترك و المستتركين من سكان كركوك.

و يؤكـد المستشـرق الجـورجي المعـرف بدراسـاته الرصـينة عـن العـراق و صـاحب كتـاب (العـراق في سنوات الانتـداب البريطـاني) الـبرت مينتيشاشـفيلي "اشـير هنـا فقـط الى اراء الكتـاب الأجانـب لأنهـم يتنـاولون المواضيع مـن منطلق علمـي و لا مصـلحة لهم في الانحياز الى هذا الطرف او ذاك و لكي لا نـتهم بأننا نعتمد على المصادر الكردية)، يؤكـد بـأن جـزءاً مهماً من الأرستقراطية الكركوكيـة مـن اصل كـردي رغم مزاعمها بكونها من اصول تركية. و قد استند في رأيه هذا الى المصادر العثمانية و من ضمن العوائل التي ذكرها كأدلة على رأيه عائلة النفطجي (و التي حصلت من السلطات العثمانية على حق استخراج و بيـع الـنفط مـن ابـار كركـوك. و يبـدو انهـا كانـت مسـتعدة للتخلـي عـن انتمائهـا الكـردي لقـاء هـذه الصـفقة الدسمــة و للتزلــف للأوســاط العثمانيــة الحاكمـة) و عائلــة اليعقــوبي الــتي كانــت تمــارس الفلاحـة و تنتمـي الى عشـيرة الزنكنـة الكرديـة و عائلة القيردار الـتي كانـت تمـتهن التجارة الى جانـب امتلاكها للأراضي الزراعيـة. و الخاصيـة الأخـيرة أي امتلاك الأراضـي في منـاطق كركـوك كانـت مقتصـرة على الكرد حصرا. و هنـاك عائلـة (الآوجـي) و الـتي كانـت تمـارس مهنـة السـقاية أي جلـب المـاء مـن نهـر الخاصة و بيعه لسكان قلعة كركوك. و يشـير الأسـم

الكردي لهذه العائلة (اذ تعني كلمة "آو" الكردية الماء مع اللاحقة الايرانية القديمة (جي) التي يعتقد الكثيرون خطأ بأنها تركية) الى اصلها الكردي، رغم زعم ابنائها في المراحل التالية الى ان التسمية جاءت من (آو) التركية التي تعني الصيد. و المعروف ان صيد الحيوانات البرية كان حكراً على ابناء الريف اما بالنسبة لأبناء المدينة فهو هواية و تكتسب العوائل الحضرية القابها في الأغلب من ممارستها للمهن لامن خلال هواياتها.

و هناك مسألة اخرى جديرة بالاشارة و هي ان العوائل الكردية المستتركة رغم النفوذ السياسي و الاقتصادي الكبير الذي حصلت عليها من خلال انتمائها الى الأوساط الحاكمة و تبنت مفاهيمها و حتى لغتها و عاداتها و كانت تفتخر بهذا الانتماء الجديد و كيف لا و حكم ال عثمان يسود مناطق واسعة من العالم القديم، الا انها كانت منبوذة من المحيط الكردي لكونها انكرت اصلها. و يعتبر ذلك امرا معيبا في الأعراف الشرقية و تختزن الذاكرة الشعبية الكردية و الشرقية مئات الحكم و الأمثال التي تستهجن ظاهرة انكار الأصل و توصم القائمين بها بكل ما انزل الله من الصفات السيئة. و قد اثرت هذه المسألة في نفسية و سلوك ابناء و احفاد هذه الفئة التي يذكرها الوجود الكردي على الدوام بتاريخها المشين و شخصيتها الممسوخة. و تستوجب هذه الظاهرة برأيي القيام بدراسات نفسية و اجتماعية معمقة لتفسير الكثير من المواقف المتشنجة و التوجهات الحاقدة لدى جمهرة من المرتدين على اصولهم الكردية. التفسير البسيط هو ان هذا الانسان رغم المنافع التي حصل عليها من ردته على اصله حتى و لو كان رئيسا للوزراء كما في حالة اجويد و نائبا لرئيس الوزراء كما في حالة طه ياسين رمضان فانه يحتقر ذاته في قرارة نفسه و يشعر باحتقار الاخرين له. كما انه لا يشعر بأنه سوي ولديه دائما عقدة نقص شديدة تؤدي به الى اتخاذ مواقف غريبة حتى على ابناء القوم الجديد الذي انضوى تحت اسمه.

روى لي احد الأصدقاء من مدينة الموصل و كان والده على صلة صداقة بياسين رمضان في حي النبي يونس الذي يسكنه الكرد بالدرجة الأساسية، بأن ياسين هذا كان يشكو من عدم زيارة اصدقائه القدامى الكرد له بعد ان اصبح ابنه مسؤولا كبيرا في الدولة و غير جلده . و عندما مات ذهب عدد من الوجهاء الكرد من الموصل و دهوك بزيهم الكردي القومي لتعزية طه في ابيه. الا انه اوقف عددا من الحراس عند مدخل الشارع مع تعليمات مشددة بصرف كل قادم في الزي الكردي و الاعتذار منه بحجة انشغاله بامور الدولة. و اشار بعض السياسيين الكرد ممن ساهموا في المفاوضات مع حزب البعث الحاكم بأن طه ياسين رمضان، و هو القائل يوما انا كردي الأصل و لكن دم العروبة يجري في عروقي، كان من اكثر المسؤولين البعثيين تشددا ازاء الحقوق القومية الكردية.

و يمكن ايراد امثلة عديدة عن هذه النماذج البشرية. يعرف معظم الكركوكيين طبيبا ناجحا

جدا و هو الدكتور محمد رافع الذي كان يعلق صورة والده بالزي التقليدي لأبناء عشيرة زنكنة عندما كانت عيادته في حي الشورجة الكردي بكركوك و كان يفتخر بأنه ابن هذا الرجل الذي عمل كل ما في وسعه لكي يجعل من ابنه طبيبا. و كانت للطبيب انذاك مكانة اجتماعية مرموقة قبل ان يأتي البعث و يدمر كل شيء. و بمجرد انتقاله الى شارع الأطباء غابت صورة الأب من العيادة و بدأت عملية التنكر للأصل الكردي و لا استبعد ان يدعي الان بأن جذوره تعود الى الأناضول او اسيا الوسطى. و نموذج اخر هو المحامي محمد مردان القلمجي صاحب ماض معروف في حقل الصحافة الكردية و شقيق المطرب الكردي المعروف قادر مردان تحول بين عشية و ضحاها الى رئيس نادي الأخاء التركماني "(قار داشلق) قبل ان يتحول الى منظمة بعثية صرفة.

و لم تبق هذه الظاهرة المنبوذة محصورة في كركوك بل شهدت مدينة اربيل ايضا صورا مماثلة. روى لي صديق من اربيل ضليع في اصول العوائل الأربيلية العريقة بأن ممثلي الجبهة التركمانية الثلاث و الذين فرضت الحكومة التركية على الحزبين الكرديين، الحزب الديمقراطي الكوردستاني و الاتحاد الوطني الكوردستاني حضورهم في اجتماعات انقرة كانوا من اصل كردي. و المعروف ان الكثيرين من هؤلاء و الذين كانوا و حتى الأمس القريب يملأون مؤسسات (الحكم الذاتي المسوخ) الى حد التخمة كانوا يقدمون الى الصحافة الأجنبية على انهم يمثلون (ابناء شعبنا الكردي في منطقة الحكم الذاتي!!)

و للمرء ان يسأل ما الذي يؤدي بالأنسان الذي خلقه الله في احسن تقويم الى ان يتحول الى هذا الكائن البائس؟ اليست سياسة الأضطهاد القومي و القمع الشوفيني هي التي خلقت هذا الجوء الموبوء و هذه الكائنات البشرية المسوخة؟ هل كان بالامكان ظهور مثل هؤلاء الناس لولا انتهاج الدول لسياسة الابادة بحق الشعب الكردي؟ اليس للأنسان ان يشعر بالمهانة لحالة هؤلاء البشر؟

و بسبب العقد المذكورة تحول ابناء و احفاد هذه العوائل الى اعداء الداء للشعب الكردي و حاقدين عليه و على تطلعاته المشروعة و لايتوانون عن القيام بكل ما من شأنه الاضرار بالمصالح الكردية، و هناك امثلة لا حصر لها في هذا المجال و يعرفها كل من سكن كركوك او عاش فيها لفترة من الزمن. و ليس ذلك بالأمر الغريب على اناس اجبرتهم الظروف على التنكر لكل القيم التي تربوا عليها.

و ليست ظاهرة التزلف الى الأوساط الحاكمة و تقليد عاداتها و تقاليدها و تبني لغاتها و التنكر للأصل خاصة بالكرد رغم انهم يعانون منها اكثر من غيرهم بسبب الوضع السياسي المأساوي الذي يعيشون في ظله، بل ان اللغة التركية العثمانية (و التي لا يتمكن الا المتخصصون من اتراك اليوم فك رموزها) كانت لغة ارستقراطية كل شعوب الأمبراطورية في طول الدولة العثمانية و عرضها.

الغريب في الأمر ان هذه المسألة أي مسألة تتريك جزء من سكان كركوك المحليين اشتدت في العصور اللاحقة رغم فقدان العنصر التركي للسلطة

السياسية و انتقالها الى ايدي الأكثرية العربية في بغداد. و هذه ظاهرة مثيرة للانتباه و يصعب على الكثيرين ايجاد تفسيرات مقبولة لها. و يعاني الكثير من الأطراف السياسية الكردية اشكالية في فهم مغزاها و افاقها و النتائج المترتبة عليها و سبل التعامل معها. لا يمكن في مثل هذا المقال القصير التطرق الى كل جوانب هذه المسألة الشائكة لذلك سأشير الى بعض سماتها و تجلياتها الأساسية.

لم تكن العثمنة و بخاصة خلال فترة الدعاية للجامعة العثمانية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني امر يثير الكثير من المعارضة خاصة و انها كانت تجري تحت ستار الدين الاسلامي. و كانت الدعاية العثمانية تدغدغ المشاعر الدينية للسكان و تدعوهم الى التكاتف ضد اعداء الدين. و حاولت الأوساط الحاكمة العثمانية بعد تنامي الشعور القومي لدى الشعوب الغير تركية العمل على الابقاء على السيادة التركية تحت ستار الأمة العثمانية التي كان يفترض ان الدين الاسلامي الحنيف يوحدها و يقف على رأسها الخليفة – السلطان!.

الغريب في امر تتريك جزء من سكان كركوك هو انه جاء بعد الهزيمة النكراء للدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى و زوال السيادة التركية عن هذا الجزء من كوردستان. و الأغرب هو ان الأنجليز، و ليس غيرهم، و الذين حاربوا الدولة العثمانية و عملوا كل ما في وسعهم على تقطيع اوصالها، عملوا و حسب تخطيط مسبق لتكريس نتائج سياسة التتريك و تثبيت مواقع الأقلية التركمانية في كركوك تماشيا مع فكرة ايجاد و تقوية عنصر موازنة بين الشعب الكردي و حركته التحررية و السلطة المركزية العراقية في هذه المنطقة الحيوية من كوردستان. ففي كركوك و القصبات التابعة لها فقط من دون الممتلكات الأخرى للامبراطورية المهزومة لم يلاحظ السكان تغييرا كبيرا بين الاحتلالين العثماني و الانجليزي، حتى انه كان يتراءى للمرء ان الدولة العثمانية لم تخسر الحرب رغم دخول القوات الانجليزية الى كركوك عام 1918 و ظهور المسؤولين العسكريين و الاداريين الانجليز. فقد بقي كل شيء في كركوك كما كان في السابق و حتى اواخر العشرينيات، فقد سمح الانجليز، و هو امر يتقاطع كليا مع منطق المتحاربين و المنتصرين و مع بياناتهم و وعودهم اثناء الحرب بأنهم جاءوا لتحرير شعوب الشرق من الاحتلال العثماني البغيض، سمحوا لموظفي الدولة المحتلة و المدحورة في الحرب و لجنودها و عوائلهم، بالاستقرار في كركوك و القصبات التابعة لها. و الأنكى من ذلك استخدمت سلطات الاحتلال الانجليزي نفس الموظفين في تصريف الشؤون الادارية و التعليمية و غيرها في كركوك كما وضعت تلك السلطات العراقيل امام فتح المدارس الكردية في مدينة كانت غالبية سكانها من الكرد بحجة عدم توفر الكتب الدراسية الكردية و المعلمين الكرد (لم يتجاوز عدد المدارس الكردية في كركوك عام 1923 ست مدارس) في الوقت الذي سمحت بوجود 13 مدرسة تركية و التي كانت تمثل بقايا النظام

التعليمي العثماني و حتى نهاية العشرينات بحجة وجود نظام تعليمي سابق و توفر المعلمين و الكتب الدراسية.

و من الضروري الاشارة هنا الى ان وجود هذا العدد من المدارس التركية في كركوك يجب ان لا يفسر، كما يتبادر الى الذهن بوجود جالية تركية او تركمانية كبيرة في المدينة، بل يمثل صورة النظام التعليمي العثماني الذي كانت اللغة التركية لغة التعليم الاساسية فيه. فقد كان الأمر كذلك في بغداد و الموصل و البصرة و كل الولايات العثمانية الأخرى، و كان الهدف الحقيقي للموقف الانجليزي يكمن في منع الكرد من لعب دور كبير في مقدرات كركوك و خاصة بعد ادراك اهميتها الاقتصادية و الاستراتيجية بالنسبة للدولة العراقية المستحدثة و للمصالح الحيوية الانجليزية. كما ان الحركة الكردية كانت ترفع انذاك شعار دولة كردستان المستقلة ضمن حدودها الجغرافية و التاريخية المعروفة لدى الانجليز قبل غيرهم. و هناك مئات الشواهد و الأدلة و الصور المنقوشة في ذاكرة كرد كركوك عن معاداة الانجليز لهم و لتطلعاتهم.

ذكر لي صديق عمل طويلا كمهندس في شركة نفط كركوك و اطلع على سياسات ادارة الشركة قبل و بعد التأميم بأنه كان يجري ابعاد المقاولين الكرد من قبل الانجليز، دعك عن الحديث عن الحكومات العراقية المتعاقبة و بخاصة في العهد الجمهوري الزاهر!, عن كل المناقصات التي كانت الشركة تعلن عنها و حتى البسيطة منها مثل ازالة الأحراش المحيطة بآبار النفط و بيع السيارات و الاليات العتيقة و غيرها و التي كانت الشركة توكل الى التركمان عادة القيام بها.

و كان اساطين الاستعمار البريطاني و من خلال تجربتهم الغنية في شبه القارة الهندية و غيرها من المناطق يعرفون بأن اقلية صغيرة و غريبة الى حد ما عن المحيط الكردي سترنو حتما نحو العاصمة و تستنجد بها في المستقبل بل و يمكن ان تتحول الى اداة بيد المركز ضد التطلعات الكردية. و قد وضع ادموندز، الذي عاد بعد نصف قرن من ذلك التاريخ و اكد عليها صراحة في محاضرة له عام 1966 في لندن، و غيره اسس تلك السياسة التي لم تخرج عليها الحكومات العراقية المتعاقبة.

تمكنت بقايا العثمانيين في المدينة و عبر اساليب الغش و الخداع و التي مارسها الترك لقرون عديدة في مناطق واسعة من اسيا و افريقيا و اوروبا من السيطرة على السوق المحلية و تنحية الطبقة الوسطى الكركوكية و التي كانت تضم بالدرجة الرئيسة حتى ذلك الوقت و باعتراف ادموندز، الاثوريين و اليهود. و رافق ذلك ايضا سيطرتهم و بنفس الاساليب على الاراضي الزراعية من الملاكين الكرد.

هكذا اصبحت لغة التعليم و الادارة في كركوك تركية. و منذ نهاية العشرينيات حلت اللغة العربية محل التركية في التعليم و الشؤون الادارية و المراسلات الرسمية في حين بقيت اللغة المحكية التركمانية تسود العديد من دوائر المدينة و اسواقها و بخاصة في قلب المدينة. و هذه الظاهرة بالذات دفعت ببعض الأجانب

الـذين زاروا المدينـة و بعـض قصـباتها الى الاشـارة الى اللغـة التركيـة كلغـة متداولـة و بصـورة واضـحة في كركوك و بعض القصبات التابعة لها.

و من خلال مقارنـة بسيطة بـين عـدد الـترك و المستتركين في نهاية القـرن التاسـع عشـر علـى اساس الأرقـام الـتي ذكرهـا شمـس الـدين سـامي و عـددهم خلال مشكلة الموصل (قدر الانجليـز عـددهم في لـواء كركوك بـ 35 الفا فيما ذكـر الجانـب التركـي رقمـاً مبالغاً فيه و هو 79 الفا) تظهـر الصـورة الحقيقيـة للسياسة الانجليزية في كوردستان عامـة و في كركـوك بصورة خاصة.

اعطت حالـة السـيادة في السـوق و الأدارة للأقليـة التركمانية مكانة مهمة في كركوك، بينما كانت نسبة مهمـة مـن كـرد المدينـة مـن الكسـبة و العمـال و المزارعين الذين بقوا على ارتبـاط وثيـق بـالريف و كانوا يتعرضـون الى الاسـتغلال الاقتصـادي مـن قبـل اصحاب الدكاكين في المدينـة. و كـثيرا مـا كـان المـزارع الكردي يعطـي كل ما انتجه من المحاصيل الى صاحب الدكان لدفع الديون المترتبة عليه خلال السـنة. و لم يكـن التجـار يتورعـون عـن اللجـوء الى كـل الاسـاليب للايقاع بالمزارع القروي البسيط و سـرقة نتـاج كـده و جهـده لعـام كامـل. و كـان المـزارع القـروي يشـعر بعجـز امـام ابـن المدينـة و يعتـبره نموذجـا للـذكاء و النجـاح و سـعة الحيلـة. و مـن الطبيعـي ان يحـاول تقليده في نمط حياته و لغته و عاداته عند انتقالـه للمدينة. كما ان وضع العقبات الكثيرة امام الكردي و من اطـراف عديـدة لمنعـه مـن الوصـول الى تسـنم أي مركز سياسي، اداري او القيـام بـأي نشاط اقتصـادي جدي دفع بالكثيرين من المتعلمين و اصحاب المصالح الأقتصادية الى التخلـي عـن اصلهم الكـردي و اعـلان انتمـائهم للأقليـة التركمانيـة. و بسـبب سياسـات الدولة المعادية للكـرد خـلال العقـود السـبعة الماضـية حـاول الكـثيرون الـتخلص مـن المشـاكل السياسـية و الملاحقات التي كانوا يتعرضـون لها بسـبب انتمـائهم الكردي من خلال التخلـي عـن كـرديتهم و الانـدماج بالأقليـة التركمانيـة الـتي لم يلاحـظ عليهـا اهتمامـا يـذكر بالنشـاط السياسـي بـل بقيـت توجـه جـل اهتمامها نحـو التجـارة و تسـنم الوظـائف الحكوميـة. كما لم تتعرض الى الملاحقة السياسية و الاضطهاد اذ لم تشعر الدولة بأنها تشكل خطـرا علـى امنها كما هو الحال بالنسبة للكرد.

و هكـذا سـاهمت عوامـل القسـر الاقتصـادي و التعليمي و الاداري و الاجتماعي في تتريك جـزء مـن سـكان كركـوك الاصـليين خـلال العقـود الأولى مـن سياسـة التتريـك. و لم تقتصـر هـذه العمليـة علـى الكـرد فقـط، بـل ان العوائـل العربيـة الـتي سـكنت كركـوك تعرضـت الى هـذه العلمليـة ايضـا. فهنـاك عوائـل تكريتيـة و غيرهـا سـكنت كركوك و اتخذت من التركمانية لغة لها، لتعود الى اصولها العربية مع مجـئ التكـريتيين الى الحكـم عـام 1968. في حـين اصبحت العوامل السياسية المتمثلة في ملاحقة الكـرد و تهجيرهـم مـن كركـوك و مـنعهم مـن امـتلاك الاراضـي و الـدور او حتـى تـرميم البيـوت الايلـة للسـقوط و تسـنم الوظـائف و ممارسـة أي نشـاط

اقتصادي مهم خلال العقود الاربعة الأخيرة الدافع الاساسي الى تخلي الكردي عن كرديته و اعلان انتمائه للأقلية التركمانية و لكن ابناء هذه الفئة لا يمكن التعويل عليهم كثيرا، فهم يغيرون جلودهم حسب الحاجة و يبدو ان تغيير الانتماء القومي لم يعد يشكل شيئا معيبا بالنسبة لهم، فقد رأينا المئات منهم يعلنون كرديتهم بعد اتفاقة 11 اذار 1970 ليعودوا و يطلقوها الى الأبد مع بدء القتال عام 1974 بين الحكومة و الحركة الكردية. كما ان الكثيرين منهم و من اجل تسريح ابنائهم من الجيش العراقي او قبولهم في صفوف ما كانت تسمى بأفواج الدفاع الوطني (اطلقت الجماهير الكردية تسمية الجحوش على افراد هذه التشكيلات) في الثمانينيات. لم يجدوا حرجا في البحث عن الشهود و الوثائق التي تؤيد اصلهم الكردي.

من المناسب ان اشير هنا الى حالة كنت شاهدا عليها و تؤيد ماذكرته سابقا. فقد كنا في مجلس كبير بمناسبة عيد الاضحى المبارك عام 1988. و من بين ما جرى الحديث عنها كما هي العادة في المجالس الكركوكية سياسة التعريب و تغيير القومية و جماعة العشرة الاف (اشارة الى العوائل العربية التي تأتي بها الحكومة لاسكانها في كركوك بهدف تعريب المدينة اذ كانت تمنح كل عائلة الى جانب قطعة ارض مبلغ عشرة الاف دينار ايضا. و رغم ان هذا الرقم تغير مرات عديدة الا ان تسمية العشرة الاف بقيت ملاصقة بهؤلاء). ذكر احد الجالسين و بمرارة بأنه اخطأ و بدل ان يخلص المسألة بضربة واحدة اطال الأمر و جعله بمرحلتين. و بما انني لم افهم المسألة سألته عن الأمر فذكر لي بأنه سجل نفسه في احصاء 1977 كتركماني ليتخلص من المشاكل و لكنه ادرك فيما بعد بأن هذا لن يخلصه من المنغصات كليا لذلك قرر في احصاء 1987 ان يسجل نفسه كعربي. و لم يكن الأمر يستحق برأيه هذه السلسلة الطويلة من الاجراءات، بل كان عليه ان يسجل نفسه رأسا كعربي و ينهي الموضوع.

بعد كل هذه السياسات الظالمة بحق كركوك خلال قرن و نصف من الزمان نجد من يحاول ان يشوه الحقائق المتعلقة بماضي كركوك التاريخي و التركيب القومي لسكانها في الماضي و الحاضر. و الملاحظ ان جميع الاطراف تحاول زيادة عدد افراد اثنياتها على حساب عدد الكرد في كركوك المدينة و الاقليم. و مناسبة الارقام لابد من الاشارة الى الاوهام التي يحاول البعض جاهدا جعلها حقائق و نشرها هنا و هناك. فقد صرح احدهم من على شاشة احدى الفضائيات العربية ان عدد التركمان في مدينة اربيل وحدها 350 الف شخص!. و اقل ما يقال عن هذا الكلام هو انه نوع من الهذيان. ذكر الدكتور شاكر خصباك و هو رجل اكاديمي معروف بمؤلفاته الرصينة في كتابه (الكرد و المسألة الكردية) الصادر عام 1959 بأن الكرد يشكلون نسبة 91٪ من سكان اربيل و 9٪ الباقية تشمل الاثوريين و الكلدان و العرب و التركمان. و لم يشكل التركمان يوم كان عدد سكان اربيل الف نسمة سوى 5٪ اما اليوم و قد تجاوز عدد سكان اربيل المليون نسمة، و لم تأت هذه

الزيادة الهائلة على اساس النمو الطبيعي للسكان و انما كانت نتيجة لتدمير الريف الكردي و التهجير القسري، أي ان الزيادة العددية تخص الكرد حصرا، و بالتالي تدنت نسبة السكان التركمان في اربيل الى مادون 1٪ من مجموع سكان المدينة. اما اذا كان يقصد بهذا الرقم عدد الهويات التي نظمتها المخابرات التركية عن طريق استغلال جوع الناس و توزيع الطحين عبر بعض المؤسسات المشبوهة، فعلية و كما يقول المصريين (خلي يبلها و يشرب ميتها!). فقد و لى زمن الجوع و لله الحمد في كوردستان و استعاد الناس الى حد كبير كرامتهم المهدورة على ايدي هذه التنظيمات المشكلة من وراء الحدود.

و من الجدير ان نشير الى ان الهجرة من الريف الى المدينة و تغيير ملامح و سمات المدن ظاهرة عالمية و لا تخص المدن العراقية، و لكن في كوردستان و الى جانب تلك العملية الطبيعية كانت هناك عملية تدمير شاملة للريف الكوردستاني و تكديس السكان في المدن. و قد حولت هذه الظاهرة المدن الكردية الى قرى كبيرة تعاني من اختناقات شديدة، كما غيرت من سماتها الحضرية و الديموغرافية. فعلى سبيل المثال لا الحصر يشير البعض الى مقولة ادموندز التي تعود الى العشرينيات من هذا القرن و الذي ذكر بأن اللغة التركية متداولة بصورة ملحوظة في كركوك و كفري. فقد كان عدد سكان كفري انذاك لا يتجاوز الالفين نسمة، و لكن بعد ان بلغ عدد سكان كفري 30 الفا لا يتجاوز عدد التركمان فيها حسب اكثر الاحصاءات تفاؤلا 500 شخص. و يمكن ان يقال نفس الشء بصدد القصبات الأخرى التي اشار اليها ادموندز و غيره.

كان عدد التركمان في الموصل في العشرينيات حسب التقديرات الانجليزية 15 الف شخص و حسب الأرقام التركية 35 الف. و كانت نسبة الكرد و حسب تقديرات الطرفين اكثر من العرب بكثير، اذ قدر الانجليز عدد الكرد في لواء الموصل بـ 209820 شخصا مقابل 170663 عربيا، بينما قدر الجانب التركي عدد الكرد بـ 140000 مقابل 28000 عربي. و لم يدخل الطرفان من الكرد الرحل في ولاية الموصل كلها ضمن تقديراتهم. و لكن الموصل الان مدينة عربية و عملت الحكومة العراقية كل ما في و سعها من اجل تقليص نسبة الكرد من خلال استحداث محافظة دهوك اولا و تهجير العوائل الكردية من الموصل او اجبارها على تغيير قوميتها. شاهدت بأم عيني في الثمانينيات حملات تهجير الكرد من تلك المدينة بحجة ان نسبتهم تجاوزت 170 الفاً من مجموع السكان و وجب لذلك تقليص وجودهم. اما الحديث عن وجود تركماني في الموصل فهو امر يصعب علي ان 40٪ اقول فيه شيئاً و قد عشت و عملت في هذه المدينة ثماني سنوات و اطلعت على اوضاعها السكانية الاجتماعية الى حد لا بأس بها.

اتمنى ان يجري يوما ما في العراق احصاء دقيق و مكشوف للسكان في ظل اوضاع طبيعية و بعيدا عن مظاهر القهر السياسي و المذهبي و الاجراءات البوليسية لكي يتمكن كل مواطن ان يعلن و بمطلق

الحريـة انتمـاءه القـومي و الـديني و المـذهبي دون خوف و وجل. عنـد ذلك فقط ستتحدث الارقام و يعـرف الكـل عـدد العـرب و الكـرد و التركمـان و الاثوريين و الكلدان و الارمن و المسلمين و المسيحيين و السنة و الشيعة و اليزيـديين و الصابئة و غيرهـم و لن تكون مثل هذه المسائل موضع النقاش و الاخذ و الرد و المزايدات و الاوهام.

عـودة الى مسألة التتريـك في كركوك. حـددت دائـرة المعارف العثمانية عدد سكان مدينة كركوك بـ 30 الف نسمة في اواخر القرن التاسع عشر و كان اكثر من ثلاثـة اربـاعهم 22.500 مـن الكـرد. و ضـم البـاقي الكلـدان و اليهود و التركمان و العـرب و قـدر الانجليـز اثنـاء مشكلة الموصل عدد سكان لواء كركوك بـ 92 الفاً منهم 45 الفا مـن الكـرد مقابـل 35 الفـا مـن التركمـان. و كمـا اشـرت اعـلاه فـان الاحصـائيات الانجليزيـة و التركيـة اهملـت حوالي 170 الفاً من الكرد الرحل في ولاية الموصل كلها. مع ذلك اضطروا الى الاعلان عن ان عدد الكرد في الولاية و بـدون احصـاء الرحـل هـو 454720 شخصـاً مقابـل 65895 تركمانيا. بينما قدر الاتـراك عـدد التركمان في كركوك بـ 79 الفا و الكـرد 97 الفا. و في ولايـة الموصل كلها قـدر الجانـب التركـي عـدد التركمـان بــ 146920 شخصا و عدد الكرد بـ 451830 شخصا. و هكـذا نـرى بأن الانجليز يرفعون عدد العرب، بينما يرفـع الـترك مـن عدد التركمان و يجري ذلك كله على حساب سكان الولاية الاصليين الكرد.

و لايمكن التعويل مطلقا علـى الارقـام التركيـة و سأكتفي بمثالين لاظهار عقـم الاعتمـاد عليهـا. فقـد قدر الجانـب التركـي عـدد التركمـان في السـليمانية بــ 32960 شخصا!. و هذا امر لا اساس له في الواقـع و لم يشكل الترك، باسـتثناء التواجـد العسكري التركي البسـيط خـلال السـنوات الاخـيرة مـن عمـر الدولـة العثمانيـة، علـى مـدى القـرنين و الربـع مـن عمـر مدينة السليمانية اكثر من صفر بالمئة.

كمـا ان عـدد سـكان لـواء كركـوك و في بدايـة العشرينيات حسب المزاعم التركية بلغ 184 الفا، في الوقت الذي لم يتجاوز عدد سكان اللواء عـام 1930 و حسب تقرير داوسن الدقيق 160 الفا. و المعروف ان تقرير داوسـن كـان مـن الدقـة حتـى ان الحكومـة العراقية تبنته و اسست عليـه الكـثير مـن سياسـاته الزراعية و الاقتصادية في ذلك الوقت.

و بدأت الحكومات العراقية المتعاقبة تضع العراقيل امام الكرد في كركوك الا ان عمليـة التعريـب المكشوفة بـدأت مع وصول حزب البعث الى الحكم لأول مرة في شباط عام 1963. فقد جرى في صيف ذلك العام هدم احياء كردية عديدة داخـل مدينـة كركوك فضلا عـن قـرى كـثيرة في المناطق القريبة من ابار الـنفط. و مـع وصـول البعـث الى الحكم للمرة الثانيـة عـام 1968 و بخاصـة بعـد النكسـة الـتي حلـت بالحركـة الكرديـة عـام 1975 بـدأت حقبـة قاسية في تاريخ الكرد عامة و كرد منطقة كركوك علـى وجـه الخصـوص. و قـد فصـل الاسـتاذ الـدكتور نـوري الطالبـاني في هـذا الموضـوع و باسـانيد علميـة لا تقبـل التأويل في كتابه القيم (منطقة كركوك و محاولات تغيير واقعها القومي) و الصادر في لنـدن عـام 1995. لـذلك لا اجد ضـرورة الى التفصيـل في هـذا الموضـوع هنـا و احيـل القارئ الكريم الى المؤلف المشار اليها.

ما هي مطاليب الكرد في العراق الجديد؟

نوشيروان مصطفى*

قبل الإجابة عن هذا السؤال من المستحسن توضيح بعض الحقائق:

اولاً: بقاء الكرد ضمن اطار العراق هو لصالحهم قبل أي طرف آخر، و المعروف ان قبلة مسلمي العالم و ثلثي نفط العالم في ارضهم، و العرب اصحاب اكثر من 20 دولة، حيث لهم نفوذ كبير في المحافل و المجتمعات الدولية الاسلامية و في منظمة الاوبك و الأمم المتحدة اذاً فحين يكون الكرد مع قومية ذات قوة كبيرة، سياسية، اقتصادية، ثقافية، حضارية، كالعرب الذين سيكونون عونا للكرد، سيؤدي ذلك الى تقويتهم.

ثانياً: حين يكون الكرد اصدقاء و سندا للعرب سيخلق ذلك قوة للعرب، صحيح ان الكرد ليست لهم دولة، و لكنهم بعد القوميات العربية و التركية و الفارسية يعتبرون اكبر قومية في منطقة الشرق الأوسط. ان القوميات العربية و التركية و الفارسية كقومية لا توجد لها حدود مشتركة و ان وجدت فانها قليلة، الحدود السياسية – الدولية لهذه الشعوب تمر عبر كردستان و المصادر المهمة للماء تقع في ارضهم، ان تقسيم الكرد على عدة دول كبيرة في المنطقة او بالأحرى على القوى العظمى الاقليمية بإمكانه ان يصبح عمقاً ستراتيجياً لانشاء جسر للصداقة و جمع هذه الشعوب لحماية امن المنطقة و التعايش السلمي و الازدهار الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي.

ثالثاً: يعتبر الشرق الأوسط هاماً لجميع العالم من عدة عوامل استراتيجية فالماء الذي يعتبر اهم شيء يقع في ارض الكرد، و النفط الذي يعتبر حيوياً لاوربا و امريكا و اليابان يقع قسم كبير منه في ارض الكرد، و لكن لأن الكرد ليست لهم دولتهم في تلك المعادلة الاقليمية يبقون بلا اهتمام و من هذا المنطلق لو اضطرت امريكا الى الاختيار بين الكرد و العرب و الترك و الفرس فإنها لن تختار الكرد بل تختار الآخرين.

رابعـاً: و لأن الـدول الموجـودة في المنطقـة كانـت منــذ القــدم مركزيــة و مارســت الحكــم بشــكل استبدادي شـرقي، لـذا بـات قبـول السلطة المركزيـة العرف الغالب في فكـر النـاس و في الثقافـة السياسية السائدة. و ان أي حديث حـول اللامركزيـة و الحكم الـذاتي و الفيدراليــة يعتـبر انفصـالياً و داعيـاً الى تقسيم البلاد و بالتالي اعتباره خيانة وطنيـة، هـذا في الوقت الذي نجد جميع الـدول القويـة و المتقدمـة في العــالم فيدراليــة، بينمــا نــرى معظــم الــدول الضعيفة و المتخلفة في العالم مركزية.

لقد تفككت الدولة العراقية في التاسع من نيسان (ابريــل) 2003، و انهــارت جميــع مؤسســاتها. في الحقيقـة كانـت هـذه الدولـة مسـتحقة للانهيـار و جديرة به، لانه لا الكرد و لا العرب و لا ايـة قوميـة او أي ديــن او مــذهب لم يجـن خـيراً مــن الدولــة العراقية. سـلطة مركزيـة قويـة و قمعيـة، انقلابـات عسكرية، اهـدار حقـوق الانسـان، كـل هـذه الركـائز، كانــت اعمــدة تــوازن هــذه الدولــة، و كــان عــدم الاستقرار بجميع اشكاله، عـدم الاسـتقرار السياسـي، الاجتمـاعي، الاقتصـادي، النفسـي هـو المسيطر علـى المجتمع العراقـي، و اذا كـان البلـد قـد شـهد في بعـض مراحلـه شـيئاً مــن الاســتقرار فإنــه قـد تم بفعـل الحديـد و النـار، و الآن ستؤسـس مـن جديـد دولـة العراق، و يبنى عراق جديد، لكي يستقر هذا العراق الجديد و يسمو، كيف يجب ان يبنى؟

ان مستقبل العراق متوقف على الاجابة عن هذا السؤال. العراق بلد متعدد القوميات، متعدد الأديـان، متعـدد المـذاهب و في بعـض الأمـاكن يلاحـظ الخلـط بدرجـة لا يمكـن الفصـل بيـنهم حتـى بـالملقط، لـذا يجب ايجاد شكل للتعايش المشترك ينال رضـى جميـع الأطـراف و هنـا يـتم بالاتفـاق علـى عقـد سياسـي، اجتمـاعي، قـانوني بـين هـذه القوميـات و الأديـان و المــذاهب بشــكل يعــبر عــن ارادة الجميــع لا ارادة الغالبيــة، ايــة غالبيــة كانــت قوميــة ام دينيــة ام مذهبية، لان تسلط ارادة الغالبيـة دون مراعـاة ارادة الأقلية سيعيد العراق الى نفق مظلم و مخيف.

على الكرد ان يدعموا المطاليب المشروعة لجميع القوميات و الأديان و المذاهب حتى و ان كانت قليلـة و صـغيرة، و لكـن علـيهم الا ينصـبوا انفسـهم وكـلاء لأي طرف منهم، لأن تلك القوميـات لهـا العديـد مـن الخيــارات الحــرة، فهــي باســتطاعتها الانضــمام الى المركـز. او الى اقلـيم كردسـتان، فلـو اختـاروا الحيـاة المشـتركة مـع المركـز، ليسـت للكـرد صـلاحية الإقـرار لضمان او اطفاء مطاليبهم.

و اذا اختـاروا العـيش المشـترك مـع الاقلـيم فعلـى الكــرد ان يلبــوا جميــع مطــاليبهم و ان يكونــوا مستعدين لاعطائهم ضمانات دولية.

هذا العقد السياسـي، الاجتمـاعي، القـانوني الـذي سيعقد بين اقوام و اديان و مذاهب العراق، يجـب ان يعكس ارادة الكـرد و يضـمن حقـوقهم و مطـاليبهم، بهـذا يـتخلص العـراق مـن مشـكلة عـانى منهـا منـذ تأسيس دولتـه حتـى سـقوطها و الـتي سـببت نزيفـاً للطاقـات البشـرية و الاقتصـادية و السياسـية لدولـة العراق.

العلاقة بين الاقليم و المركز

-لو بقيت السلطة المركزية في بغداد كما هي عليها الان دون أي تغيير، كيف ستنظم علاقاتها مع اقليم كردستان؟

-لو اصبحت كل محافظة في العراق منطقة فيدرالية كيف تصير كردستان؟ هل ستبقى على وضعها الراهن ام ستصبح هي الأخرى عددا من المحافظات؟

-وان اصبح كل العراق العربي منطقة فيدرالية فكيف ستنظم علاقة هذين الاقليمين: كردستان العراقية و العراق العربي؟

-و اذا تحول العراق العربي الى اربعة اقاليم فيدرالية: بغداد، الفرات الأوسط، المنطقة الجنوبية، المنطقة الغربية، و صارت كردستان الاقليم الخامس كيف ستنظم العلاقات بين هذه الاقاليم الخمسة؟

مازال البت في أي من هذه الاحتمالات لم يتم بين اعضاء مجلس الحكم و داخل عرب العراق، لذلك بقيت العلاقات بين اقليم كردستان و بغداد غير واضحة المعالم، و لهذا نلاحظ ادراج صيغة (مع مراعاة الوضع القائم في كردستان) في بعض البيانات.

ما هي سلطة حكومة الاقليم؟

ما هي سلطة حكومة اقليم كردستان في عقد اتفاقيات اقتصادية، تجارية ثقافية و في استخدام الثروات الطبيعية و حماية الشعب الكردي؟

سلطات الاقليم

ينبغي للمركز ان يعترف رسمياً بحكومة اقليم كردستان و يغير حالة (وضع الامر الواقع) الى حالة (الوضع القانوني) الصلاحيات التي كان المجلس الوطني الكردستاني و حكومة اقليم كردستان يمارسانها تبقى كما هي عدا الشؤون الخارجية، و في هذا ايضاً يجب ان يؤخذ رأي الكرد في جميع الاتفاقات و المعاهدات التي ستعقد باسم العراق. و في كردستان تبقى الاولوية للقوانين التي شرعها و يشرعها المجلس الوطني الكردستاني.

و ان أي قانون مركزي لا يحظى بموافقة برلمان كردستان لا يكون سائداً في الاقليم و تكون العلاقات بين الاقليم و المركز عن طريق رئيس وزراء المركز و رئيس وزراء الاقليم. و في حالة وجود خلاف بين قانونين للمركز و الاقليم ستقوم محكمة قضائية مختلطة بحسمه.

اين هي حدود اقليم كردستان؟

هذه المشكلة المعقدة كانت طوال عمر الدولة العراقية احدى العقد المستعصية و مبعث الخلاف بين قادة الكرد و الحكومة المركزية و كانت احد عوامل عدم التوصل الى اتفاق بين الطرفين.

و في الوقت الحاضر تبقى المنطقة التي هي تحت سيطرة حكومة الاقليم، منذ عام 1992 كما هي. اما المناطق الأخرى فهي نوعان بعضها ليس هناك خلاف حول كونها منطقة يسكنها الكرد و لكن بعضاً منها هناك خلاف حولها. التي لا خلاف عليها، فلتضم الى اقليم كردستان، اما التي عليها خلاف ليؤجل بحثها الى التفاوض المستقبلي.

ان البعث اعترف بالعديد من الأماكن و اعتبرها اراضي كردية و لكن بحجة وجود النفط فيها او بذريعة حماية العراق من الهجمات الايرانية و التركية و السورية لم يقبل بضمها الى كردستان بدعوى ان استخدام النفط و حماية العراق من اختصاص الحكومة المركزية.

هناك عشرات من الخرائط القديمة و الاحصاءات و الدراسات التي تدعم مطاليب الكرد، احدثها هو كتابات السيد عبد الرزاق الحسني و الدكتور شاكر خصباك اللذين حددا بوضوح حدود كردستان العراق.

ملكية الثروة الطبيعية

منذ عام 1927 و النفط يستخرج من كركوك، و في بعض المراحل كان الانتاج يبلغ اكثر من مليون برميل يومياً و مع ذلك فكل من شاهد كركوك يعرف بأن دولاراً واحداً من ايراد نفط كركوك لم يصرف على كركوك، لأن المركز هو الذي قام بنهبه. و لم تكن البصرة و المدن الأخرى الغنية بأحسن حال من كركوك لذا:

-يجب ان تكون الثروة الطبيعية على ارض كردستان و في جوفها من حق حكومة اقليم كردستان، و يجب ان يكون استخدامها و استخراجها من صلاحيات حكومة الاقليم، و ينبغي ان يتم الاتفاق على الحصة التي ستعطى للمركز، و اذا تطلب الامر فيمكن لحكومة اقليم كردستان بعد موافقة المجلس الوطني الكردستاني ان تساعد المناطق الفقيرة في العراق، و يبقى استخدام المؤسسات النفطية الموجودة الآن من صلاحيات المركز بشرط ان تعطى حصة سكان الاقليم حسب نفوسهم و وفق معايير خاصة لتعويضهم عن اضرارهم السابقة.

حماية امن كردستان

كانت المخاطر و المخاوف تأتي على شعب كردستان دائماً من داخل العراق و من الجيش العراقي و المؤسسات الأمنية لا من الدول الأجنبية. و لئلا تتكرر المآسي الماضية، و لأجل ان يطمئن شعب كردستان الآن و في المستقبل من سلامة ارواحهم و اموالهم و ممتلكاتهم يجب:

في اقليم كردستان:

-ان تناط حماية امن الاقليم بحكومة الاقليم، و يحول البيشمركة الى قوة نظامية حكومية لا حزبية باسم الحرس الوطني او حرس الحدود او اية تسمية اخرى. بما فيها قوى الأمن و الاستخبارات.

في جميع العراق تكون مهمة الجيش الأولى هي:

أ-حماية حدود الوطن من أي اعتداء خارجي.

ب-المشاركة في اعمال الانقاذ و الاغاثة الانسانية في حالات وقوع الكوارث الطبيعية و ذلك بناء على طلب الحكومة.

تحديد ميزانية الدفاع من الميزانية العامة السنوية بنسبة 4٪ و يجب ان يكون وزير الدفاع مدنياً. و لا يجوز للجيش التدخل في السياسة و الشؤون الداخلية، و لا يجوز التمييز في القبول و في تبوأ المراكز الحساسة بسبب العرق او الدين او

الطائفة او الجنس. و لا يجوز للجيش تنفيذ اوامر القيادة العسكرية اذا كانت مخالفة للاعلان العالمي لحقوق الانسان و لبنود الدستور، و بعكسه سوف يعرض المنفذ نفسه الى المساءلة و الى العقاب القانوني. و يجب ان تتم تحركات القطعات العسكرية في العراق بموافقة المجلس الوطني، و و في كردستان يجب ان تتم بموافقة برلمان كردستان.

اللغة الرسمية

اللغتان العربية و الكردية كلتاهما رسميتان، يدون القانون الاساسي و الدستور و القوانين المركزية باللغتين العربية و الكردية و تنشرها (الوقائع العراقية) باللغتين كلتيهما.

-تكتب عبارة الجمهورية العراقية بالعربية و الكردية في جوازات السفر.

-وكذلك الكتابة على العملة العراقية باللغتين ايضا.

-للعرب و الكرد و التركمان و الكلدوآشوريين حق استعمال لغاتهم الخاصة في المدارس و في الاعلام و في مناسباتهم الخاصة.

الدين و الدولة

لكردستان من الناحية الدينية ظروف تختلف عن العديد من اماكن العراق. ففي كردستان يوجد مسلمون (من السنة و الشيعة) و يوجد مسيحيون بمذاهبهم المختلفة، الايزديون و الكاكائيون يعيشون معاً، الوضع الاجتماعي – الديني في السليمانية يختلف عن الوضع الاجتماعي – الديني في النجف، لا يجوز لأي طرف منها فرض ظروفه على الطرف الآخر بل يجب احترام خصوصية كل طرف من قبل الآخر، حيث لا يقل علماء الدين في كردستان شأناً من علماء الدين في العراق، و الكرد يتبعون علماءهم و يذكر بأن برلمان كردستان اصدر في الخامس من شباط (فبراير) في العام الحالي قراراً بالاجماع برفض القرار 137 الصادر عن مجلس الحكم، لذا يجب في كردستان:

-ان يفصل الدين عن الدولة.

-ان تتوفر الحرية التامة لجميع الأديان و المذاهب.

العلم و الشعار و النشيد الوطني العراقي يجب ان يعكس تركيبة الشعب العراقي.

ازالة و مسح اثار التعريب

-لكل مواطن عراقي الحق في السكن في أي مكان في العراق، و له الحق في العمل في الوظائف الحكومية او القطاع الخاص، كما يمكنه حق تملك الدار السكنية و الأرض الزراعية و القيام بالمشاريع التجارية.

-الغاء جميع القرارات التي اصدرها مجلس قيادة الثورة او اللجنة العليا لشؤون الشمال المتعلقة بالتغيير الديموغرافي في اية منطقة كانت في العراق.

-وكل من تم الاستيلاء على ارضه او داره او حرم من عمله، ان يثبت دعواه بالطرق القانونية، ليعاد اليه ما اغتصب منه.

-وكل الذين اضطروا و لأي سبب كان تغيير قوميتهم او دينهم، لهم الحق في تصحيح ذلك في اية

عملية احصائية تجرى في البلاد و له كامل الحق في كتابة هويته القومية الحقيقية و الدينية دون خوف او وجل.

و ختاما فإن مطاليب الجيل الجديد لكرد العراق اكثر بكثير مما ورد في هذا المقال، غير ان تنفيذ هذه المطاليب في العقد الاجتماعي، السياسي، القانوني للعراق الجديد و تثبيته في الدستور العراقي، بضمانة دولية سيصبح بداية لمرحلة جديدة في الشرق الأوسط.

*كاتب و صحفي، عضو المكتب السياسي للاتحاد الوطني الكردستاني.

اقرأ الأعداد السابقة لمجلة سردم العربي

عبر الانترنيت

وعلى العنوان الآتي:

www.sardam.info

التجربة التاريخية في تطور فكرة الدولة

لماذا اخفق الكرد في تأسيس دولة؟

فريد اسَسَرد *

ان ظهور الدول التي تتخذ اشكالاً و مظاهر مختلفة برهان حي على ان الظروف التاريخية و عوامل اخرى لها علاقة بالجغرافيا و المناخ و الاقتصاد القومي و السايكولوجيا العامة تلعب دوراً فعالاً في ظهور الدول و اضمحلالها. و يمكن للتجربة التاريخية، و هي تجربة غنية بالارث الثقافي، ان تساهم في بناء هيكليات قوية للدولة. هنا، نستطيع من خلال مقارنة نموذجي ايران و العراق ان نعي مفهوم التجربة التاريخية و تأثيرها في تنامي او انحطاط فكرة الدولة. ان الارث التاريخي في ايران مرتبط بشكل جذري بفكرة الدولة، فيما لا نجد هذه الخلة في العراق. تاريخياً، سبق سكان السهل الرسوبي لبلاد ما بين النهرين الجنوبية الايرانيين القدماء في الحضارة و العلم لكن الجغرافيا و التجربة التاريخية رسخت فكرة الدولة في ايران اكثر مما رسختها في ما بين النهرين الجنوبية. في حين ان البيئة الجبلية في ايران افرزت قبائل محاربة شديدة البأس و وفرت حواجز طبيعية لحماية البلاد من هجمات الغزاة، فان السهل الرسوبي في جنوب ما بين النهرين و عدم وجود حواجز طبيعية معرقلة جعلا البلاد مفتوحة امام الغزاة، هكذا، فان فكرة "الوطن" عند الايرانيين عرفت نضوجاً اسرع مما عرفه سكان جنوب ما بين النهرين، في حين انه منذ قيام امبراطورية كوروش المترامية الاطراف في القرن السادس قبل الميلاد، واصل الايرانيون بناء هيكلياتهم السياسية العتيدة طوال الفي عام تقريباً، باستثناء فترات من خضوعهم لحكم السلوقيين و العرب، فان جنوب ما بين النهرين ظل طوال قرون عديدة منطقة استقطاب للقبائل و تسبب ذلك في تأخر ظهور فكرة "الوطن" فيها. و في حين ترسخت

الهيكليات السياسية في ايران، فانها لم تدم طويلاً في جنوب ما بين النهرين بسبب زحف القبائل المستمر من الصحراء و الهضبة السورية.

و لا تشهد الفترة الواقعة بين سقوط بابل على يد الاخمينيين في عام 539 ق.م و سقوط الساسانيين على يد العرب في القرن السابع الميلادي أي نزوع جدي في ما بين النهرين الجنوبية الى تأكيد الهوية الوطنية. و طوال هذه الفترة التي استغرقت حوالي الف و 200 عام فان اقصى ما بلغته قدرة سكان السهل الرسوبي على بناء هيكليات سياسية لم يتعد تشكيل امارة صغيرة محدودة السلطات في الحيرة في القرنين السادس و السابع الميلاديين. ان الاحساس بالحاجة الى هياكل سياسية محلية لم يظهر طوال الفترة التي اعقبت سقوط الساسانيين حتى سقوط الامويين و هي فترة تزيد على القرن، رغم تحول العراق الى بؤرة المعارضة ضد الحكم الاموي. و ساعد قيام الدولة العباسية على توفير فرصة اكبر للعراقيين للاسهام في ادارتها بيد انهم واجهوا في ذلك منافسين اقوياء من الفرس و الاتراك. و بسيطرة البويهيين على السلطة في بغداد عام 946 فقد العراقيون كل فرصة للاسهام في ادارة البلاد و ظلوا بسبب ذلك مهمشين و بعيدين عن الادارة طوال الف عام تقريباً.

ان كل هذا يظهر ان فكرة الدولة بقيت بعيدة عن اذهان العراقيين طوال الف عام على اقل تقدير. و في القرن العشرين ادى ذلك الى تغلب العامل الخارجي على العامل الداخلي في تأسيس الدولة في العراق. و يلاحظ انه في حين تنامت الحركة القومية في كل من سوريا و مصر منذ القرن التاسع عشر، نرى ان الحركة القومية لم تظهر الا متأخرة، بعد خروج العثمانيين من العراق في عام 1918. في مثال العراق ساهم العاملان الديني و القومي في تحديد المواقف السياسية. ففي حين انحاز العرب الشيعة الى الدين اكثر من انحيازهم للقومية، انحياز العرب السنة الى القومية اكثر من انحيازهم الى الدين. و بهذا المعيار اكتشف العرب السنة في موقفهم المختلف ما يشير الى امكانية التعاون مع بريطانيا لتأسيس دولة في العراق، بينما وجد العرب الشيعة ان عقيدتهم الدينية لا تسمح لهم بالتعاون مع بريطانيا بالقدر الذي ابداه العرب السنة. و بسبب حرص بريطانيا على الحاق كردستان بالعراق، فان امكانية قيام دولة قومية في العراق صارت محالاً.

ان ضعف التجربة التاريخية في العراق اضعف امكانية ظهور فكرة الدولة. و رغم ان ظروف ما بعد الحرب العالمية الاولى عززت تأثير العامل الخارجي في ظروف غياب فكرة الدولة، فان ذلك ادى ايضاً الى اضعاف مبدأ الشرعية في الدولة المقامة.

ان قوة العامل الخارجي في تشكل الدول عوضت الى حد كبير، و في بعض الامثلة بشكل اساسي، غياب او هشاشة الاحساس بضرورة وجود هيكليات ادارية مركزية. و حيثما لا نجد كيانات تاريخية فان فكرة الدولة أي الاحساس بضرورة وجود بنى ادارية مركزية راقية و سلطات عامة، لا وجود لها البتة. ان ذلك ينطبق على الاردن مثلما ينطبق على ليبيا

و الكويت، و قطعاً لا يمكن استثناء العراق، رغم تميز العراق بعراقة تاريخه و رغم وجوده ككيان تاريخي الى حد كبير.

ان سيرورة التاريخ في الاردن لا تشير الى قيام أي كيان تاريخي. وقد ظلت الاردن على الدوام ارضاً بلا تاريخ و بقيت ككيان جغرافي و جزء من وحدات اكبر و ارتبطت بشكل خاص بالصحراء و فلسطين و سوريا. و في بداية القرن العشرين عندما فكرت بريطانيا في منح الاردن لاحد انجال شريف مكة، لم تكن تعني اكثر من ارض تقع الى الشرق من نهر الاردن يقطنها فلاحون فلسطينيون و بدويون. و هي بهذا المعنى مجرد جزء مقتطع من فلسطين التاريخية. و بسبب كل هذا، فان الاردن التي تجسد بدقة قوة العامل الخارجي في تشكل الكيانات السياسية المصطنعة، يشير الى كونه تعبيراً ميكانيكياً عن رغبات القوى الدولية اكثر من كونه تعبيراً عن حاجة داخلية بضرورة وجود سلطة عامة.

و لا تختلف ليبيا عن الاردن في هذا المضمار الا بالشكل، اذ وجودها ككيان تاريخي ليس له اساس. و هي لم تعرف في ماضيها أي نزوع الى تشكيل هوية خاصة بها. ان ظروفها تشبه ظروف العراق الى حد كبير، خاصة من ناحية ان قوامها الاجتماعي يقوم على الارتباط بالخارج اكثر من ارتباطه بالداخل. و مثلما عرقلت هذه الخاصية ظهور نظرية وجود "امة" عراقية فانها عرقلت كذلك ظهور "امة" ليبية. و كما في العراق، كذلك في ليبيا، فان الاقاليم المكونة للدولة ذات الامتدادت العرقية – اللغوية الى الخارج. و بناء عليه، فانه طوال الحقبة العثمانية ارتبط الاقليم الشيعي من العراق بعلاقات ودية افضل مع ايران اكثر من ارتباطه بعلاقات مع بغداد و الموصل. اما الموصل فقد ارتبطت باقليم الجزيرة و سوريا اكثر من ارتباطها ببغداد. و ارتبط الكرد بعلاقات قلقة مع بغداد و لم تكن سائداً بينهم اية فكرة عن كون ارضهم امتداداً لارض العراق. و هكذا ظلت بغداد وحدها نقطة الاستقطاب. و بطبيعة الحال، فان مثل هذا الوضع لم يساهم في بروز مفهوم موحد للوطن القومي. ان ذلك يرى في ليبيا كذلك. اذ ان اقاليمها الثلاثة ظلت طوال مئات السنين تقيم علاقات مع الخارج اكثر من علاقاتها مع بعضها البعض. و يفسر ذلك ان اقليم سيرنيكا الذي يتحدث سكانه بلهجة تشبه اللهجة المصرية ارتبط بمصر بوشائج اقوى. و ساد اقليم طرابلس في الغرب احساس بالانتماء الى شمال افريقيا اكثر من انتمائه الى ليبيا. و ارتبط اقليم فزان بالصحراء بشكل جعله في غنى عن الارتباط بكل من سيرنيكا و طرابلس[1].

و برزت صعوبة توحيد الاقاليم المتنافرة خلال سنوات الكفاح ضد ايطاليا. و حتى بعد خروج ايطاليا من ليبيا، لم يلتزم الليبيون بالعمل في سبيل تشكيل دولة موحدة. وحده كان اختلاف القوى الدولية الكبرى على مصير ليبيا، الدافع وراء قيام دولة واحدة في ليبيا.

و تلتقي الكويت مع الاردن و ليبيا في عدم قيام كيان تاريخي فيها. لكنها تختلف عنهما و عن نماذج

اخرى كثيرة في انها ظلت طوال دهور ارضاً بلا سكان او على اقل تقدير مجرد وطن مؤقت للقبائل الرحل. و يعني هذا ان تأريخها السياسي لم يبدأ الا مؤخراً. و رغم ان الكويت ككيان سياسي مدينة الى جهود ال صباح، فان استمرارها لم يكن ممكناً دون حماية دولة عظمى مثل بريطانيا. و بسبب صغر المساحة، فان الكويت على النقيض من ليبيا مثلاً، لم تنقسم الى اقاليم متعددة و ظل الاحساس بالمواطنة فيها باهتاً الى ابعد الحدود. ان عوامل عدة ساهمت في عدم بروز فكرة الدولة في الكويت الا عند الصفوة الحاكمة من ال صباح، اما على المستويات الاجتماعية الدنيا فلم يكن ثمة وعي بضرورة وجود كيان سياسي خاص. ان عوامل مثل الفقر، التخلف الاجتماعي، انخفاض المستوى العلمي و الجغرافيا، عززت الميل العام الى الغاء الكيان السياسي للكويت و الاتحاد مع العراق قبل اكتشاف النفط. لكن فكرة الدولة تعززت فيما بعد، بعد اكتشاف النفط، اذ ان النفط ساهم في احداث تغيير جوهري في مجتمع الكويت بحيث تحول من مجتمع بدائي قائم اساساً على صيد اللؤلؤ الى مجتمع حديث[2].

ان الدعاية التي قامت بين القوميين في الثلاثينيات للاتحاد مع العراق، فقدت بريقها بالتدريج بعد اكتشاف النفط و ما لبث ان اختفت[3].

ان تاريخ الكويت يشبه تاريخ ارتيريا من حيث عدم وجود كيان تاريخي فيهما. و كما الكويت، فكذلك ارتيريا، ظلت بلا تاريخ حتى وقت متأخر. و ادى ذلك الى سهولة ضمها الى جيرانها. بيد ان الضم ادى الى نتائج عكسية بسبب سياسة الاثيوبيين غير المرنة، اذ انه ادى الى استفزاز مشاعر سكانها القومية. و نتج عن كل هذا، لاحقاً، انفصال ارتيريا بعد ثورة طويلة الامد عن اثيوبيا. بيد ان ما تجب الاشارة اليه هنا هو ان عوامل من قبيل عدم قيام كيان تاريخي في ارتيريا و تأخر ظهور فكرة الدولة فيها الى القرن العشرين و تنوع نسيجها العرقي – الديني، ربما تعرض بنياتها الحديثة الى البلبلة في المستقبل.

ان الانعزال يوفر، في ظروف معينة، امكانية قيام بنيات سياسة خاصة. و يمكن اخذ اليمن و بلدان اخرى على سبيل المثال. ففي اليمن ادى الانعزال الناتج عن موقع اليمن الجغرافي بين الصحراء و البحر الى خلق بنيات لا تتلاءم مع أي تغيير. و رغم ان الانعزال ادى الى اثار سلبية لانه تسبب في تخلف اليمن، الا انه ساعدها على الحفاظ على نظامها الاجتماعي – السياسي لاحقاب طويلة من الزمن و قيام كيان تاريخي فيها. و رغم ان منغوليا كانت اشد انعزالاً من اليمن، فاننا نلاحظ ان العلاقة بين الارض و السكان من منغوليا قد ظلت علاقة باهتة طوال قرون. و يمكن ارجاع ذلك الى عدة اسباب منها نوعية القبائل التي كانت قبائل مترحلة بدوية يقوم اقتصادها بشكل رئيس على الصيد و تربية المواشي. هكذا، و بسبب طغيان الاقتصاد الطبيعي و عدم ظهور الاقطاع فيها، لم تكن لتلك القبائل المترحلة مواطن دائمة[4]. اما في

كردستان فان الانعزال و صعوبة الاتصالات و ظروف المناخ القاسية ادى الى ظهور وحدات اقتصادية منعزلة. و في ظروف اوفر حظاً شهدت كردستان قيام امارات على يد الارستقراطية الاقطاعية.

ان كردستان تختلف في هذه المسألة عن كثير من البلدان الاخرى. جلي انه في كردستان، على النقيض من الاردن و الكويت، قام كيان تاريخي. ان فكرة الدولة في كردستان فكرة عريقة الى ابعد حدود. لكن ميزة هذه الصفة هي انها ليست فكرة امتدادية، بل مقاطعاتية. ان الوحدات الاقتصادية المنعزلة عن بعض كونت اقاليم منعزلة عن بعض و ادى ذلك الى ظهور فكرة الدولة بشكل مقاطعات مستقلة. ان ذلك يتبين بوضوح من خلال الامارات التي قامت في اقاليم معينة. و قد جسدت تلك الامارات بشكل بدائي فكرة الدولة. ان فكرة الدولة الموحدة لم تظهر الا بعد تنامي الحركة القومية. و يمكن ملاحظة ان فكرة الدولة حتى في الاجزاء التي توزعت لاحقاً على ايران و تركيا و العراق ظلت فكرة اقليمية. و هذه الاقليمية عرقلت اتفاق الكرد على الخضوع لسلطة محلية واحدة. و ليس ادل من ذلك على انه في الفترة الواقعة بين 1918 و 1926 لم يكن كرد العراق مجتمعين على قيام كيان سياسي لهم في كل المناطق التي تتشكل منها كردستان العراقية. و يمكن رؤية ذلك بجلاء من خلال موقف الكرد من حكومة الشيخ محمود في السليمانية. ففي حين كانت السليمانية تتمتع بكيان سياسي خاص في عام 1922، طالب سيد طه شمزيني و هو رجل دين ملاك اراضٍ كبيرة الانجليز بإقامة كيان سياسي اخر على غرار كيان السليمانية السياسي يضم رواندوز و عقرة و العمادية[5]. ان فكرة انشاء وطن قومي في كردستان العراقية لم تظهر الا في عام 1930 عندما طلب الشيخ محمود من المندوب السامي البريطاني اقامة كيان سياسي يمتد من زاخو حتى خانقين تحت الاشراف البريطاني[6].

ان كل امارة في كردستان كانت يمكن، لو ساعدتها الظروف، ان تصبح نواة لقيام دولة واسعة. و من المهم الاشارة هنا الى ان امارة موسكو و امارة شمال غرب الاناضول العثمانية ما كان لهما ان تتوسعا لولا توفر شرط اساسي لم يتوفر لسوء الحظ في كردستان، و هو شرط توفر ظروف سياسية ملائمة لاتساع الامارة افقياً. ان موسكو و شمال غربي الاناضول و كردستان تلتقي في ميزة واحدة و هي انه توفرت من كل منهم شرط مهم جعلها مهيأة لظهور نواة فيها، و هي ميزة الجغرافيا. و لكن الجغرافيا وحدها لا تكفي. ان توسع الامارة يمكن ان يؤول الى طريق مسدود، حتى لو وقفت الى جانبه ظروف الجغرافيا، اذا واجه ذلك التوسع حواجز قوية. و هو ما حدث بالفعل في كردستان. اما ما حدث في موسكو و في شمال غرب الاناضول فقد كان يختلف كثيراً عما حدث في كردستان. ففي روسيا لم يتمكن الروس من توسيع امارتهم الا بعد ان دب الضعف في صفوف التتر و المغول. و في شمال غربي الاناضول لم يتسن للعثمانيين توسيع امارتهم الا

بعد انهيار الدولة السلجوقية و انحسار سلطة الدولة البيزنطية. ان ذلك يعني ان التوسع يتطلب وجود فراغ او منطقة حياة ملائمة لتمدد الدولة. و هذا الشرط هو ما لا نلحظه في كردستان لأنه لم يتسن للكرد توسيع اماراتهم بسبب رجحان كفة الدولة العثمانية و ايران عسكرياً.

و لهذا السبب ايضاً لم يحقق الكرد وحدتهم القومية. ان مقارنة اوضاع كردستان مع اوضاع ايطاليا و المانيا قبل الوحدة توضح ان العوامل التي ساهمت في تحقيق الوحدة في ايطاليا و المانيا لم تتوفر في كردستان. و مع ذلك فان ظروف كردستان المجزأة في القرن التاسع عشر تشبه ظروف ايطاليا ما قبل الوحدة الى حد كبير. ففي كلا البلدين يلاحظ عدم وجود حياة اقتصادية عامة و في كليهما كانت الحياة الاقتصادية تعتمد على زراعة متأخرة، مع ملاحظة ان التكوين الاقتصادي لكلا البلدين ضم وحدات اقتصادية زراعية متناثرة و منعزلة بسبب الجغرافيا و الانقسام السياسي. و الفرق الجوهري بينهما يكمن في ان كردستان كانت اكثر ارتباطاً بالاقتصاد الطبيعي و ان الوحدات الايطالية عززت انعزالها اكثر لا بفعل الاقتصاد الطبيعي بل بفعل التعريفات الجمركية. و يلاحظ كذلك عدم وجود صناعة في كلا البلدين، و لكن يقتضي الامر بطبيعة الحال استثناء اقليمي لومبارديا و بيمونت. كما ان السلع القابلة للتصدير اقتصرت على بعض المناطق. ففي كردستان اقتصرت الصادرات على الاغنام و المنتوجات الزراعية[7]. اما في ايطاليا فقد اقتصرت على الحرير الخام في الشمال و زيت الزيتون في لوكا و جنوة و نابولي و الكبريت في جزيرة صقلية[8].

يضاف الى كل هذا، ثمة عاملان اخران متشابهان في كلا البلدين احدهما هو قيام طبقة اكليروس محافظة بعرقلة تعاظم تأثير المفاهيم القومية و ثانيهما هو وجود عدو قومي في كلا المثالين، تمثل في كردستان بالدولة العثمانية و في ايطاليا بالنمسا.

و لكن الى جانب هذه العوامل المتشابهة، كانت ثمة فروق جوهرية بين البلدين. ففي ايطاليا وجدت طبقة متوسطة فعالة و حركة علمية تجسدت في 24 جامعة و حركة فكرية خصبة[9]. و الاهم من كل هذا، ان الامارات الايطالية كان قد تم الاعتراف باستقلاليتها في عموم اوروبا و لم تكن جزءاً من امبراطوريات مجاورة. ان مقارنة هذه الميزات مع الاوضاع في كردستان، توضح ترهل القوام الداخلي لكردستان. فقد عانت كردستان من التفتت السياسي و لم تكن فيها حركة قومية واضحة و لا حركة فكرية، حتى مسألة و حدة الهوية لم تكن واضحة بما فيه الكفاية.

ان التحقق من ظروف المانيا يوضح ان تلك الظروف كانت اقل تعقيداً من ظروف ايطاليا و افضل بكثير من ظروف كردستان. و استتبع ذلك ان صارت الوحدة الالمانية اقل تعقيداً لأن الامارات و الاقاليم الالمانية جميعها كيان قومي موحد بشكل اتحاد جرماني، كما ان مفهوم الوحدة في المانيا ارتبط على خلاف أي بلد اخر بمفهوم محدد هو مفهوم الامبراطورية. و قد مهد للوحدة كذلك

تشكيل اتحادات من قبيل الاتحاد الجمركي (تسولفراين)[10]. و في حين انه في المانيا اصبحت بروسيا محور الوحدة القومية، لم تصبح اية امارة كردية محوراً للوحدة القومية في كردستان. و ثمة عامل اخر هام. ففي كردستان واجه الكرد معارضة شديدة من جانب العثمانيين و الايرانيين لاستقلالهم، اما في المانيا و روسيا و النمسا الى جانب الالمان المجزءين لتحقيق وحدتهم القومية.

هكذا يبدو جلياً ان العامل الخارجي ساهم بشكل فعال في احباط ظهور دولة كردية او تحقيق الوحدة القومية. و من الواضح ان دولاً عديدة من قبيل العراق، الكويت، ليبيا، لبنان، الاردن و قبرص مدينة في قيامها لعوامل خارجية اكثر من العوامل الداخلية. و جلي ان قيام الدولة قد يقوم على عوامل خارجية، لكن استمرار الدولة بالشكل الذي قامت عليه لا يكون مضموناً او انه على اقل تقدير لا يضمن قيام بنيات سياسة قوية تؤمن الاستقرار و التوافق الداخلي. و من دواعي ذلك ان الدول القائمة اساساً على العامل الخارجي تصبح مرهقة بالبحث عن امنها اكثر من غيرها.

ثمة حالة واحدة خاصة بهذا الصدد و هي مثال اسرائيل. ان قيام اسرائيل يرجع، بطبيعة الحال، كما هو معروف، الى عوامل خارجية، اذا انه لولا وعد بلفور الذي مهد لمنح اليهود وطناً قومياً في عام 1917، كان سيكون صعباً جداً قيام اسرائيل، و على الخصوص من ناحية انه كانت صعباً على شعب مشتت و بلا قوة و قليل العدد كاليهود العودة الى فلسطين و تشكيل دولة مستقلة، لكن حالة اسرائيل حالة استثنائية اذ انه الى جانب تأثير العامل الخارجي المادي في تشكيلها، ثمة عامل اخر، داخلي، هو العامل الايديولوجي. فمقاومة اليهود للذوبان و نجاحهم المنقطع النظير في حماية كيانهم الديني – القومي طوال الفي عام تقريباً و رغبتهم بالعودة الى فلسطين، شكلت العامل الداخلي الفعال الضروري لقيام الدولة. ان مفهوم العودة الى فلسطين مرتبط عملياً بمفهوم الدولة و بمفهوم اعادة امجاد مملكة داود و سليمان دينياً. و هذا العامل الايديولوجي حث اليهود على اقامة الدولة و بهذا المقياس فان اسرائيل قامت على اساس القومية الدينية[11].

ناهيك عن اسرائيل، تحتوي اسيا على مثال اخر للدولة الايديولوجية هي الباكستان. و يلتقي المسلمون الهنود و اليهود في ان مفهومهم للدولة قائم على الايديولوجية الدينية. و لولا عامل الدين، لما تمكن اليهود و لا المسلمون الهنود من تحقيق طموحاتهم السياسية. و يكمن الفرق بينهم في ان المسلمين الهنود اقاموا دولة لا عرقية باسم باكستان بينما نجح اليهود في اقامة دولة قومية باسم الدين. و في حين حول اليهود اسرائيل الى وطن قومي لهم، حول المسلمون الهنود الاجزاء المسلمة من الهند الى وطن ديني. و اسفر ذلك عن قيام بنية سياسية هشة في باكستان لأن البنية السياسية لم تدعمها القومية. و رغم ان الدين هو العامل الاساسي في قيام كل من اسرائيل و باكستان، الا ان اسرائيل على النقيض من باكستان عززت تلاحمها الديني بتلاحم

قومي. و يعني ذلك ان عامل الدين في دولة متعددة الاعراق قد يكون فعالاً عند اقامة البنيات السياسية لكنه لا يضمن استمرارها بالشكل الذي يريده المركز. ان العامل الديني لوحده، دون ان يدعمه العامل القومي او الاقتصادي، قد يخفت و يفقد تأثيره, و يوضح ذلك مثال البنغال الذين ساهموا بشكل فعال في انشاء باكستان ثم حاولوا تغيير البنى السياسية التي ساهموا في انشائها و سرعان ما تمكنوا لاحقاً، في عام 1971، من اقامة وطن قومي لهم في بنغلاديش بدعم من الهند.

ان مقارنة الامثلة توضح ان قيام الدول عملية معقدة و ان فكرة الدولة التي تقوم الدولة على اساسها مفهوم معقد لأنه في مضمونه تجسيد لحاجات تاريخية و ثقافية و مادية متشابكة. ان رسوخ فكرة الدولة يتضمن رسوخ البنيات السياسية للدولة و يساهم في استمرار الدولة و دعم امنها الخارجي و الداخلي.

الهوامش

1-انظر بهذا الصدد: بهرام افراسيابي، ليبيا و التأريخ، منشورات زرين، طهران، 1984، ص 9-21 (باللغة الفارسية).

2-الدكتور عطا محمد صالح و الدكتور فوزي احمد تيم، النظم السياسية العربية المعاصرة، الجزء الاول، المركز العالمي لدراسات و ابحاث الكتاب الاخضر، طرابلس، 1985، ص 366.

3-الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، البصرة 1975، ص 299.

4-ج.ج. ساندرز، تاريخ فتوحات المغول، ترجمة ابو القاسم حالت، الطبعة الثانية، مؤسسة منشورات امير كبير، طهران، 1984، ص 24 (باللغة الفارسية).

5-البرت م. منتشاشغيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة الدكتور هاشم صالح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1978، ص 323.

6-المصدر السابق، ص 338.

7-انظر بهذا الصدد: فريد اسسرد، ظهور ارالرأسمالية و تشكل السوق الداخلية في كردستان، مجلة – مركز الدراسات الاستراتيجية، العدد 4، السنة السابعة، 1999، ص 26-28 (باللغة الكردية).

8-الدكتور نورالدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، الجزء الثاني، دار الفكر الحديث، بيروت، 1969، ص.111

9-المصدر نفسه، ص.113

10-المصدر نفسه، ص 140-.141

11-Charles Schleicher, International Relations: cooperation and Confict (Pretice Hall of India, Delhi, 1963), P 56.

*مدير مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية في السليمانية بالعراق.

كردستان... و الوطن العربي

فؤاد طاهر صادق

أن تجاوز بعض العنصريين من العرب حدهم و التجني على الأمة الكردية و محاولة طمس وطنها (كردستان) و اعتبارها جزءاً من الوطن العربي ظلماً و عدواناً هو الدافع لكتابة هذا المقال.. ان اعتبار هؤلاء كامل اراضي العراق جزءاً من الوطن العربي و الشعب العراقي كله جزء من الأمة العربية ما هو الا عنصرية بغيضة و اعتداء سافر يوضح مدى جهلهم للدقائق و الوقائع التأريخية و الجغرافية و السكانية (demography) و غدرهم لأمة جارة لهم.

كثيراً ما نسمع من بعض العرب، سواءً عن جهل أو قصد، نابع عن عدم معرفة كيفية انشاء الدولة المسماة اليوم بالعراق او عن غاية مبيتة، بأن العراق كله و ليس الاقليم العربي منه جزء من الوطن العربي!.. هذه الأسطوانة المغشوشة البعيدة عن الحقائق و الوقائع كانت يرددها النظام البعثي العنصري الفاشي.. كان منهجاً بعثياً عمل من أجل تحقيقه.. روج له و وضع خططاً و نفذ كثيراً من فصوله ملحقاً الكثير من الدمار و الهلاك بكردستان و الشعب الكردي و لكنه خاب أمله في تحقيق أهدافه.

من الغريب و المضحك أن هؤلاء العنصريين يتحدثون عن العراق و كأن كله ملك للعرب.. و في نظرهم لا يحق للكرد تقرير مصيرهم رغم معرفتهم أو تجاهلهم لحقيقة كون الكرد أمة متميزة مستقلة عن العرب و أن كردستان وطن الكرد ليست جزءاً من الوطن العربي. ان من سوء حظ الأمة الكردية أن وطنها قد جزئ و ألحقت اجزاؤه بأوطان أمم غير متقدمة و لا ديمقراطية.. بينما نرى أمماً أخرى و منها الأمة السلوفاكية فمن حسن حظها قد شاركت أمة متقدمة كالأمة الجيكية في اطار الدولة الجيكوسلوفاكية.. جاوزت الأمة السلوفاكية بعد زوال الاتحاد السوفيتي الاتحاد الاختياري الذي كان قائماً بينهما و قررت الاستقلال و أنشأت دولتها المستقلة بشكل سلمي و ديمقراطي دون اراقة قطرة دم واحدة.

إن العنصريين من العرب يستكثرون للكرد حتى حق الاتحاد الاختياري بين اقليم كردستان و الاقليم العربي من العراق ضمن "جمهورية العراق الاتحادية" (Federal iraq) المزمع انشاؤها، و ذلك بحجة الحفاظ على وحدة العراق.. أنهم يركزون على المواطنة العراقية و كون الجميع عراقيين محاولة منهم صهر الجميع في بوتقة العراق، متجاهلاً كردستان، حيث أنه عضو في الجامعة العربية فهو اذن في نظرهم جزء من الوطن العربي!.. يقفون ضد الأتحاد الأختياري و فكرة جمهورية العراق الأتحادية و ذلك لقطع الطريق امام الكرد التمتع باستقلال ذاتي ضمن عراق اتحادي.. انهم نسوا او تناسوا بأن كل ما تعرض للعراقيين من دمار و قتل و تشريد كان بسبب السياسات الشوفينية و الممارسات العنصرية ضد الشعب الكردي.. كان بسبب سياسات التعريب و الترحيل و التطهير العرقي و الابادة الجماعية في كردستان من قبل النظام العراقي.

اللافت للنظر أن هؤلاء العنصريين يعطون لأنفسهم حق الوكالة عن الأمة الكردية و الهيمنة و اعتبار كردستان، التي الحقت بالدولة العراقية المشكلة بعد الحرب العالمية الأولى، جزءاً من الأمة العربية لكون الدولة العراقية عضوة في الجامعة العربية!!.. فالأولى بالعرب التمسك بذلك و عدم الافراط به من وجهة نظر البعض.

من المعلوم أن الدولة المسماة بالعراق و التي تم انشاؤها بعد الحرب العالمية الأولى (1914-1918) من قبل بريطانيا كانت لها اسماء مختلفة من قبل.. فخلال عصور قبل الميلاد كانت الخارطة السياسية لعراق اليوم كالتالي: في الشمال الكوتيون، اللولوبيون، الميديون الكرد.. اشور في منطقة نينوى.. الأكد و بابل في الوسط.. السومر في الجنوب. اما يونانيو قبل الميلاد فكانوا يسمون عراق اليوم ببلاد الرافدين (mesopotamia). و خلال حكم الساسانيين و الرومان كانت لمناطق هذا البلد أسماء منها مدائن، نينوى، ميزوبوتاميا. اما ايام الأمويين فكان العراق مقسماً اداريا الى ولاية البصرة و ولاية الكوفة.. و لكل منهما حاكم بأسم أمير.. فالبصرة كانت مسؤولة عن الجنوب و الكوفة عن الوسط و الشمال[1]. خلال أيام العباسيين جعل أبوجعفر المنصور (754-775) بغداد عاصمة للدولة العباسية سنة 762 و كانوا يسمون كردستان "بلاد الجبال" و فيها مدينة شهرزور[2]. و قد سموا منطقة الشمال الغربي نينوى و ما بين النهرين الجزيرة و الغرب الصحراء و البادية. أما خلال الحكم العثماني فكان هذا البلد يسمى ولاية الموصل و ولاية بغداد و ولاية البصرة.

احياناً نسمع بعض العروبيين يتفاخرون بكون امتداد تأريخ العراق لسبع الاف سنة.. صحيح أن العمق الحضاري لبلاد الرافدين هو بحدود سبع الاف سنة، و لكن هذا العمق ليس لتأريخ العرب في العراق حيث ان وجودهم في هذا البلد بدأ مع الفتوحات الاسلامية قبل 1369 سنة و تحديداً من عام 634 حيث بدأت موجات هجرتهم من الجزيرة العربية

الى العراق. أما السومريون في الجنوب فهم كانوا من الشعوب الارية و يرجح أن يكون العيلاميون الكرد احفاد هؤلاء السومريين.. بينما الآشوريون في الشمال الغربي و الأكديون و البابليون في الوسط فكانوا من الشعوب السامية غير العربية. من جهة أخرى فالكوتيون و اللولو و الماد الذين سكنوا شمال عراق اليوم في كردستان فإنهم كانوا كرداً.

إن هجرة القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية الى عراق اليوم جرت بعد الغزوات باسم الاسلام منذ القرن السابع بصورة تدريجية و استغرقت فترات طويلة.. فمن تلك الموجات البشرية لتلك القبائل على سبيل المثال لا الحصر هي هجرة قسم كبير من قبائل الشمر و رئيسه الشيخ فارس الشمري و كذلك قبائل العنزة و غيرها من نجد في الجزيرة العربية الى العراق حدثت عام 1640[3].

لاشك أن وجود الشعب الكردي في كردستان (شمال العراق) هو اقدم بكثير من وجود الشعب العربي في الاقليم العربي من العراق (الوسط و الجنوب).. هذا من جهة، و من جهة اخرى فإن الكرد هم من الشعوب الآرية لهم حضارتهم و ثقافتهم المستقلة.. اما العرب فهم من الشعوب السامية.. و لا يجمع شيء هذين الشعبين سوى المشاركة في الدين الاسلامي.

الشعب الكردي الساكن شمال الشعب العربي يسكن وطنه كردستان منذ الاف السنين.. فهو لم يكن نازحاً و لا غازياً بل مكتفٍ بأراضي أسلافه لخصوبتها و وفرة مياهها و كثرة ثرواتها. تقع كردستان بين خطوط العرض 33-40 و خطوط الطول 37-50 بمساحة أكثر من 500000 كم2..

لم يتوسع وطن الكرد، كردستان، يوماً ما على حساب الشعوب الأخرى أو احتلال اراضي الغير بأعذار واهية أو تحت شعارات الدين، بل على عكس ذلك تماماً فان كردستان محتلة و كثير من اراضيه الحدودية و مناطق التماس مع الجيران قد تم تتريكها أو تعريبها أو تفريسها و بالنتيجة فان مساحتها قد تقلصت.

ان اول تقسيم رسمي و دولي لكردستان جاء نتيجة معركة جالديران المشؤومة عام 1514 بعد انتصار جيوش السلطان العثماني سليم ياوز على جيوش الشاه اسماعيل الصفوي قد تم وفق معاهدة زهاو عام 1639 بين الدولة العثمانية و الدولة الايرانية، حيث اصبح الجزء الأكبر من كردستان، شماله و جنوبه، صورياً (حيث كانت السلطة و الأمور الداخلية بيد الرؤساء الكرد) من حصة الدولة العثمانية، بينما ظل شرق كردستان ضمن الدولة الايرانية.

العراق كإسم و كدولة، جديدة نسبياً.. فهذا البلد قبل الحرب العالمية الاولى (1914-1918) كان عبارة عن ثلاث ولايات: ولاية الموصل، ولاية بغداد و ولاية البصرة ضمن الدولة العثمانية. تقرر مصير هذه الولايات الثلاث في مؤتمر القاهرة في 1921/3/12 حضره ونستن جيرجل وزير المستعمرات البريطانية انذاك و سير بيرسى كوكس و قائد القوات البريطانية في العراق و المس بيل

سكرتيرة المندوب السامي البريطاني و وزيرا الدفاع و الماليـــة العراقيـــان في الحكومـــة المؤقتـــة. في 1921/6/29 جيء بفيصل بن الحسين و هو من مواطني الجزيرة العربية الى العراق و توج ملكاً في 1921/8/23.. في 1922/10/10 تم توقيـــــع المعاهـــدة الأولى بـــين بريطانيـــا و العـــراق.. في 1925/7/16 قدمت لجنة مشكلة من عصبة الأمم تقريرها لإلحاق ولاية الموصل (كردستان الجنوبية) بالعراق.. في 1932/10/3 تم قبول العراق عضواً في عصبة الأمم.

منـذ الحــاق جنــوب كردســتان (كردســتان الجنوبية) بالملكة العراقية باقتراح من بريطانيا و بقرار من عصبة الأمم عام 1925 و رغم كل التوصيات و التعهدات لمنح و مراعاة الحقوق القومية للشعب الكردي و منها توصية اللجنة الثلاثية لعصبة الأمم في 1925/7/16، مذكرة وزير المستعمرات البريطانية الى عصبة الأمم بتأريخ 1926/9/3، خطاب رئيس الوزراء العراقي في 1926/1/21، الفقرة الثالثة من الدستور المؤقت للجمهورية العراقية بشأن اقرار شراكة العرب و الكرد في العراق، حيث تنسخها فقرة أخرى من ذلك الدستور التي تعتبر العراق جزءاً من الوطن العربي و كان من المفروض فقط اعتبار الإقليم العربي من العراق جزءاً من الوطن العربي بيان عبدالسلام عارف رئيس الجمهورية العراقية في 1964/2/10 حول قرار الحكومة تنفيذ بعض المطالب الكردية، اتفاقية القيادة الكردية و نظام بغداد ايام عبـــدالرحمن عـــارف رئـــيس الجمهوريـــة و د.عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء العراقي لمنح كردســتان اللامركزيــة (Decentaralization) في 1966/6/29، بيان 11 اذار 1970 حول منح الحكم الذاتي لكردستان، رغم كل تلك التعهدات و البيانات فإن الحكومات العراقية المتعاقبة و المجتمع الدولي لم تلتزم بها بل على عكسها ناقضتها و عملت كل ما في وسعها ضد اماني و حقوق الشعب الكردي و حاولت صهرها في بوتقة القومية العربية. فمنذ الحاق جنوب كردستان بالعراق حاولت الحكومات العراقية تغيير التكوين القومي في كردستان و بالأخص مناطق التماس مع الأقليم العربي من العراق و منها مناطق النفط و ذلك بجلب عدد كبير من العرب من المحافظات الأخرى اليها.

قامت الحكومة العراقية منذ الثلاثينيات من القرن العشرين بتوطين بعض القبائل العربية في سهل الحويجة التابعة لمحافظة كركوك.. عن طريق شق ترعة كبيرة من نهر الزاب الصغير الى السهل المذكور اوصلت المياه الى المنطقة.. لقد خططت وزارة ياسين الهاشمي عام 1935 لإسكان عشيرة العبيد العربية البدوية هناك.. كما ان الحكومة العراقية شجعت و دعمت عشيرتي الكروي و اللهيب العربيتين للتوطين في سهل قره تبه جنوب مدينة كفري. كذلك اختلطت بعض القبائل العربية بعشيرة البيات في السهل الواقع بين كفري و طوزخورماتو.. و على نفس المنوال استقرت

مجموعات من عشيرة طي و الجبور في جنوب سهل قراج جنوب مدينة مخمور الكردية.

منذ عام 1959 استمرت الحكومات العراقية بمحاربة الكرد و بالأخص في محافظة كركوك، حيث قامت بنقل وحدات عسكرية من الفرقة الثانية لكون معظم منتسبيها من الكرد الى الجنوب.. استمرت عملية التعريب و اغتيال المواطنين الكرد و توقيف الالاف منهم و قتل البعض منهم و نقل المواطنين الكرد الى الوسط و الجنوب.

بعد الانقلاب العسكري الدموي في شباط 1963 تعرض الكرد الى حملات الاعتقالات و الاعتداءات من قبل الحرس القومي.. تم تدمير الأحياء و القرى الكردية و بالأخص في محافظة كركوك و بحجج واهية و تم ترحيل سكانها و توطين عشائر عربية بدوية برئاسة عناصر امثال المجرم حواص صديد في اماكنهم.. قامت الحكومة بفصل و نقل المئات من العاملين الكرد في منشآت النفط و الشرطة و التربية و الدوائر الأخرى الى وسط و جنوب العراق و تم تعيين ابناء عشائر عربية اميين في اماكنهم رغم عدم اهليتهم!

انشأت السلطة العراقية مئات الربايا العسكرية فوق المرتفعات المحيطة بكركوك و جعلتها مناطق محرمة بعد زرعها بالألغام.. تم تسليح العشائر العربية.. قامت بتبديل اسماء المدارس و الشوارع في كركوك و اجبر الكرد تسمية محلاتهم التجارية بأسماء عربية.. شن النظام هجوماً عسكرياً واسعاً على معظم قرى المحافظة بهدف ترويع و تخويف اهاليها لإجبارهم على تركها ثم توطين العرب فيها.

في ظل النظام البعثي بعد انقلاب عام 1968 و لغاية اسقاطه في 2003/4/9 تعرض الكرد الى ابشع انواع الممارسات اللاانسانية و أوسع حملات الترحيل و التعريب و الإبادة الجماعية.. فحملات الأنفال و القصف الكيمياوي و الإبادة الجماعية و الإعدامات بالجملة خلال تلك الفترة اودت بحياة حوالي نصف مليون كردي و هذه صورة مختزلة لجرائم البعث تجاه الشعب الكردي.

ماذا كانت محصلة سياسات و ممارسات عنصرية لأكثر من ثمانين سنة من قبل الحكومات العراقية ضد الشعب الكردي سوى الهلاك و الدمار و التخلف؟!.. بأي منطق و عقلية يعتبر العنصريون من العرب كردستان جزءاً من الوطن العربي ان لم يكن بعقلية البداوة المتخلفة المؤمنة بشعارات بالية و همجية كـ: الحلال ما حل باليد، الحد بالسيف و الضعيف يطلب شهود، ان لم تظلم تظلم.

ان الشعب الكردي كوردستاني اولاً و اخيراً و بسبب الظروف الجغرافية - السياسية (Geopolitical) و الدولية فان اختياره الثاني بسبب الواقع غير الداعم لاستقلال كردستان في الظرف الراهن هو "عراق اتحادي" اختياري يحقق استقلاله الذاتي و مشاركته الفعالة في الحكم المركزي مع الاحتفاظ بحق تقرير مصيره وفق مصلحته.. فالشعب الكردي حر في وطن كردستان و له كامل الحق في اختياراته.

مــن المفيــد أن نــذكر هــؤلاء، اصحـاب العقـول المريضة و المتخلفة، بأنهم و امثالهم سبب مصائب و تخلـف العـراق.. أن عقليـة السـطو و الاسـتبداد لا توصلهم الى بـر الأمـان و التقدم و السعادة.. عليهم الاسترشـاد بـالمنطق و ان يسـلكوا طريـق الحضـارة و الديمقراطية و يسيروا في ركـاب الشعوب المتقدمـة و يفيدوا شعبهم و يبعدوا الشر عن وطنهم.

ان الأمة الكردية ليست جزءاً مـن الأمـة العربيـة و لا الأمـة العربيـة جـزء مـن الأمـة الكرديـة لكنهمـا امتـان جارتـان يمكـن ان تتحـدا اختيارياً كالجيـك و السـلوفاك و يمكــن ان تســتقلا ان كــان ذلــك مــن مصلحتهما.

الهوامش:

1-لجنة العراق في التأريخ، بغداد، 1983، ص.323

2-لجنة العراق في التأريخ، بغداد، 1983، ص.667

3-سـتيفن هيمسـلي لونكريـك، اربعـة قـرون مـن تـأريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط - 1949 - ص76.

*د. علـي الـوردي، لمحـات اجتماعيـة عـن تـأريخ العـراق الحديث - الجزء الثالث.

*فؤاد طاهر صادق، الـوعي التـأريخي 2001، ص 190-206 (باللغة الكردية).



قراءة عربية في مشروعية المطالب الكوردية

ايها الكوردي.. كم انت (يوسف) عالمنا هذا!

هادي المهدي

الى ولدي نالي.. لاني اريده كوردياً..
و اريد له وطناً و حق تقرير المصير

مدخل

ثمة تلازم محكم بين قصة يوسف كما وردت في القصص الدينية المقدسة و الميثولوجيا الوضعية و بين تاريخ الكورد مع الترك و العرب و الفرس، فيوسف العبقري الجميل و الفريد من بين اخوته بقدراته الفذة و اخلاقه النبيلة و تضحياته الجليلة من اجلهم، لم يلق منهم الا الاهانة و الحسد و الحقد على مواهبه و صولاً الى التخطيط لقتله، و ايغالا بالجريمة اخترع الأخوة الكثر فكرة رميه في البئر و تركه الى الموت البطيء! و هكذا راح الاخوة يتباكون امام ابيهم و امام الناس ان الذئب قد اكل اخوهم الصغير العزيز على قلوبهم. الأمر نفسه لطالما حدث مع الكورد و اخوتهم التاريخيين و الجغرافيين "و اعني بهم العرب و الترك و الفرس" فهم من جهة لا ينفكون يرددون عبر اعلامهم ان الكورد اخوة لهم و لكنهم و في الوقت نفسه لا يتوانون عن تنفيذ اعتى الجرائم البشعة بحق الكورد وصولاً الى جرائم الابادة الجماعية اما لكون الكوردي يطالب بحقه بالاعتراف بثقافته و وجوده او طعماً بثروات كوردستان و هي كثيرة "المياه، الزراعة، المعادن، البترول" و ان كان يوسف التاريخي قد رمي في الجب فان اخوة الكورد المعاصرين امعنوا في الجريمة فذهبوا الى استخدام الاسلحة الكيميائية و الطائرات و القبور الجماعية و التهجير و اقتلاع مدن و قرى من الجذور ايغالاً في الغاء الوجود الكوردي و عدم الاعتراف به.

الكورد و الآخرون في المعادلة العراقية الجديدة

-هل الخارجون من وحل الديكتاتورية و التي استبدت بالبلاد طيلة (35) عاماً و رسخت عبر

التكرار الممل و غسيل الدماغ صورة للكوردي بوصفه مخرباً طامحاً الى تقسيم الارض العراقية، هل يستطيع هؤلاء ادارة حوار متوازن و عقلاني مع الكورد وصولاً الى الاعتراف المنطقي بحقهم في الفيدرالية و حق تقرير المصير وصولاً الى اعلان الدولة؟

-هل يحق للمريض و هو في غيبوبته من غرفة الانعاش ان يحدد نوع العلاج و هوية الطبيب الذي سيعالجه؟ باعتقادي العراق الخارج من جحيم الديكتاتورية يفتقر الى العديد من الاشياء الجوهرية و هو ابعد ما يكون عن السلامة السياسية بحيث يفقد حقه في تقرير شكل نظامه السياسي و الاقتصادي القادم، كما لا يملك القدرة على فهم المطالب الكوردية الامر الذي يجعله عاجزاً عن الاعتراف بها.

-هل القادمون من المنفى السياسي الذين كشفت التجربة الراهنة هشاشة قاعدتهم الشعبية، يملكون القدرة و الحق على اعطاء الكورد حقهم التاريخي المشروع؟!

ففي الوقت الذي نجد فيه للعراقيين الخارجين من جحيم سلطة صدام العذر على عدم قدرتهم تفهم المطالب الكوردية، فاننا لا نجد العذر لأولئك المعارضين سابقاً، القائمين الان على الشأن العراقي في ترددهم المريب تجاه الكورد و قضاياهم ذلك انهم يتنكرون لسنوات الخطر و اخوة الدم، حيث استضافت كوردستان نضالهم ضد صدام و لسنوات طويلة بلا كلل اوملل و قدمت لهم كل الرعاية و الدعم شعبياً و رسمياً الا اننا نجدهم الآن يتلعثمون حين يقفون امام الفيدرالية بوصفها المطلب الكوردي الكبير في الزمن الراهن، يتلعثمون بين رغبة رد الجميل للكورد و الوفاء بوعود قطعوها على انفسهم بالاعتراف بحق تقرير المصير و حق الكورد بالحصول على الفيدرالية و امام العالم و الشعب الكوردي ايام كانوا ضيوف ارض و شعب كردستان. يتلعثمون بين ذاك و بين الخوف على ضعف السلطة المركزية جراء رغبتهم باعادة بناء سلطة قومية او طائفية تهمين و تقهر الشعب كورداً و عرباً و هم يتحججون اللجوء الى الانتخابات و كتابة الدستور اولاً قبل الاعتراف بالحق الكوردي، اقول يتحججون ذلك ان الاعتراف بالفيدرالية هو قوة للجميع قبل الكورد و هو الكفيل بعدم قيام سلطة مركزية تقهر هذا الطرف او ذاك، كما ان الفيدرالية شأن كوردي لا يمس الكيان العربي و لا يحتاج الى دستور او انتخابات، و هنا يجدر بنا الانتباه الى ان بعض هذه الاحزاب هي صيغة لدول الجوار، تلك الدول المستعمرة لاجزاء من كوردستان و بالتالي فهي تقف ضد بوادر الاعتراف بحق الكرد في العراق بادارة انفسهم عبر النظام الفيدرالي خوفاً ان تنتقل هذه العدوى الى الاجزاء الاخرى في كوردستان و التي تستعمرها و تستعبدها و تبذل اقصى جهدها لعدم الاعتراف بوجودها.

لقد قال و كرر القادة الكورد الكثير حول بديهيات الفيدرالية وتكرر ذلك ايضاً بالقول ان الفيدرالية تعني الاتحاد و لا تعني تمزيق الارض، و

ان الفيدرالية تقسيم للسلطة و ليس تقسيماً للتراب، و ان الفيدرالية هي زواج بالتراضي افضل منه زواجاً بالقسر، و ان الفيدرالية قوة لبناء عراق ديمقراطي تعددي، مدني، و لكن هنالك من لا يريد ان يصغي الى هذه البديهيات في المعادلة العراقية و هو امر واضح يعود اما لتبعيته للخارج الخائف من الكورد او لرغبته الدفينة ببناء سلطة مركزية دكتاتورية جديدة بلباس جديد.

تساؤل يخص جيران الكورد

بعيداً عن الوهم العربي و التركي و الفارسي الغارق في امجاد امبراطوريات استعمارية كبرى غدت كالسراب، ثمة سؤال فصيح واضح كالشمس بسيط كالماء، هل ثمة شعب في هذا الكون تجمعه لغة خاصة و تاريخ و جغرافيا لا يملك وطنا؟؟ هل هبط الكورد في السماء؟! هل اللغة و الزي و التاريخ و الارث الادبي و الديني الخاص بالكورد بدعة اخترعها اللااحد؟!

هل هؤلاء البشر الذين يزيدون عن اربعين مليوناً و الذين يقطنون جغرافيا الجبل الممتدة بين ايران و تركيا و سوريا و العراق جاءوا بصحون طائرة في كوكب اخر؟!

اذن البديهية تقول ان هنالك شعباً يدعى الكورد و هنالك ارضاً تسمى كوردستان بيد ان امبراطوريات الحروب القديمة و الجديدة نهبت و استعمرت و قسمت هذه الارض و هذا الشعب بين مخالب ثلاث تختلف في كل شيء و على كل شيء باستثناء استعباد و انكار حق الكوردي بوطن – و للحقيقة نقول ان دراسة التاريخ تؤكد ان الحضارة المنتصرة و المتوازنة و المتعاقبة تعترف بالاخر مهما كان مختلفاً عنها، غير ان ثقافة الهزيمة و الخوف من الانحدار السياسي و العسكري و الجغرافي اكثر فاكثر يجعل الترك و العرب و الفرس يستنفرون كل قواهم للوقوف بوجه مشروع قيام الدولة الكوردية المشروعة، و قد ساهمت و لعبت المصالح الدولية عبر التاريخ بدعم المستعمر ضد ضحيته الكوردية، غير ان زمناً اخر يؤسس له الان، زمن سياسي و اقتصادي بات يؤكد انفراج باب المعتقل التاريخي عن شمس كوردستان التي ستسطع بكل براءة مخلفة وراءها مستعمرين غارقين في غبار وهم القوة الاستعمارية الغائرة في القدم، و بعيداً عن الحلم الكوردي و مشروعيته تؤكد الدراسات السياسية الستراتيجية ان وهم العرب و الترك و الفرس بالعودة الى واجهة الحضارة بعقلية المستعمر ذاك بعينه لم يعد ملائمة لروح العصر و هو امر لا يفكر الثلاثة بمغادرته، ذلك ان مغادرة الحلم و الوهم التاريخي ستقوط الوجود التركي و الفارسي و العربي المشكوك به اصلاً! "بالمناسبة من البديهي و الشائع في ملفات التاريخ ان العرب البدو سكان الجزيرة استعربوا العراق و سوريا عبر هجراتهم الاولى بحثاً عن الكلأ و الماء و من بعد بقوة الاسلام القاهرة، كذلك فان القبائل البدوية البربرية التي هاجرت نحو الاناضول شكلت ما يسمى الان بتركيا و التي لا وجود قومياً او عرقياً لها عبر التاريخ، كما

ان الحضارات القديمة هي التي خلفت لنا ما يسمى بايران فلا وجود لهذا العرق تاريخياً في عصر المجوسية او الساسانيين و ما قبلهم و ما بعدهم غير ان كتب التاريخ نفسها تؤكد وجود قوم يدعون بالكورد في هذه المنطقة من العالم قبل اختراع الترك و العرب و الفرس اوطاناً لانفسهم ضمن هذه الجغرافيا".

و رغم هذا كله، ومن اروع غرائب الكون ينكر هؤلاء النازحون و المستعمرون حق صاحب الارض الشرعي، و اخيراً نسأل من يملك حق ان يعطي و يمنح و يمنع الكرد عن اقامة دولتهم التاريخية المشروعة؟! ليفتش كلنا في جيبه عن هويته و اصله قبل ان يبادر الى القول أنا اعترف او لا اعتراف!

الكردي حين لا يصدق نفسه

بالنسبة لواحد مثلي عاشر الكورد و عرفهم و آمن حد النخاع بقضيتهم، يستطيع ان يميز المشكل في الجانب الكوردي ايضاً و لا يتوقف عند القاء اللوم على الطرف الاخر "مستعمر كوردستان" و هو امر يتقنه الكوردي الكسول و لا اطيقه شخصياً، فالقاء اللوم على الطرف الاخر " المستعمر الترك و الفرس او العرب" او العامل الدولي و القوى العظمى هو امر في غاية اليسر لمن يريد ان يلوم و يتعب و ينوح و يندب، و لنتذكر ايضاً مقولة ميشيل فوكو "الضحية خديعة برجوازية" و من هذا المنطلق اقف حائراً امام تاريخ المأساة الكوردي و هو مأساوي و دموي حد الجنون حقاً و لكن و في الوقت نفسه اجدني اتهم الكورد بالتغني و التباكي على المأساة و الكوارث التي الحقت بهم اكثر من القدوم نحو أي فعل سياسي و عسكري حاسم يعلن عن قيام الدولة الكوردية و ذلك ناشئ حسب اعتقادي عن وجود اختلاف عقائدي ايديولوجي او عرقي يمت بصلة بجذور الكورد العشائرية و للاختلاف الاجتماعي و الثقافي بين الشعب الكوردي في اجزائه الاربعة، فالنهج و الارث السياسي و الاجتماعي لكرد تركيا يختلف عنه في كوردستان ايران و العراق و سوريا و هو طبعاً نتيجة حتمية للتطبع و التأثر بحياة و نظام المجتمع المستعمر لكوردستان. ففي الوقت الذي واجه فيه كرد العراق اعتى الجرائم على ايدي الانظمة المتعاقبة الا اننا نجد انهم الابرز في التقدم سياسياً نحو اهدافهم عنهم في ايران و تركيا و سوريا، كما انني استطيع ان اؤكد ان اجزاء من كوردستان نائمة نضالياً و بعضها مندمج تحت شعار الاممية الماركسية في نضال مع الشعوب المستعمرة لها ضد الانظمة متناسية ان حتى انتصار تلك الفصائل لو حصل على سبيل الفرض فان هذه الفصائل سترتد ان كانت توركية او عروبية او فارسية في النهاية و تقف ضد قيام الدولة الكوردية و انظر نتائج الثورة الايرانية و موقف الكورد منها و ما اسفر عنه موقف اية الله الخميني اخيراً بدحر الحلم الكوردي و اقصائه!

و بعيداً عن النضال السياسي و العسكري و هو الاهم طبعاً نجد ان الباحث الكوردي سيفرح باكتشاف عالم او فنان او اديب مصري او لبناني او

ايراني بل حتى هندوسي من اصول كوردية و كان تاريخ الكورد كله غير كافٍ لتأكيد وجوده و هو يحتاج الى دعائم صغيرة كهذه ليقول "انظروا... الكورد و كوردستان موجودان في هذا العالم لان ممثلاً مصرياً او مطرباً توركياً اصله كوردي!!"

و من جهة اخرى يسر الكوردي و يحلق ببراءة الاطفال، حيث يهب صاحب ضمير من العرب او الترك او الفرس عسكري او سياسي او مثقف ليقول في لقاء صحفي او عبر مقال انه يعترف بالقضية الكوردية!

و هنا اقول ان ازمة الكوردي داخل بيته اكبر و انه نفسه لا يصدق بنفسه كورديا في كثير من الاحيان لذلك يحتاج الى هذا الاخر ليؤكد وجوده، و هو امر يرجع الى نظام الجهل و الامية الذي عملت القوى المستعمرة لكوردستان على نشره بين مواطني هذه الارض و اغلبهم من المزارعين لسوء الحظ، و لا اريد التوقف عند الظواهر اليومية العابرة التي تؤكد صدق قولي هذا انما اقول ان الامر اكبر من ذلك و اشير الى مشروع السينمائيين "الكورد الايرانيين" و الصحافة الكوردستانية العراقية و كلاهما يعمل و لسنوات مضت على قول هذا الشيء: "نحن شعب مأساوي فقير نعيش في الجبال الوعرة يفتك بنا العرب و الترك و الفرس، اعينونا.. اعافكم الله!!" اعطونا مما اعطاكم الله.."

ان ما يدعوني بصراحة الى قول هذا كله هو موقف القيادة الكوردية بعد سقوط نظام صدام حسين، فرغم انها الطرف الاقوى عسكريا و اجتماعياً و ادارياً و اقتصادياً في المعادلة العراقية الا انها ذهبت متفرقة الى بغداد تحت جناحي الحزبين الكبيرين و راحت تساوم و تحاور و تهادن و تتحالف من اجل الاعتراف بأقل ما يمكن في حلم شعبها الا و هو الفيدرالية! في حين اني كنت اتوقع ان القيادة الكوردية و عبر برلمان الشهير ستقلب الطاولة على رأس خصومها في العراق الجديد و التي شاركت هي و بدماء ابنائها في رسم صورته باعلان الفيدرالية من طرف واحد و فرضه على المواطنين العراقيين الاخرين بوصفه حقاً مشروعاً و نتيجة حتمية لنضال دفعت هي اكثر من أي طرف ثمنه الباهظ كنت اتوقع انها ستفرض على المستعمر الامريكي و الواقع العراقي قرارها و ترد الاعتبار للحلم و المواطن الكوردي و لو لمرة واحدة و يحدث ما يحدث فالتهديد التركي و الايراني و السوري باعتقادي لا يرقى عن كونه لغواً فارغاً ناتجاً عن ضعف لدى الثلاثة و خوف في قوة و شرعية المشروع الكوردي و لاسيما ان الثلاثة يغرقون الان في وحل ازمات داخلية تعصف بهم عصفاً و هو امر تاريخي لن ينكر و لن يسنح للكورد مثله مرة اخرى، حيث نجد الان تركيا و ايران و سوريا في اضعف صورهم، ناهيك عن التعاطف العالمي مع القضية الكوردية و الذي نشهده الان الى جانب قوة التحالف الكوردي مع الولايات المتحدة، غير ان ذلك كله يولي الان دون ان يبادر الكورد الى انتزاع حقهم و فرضه فرضاً باللجوء الى الحوار المدني و العقلاني مع الاطراف الواقعية الخارج من وحل الدكتاتورية و التي تكاد لا

تعرف نفسها لتعترف بالحق الكوردي: فمتى يصدق الكوردي انه كوردي و ليس شخصاً اخر، و ان لديه وطناً واحداً في هذا الكون هو كوردستان و انه شاء ام ابى لن يتحقق وجوده الكامل و الكريم الا تحت علم وطنه و حسب.

اسئلة موجعة

-قبل ان نتهم الكورد بتمزيق الهوية، لنسأل عن جوهر الهوية العراقية، هل العراق دولة عربية ام دولة مستعربة؟

-لمن يؤمن بان الخارطة العراقية مقدسة نقول انها خارطة رسمت بأيدٍ بشرية حركتها مصالحها الاستعمارية و ليست وحياً من السماء، ففي ذلك الوقت الذي رسمت من هذه الخارطة كانت الموصل يمكن ان تضم الى تركيا او سوريا و دير الزور للعراق؟!

-من هو الاهم الوطن ام المواطن، الخارطة ام الانسان؟ هنا فقط نستطيع ان نميز بين من يريد بناء وطن ديمقراطي و من يريد قلعة دكتاتورية جديدة.

-اليس مصيباً من قال: عراق اصغر عراق اقوى و اجمل و انبل؟

-العراق من زاخو و الى الفاو المحكوم بالقوة ماذا خلف لنا؟ و ماذا يمكن ان يخلف لنا عراقاً فيدرالياً ديمقراطياً؟ الاول خلق لنا الكراهية و الدم و العنف و المقابر الجماعية و المآسي، الثاني سيخلف لنا قوة ديمقراطية لعلها تشفي العراق و المنطقة من وباء العنف و الديكتاتورية.

-يصرخ العربي لا للفيدرالية انها تقسيم للعراق و تفريط بشعبنا الكوردي و لكن حين يطال الكوردي بحقه ان يكون رئيساً للدولة العراقية، يصرخ ذلك العربي نفسه: و لكنه كوردي كيف يحق له رئاسة العراق! انها مفارقة الذهن المأخوذ بثقافة الهزيمة.

-ماذا يضير العربي لو ادار الكوردي منطقته و اثبتت السنوات الماضية قدرة و تفوق الكورد في هذا الامر، حيث بنوا ديمقراطية ثقافية و اجتماعية و سياسية يفتقر اليها العراق الراهن و عراق صدام سابقاً؟

-هل يعرف العربي القادم من البصرة او كربلاء ادارة منطقة لا يعرف ثقافتها و بنيتها الاجتماعية و لغتها و مواسم امطارها و اسرار زراعتها و اسماء جبالها؟ هل يعرف الكوردي ان يدير مدينة كالنجف او العمارة؟

-حين يطالب الكوردي بحقه فهو انفصالي، و حين يستعبد و يقتل فهو ابن الوطن البار، أية مفارقة هذه؟!

-هل يفرح الكورد كثيراً امر اعتبارهم مواطنين في بلد عربي ينتمي الى خارطة غارقة بآلامه و الخراب و الديكتاتورية على مختلف انواعها؟

-اليس اخر ما صدره العرب و المسلمون للكورد هو الارهاب و سيل الشتائم و التخوين عبر الفضائيات بلا رادع؟!

-ما شأن العربي اذا ما قررت هولندا الخروج من الاتحاد الاوروبي او قرر اقليم الباسك الانفصال عن اسبانيا؟ كذلك ارى الشأن الكوردي بالنسبة للعرب.

-العربي يرى نفسه ضحية اسرائيل في فلسطين و لكنه ينسى نفسه انه جلاد و مستعمر في كوردستان.

-ايـن هـو الموقـف الثقـافي و الاجتمـاعي العربـي الرسمـي و الشـعبي عـبر التـاريخ مـن مآسـي شـعب كوردستان، و لماذا نطالب الكورد باخوتنا و نحن مـن عمل على قطع و سحق هذه الاخوة؟

-كم هو محظوظ هذا الكوردي، فهو كثير الاخـوة، نعـم انـه كيوسـف، كـثير الاخـوة، غـال و عزيـز بـين جيرانـه و اهلـه، و لكـن مـا ان تسـمح الفرصـة حتـى ترى اخوته ينقضون عليه ليرموه بالجب، يجرحونـه و يهينونـه، و الاخـر يسـممه بالغـاز او ربمـا يمـص دمه. هذه باختصار ميثولوجيا الكورد مـع العـرب و الترك و الفرس عبر التـاريخ.. الـيس كـذلك؟ نتمنـى ان نضع حداً لهذه الاخوة الغريبة؟؟.

22 نيسان يوم الصحافة الكردية

صدرت اول صحيفة كردية

بإسم (كوردستان) في القاهرة

بتأريخ 1898/4/22

وكان رئيس تحريرها مقداد مدحت بدرخان

نبذة عن شهرية — سەردەمی نوێ [أي: العصر الجديد] الصادرة في السويد بين الاعوام 1986-1990

د. جمشيد حيدري

خلفية صدور صحيفة –سەردەمی نوێ–

ان وجود عدد كبير من الجالية الكردية في اوربا و بالأخص في اسكندنافيا و وجود نخبة من السياسيين و المثقفين المناضلين من اجل تحرير كردستان في المنفى و انقطاع اعداد منهم عن الاحزاب و القوى السياسية الكردستانية و لاسباب عديدة – ذاتية كانت ام موضوعية، كان دافعاً لظهور فكرة اصدار نشرة او صحيفة سياسية و ثقافية تخدم حركة التحرر الوطني الكردية و تكون عاملاً للم شمل تلك الفئات في المنفى لتواصل مساهمتها في النضال وتساند حركة شعبنا الكردي و تفضح سياسة الانظمة المحتلة لكردستان و قمعها و اضطهادها لأبناء امتنا الكردية و تطلعاتها المشروعة في حق تقرير مصيرها بنفسها.

ان فكرة اصدار هذه الصحيفة الشهرية تعود للسياسي و المناضل و الكاتب الكردي المرحوم كريم حيسامي (1920-2001).

بعد انتكاسة ثورة ايلول عام 1975 نتيجة اتفاقية صدام – الشاه في الجزائر، و بعد سنة من تلك الانتكاسة عودة النضال المسلح الى جبال كردستان و انتصار ثورة الشعوب الايرانية عام 1979 و الانقلاب العسكري في تركيا في 1980/9/12 و اندلاع الحرب العراقية الايرانية في 1980/9/22 و فرض النظامين الايراني و

التركي الحرب على كردستان، خلقت ارضية الكفاح المسلح في اجزاء ثلاثة من كردستان و تحول كردستان الى ساحة حرب بين النظامين الايراني و العراقي من جهة و الحرب المفروضة على كردستان و شعبنا الكردي من جهة أخرى و التي ادت الى تشريد المئات و الالاف من مواطني كردستان و ازدياد عدد الهاربين من جحيم الحرب و التجائهم الى اوربا الغربية بالاضافة الى الصراع الدامي بين القوى السياسية الكردية في الساحة الكردستانية. و ان الموقع الجيوسياسي لكردستان، فرض على القوى السياسية الكردية التي اختارت النضال المسلح مجبراً و لأجل مواصلة الكفاح المسلح و المقاومة، تعتمد على احدى الدول المتصارعة او تنحاز الى جانبها و تستفيد من التناقضات بين تلك الدول المحاربة و المحتلة لكردستان.

ان القوى الكردية في جنوب كردستان انحازت الى جانب ايران و سوريا و حلفائهم و القوى الكردية في شرق كردستان اتجهوا الى النظام العراقي الذي اشعلت الحرب ضد الجمهورية الايرانية و ان القوى الكردية في شمال كردستان عامة و الحزب العمال الكردستاني خاصة وجدوا في سوريا حليفاً لهم.

و يجدر بالاشارة ان الدول الثلاث/ ايران، العراق و سوريا/ في حين يمارسون سياسة شوفينية معادية لأماني الشعب الكردي في بلدانهم على حده و في نفس الوقت يلعبون بالاوراق الكردية لمصلحتهم و عند الضرورة يتناسون خلافاتهم لمواجهة ما يسمى بـ(الخطر الكردي) و ينسقون فيما بينهم ضد اماني الشعب الكردي.

ان المواقف السياسية للجمهورية الايرانية ضد امريكا و اسرائيل و خطر انتشار –بان اسلاميزم – و حد مواقف الدول المجاورة لايران و القوى العظمى لمساندة عراق صدام حسين و غض النظر عن جرائمه بحق الشعوب العراقية بصورة عامة و الشعب الكردي بصورة خاصة.. ان الدول العربية كافة ماعدا سوريا كانت تمد العراق بالمال و السلاح ضد ايران و كذلك الدول الاوربية و امريكا و الاتحاد السوفياتي السابق كانوا يساندون النظام العراقي بالسلاح و المعلومات الاستخباراتية في حربها ضد ايران.. ان ايران كان يخوض حرب البقاء او الموت.. و في هذا الوقت بالذات، أي خلال حربها الضروس، كانت الدولتان (ايران و العراق) تفرضان حرب الابادة ضد الشعب الكردي و جعلوا من الكرد ضحية مصالحهم الانية و المستقبلية.. ان القوى الكردية، نظراً للاوضاع السياسية المعقدة و من اجل المحافظة على قواهم و انحيازهم القسري الى احدى الانظمة المعادية للأمة الكردية، يضطرون لاتخاذ مواقف الصمت تجاه سياسة تلك الدول من قضية الشعب الكردي و على سبيل المثال: ان القوى الكردية في شرق كردستان، الذين كانوا يتعاونون مع النظام العراقي، لكنهم لم يشاركوا مع الجيش العراقي ضد ايران، كانوا يغمضون عيونهم عن جرائم صدام حسين و لا يرفعون صوت الاحتجاج و لا يتعرضون لسياسة بغداد لا من قريب او بعيد، اما القوى

الكردية في جنوب كردستان المتعاونة مع نظام الملالي في طهران، ساكتين عن سياسة القمع و الاضطهاد لذلك النظام بحق الشعوب الايرانية و الشعب الكردي و كان البعض منهم في بعض الاحيان يتعاونون مع ذلك النظام ضد قوى شعبنا في ذلك الجزء او يعاونون الجيش الايراني في حربها ضد العراق و ان حزب العمال الكردستاني الموجود انذاك في سوريا و لبنان، كان ساكتاً عن سياسة البعث السوري بحق الكرد و في هذه النقطة بالذات لا يختلفون عن مواقف القوى الكردية العراقية الموجودة في سوريا ايضاً و لكن الشيء المثير للجدل و الاستهجان، كان حزب العمال الكردستاني، ينكر وجود جزء من كردستان في سوريا، بل كانوا يدعون انهم لاجئون من الشمال او الشرق في مراحل تاريخية معينة.

ان السياسة التي كانت تتبعها القوى السياسية الكردية في كردستان، تنعكس الى حد كبير على الجالية الكردية المتواجدة في اوربا و كانت تشكل عقبة كبيرة امام النشاط الكردي في المهجر تجاه سياسة الانظمة المحتلة لكردستان، و ذلك عند القيام باحياء المناسبات الكردية كعيد نوروز او ورد اخبار اليمة من كردستان، يحاول اللاجئون الكرد و المنظمات و الجمعيات الكردية القيام بنشاطات سياسية ضد هذه الدول او ادانة الانظمة الدكتاتورية الحاكمة في البلدان التي تقتسم كردستان، ينبرى ممثلو القوى السياسية الكردية يفرض شروطاً ان لا يذكر اسم الدولة الفلانية (ايران، سوريا) و الا ينسحبون من تلك النشاطات او لا يشاركون فيها، و يجب ان نسجل للتأريخ ان مواقف القوى الكردية الشمالية بصورة عامة، ما عدا حزب العمال الكردستاني يتخذ الموقف من سوريا اي عدم مهاجمة سوريا، حيث لا يشارك الحزب المذكور بصورة رسمية في تلك النشاطات، الا انهم لا يمنعون اعضاءهم للمشاركة فيها رغم تحفظاتهم على ذلك. و في هذا الظرف، كان على السياسيين و المثقفين الكرد المستقلين – غير المنتمين – القيام بعمل ما لفضح سياسة المحتلين و ادانة جرائمهم و توعية الرأي العام الكردي في المهجر و كشف الحقائق للرأي العام الاوربي و ايصال صوت شعب كردستان اليهم. كان عليهم القيام بتلك النشاطات، التي تتعذر على القوى السياسية القيام بها نظراً لعلاقاتهم السياسية بتلك الانظمة و في تلك الظروف المعقدة ظهرت فكرة اصدار صحيفة – سەردەمی نوێ-

ان هيئة تحرير – سەردەمی نوێ- كانت تؤمن بوحدة ارض كردستان و وحدة الأمة الكردية و في نفس الوقت كانت تأخذ بنظر الاعتبار تقسيم كردستان و الفروقات الموجودة في مستوى التطور الاجتماعي و الثقافي في مختلف اجزاء كردستان و كانت تقدر خصوصية كفاح التحرر الكردي و مواقف اجنحتها المختلفة و يستبعد و يدعو الى عدم تدخل قوى بعض الاجزاء في شؤون الاجزاء الاخرى و لكن في نفس الوقت تتخذ هيئة التحرير موقفاً واضحاً و جلياً فيما يتعلق بالمصالح المشتركة لقوى

حركـة التحـرر الكرديـة، داعيـاً الجميـع للتعـاون و اتخاذ موقف موحد في القضايا المصيرية.

اللقاءات التمهيدية قبل صدور العدد الأول من "سەردەمی نوێ"

في نهايـة عـام 1985 و بدايـة 1986 جـرت لقاءات عديدة بين بعض السياسيين الكرد من شرق كردستان و تمت مفاتحة غيرهم من اجـزاء اخـرى و جـرت تلك اللقـاءات في جنيـف و بـارس و بـرلين و بون و ستوكهولم و اتفق المشاركون في ضرورة اصدار صحيفة و كـان البعض يطـرح فكـرة تشـكيل حـزب جديـد الا ان الاكثريـة و صـاحب الفكـرة الرئيسـة كانوا ضـد تكـوين حـزب جديـد يضـاف رقـم جديـد للاحـزاب الموجـودة و تم الاتفـاق علـى الخطـوط العريضـة للصـحيفة و مسـألة تمويلـها و تشـخيص بعض الاسماء لتحريرها. لقد طرح اسماء عـدد كـبير مـن المـثقفين و السياسـيين الكـرد المتواجـدين علـى الساحة الاوربية من المنتمين للاحـزاب الكردسـتانية و المستقلين حزبياً.. استجاب عدد من هؤلاء و ابـدوا استعدادهم للمشاركة من بينهم: صارم الدين صادق وزيري (الشخصـية السياسـية مـن شـرق كردسـتان و المقـيم في سويسـرا)، و مـن السـويد كـل مـن: سـالار حيـدري، امـير قـاض، محمـد خـدري و مصـطفى دزكـون و جمشـيد حيـدري و مـن المانيـا رحمـان حـاجي احمـدى و مـن فرنسـا عزيـز مـاملى.. اتفـق الجميـع ان يـرأس تحريرهـا صـارم الـدين و يعاونـه كـريم حيسـامي و البقيـة تكـون هيئـة التحريـر. و اتفق الجميع ان يكون ستوكهولم مركزاً للصحيفة.

في بدايـة شـهر كـانون الثـاني 1986 توجـه كـل مـن الاسـاتذة كـريم حيسـامي و عزيـز مـاملى و رحمان حاجي احمدى الى ستوكهولم و عقـد اجتمـاع حضـره اضـافة لضـيوف الـذين جـاءوا مـن خـارج السويد كل من: محمـد خـدري و مصطفى دزكـون و جمشـيد حيـدري، الى جانـب عـدم حضـور كـل مـن السـيدين امـير قـاض و سـالار حيـدري.. تباحـث المجتمعون مسألة اصدار العدد الأول من –سەردەمی نـوێ- و تهيئـة المسـتلزمات الضـرورية و المقـالات و المسائل الفنيـة. بـرزت مسـألة اللغـة الفارسـية، كـان صارم الدين يكتب باللغـة الفارسـية، اضافة لترجمـة مقالاتـه، اصـر علـى ان تنشـر في الصـحيفة مقـالات باللغـة الفارسـية و امكانيـة اصـدار ملحـق باللغـة الفارسـية. و ان الصـحيفة تقـرر اصـدارها باللغـة الكرديـة – الكرمانجيـة الشـمالية و الجنوبيـة – و بالأحرف العربية و اللاتينية – و في هيئـة التحريـر اعترض كل من مصطفى دوزكون و جمشيد حيدري على المقالات التي تنشر بالفارسية و طالبوا اذا اتخذ قرار ان تكون المقالات بلغـات غـير كرديـة، فيجب ان تكـون اللغـتين العربيـة و التركيـة كـذلك.. و قـد اسـتمرت كتابـة المقـالات بالفارسـية و نشـر ملحـق خاص ايضاً باللغة الفارسية، الا ان مسألة الغاء النشر بالفارسـية حسـمت بعـد انسـحاب صـارم الـدين مـن التحرير و معه كل من محمد خدري، رحمان حاجي احمدى و عزيز ماملى.. و بقـي مـن هيئـة التحريـر

فقط ثلاثة: كريم حسامي و مصطفى دوزكون و جمشيد حيدرى.. و الجدير بالذكر كانت الصحيفة مسجلة لدى الدوائر الرسمية السويدية باسم جمشيد حيدري.

و كما ذكرت سابقاً لم يذكر على الصحيفة اسم صاحب الامتياز و رئيس التحرير منذ العدد الأول الى العدد الثامن.

و ان الصحيفة استمرت بالصدور باللهجتين الكرمانجية الشمالية و الجنوبية و بالأحرف العربية و اللاتينية الى 28 و بعد ذلك اصبحت الصحيفة تصدر فقط باللهجة الكرمانجية الجنوبية و بالأحرف العربية و ذلك لأسباب فنية.

بعض المعلومات عن –سەردەمى نوى-

-ان "سەردەمى نوى" كانت تصدر بحجم 25سم×35سم

-كانت تصدر كل شهر مرة واحدة.

-كانت تصدر بـ(12) صفحة، ماعدا عددي (19-20) اللذين صدرا بطبعة واحدة، صدرت بـ(16) صفحة و كذلك العدد (50) صدر ايضا بـ(16) صفحة.

-كانت الاعداد (1، 2، 3، 4، 6) تنشر فيها مقالات باللغة الفارسية و صدر مع العددين (5، 6) ملحق مستقل باللغة الفارسية.

-صدر (4) اعداد كملحق باللغة الانكليزية على شكل مجلة بحجم (A5).

-من الاعداد (1-6) كان يتصدر عنوان الصحيفة (تصدر من قبل هيئة التحرير).

-و من العدد (8) ذكر على صدر الصحيفة اسم صاحب الامتياز و رئيس التحرير.

-ثبت على الصفحة الاولى من – سەردەمى نوى- : صاحب الامتياز الدكتور جمشيد حيدري و رئيس التحرير كريم حيسامي.

-ان سعر الصحيفة من العدد (1-12) بـ(6) كرونات سويدية و من العدد (13-54) بـ(10) كرونات سويدية.

-يتراوح عدد النسخ من (500 الى 1000) حسب الظروف المادية.

-كانت الاعداد ترسل بصورة مجانية للطلاب الكرد الدارسين في الدول الاوربية (الغربية و الشرقية) و امريكا، كندا و استراليا. كذلك كانت ترسل الى المراكز الثقافية الكردية في اوربا و امريكا و الى ممثلي الاحزاب الكردستانية و كانت ترسل الى بعض المؤسسات الثقافية الكردية في العراق و ايران/ صحيفة هاوكاري، بزاف، اسو، و مجلة كاروان و المجمع العلمي العراقي/ الهيئة الكردية/ و كذلك الى –مجلة سروه- في ايران.

و يجب ان يسجل للتأريخ بان اعضاء و انصار الاحزاب الكردستانية نادراً ما كانوا يدفعون بدل الاشتراك و بهذا الصدد كتب الاستاذ كريم حيسامي في مذكراته: ان الاحزاب السياسية الكردستانية لم تقدم مساعدة لـ"سەردەمى نوى" الصحيفة الكردية التي كرست صفحاتها للقضية الكردية، بل كأنهم

كـانوا يحرمـون علـى اعضـائهم الاشـتراك فيهـا (مذكراتي – كريم حسامي- الجزء التاسع ص 89).

و مع ذلك ساعد عدد كبير من الكرد المخلصين كـل حسـب امكانياتـه الماديـة لاسـتمرار صـدور الصحيفة و كذلك ساهم عدد اخر بقلمهم و اخرون بتوزيعه و اخراجه و ترجمة مقالات عن اللغات الاجنبيـة الى الكرديـة و الـبعض الاخـر بترجمـة المقـالات الكرديـة الى الانكليزيـة للملاحـق الأربعـة باللغة الانكليزية و تقديراً لكل الذين ساهموا معنا و قدموا يد المساعدة الينا، ادون اسماءهم و استميح عذراً لمن لم يرد اسمه اهمالاً او متعمداً، بل قد يكون سـببه داء النسـيان. و الاخـوة: حميـد نـوروز، كـريم سنجارى، حنفي جليلي، الدكتور مجيد جعفر، المرحوم محمد بكر، عبداسع (من جريدة كوردستان بـريس)، فهد كـردهوانى، ناسـر ابراهيمي، حاميد كـهوهـرى، مؤيـد طيـب، محفـوظ مـائى، محمـد زرارى، رزكـار شـيخانى، الـدكتور محمـد شـكاكى، الـدكتور طالـب كاكهيى، محمد توفيق، كمال محمود فرج، محمد رسول هـاوار، منصـور الحفيـد، سيد طه كمـاليزاده، الـدكتور كمال مـيراودهلى، ممتـاز حسـن، المرحـوم فريـاد محيـي الدين، ازاد راوندوزى، د. رفيـق سـابير، هاشـم كوجـانى، كاكه باس، و م. كوران (محمود خدر).. الخ.

و في عـام 1989، أي بعـد صـدور اكثـر مـن اربعـين عدداً من –سهردهمى نوى- جرت لقاءات مع عدد من المثقفين و الكتـاب الكـرد في السويد و بعـد عـدة لقـاءات ابدوا استعدادهم للمشاركة في هيئـة تحريـر الصحيفة و منـذ العـدد (45) تم تـدوين اسمـائهم ضـمن هيئـة التحرير الا انهم فضلوا عدم ذكر اسمائهم الحقيقية و ذلـك حسـب اعتقـادي لاسـباب سياسـية، حيـث كـانوا ينتمـون الى قـوى سياسـية معينـة. و اصـبحت هيئـة التحرير الجديدة على هذا المنوال: جمشيد حيدري – صاحب الامتيـاز و عضـو في التحريـر، كـريم حيسامي رئيس التحريـر و عضـو الهيئـة، شـاهين ميكـايلى (كاكه باس)، كاوه قادرى د. رفيق صابر و خسرو علي (سلام عبداسع).

ويـذكر ان بعـد توسـيع هيئـة التحريـر في عـام 1989، بقيت المسؤولية على عاتقنا نحن الثلاثـة/ جمشيد حيدري، كريم حسامى و ناسـر ابراهيمـي و ان الأخير لم يكن في الهيئة، بل كان يقوم بطبع المواد بالكومبيوتر و اخراجه فنياً، اما بقية الاعضاء فقـد كانت مساهمتهم تقتصر على الكتابة للصحيفة. و في عام 1990 عندما اصبحنا نعاني ازمـة ماليـة، و مع الاسف لم يشاركنا باقي الاعضاء في الهيئة لايجاد مخرج، لذلك نحن الاثنان (جمشيد و كريم) اتخذنا القرار بايقاف صدور الصحيفة.

نبذة مركزة عن ابواب و زوايا و محتويات "سه‌رده‌مى نوى" منذ عددها الأول في 1986 الى اخر العدد (54) في ايلول/ تشرين 1990.

1- و بمـا ان المقـال الافتتـاحي يعكـس توجهـات الصـحيفة و بشـكل تقليـدي في كـل عـدد مـن "سه‌رده‌مى نوى" ينشر مقال افتتاحي اي الصحيفة نشـرت (54) مقـالاً افتتاحيـاً كـرس الـ(50) منهـا للقضـية الكرديـة، الحـرب العراقيـة – الايرانيـة،

جـرائم الـدول الـتي تحتـل كردسـتان بحـق الكـرد، مواقف الدول العظمـى مـن قضيـة الشعب الكـردي و المؤثرات الدولية و الاقليمية (الأمـم المتحـدة، المـؤتمر الاسـلامي، مـؤتمر منظمـة التضـامن الاسـيوي - الأفريقي) من قضية الشعب الكردي و كذلك مواقـف القوى الكردستانية و سياساتها..

-صدرت اعـداد خاصـة مـن –سـەردەمـی نـوی– بمناسـبات معينـة: الـذكرى الثلاثـون لوفـاة القائـد الكردي الشيخ محمود الحفيد؛ ذكـرى ثـورة درسـيم، مأسـاة حلبجـة؛ استشـهاد المناضـل السياسـي الـدكتور عبدالرحمن قاسملو.

2-زاويـة خاصـة تحـت عنـوان – كردسـتان في المطبوعات – بدأت هذه الزاويـة منـذ العـدد الأول و استمرت الى اخـر عـدد منها. تنشـر في هـذه الزاويـة المقـالات المتعلقـة بكـرد و كردسـتان في الصـحافة الاجنبية مترجمة الى الكردية.

3-احياء المناسبات الوطنية و القومية و الاممية و ذكـرى الشخصـيات السياسـية و الادبيـة و الفنيـة الكردية و الأجنبية:

أ-عيـد نـوروز، ذكـرى جمهوريـة كردسـتان الديمقراطية، ذكرى استشهاد القاضي محمـد، الشـيخ محمود الحفيد، سيد رضا درسيمي و ذكرى وفاة الملا مصطفى البارزاني.

ب-الشخصـيات السياسـية و الثقافيـة و الادبيـة: سـليمان معيني، عزيز يوسفي، سمايل شـريف زاده، مـلا اواره، جمال حيدري، ازاد مصطفى، نافيع يونس، الـدكتور نورالـدين زازا، الـدكتور عبـدالرحمن قـاسملو، الكاتـب معـروف البرزنجـي، القـاص حسـن قزلجي، الشـاعر جكرخـوين، الشـاعر هـيمن موكرياني، الشـاعر كـامران مـوكري، الشـاعر عبـدالله كـوران، الكاتب الصحفي كيو موكرياني، العالم الكـردي قنـاتي كـوردو (كوردوييف)، العالم الكـردي حـاجي جنـدي، الضـابط الكـرد الشهداء، (عـزت عبـدالعزيز، محمـد محمـود قدسـي، خـيرالله عبـدالكريم و مصـطفى خوشـناو)، القـاص محمـد مولـود (مەم)، الشـاعر دلـدار (يـونس رؤوف) الفنـان طـاهر توفيـق، الفنان يلمـاز كونـاي و الشهيدة عيفـة القاضـي (ابنـة الشهيد القاضي محمد) التي استشهدت بظرف ملغوم في السويد.

ج-المناسـبات الأمميـة و الدوليـة و المناضـلين مـن اجل الحرية في العالم:

1-ذكـرى ثـورة اوكتـوبر الاشـتراكية في روسـيا، عيد العمـال العـالمي، عيـد المـرأة العـالمي، يـوم الطفـل العالمي.

2-ذكـرى جـى كيفـارا، تحريـر نيلسـون مانـديلا، وفاة الاكاديمي اندري ساخاروف،

3-اغتيال اولف بالمه، وفاة المناضل عزيـز شـريف، تقدير المناضل الدكتور اسماعيل بيشكجي.

4-المطبوعـات الجديـدة – تقـوم هـذه الزاويـة بتعريف القارئ الكردي في اوربا بالمطبوعات الكردية الجديـدة و كـذلك بتعريـف و تقـيم المطبوعـات الاجنبية المتعلقة بـ(كرد و كردستان).

5-الرسائل الواردة و نحن و القراء.

6-زاوية الادب – نشر كل قطعة شعرية او نثريـة او مقـالات جيـدة – حسـب تقـدير المشـرفين علـى هـذه الصفحة.

7-الفكر الحر – زاوية حرة.

8-بانوراما الاحداث – تنشر كل سنة مرة في نهاية العام.

9-المقابلات و الريبورتاجات الصحيفة.

كلمة لابد منها

ان شهرية –سەردەمی نوی– خلال خمس سنوات من عمرها، رغم امكانياتها المتواضعة و نواقصها الفنية، لعبت دوراً كبيراً في تنوير الرأي العام الكردي في المهجر بقضية الشعب الكردي العادلة و فضحت جرائم و مواقف الدول التي تحتل كردستان و كذلك سلطت الأضواء على مواقف القوى السياسية الكردستانية و التزمت خطاً وطنياً مستقلاً و وضعت مصالح الشعب الكردي على كل الاعتبارات الأخرى، اضافة لذلك خدمت اللغة و الادب الكرديين خدمة جليلة.

من اسرار تقسيم كردستان و ضم الكرد الى العراق

دافيد كورن

ترجمة و تعليق: الدكتور زهير عبد الملك*

رجلان اقحما الكرد بالعراق

عندما الحق الانجليز بلاد الكرد في ولاية الموصل العثمانية بالدولة العراقية، التي اقاموها بعد الحرب العالمية الأولى، فعلوا، بكل تأكيد، ما يمكن اعتباره واحدا من اكبر الأخطاء في التاريخ. و قد تسبب القرار الذي يقضي باقحام الكرد في صفقة سياسية واحدة مع عرب بغداد و البصرة، خسائر جسيمة للطرفين في العقود التالية.

فقد ثار الكرد في العشرينيات و الاربعينيات و الستينيات و السبعينيات و الثمانينيات، الأمر الذي قوض الاستقرار السياسي في الدولة العراقية و استنزف مواردها. و تحمل الكرد تضحيات جسيمة و معاناة هائلة بسبب اعمال القمع الوحشي التي قامت بها الحكومة العراقية اثناء السبعينيات و حملات الابادة التي نفذتها ضدهم في الثمانينيات. و تعتبر الادارة الكردية القائمة منذ صيف 1991 بحكم الموقع، مادامت المنطقة مازالت تدعى بشمال العراق، دليلا على رفض الكرد لقرار لم يتخذوه بأنفسهم، و انما اتخذه موظفان بريطانيان نيابة عنهم قبل زهاء ثمانية عقود من السنين.

فكيف تم الحاق الكرد بالعراق؟

من المؤكد ان هذه القصة هي من اغرب ما في سجلات الاستعمار البريطاني. و هي تتلخص في ان اثنين من كبار موظفي الخدمة المدنية العاملين في المستعمرات البريطانية: بيرسي كوكس و ارنولد ولسن هما اللذان فرضا ارادتيهما ليس على المجتمع الكردي المطالب بحقوقه فحسب، بل على حكومتهما المترددة. و في هذه المغامرة كان كوكس هو الرئيس، و ويلسن اينما وردت نائبه و تابعه المطيع.

و يبدو السير بيرسي كوكس، في الصورة الفوتوغرافية الملحقة بسيرة حياته، رجلا طويل

القامة متميزا و صارم الملامح و له كامل صفات الأشخاص المهمين انذاك. و كان كوكس موظفا بارزا من بين صفوة العاملين في قسم الخدمات الخارجية و السياسية لحكومة الهند البريطانية. و بعد ان تقلد رتبة ضابط عام 1884 خدم فترة قصيرة في فوج بريطاني في الهند. و بعد ذلك نجح في الانتقال الى وزارة الشؤون الخارجية و السياسية حيث امضى 30 عاما في فرض السلطة البريطانية على الشعوب الخاضعة للعرش البريطاني في امبراطورية الشرق، ثم نقل الى الصومال البريطاني و بعدها الى مسقط ثم الى ايران حيث اصبح مقيما سياسيا في منطقة الخليج مسؤولا عن رعاية المصالح البريطانية على الضفتين العربية و الايرانية لذلك الممر المائي.

و خلال هذه الفترة درس كوكس اللغة العربية و اكتسب شهرة، لطلاقته فيها، تلك الشهرة التي لم يكن له مبرر على الاطلاق. كان كوكس شخصا موهوبا و موظفا متفانيا. لكنه كان يخفي وراء هذا التواضع و نكران الذات شخصية المتلهف للسلطة و القادر على استخدامها بعنف.

و في عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى 1914-1918 كان كوكس يشغل منصب سكرتير الشؤون الخارجية في حكومة الهند. و عندما طلبت لندن من السلطات البريطانية في الهند ارسال حملة عسكرية الى مدخل الخليج لمنع أي هجوم تركي محتمل على حقول النفط البريطانية في ايران و في محميتها الكويت، اعرب كوكس عن تحفظاته في بادية الأمر ثم سرعان ما اصبح نصيرا متحمسا للمشروع. اذ التحق بالحملة بوظيفة رئيس للمستشارين السياسيين، و هي وظيفة جعلته، من بين امور اخرى، مسؤولا عن اقامة الادارة المدنية في الأقاليم التي تحتلها القوات البريطانية و عن تسيير شؤونها. و قد زار منطقة شط العرب بصحبة لواء من القوات الهندية البريطانية التي نزلت في الفاو عند الطرف الجنوبي للشط في 1914/11/15.

و بعد اشتباكات على نطاق محدود نجح البريطانيون في صد القوات التركية و احتلوا الميناء الرئيس لمدينة البصرة. و من هناك تحركوا عشرات الأميال صوب الشمال فوصلوا الى القرنة و فيها توقفوا. و لكي يواصلوا مسيرتهم كان لابد من تعزيزات لم يكن توافرها سهلا اذ لم يكن الموظفون المسؤولون لا في لندن و لا في الهند، متأكدين من رغبتهم في الحفاظ على موطئ قدم صغير مثل هذا في القرنة.

و لكن نظرا لأن الأتراك واصلوا تهديدهم لحقول النفط الايرانية فقد ارسل البريطانيون تعزيزات عسكرية من الهند. و بحلول 1916 زاد حجم هذه القوة البريطانية الى فرقتين عسكريتين. و انذاك بدأت القوات البريطانية تتحرك شيئا فشيئا صوب الشمال. و في بداية نفس العام شنت هذه القوات هجوما طموحا للتقدم نحو بغداد، الا ان محاولتها هذه سببت لها كارثة.

ففي ابريل/ نيسان تمكنت القوات التركية من محاصرة قوة بريطانية تعدادها 11600 رجل في الكوت و هي مدينة صغيرة تقع على نهر دجلة، على

بعد 200 ميل جنوبي بغداد و اجبرتها على الاستسلام، و بعد هذه الهزيمة النكراء اصبحت القيادة البريطانية العامة مستعدة للتخلي عن خطط احتلال بغداد و انسحبت الى خط دفاعي بالقرب من البصرة و من حقول النفط الايرانية. لكن كوكس عارض بشدة، هذا الانسحاب. اذا غالبا ما يوجه موظفو الادارة الاستعمارية انظارهم بصفة دائمة نحو الحدود التالية، و لا يشذ في ذلك عنهم كوكس. فقد كان في مقدمة المؤيدين للخطط السابقة بالتحرك نحو احتلال بغداد، و كان مقتنعا، منذ البداية، بفكرة ان الاحتفاظ بالبصرة و السيطرة على حقول النفط لا يتمان الا باحتلال بغداد. و اصبح الان اكثر اقتناعا بذلك من اي وقت مضى.

ربح كوكس الرهان، حيث دخلت القوات البريطانية بغداد يوم 1917/3/11، و سرعان ما عمل كوكس على انشاء ادارة مدنية فعالة للولاية و للمدينة التي اضحت مقرا لحكومتها، و نجح انذاك في اجتذاب العديد من رؤساء القبائل من شرق الجزيرة العربية و جنوب بلاد ما بين النهرين الى جانب الحلفاء، و حقق بذلك انجازا يعتبر، من جميع النواحي، معادلا، ان لم يزد، على نجاح لورنس في غرب الجزيرة العربية، و لكنه على خلاف لورنس، (الذي لم تنل خططه اعجاب كوكس) كان يكره الدعاية.

اخذ كوكس بعد ان اصبحت بغداد تحت سيطرته، يتطلع شمالا نحو الموصل. و كانت فكرة قيام كيان جديد يمتد من مدخل الخليج الى جبال طوروس، و يضم الولايات العثمانية الثلاث (البصرة و بغداد و الموصل) قد اتخذت شكلا محدودا في تصوراته. حيث يكون هذا الكيان الجديد بمثابة اضافة منطقية الى الامبراطورية البريطانية المترامية الاطراف، و يشكل نقطة ارتباط مهمة على الخط الجوي بين اوروبا و الهند، و تكملة لمركز بريطانيا في مصر، و الممتلكات الجديدة التي من المتوقع الاستحواذ عليها في فلسطين، و حصنا للنفوذ البريطاني في ايران، و مزرعة لانتاج الحبوب.

و على الرغم من ان الاراضي الواقعة بين دجلة و الفرات قد تدهورت حالتها الى مستويات متدنية جدا بظل العثمانيين، فقد ظل الاعتقاد سائدا بأن هذه الأراضي ذات امكانيات زراعية هائلة.

و كان هناك شئ مغر اخر، يدركه البريطانيون و لكنهم يتعاملون معه كأنه سر بغيض، يتجنبون ذكره ما ندر حتى في مراسلاتهم السرية: الا و هو النفط فقد كانت المنطقة المجاورة لكركوك معروفة بوجود النفط فيها، و كانت كميات كبيرة من المادة اللزجة السوداء تترشح على سطح الأرض يجمعها الكرد و يستخدمونها للوقود. و من الصحيح ان احدا لم يكن قد نقب في هذه المنطقة (او سيفعل ذلك قبل حلول 1927)، الا ان جميع المبررات كانت متوافرة للاعتقاد بأن في ولاية الموصل مستودعات غنية. فالاسطول البريطاني، يتحرك بالنفط، في حين معظم مصادر النفط خارج سيطرة بريطانيا، أي في الولايات المتحدة و المكسيك و رومانيا و روسيا.

و كـان البريطـانيون متلـهفين للحصـول علـى مصادر للامدادات تابعة لهم، و كانت حقول ولاية الموصل بمثابة مصدر اضافي مهم للنفط. و كانت بريطانيا قد بدأت في استخراج النفط من بلاد فارس في فترة سبقت نشوب الحرب بسنوات قليلة ناهيك عن رغبة بريطانيا في ان تصبح مكتفية ذاتيا، و كان هذا بدوره سببا قويا لضم ولاية الموصل ذات الأغلبية الكردية الساحقة الى الولايتين العربيتين في بغداد و البصرة، ذلك لأن لندن تنتظر من المستعمرات تسديد ما يترتب على ادارتها من تكاليف.

و كان من المقرر جعل الكيان الجديد (أي الدولة العراقية الجديدة) و من وجهة نظر كوكس و نائبه الكولونيل ارنولد ولسن، محمية بريطانية، غير ان السلطات في لندن كانت، على ما يبدو، تستهدي بافكار اخرى. ففي ابريل/ نيسان 1917 علم كوكس ان حكومته تنوي وضع البصرة تحت الادارة البريطانية المباشرة، و تحويل ولاية بغداد الى دولة عربية برئاسة حاكم محلي تحت النفوذ البريطاني، و انشاء منطقة مستقلة للمناطق الشيعية المقدسة في كربلاء و النجف تحت السيطرة البريطانية، و ازاء هذه الحالة، تحرك كوكس بسرعة للالتفاف على هذه الخطة، و ابرق الى لندن قائلا: "ان محالة ادارة ولايتي البصرة و بغداد، و هما غير قابلتين للانفصال في أي حال من الأحوال، على اسس متضاربة و مبادئ متنافرة، سيؤدي الى الحاق الضرر بمصالح جميع الجهات المعنية".

و هكذا ربح كوكس الرهان مرة اخرى، فقد الغيت فكرة انشاء حكومتين منفصلتين في بغداد و البصرة، و الغى تعيين حاكم عربي على بغداد. كما تقرر اخضاع الولايتين لحكومة واحدة يديرها، بطبيعة الحال كوكس نفسه.

احتلال اقليم جنوب كردستان

و بعد ان استولى الانجليز على بغداد، تحولت استراتيجيتهم نحو الدفاع. بيد ان ذلك يدم طويلا، ففي ربيع 1918 اندفعت قواتهم نحو الشمال و احتلت مدينة كركوك، لكن هذه الحركة جاءت قبل الأوان. فقد اضطرت هذه القوات الى التراجع تحت ضغط القوات العثمانية. و في هذا الوضع المتأزم، اخرج كوكس من مسرح الأحداث، حيث استدعى على عجل لتولي مسؤولية المفوضية البريطانية في طهران، حيث تطورت اوضاع تهدد المصالح البريطانية و خلفه في وظيفته نائبه ولسن.

و كان ارنولد ولسن رجلا نحيفا متوسط القامة، و اصغر عمرا من كوكس. و كان، شأن كوكس، موظفا في حكومة الهند البريطانية، و لعله كان اكثر تمسكا من بيرسي كوكس بمبادئ اولئك الذين صنعوا و اشرفوا على ادارة الامبراطورية الاستعمارية البريطانية. و كان ولسن على يقين من انه خير من يدرك ما فيه الخير لأبناء المنطقة. و كان مقتنعا بأنهم غير قادرين على ادارة شؤونهم, و انهم يفضلون (او يفكر العاقلون منهم على الأقل) ان يحكمهم البريطانيون بكفاءة من ان يحكمهم ابناء

بلدهم بغير كفاءة. و كان التفكير بقيام حكم محلي ذاتي يعد، من وجهة نظر ولسن، بدعة خطرة.

و قد وضع ولسن، شأن كوكس، نصب عينيه التقدم نحو مواقع متقدمة. فأخذ يلح على ضرورة التقدم شمالا لاحتلال كركوك و الاستيلاء على الموصل. و قبل نهاية الحرب بفترة طويلة كتب ولسن "لقد اوضحت.. ان من الضروري ان تحتلها (اي الموصل) القوات البريطانية قبل او حالما تتوقف الحرب". و بموجب اتفاقيات سرية عقدت بين الحلفاء، كان المفروض منح ولاية الموصل الى فرنسا، الا ان ولسن كان قد وضع خطته: "لقد واصلت.. لأشهر عديدة بعد اعلان الهدنة الالحاح على ان من الأمور الأساسية للاستمرارية الفعالة لأي حكومة، قد تقام في نهاية الأمر، في ما بين النهرين، ان تشمل الولايات الثلاث: البصرة و بغداد و الموصل". و لم يكن ولسن يهتم بكون غالبية سكان ولاية الموصل من الكرد، و ليس العرب، او بأنهم قد لا يرغبون في الحاقهم بدولة عربية. بل ان ما كان يخطط له لم يكن انشاء دولة قومية، اي قائمة على اساس تماثل عرقي بين السكان، بل مجرد مستعمرة بريطانية اخرى.

و عندما وقعت اتفاقية الهدنة مع تركيا في 1918/11/31 كانت القوات البريطانية مرابطة على مقربة من الموصل. و لم تكن لدى القائد البريطاني الفريق السير وليم مارشال اوامر بالاستيلاء على المدينة. و لكنه قرر الاستيلاء عليها بمبادرة منه، بالحاح اكيد من ولسن، مبررا ذلك بتفسير مشكوك به لمادة في معاهد الهدنة تجيز احتلال اية نقاط استراتيجية في حالة نشوء حالة تهدد امن الحلفاء. و لم يفعل سوى انه بادر بخطوة واحدة تقدم بها على رؤسائه. و في اليوم التالي دخلت القوات البريطانية الموصل، و وصلت برقية من مقر القيادة العامة في لندن تأمر مارشال بالاستيلاء عليها.

و بعد احتلال الموصل، و توسيع رقعة المنطقة التي سيطروا عليها، وجد البريطانيون انفسهم، لأول مرة في تاريخهم الاستعماري، يحكمون الشعب الكردي. و لم يكن لدى بريطانيا على الاطلاق ما يمكن ان يسمى بسياسة كردية. لم تكن تفكر بالكرد عندما وقعت الحرب في 1914. و قد برزت مكانة العرب و ليس الكرد في الخطط الحربية لبريطانيا. و كان محمد شريف باشا، و هو كردي من اسرة بابان التي حكمت السليمانية سابقا، و وزير مفوض للعثمانيين في ستوكهولم في تسعينيات القرن الماضي، قد فاتح البريطانيين فور اندلاع الحرب العالمية الأولى و عرض خدماته في تعبئة الأمة الكردية وراء قضية الحلفاء، غير ان الحلفاء تخلصوا منه على نحو فظ..

بيد ان الكرد لم يكونوا مجهولين تماما او دون مناصرين في بريطانيا. فقد غامر ما يزيد على دزينة من البريطانيين منذ اوائل القرن التاسع عشر بزيارة كردستان، و عادوا ليكتبوا عن تجاربهم و عن الشعب الرائع الذي وجدوه هناك. و اذا كان معظم هؤلاء من الموظفين فقد كان بينهم ايضا

دبلوماسي و مبشر و رسام و عالم في الفيزياء و رجل اعمال، و رجل اخر اسمه ابلي بانيستر صون، و كان الأخير غريب الأطوار كأي شخصية يمكن العثور عليها في اية رواية. و غالبا ما تحدث هؤلاء عن الكردي بأنه شخص همجي غليظ الطباع و قاطع طريق خطير. لكنهم تحدثوا ايضا عن الكردي رجلا مضيافا و كريما و جبليا هماما و مناضلا من اجل حريته و يطمح للتخلص من نير الحاكم التركي و يأمل في قيام دولة كردية.

و من المؤكد انه يمكن فهم الكرد من خلال هذا الكم من الأدبيات و منحهم نوعا من الدعم، لكنه يتعذر القول بامكانه وضع ادبيات روائية عن الكرد شأن الذي خص بها العديد من البريطانيين العرب. اذ ان للبريطانيين تاريخاً طويلاً و غنأي بالتجارب مع العرب، فقد تعاملوا معهم لقرون طويلة و حكموهم لعقود من السنين، منذ ان احتلوا مصر، و دخلوا عدن، و منطقة الخليج الفارسي. و كان من الطبيعي جدا ان ينظر الاداريون البريطانيون، اولئك الذين قضوا حياتهم بين العرب، و عانوا مشقة تعلم لغتهم او حاولوا ذلك، الى الأشياء من وجهة نظر العرب، و قد (برزت نفس الظاهرة بين المستعمرين الأمريكان في النصف الثاني من القرن العشرين). فشخص مثل لورنس، و هو مستعرب ضليع، بامكانه ان يخطط لإقامة دولة عربية عظمى تمتد من شبه الجزيرة العربية شمالا حتى جبال طوروس. و قد عاش ولسن و كوكس سنوات عديدة بين العرب، و كلاهما معجب بالحضارة و التاريخ العربيين. لكن ولاءهما كان للامبراطورية البريطانية، و اذا ما تحتم عليهما ان يختاروا بين العرب و الكرد، فانهم سيختارون الكفة التي ترجح العرب دون شك. اما مكانة الكردي لدى ولسن فقد وصفه قائلا: "قاس ذو نفس فظة و غارق في الظلام و مقيد بالبؤس و الحديد". و لم يتحدث مطلقا بمثل هذه العجرفة و الجهل عن العرب. و يحمل لونكريك، و هو مستعرب و ضابط خدم في الادارة البريطانية الأولى في العراق، و الذي اصبح فيما بعد مستشارا لحكومة العراق المستقلة، ذات النظرة الناقصة نحو الكرد. فقد كان يعتقد بانهم (اي الكرد) غير قادرين تماما على حكم انفسهم. و يشارك العديد من رجال الادارة البريطانية اراء ولسن و لونكريك المتحاملة على الكرد هذه.

لكن الكرد وجدوا بطلا في واحد من الضباط البريطانيين الشباب الذين ارسلوا لمساعدة ولسن، ذلك هو الرائد ادوارد وليم جارلس نويل، فقد كانت وجهات نظره تختلف عن اراء ولسن و لونكريك اختلاف الليل عن النهار. فقد كتب قائلا: "لقد كان الكرد افضل عناصر" الشرطة المحلية تحت الادارة البريطانية. و في فيلق العمل اثناء الحرب كانوا يحققون انجازات افضل بكثير، مما يحققه العرب او الفرس. و كان الكرد اكثر استجابة للتعليم و للتقدم، و متفوقين على اقرانهم من العرب و الاتراك و الفرس. و لم يكن نويل يشك مطلقا في قدرة الكرد على حكم انفسهم. فمن بين جميع

القوميات في الشرق كتب يقول: "يتفوق الكردي بقدرته على الاستفادة من المنافع و المزايا من انشاء حكومة مستقرة و حديثة في بلاده".

كان نويل رجلا مجازفا يحب اعمال البطولة، على النقيض تماما من الماكرين و البيروقراطيين كوكس و ولسن. "وحيثما عمل – نويل – اكتسب شهرة" هكذا كتب عنه احد رؤسائه. فقد كان دائم التجوال بقلب تواق. و كان جزءا من كل الذين التقى معهم. و من الصعوبة بمكان ان نتصوره سعيدا و قد علاه الصدا بمرور الوقت و الا يزداد نشاطه توهجا. كان نويل رجلا يحب المجازفة، و يحاول دوما التلذذ بالتصدي للأخطار. فحينما نقل عام 1915 الى وظيفة المقيم البريطاني للخليج الفارسي في البحرين، عكف بنشاط ملحوظ، على مطاردة العملاء الألمان الذين ارسلوا لتحريض الايرانيين على الجهاد ضد الحلفاء.

و استطاع اقتناص اشد اولئك العملاء خطرا، و هو شخص يدعى واسموس. لكن الأخير هرب من حراسه، و بدأ بتحريض رجال القبائل ضد نويل، حتى كادوا يقضون عليه. و في ربيع 1918، تطوع نويل لمهمة اقتضت منه السفر عبر المناطق الشمالية من ايران و القوقاس ليلتحق بقوات بريطانية كانت تقاتل البلشفيك. و في طريق عودته اعتقله رجل من قبيلة معادية. و حاول الهرب مرارا، و لكنه فشل، و امضى في السجن خمسة اشهر في ظروف قاسية جدا. و تكاد مثل هذه المجازفات تكفي رجلا اخر، طوال حياته، و لكن ليس لشخص مثل نويل، اذ سرعان ما توجه الى بغداد بعد اطلاق سراحه ليتطوع في مهمة اخرى. و قد يتصوره المرء مغامرا ليس الا. لكنه لم يكن كذلك. فقد كان طويل القامة نحيفا، و ذو شعر اسود كثيف و منظم، و يظهر في صورة التقطت له في العشرينيات و قد ارتدى سروالا قصيرا، و سترة مزررة باعتناء و على صدره وردة قرنفل، بحيث بدا و كأنه احد اغنياء الريف الانجليزي، و ليس مغامرا باحثا عن الأخطار.

*د. زهير عبدالملك، من الشخصيات الكردية الفيلية، ولد في مدينة بغداد، في سنة 1962 تخرج من جامعة بغداد حاصلاً على البكالوريوس في علم الاجتماع، و في سنة 1968 حصل على شهادة الماجستير في جامعة الرباط، كما و حصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع بجامعة باريس سنة 1972. يقيم حالياً في مدينة روما بايطاليا.

في ضوء مذكرات مقرر لجنة مشكلة الموصل و التي تنشر لأول مرة:

الأرقام و الحقائق التاريخية تدحض المزاعم و الادعاءات

د. جبار قادر

لم تتمكن بريطانيا و تركيا من التوصل الى ايجاد حل لما عرف بمشكلة ولاية الموصل خلال اللقاءات و المداولات الكثيرة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى. و فشل الطرفان في وضع نهاية لهذه المعضلة اثناء مؤتمر لوزان (1922-1923). و لم يسفر مؤتمر اسطنبول الذي عقد للغرض نفسه في 19 مايس 1924 عن نتيجة تذكر في هذا المجال. عند ذلك قرر الطرفان المتنازعان بموجب المادتين الثانية و الثالثة من معاهدة لوزان رفع الأمر الى مجلس عصبة الأمم لاتخاذ القرار النهائي بشأن المشكلة.

و قرر المجلس بدوره في 30 ايلول 1924 تشكيل لجنة تحقيق خاصة بالمشكلة و ارسالها الى المنطقة المعنية لجمع المعلومات الضرورية عن الجوانب الأقتصادية و الاثنية للمشكلة و رفع تقرير شامل عن نتائج تحقيقاتها الى المجلس. و جرى الاتفاق على ان يشكل التقرير اساسا لقرار عصبة الأمم بشأن مصير ولاية الموصل. تم تثبيت اعضاء اللجنة في نوفمبر من نفس العام من الدبلوماسي السويدي اينار فيرسين (Einar af Wirsen) و رئيس الوزراء الهنغاري السابق الكونت باول تيليكي (Count Paul Teleki) و العقيد البلجيكي المتقاعد باولس (Paulis).

لقد تم اختيار اعضاء اللجنة على اساس كفاءتهم و تجاربهم الكبيرة في مجالات عملهم و نشاطاتهم، ففيرسين كان متخصصا في شؤون البلقان و كتب عن شعوبها و سياسات الدول العظمى ازاءها، كما كان على اطلاع واسع بشؤون الدولة العثمانية و

شعوبها. فقد كتب، مثلا، عن الآثوريين و نشاط البعثات التبشيرية بينهم بعد ان زار مناطقهم. و اشتهر فيما بعد بمذكراته (ذكرياتي من ايام الحرب و السلم) و (من البلقان الى برلين). و كان عند اختياره لرئاسة اللجنة وزيرا مفوضا لبلاده في برلين و رئيسا لبعثاتها في بخارست و اثينا و بلغراد. اما تيليكي فقد درس القانون و العلوم السياسية و الجغرافيا في جامعة بودابست حيث شغل فيما بعد كرسي الاستاذية للجغرافيا فيها. كما اصبح منذ عام 1905 عضوا في البرلمان الهنغاري و عين مستشارا جغرافيا لوفد بلاده اثناء مؤتمر السلام في باريس و تسنم كذلك حقيبة وزارة الخارجية. كما شغل لفترتين منصب رئيس الوزراء، الاولى (1920-1921) و الثانية (1939-1941). و كان توقيعه لمعاهدة برلين عام 1939 سببا في انتحاره عام 1941, و ذلك عندما ادرك بأن المانيا الهتلرية ستجبر بلاده على المشاركة في الهجوم على يوغسلافيا. و اشتهر بكتابه باللغة الانجليزية: تطور هنغاريا و موقعها في التاريخ الاوربي (The Evolution of Hungary and its place in European History) (1923). اما العقيد البلجيكي المتقاعد باولص فقد خدم في الكونغو و تراكمت لديه خبرة علمية واسعة عن الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية في المستعمرات و طرائق التعامل مع سكانها. و هكذا ضمت اللجنة اناسا يمتلكون خبرات واسعة في التاريخ و الجغرافيا و العلوم العسكرية فضلا عن العلوم السياسية و القانون و العلاقات الدولية. و كان تحت امرتهم نخبة من المستشارين الأكفاء من المتخصصين في الدراسات الشرقية و الاثنوغرافيا و القانون و الجغرافيا و العلاقات الدولية و غيرها كرودولو الأيطالي Roddolo الذي عمل سفيرا لبلاده في اوسلو لمدة قصيرة، و الكونت بورتاليس Pourtales السويسري و المستشرق الهولندي كرامرز (Kramers). بعد فترة قصيرة من تسمية اعضائها بدأت اللجنة اجتماعاتها في جنيف و قامت بجمع و دراسة الخرائط و المصادر التاريخية المتوفرة عن الولاية و تكويناتها الأثنية و الدينية. كما قام اعضاء اللجنة بزيارة كل من لندن و انقرة و استقبلهم رئيس الوزراء البريطاني (Chamberlain) و وزير المستعمرات (Amery) في لندن، و مصطفى كمال و العديد من المسؤولين الاتراك في اسطنبول و انقرة، و ذلك للتعرف على وجهات نظر الطرفين المتنازعين على الولاية. الغريب في الأمر ان الأطراف المختلفة لم تكن معنية بالاستماع الى سكان الولاية و رغباتهم.

بعد اكمال اللقاءات في انقرة سافر اعضاء اللجنة الى دمشق و منها الى بغداد، حيث حلوا ضيوفا على المندوب السامي البريطاني السير هنري دوبس (Henry Dobbs) و التقوا بالملك فيصل و بعض وزرائه. و غادروا بعد ذلك الى الموصل حيث بدأوا زياراتهم الى المدن و القصبات و لقاءاتهم بالأعيان و الوجهاء فيها. حاولوا خلال تلك الزيارات و اللقاءات الأستماع الى وجهات نظر الوجهاء و الأعيان المحليين

و جمــع المعلومــات الاقتصــادية و الاثنيــة و الاجتماعية التي بدت ضرورية لهم لانهاء مهمتهم.

لست هنا بصدد عرض و تقويم نشاطات اللجنة و طرائق عملها و جمعها للمعلومات و لقاءاتها بالسكان في الولاية، بل وددت الأشارة الى ما تتضمنها مذكرات اينار فيرسين السويدي مقرر اللجنة (يشار اليه عادة في المصادر كرئيس للجنة) من ارقام و معطيات احصائية عن التركيب الاثني لسكان الولاية. و لا تخرج هذه الأرقام و المعطيات عن اطار التخمينات القائمة على اساس المعلومات التي جمعتها اللجنة خلال جولاتها المختلفة في المنطقة فضلا عن الأرقام و المعطيات الأحصائية التي قدمتها الأطراف المختلفة الى اللجنة و كذلك المعلومات المتوفرة في كتابات الرحالة الذين زاروا المنطقة و المستشرقين المهتمين بها. و لابد من الاشارة هنا الى ان النقص يشوب هذه الارقام جميعها. فقد كانت الدولة العثمانية تنتمي الى كيانات العصور الوسطى و كان اهتمامها بالاحصاء و التخمين يقتصر على جمع الأتاوات و المجندين. لذلك كان الناس يتهربون من هذه العمليات و تلجأ الدولة الى التخمين و التقدير الذي لا يمكن التعويل على نتاجهما كثيرا. من بين الأمثلة الأكثر اثارة للسخرية في هذا المجال اشارة الأرقام التركية المقدمة الى عصبة الأمم بشأن مشكلة الموصل الى وجود (32960) تركيا في لواء السليمانية و التي لم تتجاوز نسبة الأتراك فيه على مر التاريخ الصفر ابدا.

اشير الى هذا الموضوع لأن هناك من يردد هذه الأيام ارقاما فلكية عن عدد ابناء هذه الأقلية او تلك الفئة و التي لا يجمعها جامع مع المنطق و الحقائق العلمية و دون الأستناد الى اية مصادر او معطيات احصائية رسمية و هي متوفرة و يمكن للجميع الاستعانة بها و العودة اليها. و قد بز عدد من الكتاب التركمان على صفحات الأنترنيت كل الحدود المعقولة في هذا المجال و تدعمهم في ذلك فئة من الكتبة الشوفينيين العرب الذين لا يهمهم من الأمر سوى زرع بذور الفتنة و الفرقة بين ابناء المنطقة الواحدة لأهداف مغرضة و صبيانية في بعض الأحيان. اجزم بان هذا الموقف لا علاقة له بانسانية هؤلاء و ايمانهم بالحقوق القومية و السياسية و الثقافية للتركمان و الاشوريين و غيرهم. هل يعقل ان يؤمن شخص بحقوق التركمان و الاشوريين في العراق و يعلن العداء السافر لكل ما يتعلق بالكرد و حقوقهم؟. لا اعتقد شخصيا بجمع هذه النقائض في شخص واحد. اما يؤمن الانسان بحقوق الجميع او لا يؤمن.

يجب ان نؤمن بمبدأ انساني بسيط و هو ان الحقوق القومية و السياسية و الثقافية و الدينية و المذهبية للقوميات و الجماعات يجب ان لا ترتبط بالأعداد و النسب و القدم التاريخي. بل يجب ان يكون من حق الجميع مهما كانت اعدادهم و نسبهم و قدمهم التاريخي في العراق و غير العراق ان يتمتعوا بحقوقهم كاملة غير منقوصة. يجب ان يكون تركيزنا على هذا المبدأ بدل الانشغال بالنسب

و الارقام الفلكية و كأننا نقف في مزاد علني وسط سوق يسودها الهرج و المرج. سيجري في نهاية الأمر احصاء نزيه و سيتمكن الجميع ان يعبروا دون خوف و وجل عن انتماءاتهم القومية و الدينية و المذهبية الحقيقية التي حرموا منها لعقود طويلة و سيعرف كل منا عدد الأفراد الذين يشاركونه الدين او المذهب او اللغة و القومية. و سيقف معه اولئك الذين يجانبون الحقائق مصداقيتهم امام الجميع و سيكون من الصعب عليهم ان يقنعوا الاخرين بمبررات تهويلهم للأمور بل و حتى تفهم مطالبهم المشروعة. فعلى سبيل المثال لا الحصر صرح احدهم قبل ايام بأن حركته ستعمل على اعادة نصف مليون تركماني الى كركوك!!!. ماذا سيقول هذا السيد عندما سيظهر الأحصاء النزيه بان عدد التركمان في العراق كله لا يتجاوز نصف مليون. و نعرف جميعا بانه و لله الحمد لم يجر ترحيل التركمان على نطاق واسع و لم تدمر الفاشية سوى بضع قرى تركمانية و هو عمل مدان بنفس القوة التي ندين بها تدمير القرى الكردية و الاشورية. و قد عاد الآن سكان قرية بشير المظلومة الى ديارهم و رحب الكرد قبل غيرهم بعودتهم بل و قدموا بعض المساعدات التي استطاعوا تقديمها لهم و لم يعتبروا عودة هؤلاء المظلومين الى قريتهم و مزارعهم التي طردوا منها ظلما و عدوانا محاولة لـ(تركمنة) كركوك كما يحاول بعض الموتورين و المتطرفين تصوير عودة عدة مئات من مئات الآلاف من الكرد المرحلين من كركوك المحافظة و المدينة الى ديارهم و كأنها عملية (تكريد) للمحافظة. يجب ان نتخلى عن الازدواجية و ندين السياسات الباطلة ضد أي كان. لا ان نعتبر الباطل و التعريب و سياسات التطهير العرقي عملا مبرراً مادام ضحاياه من الكرد فقط. لا يقف هذا الموقف الا اناس تجردوا من انسانيتهم و فقدوا كل القيم النبيلة.

المعلومات التي نوردها هنا تضمنتها مذكرات مقرر لجنة التحقيق الخاصة بمشكلة الموصل و التي شكلتها عصبة الأمم اينار فيرسين باللغة السويدية و التي تحمل عنوان (من البلقان حتى برلين) و نشرها عام 1943 في ستوكهولم في 340 صفحة. و قد خصص فيرسين اربعة فصول من مذكراته هذه للحديث عن مشكلة ولاية الموصل و ذكرياته و تدقيقاته اثناء عمله مقررا للجنة و قد غطت الصفحات (107-163). حملت الفصول عناوين (تشكيل لجنة الموصل)، (دخول مدينة الموصل)، (التحقيقات في ولاية الموصل و الايزيدية) و (جنيف). تتضمن مذكرات فيرسين معلومات غزيرة عن الأوضاع السياسية و الأجتماعية و الأقتصادية التي كانت تسود الولاية بعيد الحرب العالمية الأولى و عن اسباب الصراع على هذه الولاية و غير ذلك من الجوانب التي سنعود اليها في المستقبل القريب انشاءالله.

تكتسب تخمينات فيرسين مصداقية اكبر اذا اخذنا بنظر الأعتبار نشره لها بعد تقاعده عن العمل بل و بعد زوال عصبة الأمم و مرور عقدين من الزمن تقريبا على انتهاء مشكلة الموصل. أي انه

كان في حل عن التزامات العمل و الوظيفة الرسمية التي تفرض على الانسان اخفاء بعض القضايا الهامة و الحساسة او السكوت عنها لعدم اثارة الاخرين. كما ان مرور حوالي العقدين من الزمن على وضع نهاية للمشكلة و تطور العلاقات السياسية بين تركيا و العراق الى مرتبة التحالف في اطار الحلف الغربي و محاربة الحركة القومية الكردية و اختفاء عصبة الأمم من المسرح العالمي، تفرض علينا ان نعتقد بانه لم يكن من مصلحته و لا من مصلحة أي من الأطراف الدولية ان يتلاعب بالحقائق التاريخية و المعطيات الأحصائية.

على حد علمي لم يجر استخدام المعلومات و البيانات الواردة في مذكرات فيرسين هذه لحد الآن في الدراسات الخاصة بمشكلة الموصل و القضية الكردية.

يشير الكاتب في الصفحات 159 و 160 من مذكراته الى التركيب القومي لسكان ولاية الموصل و هو ما سنركز عليه في هذا المقال. بلغ عدد الكرد برأيه في لواء السليمانية (190000) شخص و العرب (75) و كان هناك (1550) يهوديا ايضا. اما في لواء كركوك فقد كانت الأرقام كما يلي: الكرد اكثر من (46000) و العرب حوالي (37000)، اما التركمان فقد بلغ عددهم (26000) و المسيحيون حوالي (2500). و في لواء اربيل كان يعيش اكثر من (170000) كردي و (12000) عربي و اقل من (3000) تركماني و (4000) مسيحي و اقل من (3000) يهودي. اما في لواء الموصل فقد كان التركيب السكاني اكثر تعقيدا و تشابكا من المناطق الأخرى برأيه. و كان يسكن اللواء حوالي (120000) من العرب، عاش منهم (74000) في المدينة. كما كان هناك (56000) من الكرد بما فيهم الكرد الأيزديين و حوالي (10000) من التركمان و (55000) من المسيحيين و كان يعيش منهم (19000) في المدينة، فضلا عن (80000) من اليهود عاش نصفهم تقريبا في مدينة الموصل. هذه هي الأرقام التي يشير اليها اينار فيرسين في مذكراته.

ماالذي يمكن استنتاجه من هذه الأرقام و المعطيات؟

اولا: ان الكرد شكلوا اكثر من خمسة اثمان سكان ولاية الموصل و سترفع النسبة حتما الى اكثر من ستة اثمان اذا ما اضفنا الى هؤلاء افراد القبائل الرحل الكردية المتهربة من عمليات التخمين لكي لا تدفع الضرائب و لا تبعث بابنائها الى الخدمة في الجيش العثماني. و قد قدر العديد من المستشرقين و المهتمين بالشؤون الكردية و العراقية عدد ابناء القبائل في تلك الفترة بحوالي (170000) شخص.

ثانيا: في الوقت الذي قدمت الأطراف المختلفة الأرقام التي رفعت من نسبة العرب في الولاية (من جانب الحكومتين البريطانية و العراقية مثلا) او التركمان (من جانب الحكومة التركية) او المسيحيين (من جانب بريطانيا و حتى اعضاء اللجنة)، لم يكن من مصلحة أي طرف رفع نسبة السكان الكرد بل

لجأت الأطراف كلها (كما يحدث في ايامنا هذه) الى التقليل من نسبة الكرد.

ثالثاً: شكل اليهود الفئة الثالثة في الولاية بعد الكرد و العرب اذ بلغ عددهم (84550) شخصاً، جاء بعدهم المسيحيون بطوائفهم المختلفة (61500)، بينما شكل التركمان المجموعة الخامسة و بلغ عددهم الكلي في ولاية الموصل (39000). فقد خلت السليمانية من التركمان رغم الأرقام التي اثارت السخرية و التي قدمها الجانب التركي و اشرنا اليها اعلاه. و في لواء اربيل كانت نسبة التركمان واحداً ونصفاً بالمئة من السكان (مع ذلك نجد في هذه الايام فئة صغيرة من المتطرفين التركمان و معها شلة من العرب الشوفينيين تزعم بأن اربيل مدينة تركمانية!!). بينما شكل التركمان في كركوك حوالي خمس السكان (و لم تتجاوز نسبتهم في لواء كركوك هذا الرقم في يوم من الأيام و مع ذلك يمكن ان يزعم احدهم و دون الأعتماد على اية معطيات احصائية رسمية او مصادر علمية موثوق بها ان نسبة التركمان فيها تصل الى 50 او حتى 75٪ من مجموع السكان! و سيعيدون الى المدينة نصف مليون تركماني!. للتذكير فقط نقول بأن نسبة الذين اعتبروا اللغة التركمانية لغتهم الأم بلغت 21٪ من مجموع سكان اللواء بموجب احصاء عام 1957). و هكذا و حسب الأرقام التي يوردها فيرسين شكل التركمان نسبة 6٪ فقط من سكان ولاية الموصل و كان عدد الكرد يفوق عدد التركمان في الولاية بحوالي اثنتا عشرة مرة. و عندما نسمع او نقرأ اليوم بأن عدد التركمان في العراق يصل الى ثلاثة ملايين، يجب ان نفترض بأن عدد سكان ولاية الموصل السابقة يبلغ حوالي 60 مليونا و عدد الكرد اكثر من 35 مليونا، و هذا امر لا يمكن لأي عاقل ان يفكر به. اعطى الجانب التركي اعلى الأرقام عن نسبة التركمان في ولاية الموصل و كان 146920 شخصا (وهو امر لم يصدقه حتى الأتراك بانفسهم اذ عادوا و قدموا رقما اخر و هو 126210. يبدو لي انهم حذفوا عشرين الفا من تركمان السليمانية!!).

و لكن حتى في هذه الحالة و اذا سايرنا مزاعم بعض الكتاب التركمان لوجب ان يكون عدد الكرد في العراق اكثر من عشرة ملايين. لذلك نتمنى مخلصين ان يعود هؤلاء الى المعطيات الأحصائية المنشورة و المصادر العلمية، لأن فهم هذه الحقائق ستفتح الافاق امام انتهاج سياسات واقعية و البحث عن حلول للقضايا بدلا من تهويل الأمور و التشبث بامال و اوهام يستحيل تحقيقها على الصعيد العملي. بعد هجرة اليهود من العراق في نهاية الأربعينيات و بداية الخمسينيات اصبح المسيحيون يأتون في المرتبة الثالثة بعد العرب و الكرد و بخاصة اذا اضفنا الى اعدادهم في ولاية الموصل اولئك الذين يعيشون في بغداد و المناطق الاخرى من العراق. و رغم هجرة اعداد كبيرة من المسيحيين من العراق خلال العقود الماضية، الا انه يعتقد بأنهم مازالوا يشكلون الفئة السكانية الثالثة بعد العرب و الكرد. و معروف بان التركمان تركزوا اصلا في ولاية

الموصل السابقة و هاجر عدد كبير منهم خلال العقود الأخيرة الى العاصمة بغداد. لذلك اعتقد بأن الزعم بأن التركمان يشكلون القومية الثالثة في العراق لا يستند الى اسس راسخة و لا تدعمه الحقائق و الوقائع.

رابعا: بعكس ما يثار من ضجيج عن تعقيدات التنوع الأثني و الديني في كركوك لأسباب لا تخفي على اللبيب، الا ان محافظة الموصل تعتبر اكثر تعقيدا و تشابكا. ففي الموصل يعيش العرب و الكرد و التركمان و الكلدان و الاشوريون و الأرمن من الناحية القومية. و من الناحية الدينية و المذهبية يعيش المسلمون السنة و الشيعة و المسيحيون البروتستانت و الكاثوليك و الارثذوكس و الكنائس الشرقية المختلفة فضلا عن الأيزديين و الشبك و غيرهم. لماذا هذا الصراخ و العويل في الصحافة و وسائل الأعلام العربية و التركية و غيرها حول كركوك و لا يثير كل هذا التنوع الأثني و الديني و المذهبي في الموصل شيئا من الفضول ليس الا؟!!. هل نشم رائحة كوبونات ام ابار النفط من وراء هذه الضجة المفتعلة ام ماذا؟.

خامسا: تختلف الأرقام الواردة في مذكرات فيرسين عن الأرقام التي قدمتها الأطراف المختلفة و التي تضمنها تقرير اللجنة الى مجلس عصبة الأمم و كان هو مقررا لها. و تبدو بياناته قريبة الى حد ما مع التقديرات التي قدمها الجانب البريطاني. مع ذلك يبدو ان فيرسين لم يقتنع كليا بتلك الأرقام التي قدمت الى المجلس و الا لكان التزم بها او باحدها و اعاد نشرها في مذكراته هذه. و ظهر هذا الموقف المتشكك بوضوح في التقرير المقدم الى عصبة الأمم. ففي الوقت الذي كانت الأطراف المتصارعة على ولاية الموصل تطعن في تقديرات و حجج بعضها البعض، كانت البعثة تشكك في دقة و مصداقية البيانات المقدمة من قبل جميع الأطراف، اذ جاء في تقريرها المقدم الى المجلس انها: (وجدت ان البيانات المقدمة من قبل الأتراك و كذلك المقدمة من قبل الانجليز بل حتى بيانات الحكومة العراقية غير دقيقة و ان الحجج التي استندت الى تلك الأرقام مشكوك فيها. فبينما تبالغ الحكومة التركية بعدد التركمان في الولاية، فان الحكومة البريطانية لا ترى انهم يشكلون سوى 8٪ من مجموع سكان، في حين تقل نسبتهم في البيانات العراقية عن 5٪ من مجموع سكان الولاية. و كذلك كان التباين كبيرا فيما يتعلق بنسبة العرب التي تراوحت بين اقل من 9٪ في ضوء البيانات التركية الى نحو 24٪ في البيانات البريطانية و نحو 21٪ في تقديرات الحكومة العراقية. بينما كان التباين اقل في التقديرات الخاصة بكرد الولاية فقد كانت نسبتهم 56٪ من مجموع سكان الولاية وفق التقديرات التركية و 65٪ حسب البيانات العراقية و 58٪ حسب التقديرات البريطانية). يمكن ان تشكل بيانات فيرسين مصدرا اخر من مصادر دراساتنا لمشكلة ولاية الموصل و لالقاء الاضواء بصورة اكثر وضوحا على التركيب الأثني للسكان انذاك و الذي تعرض على مدى العقود الثمانية الماضية الى تغييرات دراماتيكية كبيرة.

الكرد: نبذة وجيزة

الجزء الأول من الفصل الثالث

مهرداد ئيزادي

ترجمة عن الأنجليزية: هادي محمد

التأريخ

اعادة بناء التأريخ الكردي من المهام الصعاب. و يضم غالبا الأقحام (اضافات –المترجم-) "*interpolation*" و الاستنتاج او التقدير الاستقرائي (*extrapolation*) من جملة متنوعة من المصادر لم تكتب للكرد و لا حول الكرد. تمت كتابة التأريخ الشرق أوسطي غالبا (و ان لم تكن دائما) من قبل الأطراف المهيمنة عليه، و في زمن جد قريب من قبل الدول القومية الحديثة. لم يكن الكرد مهيمنين لأكثر من 800 عام. و النتيجة هي انه قد تم تجاهل أسهامات كردية في التاريخ، أو حصل ما هو أسوأ، و هو الاستيلاء على تلك الاسهامات من قبل شعوب أخرى (فيما يخص من و ما يعتبر كرديا في هذا العمل أستشر **المقدمة** و **الهوية القومية**). من شأن أي جهد رائد يبذل لإعادة بناء التاريخ الكردي من فتات مطمورة و مهملة منذ وقت طويل، من شأنه ان يثير تساؤلات و يولد الجدال، بغض النظر عن مدى شدة البحث في أهتمامه بالتفاصيل. ينبغي توقع ذلك لأنه يتحدى الوضع الراهن. فإذا ما استطاع هذا العمل أن يحث على اجراء مزيد من البحث و الاستقصاء العلميين، سيكون قد اوفى بغرضه.

زمن ما قبل التأريخ و التطور التقني المبكر: 10000 الى 3000 لما قبل الميلاد

تعد هذه الفترة على الأرجح الفترة الأكثر جدارة بالإلتفات في تأريخ كردستان. التقدم التقني و الاكتشافات المنجزة في الاراضي الكردية المرتفعة في الـ 7000 آلاف سنة التي سبقت نشوء ميزوبوتاميا (3000 لما قبل الميلاد) غيّر و الى الأبد مسار التأريخ البشري كما غير وجه هذا الكوكب الى غير ما كان. كثير مما انجزته حضارة الأراضي المنخفضة

لميزوبوتاميا قبل 5000 عام، بدأت 7000 عام قبل ذلك في الجبال و الوديان المجاورة في كردستان (أي مجاورة لأراضي ميزوبوتاميا المنخفضة – المترجم). ان الدلائل الأثرية و تلك المتعلقة بعلم الحيوان و النبات على الأهمية القصوى لكردستان في تطور الحضارة لهي دلائل وافرة و موثقة بشكل جيد.

تنتشر مواطن الكهوف (أي الكهوف المستخدمة كموطن للبشر –المترجم) الخاصة بالعصر الحجري القديم و الأوسط (أي ما يعود تأريخه لما قبل 10000 عام) هنا و هناك بأعداد كبيرة في كردستان الجنوبية و المركزية. و يعود تأريخ مستوطنات الكهوف في بيستون "*Behistun*" (جبل بيستون) في الجنوب الى حوالي 100000 عام، بينما يعود تأريخ مستوطنات الكهوف في شانيدار الى 55000 عام. التقدم التكنولوجي و التعبير الفني لثقافات العصر الحجري القديم و الأوسط تلك متماثلة الى حدما مع ثقافات المستوطنات الأخرى في الشرق الأوسط و اوروبا الجنوبية.

و على العكس، فكان لفترة العصر الحجري الحديث في كردستان طبع مختلف اختلافا جوهرياً. يبدو الآن أن كردستان كانت موقعا رئيسا، ان لم تكن ***الموقع الرئيس***، لثورة العصر الحجري الحديث. أجتاز قاطنو كردستان مرحلة غير مفسَّرة من التطور التكنولوجي المتسارع، وازعا اياه قوى غير معروفة على وجه التحقيق حتى ذلك الحين. و أنهم سابقوا نوعا ما بشكل سريع المجتمعات المحيطة بهم و التي كان معظمهم بين المجتمعات الأكثر تقدما من الناحية التكنولوجية في العالم، ليشرعوا في التحول من الاقتصاد متدني الكثافة المتميز بالصيد و جمع الثمار الى أقتصاد عالي الكثافة متميز بإنتاج الأغذية.

كانت كردستان، المحيط الشمالي الجبلي للهلال الخصيب التأريخي، كان موطن تطوير و تطبيق تقنيات محلية و أقتصادية مبكرة كثيرة و طرق لإنتاج الأغذية. جملة ذات أهمية كبيرة من الأدلة الأثرية تشير الى الجبال الكردية كونها موقعا لإبتكار الزراعة منذ حوالي 12000 عام (***Braidwood 1960***). و أنتشرت هذه التكنولوجيا الثورية فيما بعد من الجبال الكردية الى أراضي ميزوبوتاميا المنخفضة المجاورة و الى تلال اناضول الغربية و هضبة ايران. و منذ حوالي 8000 عام كانت قد أنتشرت اكثر الى شمال أفريقيا و اوروبا و شبه القارة الهندية. و بذلك تكون كردستان الموطن الأصلي لكثير من المحاصيل الشائعة و الحيوانات المدجنة (***Ucko and Dimbleby 1969; Berg and Protsch 1973; Wright 1969***).

بدأ الانتقال من جمع الأغذية الى انتاج الأغذية داخل النطاقات الجغرافية الطبيعية لأسلاف الوحوش للحيوانات و النباتات المدجنة الأوائل و التي تقع في المنطقة العامة لجبال زاكروس (***Braidwood and Howe 1960, 1962; Braidwood 1972***). أضف الى ذلك، تشير البراهين الموجودة بقوة الى أن سفوح الجبال و الوديان الواقعة

بين الجبال على طول السلاسل الجبلية الكردية (مع رعن "أي أنف الجبل –المترجم-" يمتد الى الأسفل الى داخل سامرة) تشير اليها كونها السياق الجغرافي الرئيس لهذا الانتقال (*Whallon 1979*).

و بالطبع جعلت الزراعة من تدجين الحيوانات و النباتات المتطلبة شيئاً ضرورياً. و قد قام بتدجين أسلاف قمح و شعير و جاودار و شوفان و بسلّي (البازلأ –المترجم-) و عدس و فصفصة و كروم عصرنا الحاضر لأول مرة، أسلاف كرد عصرنا الحاضر قبيل الألفية التاسعة لما قبل الميلاد. و لاتزال تنبت الأنواع (*species*) البرية لأكثر أنواع الحبوب و البقوليات شيوعا كأعشاب غريبة في زاكروس و شرقي طوروس و بدرجة أقل في جبال أمانوس (**أنظر الأرض و البيئة**).

و تم أكتشاف بقايا لبعض مواعز و نعاج و كلاب و خنازير حيث تم تدجينها لأول مرة في ثلاثة مواقع أثرية رئيسة في كردستان و هي: جايونو"*Cayonu*" (الواقع قرب ديار بكر المعاصرة في كردستان الغربية) كنجي داره "*Ganj Dara*" (الواقع في الشمال الغربي لكرمنشاه في كردستان الجنوبية و الذي يعود تأريخه لما قبل 10000 عام)، و جرمو "*Jarmo*" (الواقع شمال السليمانية المعاصرة في كردستان المركزية و الذي يعود تأريخه لما قبل 8000 عام).

بحلول بداية الألفية الثامنة لما قبل الميلاد كانت لمعظم المجتمعات (*community*) الزراعية في كردستان حيوانات مدجَّنة. و تضيف ثروة بقايا المعدات الزراعية و معدات معالجة الحبوب و احجار الرَحى و هاونات و مدقاتها الى السجلات (*pollen records*)[1] كدليل راسخ على ترسيخ الزراعة في كردستان في ذلك العصر.

و النمو الاستثنائي للسكان و الانتاج، و المتمخض عن عمليات التقدم هذه أدى الى استكشاف و ابتكار تقنيات كثيرة أخرى. واصلت حضارة كردستان سيرها على طريقها التقني الثوري لتبتكر أو تساهم بشكل كبير في علم المعادن (*metallurgy*) و الحياكة الشائعة و صناعة الفخار باستخدام النار و كذلك التقدم في فن العمارة و التمدين و الكتابة.

و أصبح المجتمع في جايونو أحد أقدم المجتمعَين في العالم الذي ثبت وجود علم المعادن فيه (*Braidwood 1969, Caldwell 1967*). و يعود تاريخ الأدوات النحاسية التي تم اكتشافها هناك الى النصف الأول للألفية الخامسة لما قبل الميلاد. و البرونز، و هو أشابة (خليط من معدنين أو أكثر – المترجم-) من النحاس و القصدير، و هو أكثر صلابة و أكثر فائدة من النحاس و يذوب في درجة حرارة أدنى، الأمر الذي يجعل من العمل عليه أكثر سهولة. و تظهر أدوات برونزية في جايونو مبكرا في الألفية الرابعة لما قبل الميلاد – أي قبل 2000 عام بالكامل من ظهورها في أوروبا.

و ما سهّل عمليات التقدم الحاصلة في علم المعادن كان دُنو خامات المعادن الضرورية. بينما تفتقر السهول الغرينية لميزوبوتاميا افتقارا كاملاً للرواسب المعدنية، تزخر جبال زاكروس و طوروس و أمانوس و

كذلك التكوينات البركانية في يهودا بهكذا رواسب. و في الحقيقة يمكن تسمية المنطقة التي تتمحور حول جايونو بأقدم موقع صناعي غابر في العالم بالمعنى الصحيح، بما ان صناعة السلع من صهر و تأشيب النحاس التي بدأت هناك قبل حوالي 7000 عام تتواصل ليومنا هذا(أنظر **الموارد الطبيعية و المعادن**).

و في نفس الوقت، تظهر و لأول مرة في جايونو و كذلك في كنجي داره (على الجانب المقابل لكردستان قرب كرمنشاه) صناعة الفخار التي تستخدم فيها النار (مع تمَيثيلات "أي تماثيل صغيرة –المترجم-" مصنوعة من الصلصال باستخدام النار) في أوائل الألفية الثامنة لما قبل الميلاد (*Majidzadeh 1975*). بينما كانت الأواني عادة من الحجر أو الخشب أو الجص أو السّلال (جمع سلة – المترجم-) في فترة العصر الحجري الحديث، احدث ظهور الفخاريات طويلة البقاء و متعددة الاستخدامات ثورة في الحياة المنزلية، و ثبت أن المجتمعات الأخرى كانت تسعى وراء تلك التقنية سعيا حميماً. و انتشرت بسرعة كبيرة جدا الى المناطق المجاورة و اصبحت واسعة الانتشار في جميع ارجاء الشرق الأوسط في مدة اقل من 1000 عام، حوالي 7000 عام لما قبل الميلاد (*Roaf 1990, 42*).

قرب كنجي داره (*Ganj Dara*)، في تلة سي كابي (*Seh Gabi*) القديمة يظهر ايضا النموذج الأول في العالم للفخاريات المزجّجة قبل حوالي 3500 لما قبل الميلاد و التي تسبق تقنية التزجيج في ميزوبوتاميا و الصين بـ 2000 عام (*Vandiver 1990; Levine 1974*). تم بحث مشاركة كردستان في تطوير تقنية الحياكة (أو النسيج –المترجم-) في المدخل المعنون بـ (**السجادات و البناء**).

في أواخر الألفية الثامنة لما قبل الميلاد اصبح المجتمع الكردستاني معقداً على نحو كاف بحيث تكون بحاجة الى سجلات للتبادلات التجارية. تظهر هذه السجلات لأول مرة في كردستان كالواح طينية صغيرة (*tokens*) و بأشكال مختلفة، حيث يرمز كل شكل الى مادة معينة للتجارة و الى رقم معين. و بدأت الالواح الطينية الصغيرة تحمل علامات أضافية قبل 7500 عام. بما أن المدلولات التي كانت تحملها تلك العملات الطينية ازدادت تعقيداً لكل تعامل تجاري، كانت العملات توضع في غلاف طيني و كانت في بعض الأحيان تربط ببعضها البعض من ثقب في وسط العملة كي يشكل تسلسل العملات جملة (*Schamandt-Besserat 1986, Nissen, 1986*).

بحلول 3000 لما قبل الميلاد، كان قد أصبح الغلاف الطيني نفسه السجل، و بذلك حل محل الالواح الطينية الصغيرة. ما زالت اللوحات الطينية المسمارية القديمة تحتفظ بالمظهر الناتئ لاغلفة العملات القديمة دون أن تكون فيها أي عملات في الداخل. بدأت الكتابة بالمعنى الحديث للكلمة على هذه الصورة.

فالعلامات المسمارية الصورية المبكرة هي في الحقيقة رسومات (*impressions*) للعلامات، و لكنها سرعان ما تطورت الى اشكال اكثر رمزية وزادت

تعقيداً أيضاً (*Green 1981*). كما كانت الحال بالنسبة للمجالات الأخرى، فاقت ميزوبوتاميا كردستان في تطوير الكتابة بحلول بداية الألفية الثالثة لما قبل الميلاد. في كردستان و في جبال زاكروس تواصل استخدام نظام الالواح الطينية الصغيرة الأكثر بدائية و الأكثر خصوصية بذلك البلد، كوسائل أولية لحفظ السجلات لفترة أطول. شهدت الكتابة تطوراً سريعا في ميزوبوتاميا، و أستخدمت في كردستان فقط في العلاقة مع الاواح الطينية الصغيرة. و ظهرت لأول مرة في كودين (*Godin*) قرب كنكاور (*Kangawar*) الحديثة في كردستان الجنوبية قبل 4500 عام، اللوحات الطينية التي حملت سجلات مكتوبة بكتابة تصويرية عرفت بـ "العيلامية الأم او الأصلية" و ذلك في غياب مصطلح أفضل استخداما منه. أذا اعتبرنا نظام الالواح الطينية الصغيرة في ذاته لا-كتابة (أي اذا لم نعتبره كتابة –المترجم-)، يجعل هذا التأريخ من كردستان موطناً لأحد أقدم المجتمعات التي عرفت القراءة و الكتابة في العالم، و المجتمع الثاني الوحيد الذي يجاور ميزوبوتاميا، مع مستوى غير معروف من التأثير في تطورات مشابهة في الهضبة الايرانية المجاورة.

ساعدت الموارد الغذائية الهائلة و المستويات المعيشية العالية على ازدهار السكان في كردستان. و في وقت قصير نسبياً، أزداد سكان كردستان في الأقل عشرة اضعاف، أي من ما يقارب 15000 نسمة في 10000 لما قبل الميلاد الى حوالي 150000 نسمة في 9000 لما قبل الميلاد. برزت دُول، او بالأحرى دول-مدينة "*city-states*"(جمع دولة مدينة أي دولة قائمة على مدينة واحدة –المترجم-) لأول مرة الى حيز الوجود في حوالي الألفية الثامنة لما قبل الميلاد (*Wright 1977*).

أصبحت مواقع جايونو (*Cayonu*) و اويلوم (*Oylum*) و هويوك (*Hoyuk*) و تيتريش (*Titrish*) (في كردستان الغربية) و جَرمو (*Jarmo*) و تبه كه وره (*Tapa Gawra*) (في كردستان المركزية) و كنجي داره (*Ganj Dara*) و جيان (*Giyan*) (في كردستان الجنوبية) و مع اريحا في يهودا، اصبحت أولى المجتمعات الحضرية على ظهر هذا الكوكب، رغم أن هذه "المدن" كانت متواضعة جداً من حيث الحجم (1000 – 1500 ساكن). و في ذلك العصر، اقتصر بالطبع معظم بقية العالم على السكن في الكهوف. كانت لتلك المواقع الحضرية معابد متواضعة و أتبعوا بوضوح بالغ خطة للعلاقة المكانية بين المباني مع بعضها البعض و مع محيطها العام. كما عُينت مواقعها ستراتيجياً في المنظر الطبيعي(*landscape*) و ذلك بغية الانتفاع منها أقصى انتفاع في التجارة و الزراعة و الدفاع.

ان السخاء الطبيعي للأرض و سهولة الدفاع عن المنظر الطبيعي الجبلي جعلا من توسيع البيروقراطيات (النظام الديواني الاداري أو نظام حكم المكاتب –المترجم-) الناشئة و الجيوش غير ضروري حيث ابقوا على الحكومات المحلية صغيرة و من سلطتها القانونية(أو مداها –المترجم-) محدودة.

و على العكس من ذلك، ففي السهول الغرينية المجاورة لميزوبوتاميا، جعلت الحاجة الى الادارة المستمرة للموارد القليلة (عن طريق أعمال الري و السيطرة على الفيضانات) و الدفاع عن المنظر الطبيعي المكشوف (المعرض للخطر –المترجم) جعلا وجود قسط كبير من التنظيم البيروقراطي و قوة عسكرية قائمة، شيئاً ضرورياً. و نمت المدن مع نمو الحكومات. كانت مدن ميزوبوتاميا الأقدم، أي مدن السومريين و الأكديين، كمدن أريدو و نيبور و أور و اوروك، كانت في المعدل عشرة اضعاف مدن كردستان من حيث كثافة السكان اذ كان لديهم حوالي 10000 – 15000 ساكن و أنظمة دفاع هائلة و مَهيبة (*formidable*).

و صلت الحضارة في كردستان اوجها في الازدهار أثناء الفترة التي تسمى بفترة هلَف (*Halaf*) الثقافية، حوالي 6000 – 5000 عام لما قبل الميلاد. و تمت تسمية الفترة باسم رابية هلَف القديمة في كردستان الغربية، الواقعة غرب ماردين (الخارطة 12). تميزت ثقافة (*culture*) هلَف بانتشار وحدات سكنية دائرية متماثلة و مبنية بناءً جيداً و انتاج فخاريات مصنوعة بمهارة و مصبوغة باتقان و تأنق. يبدأ تاريخ اولى الأدلة الراسخة للتجنسة (*homogenization*) الثقافية لقاطني كردستان من فترة هلَف و التي تتألف من تواحُد أو تطابق (*uniformity*) التعبير الفني و الثقافة المادية التي توجد في أطراف كردستان المختلفة(*Roaf, 1990, 51*). هذه الوحدة أو التواحد في طراز البناء و فنون الزخرفة على درجة من القوة بحيث حدت بكثير من علماء الآثار الى الإيحاء بوجود وحدة أثنية بين الناس الذين قاموا بتطبيقها (*Von Oppenheim 1931*). على نحو مثير للدهشة، ما زال كثير من العناصر الزخرفية لثقافة هلَف باقية حتى الآن في الفن الكردي المعاصر (*Mellaart 1975*) (أنظر **التصاميم الزخرفية و الموتيفات**[2]).

بحلول ختام فترة هلف، كان مستوى حضارة بلاد ميزوبوتاميا المنخفضة و تطورها التقني قد وصلا الى حد يجاريان فيه تلك العائدة لبلاد كردستان المرتفعة. و كانت قد تفوقت بوضوح على كردستان بحلول بداية ما يسمى بالحقبة التأريخية (*Historical Era*) ، حوالي 4000 عام لما قبل الميلاد، و تدشين فترة الثقافة الخورية *Hurrian* في كردستان. تزامنت هذه الحقبة الجديدة مع ظهور واسع النطاق للكتابة و توسع للحكومة و اضفاء الصفة المؤسساتية (*institutionalization*) على الدين (أي جعله مؤسسة –المترجم) و التفجر الحضري و ما يُشاع تسميته بـ "الحضارة المتعلمة" (أي غير أمّية تعلم القراءة و الكتابة –المترجم) تنتقل من "ما قبل التأريخ" الى "الحقبة التأريخية".

تكنولوجيا الزراعة
و انتشار اللغة الهندو-اوروبية

تعرض الآن بضع نظريات جديدة، يناصرها كولن رينفرو (1988)، بأن تكنولوجيا جديدة الا

وهـي الزراعـة، كانـت القـوة المحركـة وراء الانتشـار الأصلي للغات الهندو-اوروبية. تجزم هذه النظريات بأن متحدثي اللغة الهندو-اوروبيـة الأصلية (الهنـدو-اوروبيـــــــة الأم –المترجـــــــم-)، لغـــــــة أورســـثراش"*Ursprache*" الوهميـة، وسَـعوا مـن مملكـتهم مـن خـلال انتشـارهم الى اوروبـا خفيفـة السكان و غير الزراعية و مـن ثـم الى السهوب (جمع كلمة السهب التي تعني سـهلاً واسـعاً معشوشـباً خاليـاً مـن الأشـجار –المترجـم-) الأوراسـية مـن أناضـول الزراعيـة الكثيفـة السـكان. و بـذلك انهـم يضـعون المـوطن الأصـلي لأسـرة اللغـات الهنـدو-اوروبيـة في منطقـة تتمحـور حـول جتـل هويـوك (*Chatal Huyuk*) جنـوب أناضـول المركزيـة. يعـود تـأريخ الزراعة في جتل هويوك كما أقر بذلك رينفـرو و تم عرضه أصلاً مـن قبـل منقب تلك المنطقة جيمس ميلارت (1975)، الى الألفية السابعة لما قبل الميلاد فقط، أي بعد أكثر من 2000 عام من أظهار مواقع أثرية عديدة تم اثباتها في كردستان المجاورة (مثـل جـايونو قـرب ديـاربكر) اظهارهـا وجـود مجتمعـات زراعيـة متطـورة مـع تقنيـات فرعيـة متقدمـة. و انتشـرت تكنولوجيـا الزراعـة مـن كردسـتان باتجـاه غرب أناضول بعد حوالي 3000 سـنة مـن ابتكارهـا هنــاك. و التحــق كاتبــان ســوفيتيان و همــا؛ ت. كمكريلـدز (*T. Gamkrelidze*) و ف. ايفـانوف (*V. Ivanov*)(1990) بالمجموعـة الـتي تـربط أصـل و انتشار اللغات الهندو-اوروبية بابتكـار الزراعـة. الا أن هـذين الكـاتبين يضـعان المـوطن الأصـلي في الجنـاح الشرقي لكردسـتان و جنـوب القفقـاس. و علـى نحـو يـدعو الى الحـيرة، أن كليهمـا يتجـاهلان الحقيقـة الموثقة جيداً التي مفادها ان الزراعة كانت موجـودة بكامـل القـوة في منـاطق متعـددة داخـل كردسـتان بفترة طويلـة قبـل وجودهـا في المنـاطق المحيطـة (أي البعيدة عـن المركـز –المترجـم-) في القفقـاس و جتـل هويوك.

رغم وجود جدال شديد حول هذه النظريـات الا انها و عن غير قصد ترفع من شأن أناضول الشرقية، أي "كردسـتان" أقـدم مـوطن للزراعـة، ترفعهـا الى مرتبة الموطن الأم لأسرة اللغات البالغة الأهمية هذه. أتفـق تمامـاً مـع مـالوري (1989) في رفضـه هـذا النموذج الذي كان سيكون لافتاً لو كان بخـلاف ذلـك، لأنه يخلف وراءه أسئلة عديدة أكثر بكثير مما يحاول معالجتهـا. أضـف الى ذلـك، تجعـل منـاهج البحـث الخاطئـة، مقرونـة بعـدد مـن تباينـات جغرافيـة و تأريخيـة مهمـة، تجعـل مـن هـذه النظريـات عرضـة للشك في أحسن الأحوال.

التأريخ القديم: 3000 – 400 لما قبل الميلاد

تتسـم هـذه الفـترة بكـون ثقافـات ميزوبوتاميـا المجاورة القت بظلالها علـى كردسـتان مـن الناحيـة التكنولوجية و التجارية المتصاعدة. كما آذنـت هـذه الفـترة بصـراع علـى السلطة بـين القـوات العسـكرية للجبال (كردستان) و بـين القـوات العسـكرية لسـهول الهـلال الخصـيب (ميزوبوتاميـا و سـوريا) للسـيطرة السياسـية و الاقتصـادية علـى هـذه الأرجـاء الأكثـر

حضارة و غنى بين أرجاء هذا الكوكب. تتواصل التقدمات و التراجعات المتعاقبة من قبل الطرفين في صراعهما للتفوق، ليومنا هذا. كما تتسم الفترة القديمة بمجيء الآريين و بدء تحول كردستان الى مجتمع متحدث باللغة الهندو-اوروبية و التي تأوجت في الفترة الكلاسيكية.

لم يتم حل شفرة (أي لم تتم قراءة –المترجم-) و ترجمة مضمون الألواح المكتوبة المكتشفة بالتنقيب حتى الآن في كردستان و التي تم تصنيفها و تسميتها تجريبا بـ"العيلامية الأم". لذلك تظل هذه المصادر الأولية لتأريخ الكرد القديم غير قابلة للتوصل اليها في هذا الوقت. و بالنتيجة، تحب اعادة بناء تأريخ هذه الفترة باستخدام سجلات الحضارات المجاورة قدر اشارة هذه السجلات الى قاطني الجبال الكردية. يمكن ربط اشارات عدة كهذه الآن فقط باسماء عشائر و مناطق كردية حديثة معينة و ما شابه. الا ان الأسم قوتيل (*Qutil*) يمكن أن يقدم الينا اقدم صيغة للمصطلح الأثني **كورد** (*Kurd*) (أنظر **الهوية القومية**).

بين مملكات و مدن-دولة (*City-States*) مستقلة عديدة في كردستان قبل وصول الميديين الموحّدين الى الواجهة (حوالي 1100 لما قبل الميلاد) كانت مملكات كوموخو (*Kummuhu*) و ميليدي (*Melidi*) و كوركوم (*Gurgum*) و اونكي أو اونقي (*Ungi, Unqi*) و كومانو (*Kamanu*) و كاشكو (*Kasku*) و نائيري (*Nairi*) و شوبريا (*Shupria*) اوركيش (*Urkish*) و موشكو (*Mushku*) و اورارتو (*Urartu*) و نمار (*Namar*) و سوبارو (*Saubaru*) و كورتي او قورتي (*Qurtie*) و ماردو (*Mardu*) و لوللوبي(*Lullubi*) و كاردو (*Kardu*) و زاموا (*Zamua*) و ايلليبي (*Ellipi*) و الأكثر أهمية منها مملكةماننا (*Manna*) و قوتيل (*Qutil*). و تعرف تلك الملكات و مدن-الدولة في وقتنا الحاضر بشكل رئيس من خلال أسمائها الميزوبوتامية، حيث تنتظر أسماؤها الأصلية أن يتم أكتشافها. و من جهة أخرى خلف بعضها آثارها في أسماء لمناطق أو لعشائر كردية حديثة. و أسم موشكو (*Mushku*) باق اليوم في مدينة و منطقة موش (موس) في شمال غربي كردستان. قبل غزوهم من قبل الملك الآشوري تيغلات فلايسر الأول (1114 – 1076 لما قبل الميلاد) كان بمقدور هذه المملكة أنزال 20000 عشرين الف جندي الى الميدان و يعتقد الآن بأنها تسببت في السقوط النهائي للحثيين في أناضول (*Roaf 1990*). و تم الاحتفاظ بأسم ماردو في الميثولوجيا الكردية كشخصية مارد الأنثربومورفية[3] و هو أحد الأجداد الأعلى للأمة. كما هو باق أيضا في أسم "مدينة" ماردين غربي كردستان. و قد أعطى الميليديون (أي أهل مملكة ميليدي المذكورة آنفا –المترجم-) أسمهم الى مدينة ملاطية التي تقع ايضا في كردستان الغربية، بينما تم الاحتفاظ بأسم اللولوبيين (أهل مملكة لوللوبي المذكورة آنفا –المترجم-) في الأسم الأثني للور "*Lurs*" (خارطة 13).

و في أواخر الألفية الثالثة لما قبل الميلاد نجح أهل مملكة قوتيل في التوحيد السياسي لكثير من مدن=الدولة التابعة لهم و قاموا بالنتيجة بغزو طامح خارج كردستان (الخارطة 14). و اسسوا سلالة حاكمة جديدة في بلاد سومر و أكد التي دامت من 2250 الى 2120 لما قبل الميلاد. تعد غزوات القوتيليين لأراضي سومر و أكد المنخفضة الغزوات الوحيدة التي توجد سجلات تأريخية بشأنها، و لكن قد لا تكون الغزوات الوحيدة التي تم انجازها.

يكتب الملك الأكدي نَرام سين (2291 - 2255) حول القوتيليين " ... وسط الجبال نشأوا، أصبحوا يتسمون بطاقات و صفات رجولية، , اكتسبوا أعتباراً و مكانة...." و بعد خمس سنوات من وفاة نرام سين، فتح أهل الجبل هؤلاء انفسهم مملكته. يذكر السومريون في الأقل أحدى هذه العشائر المحاربة للقوتيليين الذين ما زالوا معنا ليومنا هذا. و هؤلاء هم الزيباريون الذين سموهم السومريون بسوبيرو أو سوبارو(*Subiru or Saubaru*). الزيباريون ما زالوا يعيشون في نفس الموقع العام الذي أشارت أليه كتابات سومرية يبلغ عمرها أربعة آلاف عام - شمال مدينة أربيل العراقية في كردستان المركزية. و تحتفظ اللوحات السومرية أيضا بأسم ملك قوتيلي أسمه تيريكن(*Tirigan*). و تيريكن هو أيضا أسم لعشيرة كردية مهمة في الفترة الكلاسيكية المتأخرة الا وهي تيريكان (*Tirikan*) الذين ما زالوا يعيشون شمال الزيباريين. ربما تكون هذه العشيرة قد أعطت أسمها لحاكم آخر من اصل كردي و هو تيكران (*Tigran*)؛ ملك الأرمنيين (القرن الثاني لما قبل الميلاد) (أنظر **العشائر و التأريخ الكلاسيكي**).

أتت المآثر الفعالة للقوتيليين في أوج فترة تجنسة للمجتمع الكردي نتيجة لعلميات الهجرة التي قام بها الخوريون. كان الخوريون يتحدثون لغة، او مجموعة لغات، من أصل شمال شرقي قفقاس و ذات صلة قرابة باللغة الجورجية و الشيشانية و الآفارية الحديثة(*Diakonov and Starostin*). انتشر الخوريون ليعموا كردستان قاطبة و ليحدثوا تغييرا ثقافيا و ربما لغويا على كل شعوب زاكروس القديم، موحدين اياهم ضمن هوية جديدة (أنظر **الهجرات التأريخية**) (ويلهيلم 1989). المصطلح الأصلي الوحيد الباقي الذي يخص تلك الفترات القديمة هو مصطلح يتعلق بفن الحكم. انها الكلمة القوتيلية أيَنزي أو يانزي (*ianzi or yanzi*) و التي تعني "شخص حاكم" لتلك الدول-مدينة في زاكروس. و مازال أثر أكثر اهمية بكثير لما تبدو أنها ثقافة ليبرالية سياسية لتلك الدول (دول-مدينة -المترجم) القديمة في كردستان مازالت باقية لحد الآن. نفهم بشكل غير مباشر من اللوحات الآشورية بأن على الأقل حاكم دولة المانائيين في كردستان الشرقية (حيث يحتمل أن تكون عاصمتها واقعة في موقع حَسنلو (*Hasanlu*) الأثري) شغل منصباً أكثر ديمقراطية بكثير، و ذلك على النقيض من التقليد السياسي الاستبدادي المعاصر لسكان اراضي ميزوبوتاميا المنخفضة. ساهم المواطنون اسهاما فعّالا

في الحيـاة العامـة. و يكتـب أ. م. ديـاكونوف و هـو شخص ذو معرفة يمكن الاعتماد عليها عن تـاريخ الدولـة الميديـة و دول اخـرى في زاكروس"يبـدو ان الملـك المانـائي لم يحكـم كحاكم مطلـق، بـل حكـم بسـلطة يحـددها مجلـس للمسـنين". و في طلـب دبلوماسي الى الملك الآشوري، لا يوجـه الملك المانـائي كلامـه بشـكل شخصـي، بـل يوجهـه مـع "وجهـاء و مسـني قومـه و أعضـاء مجـالس بلـده" (ديـاكونوف، 1983، 73). يمكن ايجاد التقليد التعـددي المانـائي و الثقافة الليبرالية السياسية بالنسبة الى غيرها، مـن وقـت الى آخـر بـين الأسـر الحاكمـة المهمـة الـتي تجـد جذورها في كردستان، من المانائيين (*Mannaeans*) الى الحـذيابيين (*Adiabenes*) الى الأيـوبيين و الى الزند و هلم جرا.

بحلول 653 لما قبل الميلاد، كان البـابليون قـد وسّعوا من مصطلح قوتيل، و ذلك من خلال الحكم علـى لوحـاتهم الباقيـة حتـى الآن، ليشـير الى كـل الجبـال الكرديـة و قاطنيهـا مـن ضـمنهم الميـديون، الذين بحلول ذلك العهد وسعوا مـن نفـوذهم بثبـات الى سواحل بحيرة فان في كردستان الشمالية. و لكنهم حافظوا أيضا على مؤشر موازٍ، و أحدث عهداً، للكرد و الذي كان قاردو أو قـاردوك (*Qardu, Qarduk*)، و اللذان ربما نشآ من نفس المصطلح القـديم؛ قوتيـل. قـد تكون للعنصـر قـارد (*Qard*) في الأسـم صـلة مـا بالكلمة الأكدية السـامية (*qard*) و الكلمـة الفارسـية الهنـدو-اوروبيـة (*gurd*)، و اللـذان يعنيـان بطـلاً أو محارباً.

تظهـر الكلمـة قـاردو او كـاردو (*Qardu* او *Kardu*) بأشـكال مختلفـة في التلمـود أيضـا. في الحقيقة، أن العهد القـديم و التلمـود مصـادر قديمـة جيدة عن الكرد. فعلى سـبيل المثـال، فـان في التلمـود مـا يلـي: "ابـان عودتـه الى بـلاد الآشـور، وجـد سـنحاريب لوحـا خشـبياً و الـذي قـام سـنحاريب بعبادته كصنم، لأنه كان جزءاً من سفينة نوح الـتي كانت قد انقذت نوح من الطوفان. و نذر على نفسه التضحية بأبنائه من أجل هذا الصنم اذا مـا أفلـح في مغامراته القادمة. و لكن سمع ابنـاؤه نـذره فقاموا بقتل أبيهم و هربوا الى كاردو (*Kardu*)." كما جاء في التلمـود أيضـا: "ان ابـن هامـان برشـدنثا(*Parshandatha*)، و الـذي كـان حاكمـا لكاردونيا "*Kardunya*"، حيث رسى سـفينة نـوح". أو " تم حبس أبانا أبراهيم لمدة عشر سنوات، ثـلاث في كوثـا (*Kutha*) و سـبع في كـاردو(*Kardu*)." و أخيراً، "قد يتم قبول المرتدين (أو المهتـدين الى ديـن جديد –المترجم) بين الكاردوئيين." (قد يجد حقا مجتمع يهود الكرد، الواسع جدا حتى الآونة الأخيرة، جذورهم في هذه الروايات).

و جعلت الجاذبيـة الماديـة لملكـات زاكـروس ان يكونوا مرارا أهدافا لحملات و أعمال السلب و النهب مـن قبـل دول ميزوبوتاميـا المختلفـة. و تبلغنـا اللوحات الأكدية الحديثة العهد و التي يعـود تأريخها الى حوالي 1400 لما قبل الميلاد (قارن مـع أرشـيفات أمارنا في مصر) عن مملكة كورتي او قـورتي(*Qortie* او *Kortie*) الجبلية التي تمتد من شمال ميزوبوتاميا

كل المسافة حتى شواطئ بحيرة وان، تبلغنا هذه اللوحات بأنها كانت واحدة من المناطق التي تم غزوها من قبل حكامهم الكاشيين. و بعد ثلاثة قرون، و ابان فترة حكم الملك تيغلات فلايسر الأول (حوال 1114 – 1076 لما قبل الميلاد)، تبلغنا المصادر الآشورية أيضا بأن الكورتيين كانوا يسكنون الجبال الشمالية المجاورة و التي تم غزوها من قبله. و تدرج آخر الالواح البابلية قبل سقوط مدينتها الأسطورية (في أوائل القرن السادس قبل الميلاد) الكارداكا (*Kardaka*) من افراد الحرس الملكي.

و شملت الأعمال العدائية بين دول اراضي الكردية المرتفعة و بين اراضي ميزوبوتاميا المنخفضة طوال تلك الفترة، شملت على غزوات عسكرية مستديمة، اعمال السلب و النهب و التخريب و عمليات جمع العبيد التي كانت فيها لميزوبوتاميا اليد العليا ملحقين أضرارا جسيمة على نطاق واسع باقتصاد و حضارة كردستان. بعد تدمير كثير من مدنها و أخذ أعداد هائلة من الأسرى و العبيد من أرضها و تمزيق أقتصادها على هذا النحو، نضجت كردستان لتصبح ثمرة سهلة تستهدف من قبل الآريين الغازيين، و على وجه الخصوص الميديين و السيث(*Scythians*). غمرت كردستان موجات متلاحقة من أناس متحدثين بالهندو-اوروبية كالميديين لأكثر من 2000 عام و التي انتهت فقط في القرن الثالث للميلاد، غمرتها بأعداد كبيرة بحيث حلت صيغة هندو-اوروبية قديمة للغة الكردية محل اللغات المحلية المهجورة الاستعمال. لم ينحسر التحول اللغوي حتى قبل بداية العهد المسيحي بفترة وجيزة. و يعد ظهور مصطلحات ايرانية هندو-اوروبية متعلقة بأسماء اماكن في أرجاء كردستان النائية حوالي القرن الثالث لما قبل الميلاد، كأسم نهر أراسان (*Arasan*) في السجلات التأريخية الأرمينية القديمة لنهر مورات (*Murat*) في شمال غرب كردستان، و رواية بطليموس حول هراز (*Haraz*) لأركسس (*Araxes*) الحديثة في اقصى الشمال و آراس (*Araz*) لنهر خابور في غرب كردستان المركزية و الأورنتوس (هَرَفنت) (*"Haravant" Orontes*) لنهر عاصي (*Asi*) في أقاصي جنوب كردستان الغربية، يعد كل ذلك علامة على اتمام هذه العملية.

لمست الهجرة البدوية الآرية في زاكروس و المناطق المجاورة بأقصى قوتها ما بين 900-1200 لما قبل الميلاد، حيث أودى الدمار الطبيعي و التفكك المادي و الاجتماعي و التجاري أودى بكردستان و بقية جنوب غرب آسيا فيما بعد الى كساد اجتماعي و اقتصادي (*Roaf 1990*). و هجرت مراكز ثقافية عدة و اماكن تجارية طافحة بالحركة. قهرت القوة العددية و الحربية للمستوطنين الآريين هؤلاء المكونات الثقافية و الأثنية القديمة لكردستان، و كذلك لبقية هضبات ايران و اناضول (أنظر **الهجرات التأريخية**). و كان الكرد قد تأرينوا (أصبحوا آريين –المترجم-) في نهاية هذه الحقبة، حوالي 900 لما قبل الميلاد.

وسّع المستوطنون الآريون و الكرد المؤرينون من سلطتهم و مناطق حكمهم في القرن السابع لما قبل الميلاد لتشمل معظم أرجاء الشرق الأوسط، تحت حكم الميديين. و سبقت التوسع المكتمل للدولة الميدية (التي أسست حوالي عام 727 لما قبل الميلاد) تأسيس أسر ملكية أخرى أصغر حجما و متحدثة باللغة الهندو-اوروبية في و حول كردستان. و يعد الميتانيون (في كردستان الغربية) و الحثيون (شمال كردستان الغربية و أناضول المركزية) النماذج الأكثر شهرة.

كان ديوكيس أو دياكو (*Deioces, Diyaoku*)، اول حاكم ميدي منتخب معروف (حوالي 727 – 675 لما قبل الميلاد) (أذ كان الميديون ينتخبون رئيس دولتهم، كما شهد هيرودتس بصحة ذلك؛ 1، 97-8). باشر هذا الحاكم ببرنامج لتوحيد جميع سكان كردستان ضد الهجمات الضارية المتواصلة لقوات لا تقهر للامبراطورية الآشورية الحديثة (745 – 606 لما قبل الميلاد). و هذا حمل الآشوريين المفزّعين على تحديه و تدميره في آخر الأمر. و حذا خلفه فراورتيش (*Phraortes*) أو كشتريتو/خشاثريتا (*Khshathrita*) (حوالي 674-653 لما قبل الميلاد) حذو ديوكيس و لاقى نفس المصير على يد الآشوريين. و جاء بعد ذلك كي-اخسار الكبير(*Cyaxares*) او هوفاخشاثريتا (*Huvvakhshathrita*) (حوالي 585-624 لما قبل الميلاد) و الذي افلح أخيرا في طرد الآشوريين و ابادتهم في النهاية من خلال احتلال عاصمتهم نينوى في 612 لما قبل الميلاد. و يحتفي (أو يمجد –المترجم-) العهد القديم هذه الواقعة عن طريق التنبؤات المريعة للنبي اليهودي ناحوم بالدمار الوشيك الذي سيحل بـ "نينوى الشريرة".

تم عكس هيمنة ميزوبوتاميا التي دامت لأكثر من 1500 عام على الأراضي الكردية المرتفعة (منذ سقوط القوتيليين) و تبقى كذلك الى ان يعكسها الغزو الاسلامي مرة أخرى في القرن السابع الميلادي. و العنصر الهام في نجاح هذه الواقعة التي اسفرت عن الإتيان بعهد جديد، كان استخدام الميديين البارع لميليشيات أو محاربي عصابات من الشعب. و تسمى تلك الميليشيات او محاربي العصابات بـ "كارة" (*Kara*) في الكتابات المنقوشة في بيستون في كردستان الجنوبية (دياكونوف 1985، 115). و يعد ذلك أقدم سجل تأريخي على هذا النوع من الحرب، حيث اصبح منذ ذلك الوقت الشكل المفضل للدفاع عن كردستان الى يومنا هذا، على شكل بيشمركه الكردية (*Peshmarga*) أو "محاربي كريلا"(*guerrilla warriors*) كردية.

وسّع كي-أخسار من حدود امبراطوريته لتشمل جميع مناطق كردستان حتى ضفاف نهر هاليس (*Halys*) (كيزيلرماق الحديثة) قرب أنقرة و الى ما وراء كردستان بعيدا باتجاه الشرق (خارطة 15).

و خسر آخر حاكم ميدي، رشتي-فيكا آزي دهاك "*Rshti-vega Azhi Dahak*" (آستياك المذكور في كتاب هيرودوتس) امبراطوريته لحفيده الذي كان

فارسيا من احد الوالدين، الا و هو كورش الكبير، مؤسس الامبراطورية الأخمينية الفارسية.

ابان فترة حكم آزي دهاك (*Azhi Dahak*) كان للديانة الأصلية الكردية عبادة الملائكة (*Cult of Angels*) تأثير قوي على الزرادشتية الناشئة مدخلا المنصب الكهنوتي المعروف بـ "ماكي" (*Magi*) الى تلك الديانة. حاولت الملوك الأخمينيون الزرادشتيون الذين تلوا الميديين عكس هذا النفوذ، الا أنهم حققوا القليل في اعادة تنصيب الزرادشتية الأصلية كما هي مبينة في الكاثا (*Gathas*)، الذي يعد أقدم و أنقى جزء من الكتاب الزرادشتي المقدس افيستا (*Avesta*). ربما كان في تلك الفترة حين اضيف سمة شيطانية على اللقب الملكي التشريفي آزي دهاك (*Azhi Dahak*) من قبل الزرادشتيين و هكذا ترسخت في ذلك الدين و الميثولوجيا القومية و أدب الملحمة الايرانيين. ما زال آزي دهاك يُبجل كسلطان سحاك (*Sultan Sahak*)، و هي صيغة أكثر تحريفا للاسم الأصلي، من قبل أنصار الدين اليارساني الكردي (أنظر **عبادة الملائكة**).

مع الجماعات الآرية الأخرى، اندمج الميديون و الشعب الكردي الموجود مسبقا اندماجا تاما، الأمر الذي حول المجتمع و الثقافة الكرديين من جماعة قفقاسية قديمة مشابهة للجورجيين المعاصرين الى مجتمع و ثقافة واحدة ذات انتماء هندو-اوروبي، ايراني (*Iranic*) استمرت ليومنا هذا.

يبقى التراث الميدي في كردستان تراثا جوهريا حقا كما هو بيّن في الصيغة المعاصرة للغة الكرد و في أسماء الأماكن التي يوجد فيها عنصر ما (*mâh*) او (*mai*)، أي الميدي. و التراث السيثي-الآلاني يأتي في المرتبة الثانية من حيث القرابة من تراث الميديين، من ناحية التأثير. يعيد هذا التراث الى الذاكرة أسماء اماكن من قبيل بلدة سقز (*Saqqez*) و اسماء العشائر من قبيل قبائل الآلان (*Alans*) في بيرانشهر في كردستان المركزية، كما تعيده الى الذاكرة أسرة أردلان ("الآلان الكبيرة") الأميرية و حتى اسم البطل الميثولوجي الكردي في ملحمة مَم و زين (أي مَمي آلان، "مَمَ آلان").

التأريخ الكلاسي: القرن الخامس لما قبل الميلاد – القرن السادس للميلاد

تتميز هذه الفترة من التأريخ الكردي بتجنسة (*homogenization*) و توحيد الهوية القومية الكردية الحديثة. و ترسخ الاسم الأثني الدال (كرد) "*Kurd*" أخيراً و تمت تسمية جميع أجزاء الأمة بهذا الاسم. بعد أكثر من ألفية على المستوطنات البدوية الآرية و بعد أحيائها نتيجة لبث العنصر الأثني الآري فيها، برزت مرة أخرى مملكات كردية مستقلة و مفعمة بالحيوية الى السطح و ذلك بعد ثلاثة قرون من الانكساف تحت حكم الأخمينيين و السلوقيين. وصل هذا الانبعاث ذروته في القرن الأول لما قبل الميلاد حين امتدت الهيمنة السياسية الكردية من بلاد اليونان و أوكرانيا الى مضيق هرمز. قبيل نهاية هذه الفترة تحولت السلطة (او

النفوذ –المترجم-) الكردية على جنوب غربي آسيا من السياسة الى الدين و الديموغرافيا، و التي امتدت لتصل الى الحقبة القروسطية.

بحلول العهد الكلاسي، صادف الجنرال و المؤرخ الأغريقي زينوفون شخصيا الكرد بينما كان يقود جيشا اغريقيا قويا قوامه 10000 جندي، و قرر أن يقطع طريقه عبر كردستان في 401 لما قبل الميلاد. يسمي زينوفون السكان المحليين كردوخوي (*Karduchoi*) مضيفا انهم رغم عيشهم في قلب المنطقة الجغرافية للامبراطورية الأخمينية الفارسية "أنهم مستقلون تمام الاستقلال و لا يدفعون الجزية لملوك الفرس" (آناباسيس "المرور عبر كردستان"). و يضيف مؤرخ يوناني آخر بفترة قصيرة بعد ذلك بأن الكرد "في معاقلهم الجبلية، كانوا يشكلون مشكلة أكثر من كونهم أهلا للجيوش و الأمبراطوريات الأجنبية" و بأنه "كان يكفي منعهم بالقوة أو بالموافقة من اثارة المشاكل في السهل".

و بعيد ملاحظة زينوفون، يكتب الجغرافي و المؤرخ سترابو في القرن الثالث لما قبل الميلاد "أن كورتيوي اقليم فارس (*Kurtioi of Persis*) (أي جنوب غرب ايران) و مارديوا "*Mards*" (شمال كردستان المركزية في تركيا المعاصرة) أرمينيا الذين يسمون أنفسهم بنفس الأسم، لهم السجية نفسها (أنظر **الهجرات التاريخية**). من خلال روايات أخرى لسترابو، نعلم بأن الكرد الذين يُسمَون كورت (*Kurt*) حسب تسميتهم الكلاسيكية المتأخرة، يوجدون الآن في مناطق أناضول و أرمينيا و شمال سوريا و العراق و في امتدادات واسعة من الأراضي في غرب و جنوب غرب ايران. و يستشهد ايضا المؤرخ بوليبس في عام 220 لما قبل الميلاد بالكرد، الذين يطلق هو عليهم تسمية كورتي (*Kurti*) يستشهد بهم كقاطني أو سكان ميديا (*Media*) و شرق أناضول (حيث أنهم مازالوا هناك اليوم). و يعد بالإجماع المصطلح كورت (*Kurt*) (و المكتوب في النصوص اللاتينية كيرتي "*Cyrtii*") سلفا مباشرا للمصطلح المعاصر "كورد" (*Kurd*). و المصادر الفارسية الوسطى (*Middle Persian sources*) العائدة لفترة ما قبل الاسلام تسمي الكرد بـ "كورت"(*Kurt*) ايضا. و في الحقيقة، المصطلح المستخدم لتسمية الكرد في اللغة التركية الحديثة هو نفس المصطلح في المصادر الفارسية الوسطى، و أن كان يُنطق (*U*) بتدوير الشفتين أي (*Kürt*) (أي كيُرت –المترجم-).

رغم ترسخ المصطلح كورت (*Kurt*) كمؤشر شائع دال على الكرد، تواصلت التباينات بثبات حتى الحقبة الحديثة. و على سبيل المثال، يكتب المؤرخ الروماني بليني (*Pliny*) عن هذه العملية الانتقالية في بداية القرن الأول لما قبل الميلاد: "الشعب الذي انضم الى حذياب (*Adiabene*) (كردستان المركزية في شمال العراق) شعب سُمي فيما مضى بكاردوخي (*Karduchi*) و الآن يسمى بكوردويني (*Cordueni*)، و الذين يتدفق نهر دجلة بمحاذاتهم" (*Natural History VI.xviii.44*).

تقريبا، يتميز القرن الرابع لما قبل الميلاد و سقوط الأخمينيين على يد الأسكندر الكبير نهاية تأريخ الكرد القديم و بدء الفترة الكلاسيكية. كانت الامبراطورية السلوقية الآيلة الى الزوال التي اسسها احد جنرالات الأسكندر الكبير بعد مماته في 332 لما قبل الميلاد، على الأراضي الآسيوية التي استولى عليها، كانت بحلول نهاية القرن الثالث لما قبل الميلاد تفقد المناطق الشرقية الخاضعة لسيطرتها، باستمرار و ثبات، الى نجم فرثيا الصاعد. كان الفرثيون، و هم شعب أيراني (*Iranic*) كالكرد، مشابهين للكرد من أوجه عديدة و يختلفون عن الشعوب الايرانية الاخرى، كالفرس، و بالأخص في ليونة (أو تراخي – المترجم) حكمهم السياسي. و معظم الكرد اما تحالفوا مع الاتحاد الفرثي (*Parthian Federation*) الآخذ في الاتساع، اما استولى عليهم هذا الاتحاد أبان توسعه الذي بدأ في القرن الثالث لما قبل الميلاد. و انتهى ثلثي الشرقيين لكردستان بكونها وقعت ضمن أقاليم هذا الاتحاد. في القرون الأربعة للحقبة الفرثية (247 لما قبل الميلاد الى 226 للميلاد) كانت المملكات و الأمارات الكردية؛ كوردين/كوردويني (*Gordyene/Cordueni*) أي (بتليس و سيرت الحديثة)، حذياب (اربيل الحديثة) و ماده (ميديا) و ايلمايس (عيلام) (*Elymais*) (لورستان الحديثة)، كيرم (كرمانشاه الحديثة)، موكريان (مهاباد الحديثة)، شهرزور (السليمانية الحديثة)، بارجان (*Barchan*) (بارزان الحديثة) و سَنك (سهنة و كنكاور الحديثة)، كانوا أعضاء شبه مستقلين أو مستقلين تماما في الاتحاد الفرثي لحوالي ثلاثة قرون (الخارطة 16).

مملكة حذياب الكردية، حيث كانت عاصمتها في أربيلا (*Arbela*) (أي اربيل الحديثة) تستحق جل اهتمامنا هنا، و على وجه الخصوص لتأريخه الديني الآسر. بعيد تحولها من الأرستقراطية الى اليهودية في القرن الأول لما قبل الميلاد، حذت أجزاء واسعة من السكان الكرد العام للمملكة نفس الحذو. أبان الغزو الروماني ليهودا و سامرة (67-68 لما قبل الميلاد) كانت حذياب هي الوحيدة التي أرسلت مؤناً و جنوداً لإنقاذهم. و شاركت حذياب أيضا في الدفاع اليائس عن منطقة الجليل (*Galilee*) (*Grayzel 1968.163*).

الا ان حذياب، و بحلول القرن الرابع، كانت قد أصبحت مسيحية على نطاق واسع، و تعد سجلات الكنيسة العائدة لتلك الفترة من بين السجلات التاريخية الأكثر قيمة و التي توضح هذه الفترة من تاريخ الكرد (أنظر **اليهودية و المسيحية**). و مصطلح حذياب المليتن (أي موضوع في قالب أو شكل لاتيني – المترجم) هو تحريف للأسم القبلي الكردي هدَبان (*Hadhaban*) أو هزَوان/هزاوند (*Hazawan/Hazawand*). و قد وصلت هذه العشيرة الكثيفة الأفراد الى كردستان المركزية من جنوب زاكروس في القرن الثالث لما قبل الميلاد. كانت بعض بقايا الهدبانيين لم تزل توجد في جنوب زاكروس في الحقبة القروسطية المتاخرة (انظر **العشائر**). و وطد الهدبانيون سيادتهم السياسية و العسكرية بسرعة في المنطقة و اخذوا من اربيلا (*Arbela*) القديمة

عاصمة لهم، مانحين تسميتهم الاثنية الخاصة بهم للمدينة لفترة من الزمن. و اصبحت اربيلا تعرف بهَزا (*Haza*) حتى أعاد الفاتح الساساني للمملكة، أردشير الأول، تسميتها على اسمه نوتر ارتخشير (*Notar Artkhsher*). (و في الفترة الاسلامية، اعيد الأسم الآشوري القديم أرل ايلا (*Arl ela*) اخيراً كـ"اربيل" (*Arbil*). و رغم تفوق الفرس الساسانيين عليهم في نهاية الأمر، في القرن الثالث لما بعد الميلاد، نهض الهدبانيون مجددا في القرن الحادي عشر الأمر الذي تمخض عنه السلالة الأيوبية الحاكمة للملك صلاح الدين (أنظر **التاريخ القروسطي**).

و في حوالي تلك الفترة نفسها حين كانت ثلثي الشرقيين لكردستان تندمج شيئا فشيئا مع فرثيا، كانت ثلاث مملكات كردية غربية (كبدوقية، كوماجينا، و على وجه الخصوص بُنطس) توسع من مناطق حكمها التي كانت مستقلة استقلالا تاما، باتجاه و الى ما وراء بحر ايجا. الا انهم اصطدموا بالجمهورية الرومانية الآخذة في الاتساع و التي اخضعتهم اخيرا. و كلف الأمر ثلاثة قادة و مجالس رومانية متعاقبة؛ ماريوس و لوكولوس و بومبي (*Pompey*) كي يحصلوا على الإذعان النهائي من تلك الدول الكردية الغربية. امتدت مملكة بنطس في ذروتها على يد ميتريدات الكبير (ميتريدات السادس، اوباتور، حوالي 121-63 لما قبل الميلاد) الى أن وصلت الى بلاد الإغريق و القفقاس و جنوب اوكرانيا (الخارطة 17).

و تجب ملاحظة ان المصادر الاغريقية-الرومانية القديمة تشير الى ملوك ميتريدات (و الى بضعة ملوك آخرين ذوي أصل كردي في هذه الفترة) تشير اليهم كونهم "فرس". و قاموا بذلك لحقيقتين بسيطتين. اولا استخدموا المصطلح "فارسي *Persian*" بدون احكام ليعني أي شخص ذي خلفية ثقافية و جينية ايرانية (*Iranic*). الكرد كانوا و مازالوا ايرانيين (*Iranic*). بل كانت اللغة الكردية اقرب الى اللغة الفارسية حينئذ مما هي عليها الآن. و في الحقيقة ردد سترابو حوالي هذه الفترة الكلمات القديمة لهيرودتس حين يجزم قائلا بأنه "يستطيع الميديون و الفرس فهم لغة بعضهم البعض" بصعوبة قليلة، بينما يسمون الكرد (*Kurds/Cyrtii*) في نفس الوقت، قاطني ميديا(*Media*) و بلاد الفرس الأصلية(*Persis proper*). السبب الثاني هو أن الهجرات الكردية الهائلة من جنوب شرقي زاكروس كانت تجلب الكرد من الجنوب من بلاد الفرس الأصلية الى بنطس و مناطق اخرى في أناضول الشرقية و المركزية.

لم يلبث أن التقت حدود الجمهورية الرومانية و تلك العائدة للاتحاد الفرثي على نهر فرات في عام 57 لما قبل الميلاد. و تلا ذلك قرن من الحروب الدامية التي عاثت الخراب في كردستان الغربية و ثبتت نهر الفرات في نهاية الأمر كالحد (*border*) بين القوتين. و هكذا وقع الثلث الغربي لكردستان تحت سلطة (الحق او سلطة القضاء او إقامة القانون– المترجم) الرومانية. و ضم الكرد المتأثرين؛

البنطسيين و الكبدوقيين و الكوماجينيين كما ضم الكرد الأقل شهرة، و المهملون غالباً، الا وهم كرد جبال أمانوس على الساحل المتوسطي.

يبدو أنه و منذ عهود قديمة، كانت اراضي امانوس المرتفعة حول انطاكية و بمحاذاة الساحل المتوسطي، موطن الكرد الغربيين. و يعد الأسم الكردي الكلاسيكي الآنف الذكر الأورونتوس "*Orontes*" (العاصي حديثا) تسمية لأكبر نهر في سوريا و الذي يتدفق عبر أنطاكية، دليلا على وجودهم هناك في عهد الأسكندر الكبير. يظهر التراث الفني لهذه المنطقة، أذا عدنا الى الوراء لغاية فترة هلف، منذ حوالي 8000 عام، تظهر وحدة رائعة في التصميم و الأسلوب مع أجزاء أخرى لكردستان (أنظر **التصاميم و الموتيفات الزخرفية**). أبان فترة غزو الأسكندر الكبير، كانت جبال أمانوس تحت سيطرة الكرد، حيث تأرينوا بالكامل بحلول تلك الفترة. و حاول ايضا الملوك السلوقيون الهيلينيون، و على وجه الخصوص انطيوخس الثاني، اسكان هؤلاء الكرد في مدينتهم أنطاكية المؤسسة حديثا و ميناء اسكندرونة (حوالي 300 لماقبل الميلاد). و أقامت أخيرا أسر كردية عدة ذات نفوذ، و على وجه الخصوص اسر فيراس "*Veras*" (اتحاد براز الحديث *Baraz*) الأميرية و اسر بيلكاناي "*Belcanae*" (اتحاد بيليكان الحديث *Belikan*)، اقاموا في هذه المراكز التجارية النشطة و الكثيرة الحركة و بنوا علاقات وطيدة مع المدراء (*administrators*) الرومانيين الجدد للمنطقة.

تواصلت هذه العلاقة الكردية-الرومانية حتى بداية القرن الثامن للميلاد و حتى الزوال النهائي لحكم الروماني/البيزنطي في المنطقة. في كلا الحصارين الفارسيين و الذين حصلا في 260 للميلاد تحت حكم شابور الأول و 538 تحت حكم خسرو الأول، شارك كرد جبال أمانوس المحيطة في الدفاع عن افاميه (*Appamea*) و انطاكية؛ حيث كانت أنطاكية ثالث كبريات مدن الأمبراطورية الرومامية/البيزنطية في ذلك الحين.

زود أدراج كردستان الغربية و الشمالية ضمن الأراضي الرومانية فرصة ذهبية للديانة الكردية الأصلية؛ عبادة الملائكة "*Cult of Angels*"(أنظر **الدين**) لتستوعب جميع الآلهة الاغريقية-الرومانية القديمة في هيئة الديانة المثراوية(*Mithraism*). لقد كانت الديانة و لمدة قرون في تواصل مع تلك الأديان على حدودها الغربية. و حملت المثراوية التي توسعت من كردستان الغربية مبادئ تلك الديانة بعيدا حتى بريطانيا. و نجحت المثراوية تقريبا في استيعاب دين الرومانيين القديم. كانت المثراوية، و قبل اعلان المسيحية في القرن الرابع كدين الدولة للامبراطورية، قد أصبحت اكثر الأديان أهمية في الأمبراطورية.

يجب أن نضيف ملاحظة خاصة لحوادث هذه الفترة التأريخية حول التنقل السكاني الكردي الهائل من جنوب شرق زاكروس باتجاه شمال غرب زاكروس و الى سلاسل جبال طوروس و بنطس. كانت كردستان الشمالية و الغربية في أناضول النقاط

النهائية لهذه الهجرة الكردية الداخلية، و التي اتت بأعداد غفيرة من الكرد بعيدا من الجنوب من جبال اقليم فارس "*Persis*"(فارس الحديث). نجحت هذه الهجرة الهائلة في تجنسة الشعب و الثقافة الكرديين في أطراف كردستان المختلفة. و رسخت اللغة البهلوانية (*Pahlawani*) كاللغة السائدة في كردستان (أنظر **اللغة**) ، و نشرت ديانة عبادة الملائكة الى جميع ارجاء الأقاليم (أنظر **الدين**) و وحّد الى حد كبير الادب و الفن القوميين و الروح القومي. بحلول نهاية القرن الثامن للميلاد، تجلت هذه التجنسة في السيطرة السياسية الكردية المتجددة على المنطقة، و التي غابت منذ سقوط الميديين. و وردت تفاصيل هذا و غيرها من التنقلات السكانية للكرد تحت المدخل المعنون **بالهجرات التأريخية**.

بحلول حوالي القرن الثالث لما قبل الميلاد كانت كوماجينا و كبدوقية و بنطس الى اقاصي الشمال الغربي قد استوعبت اعداداً كبيرة من القبائل الكردية المهاجرة. و حصل الملك الكردي البنطسي ميثريدات، في تحالف واحد فقط ضد الرومانيين، حصل على ولاء 14 قبيلة من تلك القبائل. و أصبحت القوات القبلية طلائع جيشه النظامي، و التي كانت تشن غارات على الأراضي الرومانية الأمامية و ذلك قبل قيام القوات البنطسية النظامية بالتقدم الى الأمام. شنت هذه القوات القبلية غير النظامية، مع عدة فرق محمولة بحرا من كليكيا، غارات على المدن الواقعة على الساحل الآيوني، قبل العبور الى اوروبا. يكتب بلوتارج، و هو يدعوهم لصوصاً و قراصنة،"انهم قدموا قرابين غريبة علىجبل اوليمبس (*Olympus*)، و أجروا طقوساً سرية أو اسراراً دينية (*mysteries*) معينة، من بينها تلك المتعلقة بالإله ميثرا" (أنظر **عبادة الملائكة**).

بالاضافة الى مناطق شمال غرب كردستان، شهدت أرمينيا و جنوب جورجيا و اران(*Aran*) ايضا أسكان ثابت و مستمر من قبل عدد كبير من القبائل الكردية. و لعب هؤلاء المهاجرون دورا حاسما في تاريخ تلك الأقوام في الحقبة الكلاسيكية و القروسطية. و يقدم المؤرخ الأرميني القروسطي المبكر، موسى الخوريني و الذي عاش بين (490 و 760 للميلاد)، يقدم وصفا مثيرا للاهتمام للتاريخ المبكر، و الأسطوري بعض الشيء، للأرمينيين حيث يربط ربطا قويا بين أسرة الملك الميدي آزي دهاك و الملوك و الأسر الأرمينية الأرستوقراطية الأوائل. يكتب موسى بأن أسلاف الملك الأرميني تيكران (*Tigran*) كانوا على صلة قرابة بآزي دهاك، و لكنهم فروا أخيرا من مملكته بسبب جوره (*History, 114-139*).

و يضع الشاعر الفارسي فردوسي في ملحمة شاهنامة، موطن آزي دهاك في المنطقة الواقعة في كردستان الجنوبية و جنوب كردستان المركزية، قرب همدان حيث هناك في الواقع حكم آزي دهاك. و هكذا يمكن تفسير رواية موسى على انها تضع موطن اسلاف تيكران (*Tigran*) في نفس المنطقة العامة في كردستان الجنوبية.

في اعادة تنظيم المملكة الأرمينية تحت حكم الملك فلَرشَك (*Valarshak*) يبلغنا موسى بجلاء كان

المنصب الثاني في الدولة من نصيب "ذرية آزي دهاك" على شكل الأسرة الموراتسية (*Muratsean*) الأرستقراطية. و ملك أرميني آخر ذكر هو ايرونَد (*Eruand*) و الذي يحارب الملك الفرثي أرتشش "*Artashes*" (حوالي القرن الثاني للميلاد). يلتمس ايروند دعم موراتسين، الأرستقراطية الميدية-الأرمينية، و يحصل عليه لكن الحق به الهزيمة، و يقول موسى بأنه تقهقر الى موطنه الأصلي "ايروَندَفن" (*Eruandavan*). و ايروند هو صيغة محرفة لـ"هرَفند" (*Haravand*) او "هرفند/الفَند" (*Haravand/Alvand*)، و هو اسم لأعلى و أكثر الجبال قدسية في ميديا و الذي يطل على العاصمة القديمة همدان. و المصطلح ايروَندَفن "*Eruandavan*" (و على نحو أصح أرفندافند"*Arvandavand*") اسم قبلي كردي نموذجي ذو اصل كردي جنوبي.

و قد تمت المحاولة لنسب الأصول الأثنية لـ"تيكران" (*Tigran*) الى الفرس. كما تم ايضاحه باختصار فيما سلف و تحت المدخل المعنون بـ"**القبائل و الهجرات التأريخية**" أيضا، فإن الصلة الكردية واضحة جدا. علاوة على ذلك، يجب أن يتم التنويه بأنه خلال القرون الأربعة للحقبة الفرثية، و التي انتهت في 224 للميلاد، كان الفرس الأثنيون اقلية قومية في الأرجاء الجنوبية النائية للاتحاد الفرثي، بعيدا أكثر من الف ميل من ارمينيا، حيث كانت الفسحة (أي الأراضي –المترجم-) التي تتوسطها تعج بالكرد الأثنيين. كما تم التنويه سلفا حول مسألة الأصل الأثني لميثريدات البنطسي السادس، ما يدل عليه المصطلح "فارسي" (*Persian*) ضمنا لأثنية تيكران، هو "ايراني" (*Iranic*) – و هو أسم مؤشر او دال اثني اوسع و الذي يتضمن الكرد.

التواريخ (أي السجلات التاريخية –المترجم-) الأرمينية، كيفما كان، مصادر قيمة للغاية، لإعادة بناء تأريخ الكرد و تنقلات سكانهم في الحقبتين الكلاسيكية و القروسطية.

و لعب أيضا الكرد الأرستقراطيون المهاجرون من الجنوب دورا ربما مشابها لدور الأسر الأرستقراطية الألمانية في اوروبا حتى منقلَب القرن الحالي (القرن العشرين –المترجم-). و وفروا ملوكا و دوق و امراء كثيرين للتزاوج مع الأسر الملكية لمجموعات اثنية كالجورجيين، او حكموا مباشرة دول تم تشكيلها حديثا، حين كانت هناك حاجة لملك ذي نسب نبيل. كانوا يملكون العزة الضرورية للحكم، بينما كانوا يفتقرون الى الولاءات المثيرة للمشاكل لأمبراطوريات و مملكات ذلك العهد المتنازعة. تواصلت هذا الاجراء (او هذه الممارسة –المترجم-) حتى نهاية الحقبة القروسطية.

يستحق البكراتيون (*Bagratids*)، كالحذيابيين الذين تم ذكرهم آنفا، يستحقون ملاحظة خاصة. انهم حكموا اصلا عشيرة بكراوند (*Bagrawand*) الكردية الكثيرة الأفراد و التي سمي البكراتيون بأسمها. و اسسوا نوعما بسرعة قيادة محلية، كما

اسسوا اسرة حاكمة و التي نمت حتى اصبحت ما يسمى بالبكراتيين. و منح البكراونديون اسمهم القبلي للمنطقة الواقعة على المجرى العلوي لنهر دجلة، و الذي يسميها بطليموس ببكروندين ريجيو (*Bagrauandene Regio*). كالهدبانيين، غيروا اسم عاصمتهم، أميدا (*Amida*) القديمة، و سموها باسمهم. لم تزل دياربكر (*Diyarbakir*) (من دياري بكر، "أي ديارُ بكران أو أرضُ بكران")، لم تزل أكبر مدينة في كردستان أناضول. حكم البكراتيون، مع وجود ثغرات كبيرة في ولايتهم، الجورجيين حتى 1801 للميلاد و تولي أمر روسيا لجورجيا.

كانت المنارات الكردية المهاجرة الأوائل تلك غالبا ما يتمازجون بسرعة مع محيطهم الأثني الجديد. و يعد تأريخ السلالة الأيوبية القروسطية الحاكمة (و الذي تم توثيقه بشكل أفضل بكثير من تأريخ البكراتيين) مثال جيد على كيفية فقدان سلالة كردية حاكمة فقدانا سريعا لكل أثر شخصيتها الأثنية الكردية تقريبا في محيط او خلفية اجنبية. أن تيكران الكبير (*Tigran the Great*)، و هو أعظم ملك للأرمينيين، رغم كونه من اصل كردي، تعاطف في أغلب الظن مع الأرمينيين. و الدليل المناقض الوحيد هو قراره بناء عاصمته الجديدة، تيكرانوسيرتا (*Tigranocerta*)، في عمق الأراضي الكردية (في كوردينا-كوردي ريجيو "*Gordena-Gordyei Regio*" حسب تسمية بطليموس و كوردويني "*Cordueni*" حسب تسمية بليني) و خارج بلاد ارمينيا الأصلية. يمكن تفسير ذلك بأنه كان اشارة على أنه شعر بماضيه الكردي أكثر مما كان في الحسبان. تواصل الكرد المتمازجون، في كل الأحوال، في التوصل الى المراكز المهمة تحت ظل هوياتهم الجديدة أبان الحقبة القروسطية، و في الحقيقة يفعلون ذلك في يومنا هذا (أنظر **الأندماج و التمازج**).

تحدى مؤسس الأمبراطورية الساسانية الفارسية أردشير الأول، و الذي نجح في أستبدال الأتحاد الفرثي الطاعن في السن في 224 للميلاد، تحدى مباشرة ما سماه هو "ملك الكرد الميديين". و وحد هذا على نحو عاجل و تحت قيادة مملكة كيرم (*Kerm*) (كرمنشاه المعاصرة) مجموعة رائعة من أمارات و مملكات كردية من بارجان (*Barchan*) (بارزان المعاصرة) و هكار (هكاري) و موكران (موكريان) و سَنك (سهنة) و شهرزور (السليمانية المعاصرة). كان على أردشير خوض حرب دامت سنتين (224-226 للميلاد) ضد الكرد قبل حصوله أخيرا على ولاية (*Suzerainty*) من المملكات الكردية المختلفة. و قام بذلك فقط بموافقته على، و ذلك ضد سياسته الصارمة القاضية بحكم مركزي مباشر من خلال حكام يتم تعيينهم، اعادة تنصيب أمير كردي محلي، كايوس (*Kayus*)، كملك يتمتع بحكم ذاتي خاضع لدفع الجزية، يحكم الميديين. تواصلت أسرة كايوس كأمارة شبه مستقلة في كردستان المركزية و الجنوبية حتى عام 380 للميلاد، حين أزال اردشير الثاني (حوالي 379-383 للميلاد) آخر عضو هذه السلالة الكردية الحاكمة. نوهت المصادر الأرمينية القديمة بذكر آخر عضو لهذه السلالة الحاكمة (و الذي كان يحمل عنوان

ويسمكان دُمباوند (*Wisamakan of Dumbawand*) من اسرة كَفوسكان (*Kavosakan*)) على انه كان معاصرا للملك الأرميني أرشك الثاني (حوالي 353 – 367 للميلاد). كانت أسرته آخر أسرة كردية حاكمة شبه مستقلة للقرون الخمسة التي تلت.

و تم احياء ذكرى هذا الحدث البالغ الأهمية في تأريخ الكرد من خلال تكهيف (تجويف -المترجم-) بارع على صخرة غابرة في تاق بوستان (*Taq Bustan*)، و هو موقع العاصمة التاريخية (كيرم) و السلالة الكايوسية الحاكمة (أنظر صورة الغلاف). يشكل هذا الحدث (رغم وجود اختلاف 7 سنوات غير مفسر حتى الآن) علامة على بداية التقويم القومي الكردي و الذي حسب هذا التقويم نحن الآن (1992) في عام 1604(انظر **المهرجانات و الاحتفالات**).

و حتى الآن يمكن ايجاد، على مقربة من مدينة دينَوَر (*Dinawar*) القديمة الواقعة في شمال شرق كرمنشاه، سلسلة من اضرحة مبنية بعناية تم حفرها في الصخور الغابرة للجبال و التي ينسبها العرف المحلي الى اسرة كافوس او كايوس.

و هناك نقطة لافتة للنظر هي أن المصطلح الذي تتم بواسطته الإشارة الى المقاتلين الكرد في النص الأصلي للسجل التاريخي لمعركة الملك اردشير المعروف بـ (كارنامك) "*Karnamak*". المصطلح هو جان سبار (*Janspar*)، و هو مكافئ فارسي للمصطلح الكردي المعاصر الذي يطلقونه على مقاتليهم، اي بيشمركه (*Peshmerga*)، و كلاهما يعنيان "المضحي بنفسه" من اجل القضية.

ما يثير التعجب، اتهم آخر الفرثيين اردشير نفسه بكونه "كرديا، وُلد للكرد، و تربى تحت خيمة الكرد" (قارن تاريخ كارنامك و تاريخ الطبري). كما تمت ملاحظته مسبقا، عاش في الواقع كرد في هذه الفترة في موطن اردشير الأصلي (اقليم فارس)، و يرى كارنامك بأن والده امضى قدرا وافرا من شبابه مع الكرد (كورتان *Kurtan*). الا ان ليس هناك دليل مباشر على انه كان يرتبط بهم اثنيا.

بعد ازالة اسرة كايوس في 380 للميلاد و حتى سقوط الساسانيين في 651 للميلاد، لم يعرف كيان كردي حكم بشكل مستقل او بشكل حكم ذاتي في كردستان، او في أي مكان آخر. تحت حكم البيزنطيين في اناضول، حتى الأرمينيون المسيحيون حُرموا من الحكم الوطني، ناهيك عن الكرد غير المسيحيين اساسا. كان على الكرد الإنتظار حتى تقوم القوات العربية للإسلام بتدمير الساسانيين و مطاردة البيزنطيين بعيدا، قبل ان يتمكنوا من اعادة توكيد حكمهم الوطني.

بحلول اواخر القرن الرابع، كان تدفق هائل من البدو من شمال و شرق الامبراطورية البيزنطية و الساسانية قد بدءوا بالضغط على حدودهم. و في هذه الاثناء، سمح قرن من الصراع الداخلي السياسي و الاقتصادي، و تحويل القوات العسكرية الى المناطق الحدودية النائية لمواجهة الضغط من قبل بدو السهل من الشمال، سمحا للكرد استغلال مزاياهم العديدة و

الاقتصادية داخل هذه الامبراطوريات. و سرعان ما بدأ الكرد بشن غارات على مناطق مجاورة. كما بدءوا بالتقدم أيضا على اسس ثقافية و دينية.

ورثت الكوارث البيئية و الاقتصادية لهذه الفترة بشكل طبيعي ثورانات اجتماعية كثيرة أيضا، و بالأخص في مناطق الحكم الساساني. من جبال زاكروس، اتى ثوري أجتماعي، الا و هو مزدك (*Mazdak*) و الذي اسس حركة جديدة على أسس الديانة الكردية الأصلية عبادة الملائكة. و سرعان ما تطورت تلك الحركة و اصبحت المحاولة الرئيسة الثانية لتخطي (لتلحق بـ –المترجم) الزرادشتية (بعد حركتها السابقة، و ألأكثر تأثيرا، في اواخر الفترة الميدية). بدت الديانة لفترة من الزمن و كأنها قد تفلح في قهر الزرادشتية، و بالأخص حين اصبح الملك الساساني كَفات "*Kavat*" (حوالي 488 – 531 للميلاد) أحد المهتدين اليها (انظر **عبادة الملائكة**). و أتبع ابن و خلف الملك الساساني كفات، خسرو الأول، انوشيرفان، بطل الزرادشتية الأورثوذوكسية، سياسة أجراء مذابح منظمة هائلة ضد المزدكيين، و التي كانت قد بدأت قبل نهاية فترة حكم كفات نفسه، حوالي 528. زاوج انوشيرفان هذه المذابح المنظمة ضد المزدكية مع اصلاحات اجتماعية و اقتصادية كبيرة و ذلك لتقويض الجاذبية الاجتماعية للحركة للمواطنين المبتلين بالفقر. و قد اطلق بالفعل بعض العلماء المعاصرين من امثال كريستينسن(1925) و كليما (1957)، اطلقوا على الحركة المزدكية تسمية الشيوعية الأولى (*First Communism*).

افلحت المذابح المنظمة و عمليات القمع هذه فقط في دفع الحركة الى الخفاء. برزت مجددا و بسرعة ابان تدمير الساسانيين على يد القوات المسلمة، و من ثم تحدت و بكل ما اوتيت من قوة الخلافة الاسلامية.

هوامش المترجم:

(1) يصف الكاتب كلمة "سجلات" بـ "*pollen*" والتي تعني قاموسيا (لقاح، غبار الطلع، طبقة غبارية على جسم حشرة)، لا اعلم ماذا يقصد بذلك، لذلك وضعت التعبير بالانجليزية.

(2) كلمة موتيفات ترجمة لـ "*motif*" و التي تعني السمة الرئيسة في عمل فني.

(3) انثروبومورفي من انثربومورفيزم (*anthropomorphism*) والتي تعني خلع صفات بشرية على غير البشر كالآلهة مثلا –المترجم

ملاحظة:

اود ان اعبر عن شكري و امتناني لصديقي و اخي العزيز "كوزاد محمد احمد" الحاصل على درجة الماجستير في علم الآثار (*archaeology*) من جامعة بغداد عام 1993 و الذي يواصل الآن دراسته العليا في هولندا في نفس المجال، لمساعدتي في ترجمة كثير من اسماء الأعلام الواردة في هذا النص و لتقديمه ملاحظات قيمة اخرى فقد ساعدني ايما مساعدة في ترجمتي. (هادي).

⋆**مهرداد ايزادي**، هو الآن محاضر في قسم لغات وحضارات الشرق الأدنى بجامعة هارفرد. حصل على شهادة (*undergraduate*) في التأريخ العلوم السياسية والجغرافيا. كما حصل على شهادة الماجستير في الشؤون العالمية والجغرافيا ودراسات الشرق الأوسط. حصل على شهادة الدكتوراه في دراسات الشرق الأوسط في جامعة كولومبيا. وقام بإلقاء

محاضـرات علـى نطـاق واسـع وادلى بشـهادته عـن الكـرد امـام مجلسـين فـرعيين للكونغرس الأمريكـي. ونشـر مـواد كـثيرة في (*Kurdish tims*) و (*Middle East Journal*). وسـاهم ايضـا في موسوعة تأريخ آسـيا (*Encyclopedia of Asian History*) ونشـر خرائط عن توزيع الكرد وتواجدهم في العالم.

المصدر:

The Kurds: A Concise Handbook, By Mehrdad Izady, Department of Near Eastern Languages and Civilizations, Harvard University, Taylor and Francis International Publishers/ Washington – Philadelphia - London

الايزديون و سلطات ايالتي الموصل و بغداد خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر

عدنان زيان فرحان

المبحث الأول:
الايزديون و حكام الموصل الجليليون

اولاً: امارة الشيخان و حكام الموصل الجليليون

كانت امارة الشيخان تمثل الكيان السياسي للكورد الايزديين في كوردستان الجنوبية قبل القرن التاسع عشر و استمرت كذلك طيلة هذا القرن، و اصبحت الامارة تعرف بهذه التسمية منذ ان انحصر نفوذها في منطقة الشيخان مطلع القرن السابع عشر[1]، و في تلال جبل مقلوب و قراه، و كذلك المنطقة الواقعة بين الخابور و دجلة و في جبل سنجار غربي الموصل[2]، و التي حلت محل تسمية داسني السابقة، و كانت يتولى حكم الامارة اسرة (شيخان بكى)[3]، و هي نفس العائلة الحاكمة لامارة داسني و التي كانت تمارس الحكم بشكل وراثي طوال عدة قرون[4].

وقد ورثت امارة الشيخان عدداً من الامارات الايزيدية التي سبقتها، اهمها امارة داسني بالاضافة الى امارات دونبلي و محمودي[5] و غيرها[6]، و ارتكز بنيانها الاجتماعي على اساس تجمع عشائري و ديني كوردي قديم، و تمييز هذا التجمع بعقائد دينية خاصة ساعدت على تكوين شخصيتهم المستقلة القائمة بذاتها و لتكون منها جماعة متجانسة واحدة تتكلم اللغة الكوردية و تدين بالديانة الايزيدية[7]، و بذلك كان هذا الكيان الكوردي اقرب ما يكون الى كيان ديني عشائري منه الى كيان سياسي[8]. غير ان امير الشيخان كان يهيمن على السلطتين الدينية و الدنيوية و لم تكن للسلطات العثمانية اية سلطة على الايزيدين[9]، و في المقابل كانت الدولة العثمانية لا تعترف بامارة الشيخان كغيرها من الامارات الكوردية و كانت

تعدها خارجة و ترى وجوب محاربتها[10]. لان الدولة العثمانية لم تعترف بديانتهم من جهة و لأنهم من جهة اخرى كانوا اداريا يتبعون ايالة الموصل و هذا ما كان يرفضه الكورد الايزديون لانه يعني الغاءا لوجود امارتهم و ديانتهم كذلك، مما كان يثير سخط الدولة العثمانية و بالتالي اتخاذ موقف معاد ضدهم.

ضمت امارة الشيخان خلال فترة الحكم الجليلي في الموصل المنطقة المحصورة بين نهري الزاب الكبير و دجلة و ايضا منطقة جبل سنجار، و اصبح نفوذ الكورد الايزديين خلال هذه الفترة مصدر خطر على اقتصاديات الموصل حيث يشير احد الباحثين الى ان حوادث سطوهم على القوافل و قطعهم الطرق تكررت مع استمرار حملات حكام الموصل الجليليين[11] التي استهدفت ضربهم و التنكيل بهم[12]، و كانت العلاقات بين امارة الشيخان و حكام الموصل الجليليين شهدت تدهورا خطيرا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، اذ تشير المصادر المختلفة الى الحادثة التي ادت الى مقتل الوالي الجليلي عبد الباقي باشا على يد الايزديين و هو اول صدام مباشر بين الطرفين[13].

فعندما توجه الوالي المذكور بحملته ضد قبيلة الدنادية و هي من قبائل الشيخان الرئيسية، اضطر افرادها الالتجاء الى اعالي الجبل تاركين مساكنهم لينهبها عساكر الوالي الجليلي، و بينما كانوا منشغلين بنهب بيوت و ممتلكات الايزديين اغتنم زعيم الدنادية نمر بن سمو فرصة بقاء الوالي مع ثلة من مرافقيه في الموقع، ففاجأهم بفرسانه، و قتلوا الوالي و بعض اقاربه و هرب من بقي من اتباعه، و بعدها تجمع ايزيديي الشيخان و اعلنوا الحرب على حكام الموصل و انزلوا هزائم و خسائر كبيرة بقواتها الذين هربوا و تفرقوا، و قد خلقت هذه الأحداث حالة من الفوضى في مدينة الموصل نفسها[14].

و يلاحظ الضعف في موقف حكام الموصل الجليليين تجاه ايزيدية الشيخان، و هذا راجع دون شك الى الدعم و الاسناد الذي كانوا يتلقوه من امارة بهدينان المجاورة ضد توسع النفوذ الجليلي[15]، لذلك جاء رد الموصل على حادث اغتيال عبد الباقي باشا متأخرا في حوالي سنة 1799م، و لم يعتمد الجليليون على قواهم الذاتية فقط للانتقام، بل تعاونت قوات لقبائل عربية من العبيد و بو حمدان وطي و (300) فارس باباني تحت لواء احد اعوان والي بغداد و هو عبد العزيز بك الشاوي، و نزلت خارج الموصل و التحق بهم عساكر الموصل بقيادة كتخدا[16] الوالي محمد باشا الجليلي المدعو بكر افندي[17]، ثم توجهت الحملة الى قرى الشيخان، فوصلتها صباحا، فهرب امير الشيخان حسن بك بأهله و صعد الجبل و قامت هذه القوات حسب قول ياسين العمري "و نهبت نحو خمس عشرة قرية و سبوا النساء و الاطفال و جميع ما لهم من اموال و غلال و القرى كلها لأهل الموصل و قتل من الشيخان خمسة و اربعين رجلا و حملوا رؤوسهم الى بغداد"[18].

لقد قام الجليليون بمحاولات متعددة بغية ضم منطقة الشيخان حيث مركز الامارة الايزيدية الى نفوذهم، و لما كان الخيار العسكري غير فعال في تحقيق الغرض المذكور، توجه الحكام الجليليون لاستخدام الخيارات الأخرى لا سيما الاتصال بدار السلطنة في استانبول و اغداقهم بالهدايا و الاموال و كذلك الحال مع اولي الأمر في بغداد، و هو الذي دفع بالدولة العثمانية الى جعل هذه المنطقة تابعة لايالة الموصل طيلة الحكم المحلي الجليلي[19].

و كان وراء هذا التحرك عوامل عديدة حيث كانت مناطق الشيخان و قراها غنية بمواردها و محاصيلها الزراعية، و كان الايزديون يزرعون الاراضي المتدة من القرى الواقعة على نهر الزاب الكبير و حتى الشيخان و ضفاف دجلة، لذلك نرى بان السلب و النهب كانا من الاهداف الرئيسية للحملات الجليلية، و اللذان كانا يرافقهما سبي النساء و الاعتداء على الاعراض بالاضافة الى ما كانوا يرتكبونه من اعمال قتل بحق افراد امارة الشيخان[20].

استفادت امارة الشيخان بحكم موقعها حتى اواخر القرن الثامن عشر من الحماية التي كانت تؤمنها لها القوى الكوردية المجاورة ولا سيما امارة بهدينان للوقوف بوجه ضغوطات الحكام الجليليين، مع استمرار تبعيتها الادارية لسيادة الموصل من الوجهة الرسمية خلال القرن التاسع عشر[21]، في الوقت الذي لم تكن فيه تعترف بالسيادة المذكورة على مناطقها و ترفض طاعة حكامها و لا تؤدي التكاليف المفروضة عليها[22]، و بخاصة انهم كانوا يتلقون معاملة سيئة من قبل اهالي الموصل، خاصة عندما يقصدون المدينة لبيع منتوجاتهم بل كثيرا ما كانوا يهانون على ايديهم، بعد ان ينهالوا عليهم و على معتقداتهم باللعنات[23].

لقد كان امرا طبيعيا ان يشكل أي تحسن في العلاقات بين حكام الموصل الجليليين و امراء بهدينان خطرا جسيما على امارة الشيخان[24]، و هذا ما حدث في اواخر القرن الثامن عشر و اوائل القرن التاسع عشر، فعندما تمرد امير الشيخان حسن بك على امير بهدينان قباد بك، ارسل الأخير قواته لاخضاع ايزيدية الشيخان و اميرهم، و لكن لم يحالف الأمير البهديناني النجاح في مسعاه هذا، و كرر المحاولة بتوجيه جيش الامارة الى مناطق الشيخان و الذي تراجع بعد ان نهب قريتين، و الظاهر ان هذه الحملة ايضا لم تجن ثمارها، لذا اضطر قباد بك ان يطلب المساعدة و لأول مرة في تاريخ امارة بهدينان من والي الموصل محمد باشا الجليلي الذي بعث جيشا فاجتمع بعسكر قباد بك و نزل الجيشان معا في نواحي زاخو، الا ان قوات الشيخان دحرت قوات الطرفين المتحالفين و نهبت عساكر الموصل بما فيها دوابهم و سلاحهم و قتل منهم رجلا واحدا[25]، و هكذا يبدو ان القوات المتحالفة لم تحرز تقدما ملحوظا.

و بعد ان امنت الموصل جانب امارة بهدينان في دعم امارة الشيخان، تفرغت لتوجيه الحملات ضد الاخيرة، ففي سنة 1807م توجه الوالي الجليلي

نعمان باشا بجيوش الايالة لاخضاع ايزيدية امارة الشيخان نهائيا، و قد اوقعت قوات الوالي الجليلي مذبحة بحق الايزديين حتى تم اخضاعهم[26]، و كان من الطبيعي ان تؤدي الصدامات بين الطرفين الى سوء الوضع الاداري و الاقتصادي في الشيخان و عموم المناطق الواقعة شمال و شمال شرقي الموصل، حيث انقطعت المواصلات و الطرق و اضطر اهل القرى المسلمة المجاورة لمدينة الموصل التحصن في اماكنهم، و امتنع الكورد في الجبال النزول الى السهل و المدينة لبيع محاصيلهم، فعظم الجوع و استولى على الاهالي اليأس و عمت الفوضى[27]. و هكذا يظهر جليا بأن قيام فترة سلم طويلة الامد بين الموصل و امارة بهدينان و اشتراك القوتين معا للوقوف بوجه امارة الشيخان كان له اثره الكبير في الاخلال بالتوازن السياسي الذي طالما استمدت منه الاخيرة دعامة وجودها، و تدل الحوادث التالية التي رافقت ازمة تعيين احمد باشا بن بكر افندي[28] واليا على الموصل، على ان انشقاقا خطيرا قد حدث في البيت الايزيدي الحاكم لامارة الشيخان، فقد انقسمت على اثره زعامة الامارة الى جناحين: الأول ظل على ولائه القديم لامارة بهدينان، و الثاني تمثل بجناح جديد فقد ايمانه بعد الحوادث الاخيرة بجدوى الاعتماد على حليف لا تهمه سوى مصالحه[29].

و قد ترسخ هذا الانشقاق عندما امر والي بغداد سليمان باشا الصغير (1808-1810 م) سنة 1809 م امير الشيخان حسن بك بالهجوم على القرى التابعة للجليليين، و الذي رفض الامتثال لمثل هذه الاوامر، بينما امتثل للأمر اخوه عبدي بك و جعل يطوف على اغلب قرى الموصل و ينهب اموالهم و ممتلكاتهم[30]، و الظاهر ان اعمالا كهذه كانت اقل مما توقعه والي بغداد، لذلك طالب حليفه امير بهدينان زبير باشا الثاني ان يضغط على امير الايزديين كي يحارب اهالي الموصل و حكامهم الجليليين، الا ان امير الايزيدية اصر على موقفه، و كذلك الحال بالنسبة لقبيلة الدنادية التي رفضت ايضا الاستجابة للأوامر الصادرة بشكل اثار استغراب بعض المؤرخين[31].

و قد توضح الموقف الجديد لامارة الشيخان اكثر بعد عودة الحكم الجليلي للموصل مرة اخرى، فعندما تولى محمود باشا الجليلي حكم الايالة سنة 1809 م، ارسل امير الشيخان حسن بك اليه يعتذر عن ما قام به اخوه عبدي بك من اعمال معادية لاهالي الموصل و حكامهم، و قام بطرد اخيه لاثبات صدق نيته في توثيق العلاقات بين امارة الشيخان و ايالة الموصل[32]، و يبدو ان العلاقات بين الجانبين استمرت على هذا المنوال، فلم تشر المصادر الى ادنى اشارة بتورط امارة الشيخان في أي تحرك معاد للجليليين، كما و ليس هناك ثمة ما يدل على ان الاخيرين قاموا باي عمل عسكري ضد امارة الشيخان حتى نهاية حكم ال عبد الجليل سنة 1834م، الا انه ورد في رحلة (سروليس بدج) بأن والي الموصل عمد سنة 1828 م الى قتل ايزيدية الشيخان و سلبهم و اخذهم بالشدة و

العذاب الغليظ[33]، و ليست هناك اشارات في المصادر المعاصرة ما يؤكد ذلك.

ثانيا : ايزيدية سنجار و حكام الموصل الجليليون

كان لايزيدية منطقة سنجار وضعية اخرى، ادت بالجليليين لاتباع سياسة مغايرة تجاههم مقارنة بالسياسة المتبعة مع ايزيدية الشيخان، حيث كان خروج هؤلاء بحكم موقعهم الجغرافي عن تأثير الموازنات السياسية للقوى المجاورة قد افقدهم فرصة الاعتماد على حليف قوي ملائم[34]، غير ان الموقع نفسه منح ايزيدية سنجار اهمية دائمة من حيث السيطرة على مجموعة الطرق التجارية التي تربط ايالة الموصل بالمراكز الاقتصادية و الحضارية المجاورة[35]، الأمر الذي شكل خطرا بحسب وجهة نظر بعض الباحثين على اقتصاديات ايالة الموصل، لذلك يلاحظ قيام الجليليين و بعض القوى الأخرى بتوجيه الحملات المتتالية للحد من نفوذهم هذا[36].

لقد شكل ايزيدية سنجار "الساخطون" على حد قول لونكريك احدى المشاكل الرئيسية التي كانت تجابه حكومة الموصل و في موضع اخر يقول: "استوعب جبل سنجار، مع الجهات الجبلية في شمال شرقي الموصل اليزيدية الذين وقفوا في وجه كل حكومة"[37] هذا حسبما يراه، وقد تفاقمت هذه المشكلة بوجه حكام الموصل لأن سياسة الدولة العثمانية كانت تفضي الى ان تكون سلطات هذه الولاية في حالة حرب مع توابعها و تحديدا مع ايزيدية سنجار[38]، و هكذا كان الاتجاه العام للسياسة العثمانية طيلة القرن الثامن عشر و استمر كذلك في القرن التاسع عشر، لأن منطقة سنجار برمتها بما في ذلك الجبل و السهل و بشهادة رحالة اجانب معاصرين لتلك الفترة، كانت تحت سلطة و سيطرة الايزديين[39]، و هذا ما كان يشكل تهديدا لمصالح العثمانيين في ايالة الموصل من وجهة نظرهم، و التي كان يحكمها خلال تلك الفترة العائلة الجليلية.

لذلك شارك الجليليون في الحملات العثمانية او قاموا بدور قيادتهم بأنفسهم ضد ايزيدية سنجار حتى نهاية حكمهم سنة 1834م، لكن ايزيدية سنجار و بحكم وجودهم في هذه المنطقة الجبلية المعزولة كانوا لا يرضخون لتأثيرات السلطات العثمانية في ايالة الموصل او في غيرها[40]، بل ان تاريخ هذه المنطقة كان يشكل نفسه دون ان يرتبط بأية قوة خارجية مؤثرة[41]، فليس بالغريب ان يتصدى ايزيدية سنجار للحملات العثمانية و يثبتوا في وجهها بالرغم من القوة و البطش الذي كان يرافقها[42]. و بهذه الصورة شكلت العلاقات بين الطرفين صفحة دموية مع استمرار سياسة الحملات من جهة و بقاء الايزديين على موقفهم في الوقوف بوجه حكام الموصل من جهة اخرى[43].

اوكلت مهمة اخضاع ايزيدية سنجار الى حكام الموصل الجليليين منذ انتهاء حملة عام 1752م[44]، و التي كانت تحت قيادة والي بغداد سليمان باشا ابي ليلة، حيث عاضده في حملته هذه امين باشا ابن الحاج حسين الجليلي بتجربته و اخلاصه، لذلك ولي مدينة الموصل بدعم و تأييد من سليمان باشا ابي ليلة لدى الباب العالي[45].

و تكشف لنا حوادث حملات حكام الموصل الجليليين على ايزيدية جبل سنجار عن الخلفية الأقتصادية التي تكمن وراء اعدادها، فقد كان الهدف الرئيسي لكل حملة هو تأمين طرق التجارة اضافة الى امداد الموصل – بين الفينة و الأخرى – بما تحتاجه من اموال و غلال و منتوجات زراعية و مواش[46]، حيث جرد الجليليون حملات متتالية عديدة كان هدفها الرئيسي كما يظهر جليا من الاشارات الواردة حولها في المصادر التاريخية، سلب و نهب قرى الايزيدية في منطقة سنجار و الاستيلاء على اموالهم و ممتلكاتهم[47]، و يذكر رحالة اجنبي عن العلاقات القائمة بين ايزدية سنجار و سلطات الموصل خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ما نصه: "و قد خاض اليزيدية الذين يسكنون هذا الجبل (يقصد جبل سنجار) حروبا كثيرة ضد باشوات الموصل.. و في مثل هذه الحوادث كانت تذهب ضحايا كثيرة من الطرفين، ثم ينتهي الأمر باتفاق على مبلغ من المال"[48] كانت السلطات العثمانية في الموصل و بغداد و الاستانة تنظر الى الكورد الايزديين في سنجار و الشيخان على انهما كتلة واحدة[49]، حيث ان جميع الايزيدية كانوا يتبعون اميرا واحدا يقطن منطقة الشيخان، و لكن رغم ذلك فان حركتهم العسكرية في جبل سنجار كانت تفتقر دائما الى التنسيق مع اخوانهم في الشيخان، فبينما نجد منطقة سنجار تعاني من التنكيل المستمر، كان مركز الامارة في الشيخان لا يحرك ساكنا مهما كانت الظروف، و هذا ما جعل مهمة القيادة العسكرية لقوات الموصل سهلة في هذه المنطقة على الدوام[50].

و بهذا الشكل واصل الجليليون حملاتهم على ايزيدية سنجار، ففي سنة 1800م و بينما كان الطاعون منتشرا في الموصل و سرى الى اكثر محلاتها، و غلت اسعار الأطعمة و المواد على اثر انقطاع القوافل القادمة من المناطق المجاورة، سار الوالي محمد باشا الجليلي الى مهاجمة الايزيدية في سنجار، و يذكر احد المؤرخين انه عاد منصورا من حملته و الطاعون لا يزال منتشرا في المدينة فخاف افراد قواته دخولها[51].

اما رد ايزيدية سنجار على مثل هذه الحملات، كان نهب القوافل التابعة لأيالة الموصل مستغلين موقعهم الاستراتيجي الواقع على الطرق التجارية، و ذلك انتقاما من حكام الموصل الجليليين و اعمال السلب و النهب و القتل التي ارتكبوها بحقهم، و تذكر المصادر انهم قاموا بنهب عدة قوافل في مطلع القرن التاسع عشر، و منها كانت قافلة قادمة من ديار بكر تتجه صوب الموصل و كان معها ستون حمل كتان سوى القماش[52].

و تذكر وثيقة عثمانية في سنة 1804 م بأن الحملات التي كانت تقاد من لدن حكام الموصل الجليليين و تحديدا حملات محمد باشا الجليلي لم تكن تخطط و توجه من الموصل و بغداد فقط، بل ان الباب العالي نفسه كان يهتم بأمر توجيه مثل هذه الحملات ضد ايزيديي سنجار[53]، لذلك نلاحظ ان محمد باشا الجليلي واصل توجيه حملاته هذه، حيث قاد في سنة 1801 م هجوما جديدا قام فيه

بمحاصرة سنجار، و بعد معارك و وقعات ضارية مع الايزيدية قفل راجعا الى مدينة الموصل[54].

و كان حكام الموصل بالاضافة الى الحملات التي كانوا يشنونها بشكل منفرد، يشاركون ايضا في الحملات العثمانية التي توجهها ولاية الأمور في الولايات العثمانية الأخرى ولا سيما حملات حكام بغداد[55]، فقد ساهم محمد باشا الجليلي بقوات ايالة الموصل في الحملة التي قادها والي بغداد علي باشا سنة 1802م، حيث عززت الحملة بجيوش باشوية الموصل، ثم اجتمع والي الموصل محمد باشا الجليلي مع والي بغداد، و بعدها توجهت الحملة مباشرة صوب جبل سنجار و حاصرت منه جهة الشمال، بينما حاصر عرب المنطقة جهة القبلة فأدت اساليب الحصار و الضغط المتوالي حسب قول بعض المؤرخين الى سحب الأيزيدية من كهوفهم و اضطرارهم الى الأستسلام بشروط قاسية[56]. و في السنة التالية جدد الحصار و شدد على جبل سنجار و دام القتال اياما، و قامت قوات الموصل فيها و قطعت الأشجار و نهبت اموال الأيزيدية و هدمت قراهم و اجبر قسم منهم قسرا على اعتناق الاسلام[57].

و بعد مرور عدة سنوات على الحملة الأخيرة وجه حكام الموصل الجليليين من جديد الهجمات على ايزيدية سنجار، حيث قاد نعمان باشا بن سليمان باشا الجليلي (1807-1808 م) حملة على المتحصنين من الأيزيدية بمدينة سنجار، و كان ذلك في سنة 1807م، فقاتلهم بقواته و يذكر بأنه تمكن من اخضاعهم[58]، و لكن سرعان ما رجع ايزيدية سنجار الى اعتصامهم الذي تعاظم ليشمل حوالي (50) قرية ايزيدية في جبل سنجار هذه المرة، و تشير احد المصادر الى ان السلطات العثمانية في الموصل حاربتهم مجددا و تمكنت من قهرهم[59].

و كان رد ايزيدية سنجار على مثل هذه الحملات كالعادة، حيث تمكنت فرقة منهم سنة 1808م- اي في السنة التالية من حملة نعمان باشا الجليلي – ان تظفر بدواب مترلخانة الموصل – اي دواب بلدية الموصل – عند عودتها من نصيبين، فاستولت عليها و اخذتها، فشكا صاحب المترلخانة لدى والي بغداد التي ارسلت الى رئيس عشيرة طي فارس بن محمد تأمره بتحصيل الدواب، فبعث الى الايزيدية يطالبهم بها فامتنعوا فتركهم اياما ثم قبض فيما بعد عشرين رجلا منهم قيدهم و حملهم الى الموصل فسجنهم الوالي نعمان باشا الجليلي، و يذكر ياسين العمري انه ضيق عليهم و لم يطلق سراحهم حتى اعطوا قيمة الدواب و اكثر[60] و نرى من اقوال احد الرحالة بأن سلب القوافل كان مرتبطا بالحرب التي كانت تشنها السلطات العثمانية ضدهم حيث يقول بكنغهام: "و لم تقع اية حرب في هذه السنة (و يقصد سنة 1816 م) و لم تسلب على ايديهم اية قافلة"[68]، و يذكر رحالة اخر ايضا عن ايزيدية سنجار من ان سيرتهم غير مليمة كما يدعي عليهم في الأستانة[62].

و حدث في اواخر العقد الأول من القرن التاسع عشر اضطرابات خطيرة في الموصل حيث اراد والي

بغداد سليمان باشا الصغير (1808-1810 م) انهاء الحكم الجليلي فرشح احمد افندي الموصلي لولايتها بعد وفاة نعمان باشا الجليلي، و توسط لاجل ذلك عند الباب العالي، و بالفعل جاءت الموافقة بتعيينه واليا على الموصل[63]، لذلك كان من الطبيعي ان يشارك الوالي الجديد في حملة سليمان باشا المذكور ضد ايزيدية سنجار سنة 1809م[64]، فأمر احمد باشا الوالي الجديد الزعماء القبليين في الولاية و كذلك وجوه اهل الموصل من الينكجرية بالتوجه صوب سنجار، الا ان الحملة فشلت في تحقيق اهدافها، و يعلق احد المؤرخين عن ذلك: "و هذه الحروب لم تسفر عن نتيجة مشرفة اصابت في الجيش اخطار و مهالك من كل صوب رأوا اهانة و خذلانا، و اورثوا في الجيش نقصا و سببوا معائب في الرأي العام.. و بهذه الحالة عاد الوزير الى الموصل"[65]. فكان ذلك فرصة للجليليين لانتزاع السلطة من احمد الموصلي الذي ساهم في هذه الحملة، لذا ما ان عاد مغلوبا حتى وجد امامه ثورة اهلية بزعامة احد الأمراء الجليليين و هو اسعد بك الجليلي الأمر الذي اضطره الى الهروب ثم قتل فعين محمود باشا الجليلي واليا على الموصل[66].

و بعد فشل الحملة الأخيرة ازداد نفوذ ايزيدية سنجار و بلغ ذروته في عهد احمد باشا الجليلي، و بعد سنة 1819 م سيطروا على جميع الطرق المؤدية الى الموصل و ماردين، و لم يكن بوسع والي الموصل احمد باشا الجليلي – الذي كان هو نفسه في وضع خطر و غير امن على نفسه على حد قول لونكريك – ان يعيد الأمن و سيطرة الموصل الى منطقة جبل سنجار[67].

و يظهر من مجرى الحوادث التاريخية في منطقة سنجار حتى انتهاء الحكم الجليلي لايالة الموصل، بأن الحملات التي قادها الحكام الجليليون فشلت في تحقيق هدفها الرئيسي في كسر شوكة الايزيدية اذ سرعان ما كانوا يستعيدون نفوذهم السابق و سيطرتهم على المنطقة حال انتهاء هذه الحملات و تراجع قواتها الى مواقعها الأصلية و مغزى ذلك ان هدفها لم يكن حماية الطرق و تأمينها كما ادعى الحكام المهاجمون[68]، بقدر ما كانت بهدف ارتكاب اعمال السلب و النهب و الحصول على المغانم المادية، لذلك كان فرص نجاحها ضئيلة في اغلب الأوقات[69].

المبحث الثاني:
الايزديون و حكام الموصل
بعد نهاية حكم الجليليين
حتى منتصف القرن التاسع عشر

كانت هناك عوامل عديدة وراء نهاية الحكم المحلي الجليلي في الموصل و حلول حكم جديد يختلف في الكثير من المناحي عن الحكم السابق، و ابرز هذه العوامل تمثلت بسياسة السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839 م) التي استهدفت القضاء على الحكومات المحلية و احلال سيادة الدولة المركزية محلها[1]، فتم القضاء على الحكومات المحلية و الامارات الكوردية في الدولة العثمانية و على مماليك بغداد، و لم تستطع الموصل ان تقف وحدها على قدميها، فبعد عزل يحيى باشا سنة 1834م انتهى

الحكم المحلي نهائيا و انخرط الجليليون في عداد ملاكي الاراضي من الاشراف و اصبحت الموصل في يوم واحد ايالة اعتيادية تخضع للحكم العثماني المباشر[2].

عين محمد سعيد ال ياسين المفتي كوالي عثماني جديد على الأيالة الا انه عزل في السنة نفسها بعدما تبين ضعفه و عجزه في الوقوف بوجه خطر القوى المجاورة ولا سيما قوة امير سوران محمد باشا الرواندوزي، و عين بدله في حكم الموصل محمد باشا الاينجه بيرقدار، و بتوليه بدأت بجد تصفية اثار الحكم السابق فتم القضاء اولا على اورطات[3] الينكجرية ثم فرض نظام التجنيد الالزامي، و ابتدئ في تطبيق الانظمة الادارية الجديدة فكان ذلك بداية لتغيير سياسي شامل[4] و بادرة مرحلة تاريخية خطيرة بالنسبة للكورد الايزديين.

اتسمت السياسة الجديدة لحكام الموصل خلال هذه الفترة ازاء الكورد الايزديين بالشدة و الحزم و المركزية الصارمة، و هكذا اصبح الايزديون تابعين للسلطات العثمانية في ايالة الموصل حصرا[5]، و لم تكن الدولة العثمانية ترغب في ان تكون العلاقات بين الطرفين جيدة، لذلك يلاحظ ان الموصل اصبحت حتى بعد زوال الحكم الجليلي قاعدة رئيسية تنطلق منها الحملات العسكرية العثمانية ضد الايزيدية و بشكل خاص ضد ايزيدية سنجار[6]، و كان لتأسيس الادارة العثمانية الجديدة في الموصل بعد سقوط الحكم الجليلي مضامين مهمة بالنسبة للجماعات الايزيدية في سنجار و الشيخان على حد سواء فالحكومة العثمانية الجديدة في المدينة بدأت و بقلق شديد تمد سلطتها الى المناطق النائية للموصل و لا سيما مناطق الكورد الايزديين في كوردستان الجنوبية[7].

و يأتي محمد باشا اينجه بيرقدار في مقدمة ولاة الموصل الذين طبقوا اجراءات صارمة في الحكم[8]، حيث عمد خلال فترة حكمه (1834-1844 م) الى تنظيم الامور و توزيع المناصب العسكرية و الادارية[9]، و تخبرنا سالنامه ولاية الموصل لسنة 1313 هـ/ 1895 م بأنه قبض على علي بك امير الايزيدية و قتله في قرية تسمى "كر محمد عرب" مع جماعة من اغوات الانكشارية و زعماء الأكراد و قطع رأسه و رماه في نهر الكومل[10]، و يعلل احد المؤرخين سبب قتل هذا الرجل الذي كان قد فقد مسؤولياته و سلطاته و عزه و مكانته لا خوفا منه بل تنفيذا لسياسة الدولة القاضية بتصفية اصحاب الزعامات و ذوي النفوذ من امراء الكورد و كان يرى في امير الشيخان واحدا منهم[11].

و يروي صديق الدملوجي ان علي بك فر الى الجبال اثناء حملة محمد باشا الرواندوزي و بعد القضاء على امير رواندوزي المذكور على يد محمد رشيد باشا قرر والي الموصل محمد باشا اينجه بيرقدار التخلص من علي بك امير الشيخان، و يوافق على ما ورد في السالنامه العثمانية المذكورة[12] غير ان لايارد الرحالة و الاثاري البريطاني المعاصر للحادثة بالاضافة الى مؤرخين اخرين يخالفونه الرأي و يؤكدون على ان علي بك قتل على يد امير

سوران محمد باشا[13]. كذلك فان سالنامات ولاية الموصل الأخرى تذكر ان والي الموصل محمد باشااينجه بيرقدار انزل الهزيمة بالطائفة الايزيدية و قام باعدام زعيمها دون ان تذكر اسمه[14]، و يقول المؤرخ الكوردي محمد امين زكي انه في حوالي سنة 1835 م و بعد ان استولى محمد باشا اينجه بيرقدار على قلعة العمادية و رتب امورها قام اثناء رجوعه الى الموصل و في طريق عودته بجمع رؤساء و زعماء (شيخاني) الايزديين في قرية "كر محمد عرب" و فتك بهم فتكا ذريعا حتى ابادهم على بكرة ابيهم على حد قوله دون ان يشير ايضا الى اسم الأمير علي بك[15]، و هذا يعني انه قام بقتل امير الايزيدية مع عدد من الزعماء الايزديين الاخرين و لكن علي بك لم يكن من ضمنهم، لانه سبق و ان تم قتله في راوندوز مركز الامارة السورانية و قد يكون الأمير المقتول على يد محمد باشا اينجه بيرقدار اميرا اخر من امراء الكورد الايزديين.

هكذا يشاهد ان حكام الموصل خلال هذه الفترة باشروا بعملياتهم لحمل التوابع و الأقاليم المجاورة الخضوع للحكم المركزي العثماني و كانت مناطق الايزديين المتاخمة من بينها و بتوجيه من السلطات العثمانية الرفيعة في الأستانة و التي دأبت في محاولاتها القاسية و عملياتها المريعة لقطع جذور بعض السكان و العشائر و الاقليات عن معتقداتها الدينية و اساليبها الاجتماعية في الحياة، و كان من ابرز هذه الاقليات الطائفة الكوردية الايزيدية[16].

و يذكر لونكريك انه في سنة 1837 م سحق جند من خارج العراق الايزديين في سنجار مرة اخرى، و تولى والي الموصل في العام التالي اتمام العمل غير الكامل في كوردستان[17] و كانت باكورة حملاته ايضا ضد كورد سنجار الايزديين، حيث يقول احد الرحالة عن ذلك: "و في سنة 1838 م ضرب محمد باشا الموصلي يزيدية سنجار ضربة ساحقة ماحقة"[18]، و يذكر مؤرخون اخرون انه فتك بهم فتكا ذريعا و يظهر ان الحملة هذه كانت شديدة الوطئة عليهم[19].

و تواصلت ملاحقتهم من قبل محمد باشا اينجه بيرقدار، و يشير احد الباحثين الى ان الكثير من المناطق بما فيها مدينة الموصل نفسها بالاضافة الى تلعفر و سنجار و مناطق الايزديين، قد ثارت ضد السياسة الجديدة لوالي الموصل محمد باشا اينجه بيرقدار، مما حمل البيرقدار ان يتعامل مع المنتفضين بشدة و بخاصة ضد الايزديين و عشائر شمر العربية و يضيف: "و كان في اجراءاته قاسيا فظا ضد الثوار و له شراسته في الادارة السياسية و ضد الفئات الاجتماعية"[20].

و يذكر الرحالة بادجر ان ايزيدية سنجار كانوا متأخرين في دفعهم للضرائب بينما كان اينجه بيرقدار متعود على احصال الضرائب بالدفع العاجل و الكامل فتوجه اليهم بحملة سنة 1842 م و في تلك الاثناء جاءه وفد ايزيدي يحمل عرض السلام و الصفح الا انه قام بقتلهم بقسوة متناهية و تم تعليق رأس زعيمهم وستين شخصا من مؤيديه فوق بوابة الموصل[21]. و بلغ تعامله مع الكورد الايزديين

من الشدة و البطش حتى ان سالنامه ولاية الموصل لسنة 1312 هـ / 1894 م تذكر بانه حمل عليهم بعد ان اخضع تلعفر المتمردة و اخذ يقطع رؤسهم و يضعها في غرائز و يرسلها الى الموصل لأجل العبرة و الارهاب[22].

تولت ايالة الموصل بعد موت بيرقدار محمد شريف باشا (1844-1845 م) حيث اسندت اليه الأيالة حسب ما يذكر العزاوي[23] و ما ان باشر مهامه حتى توجه بحملة و في السنة الأولى من حكمه لاخضاع ايزيدية سنجار[24]، و كانت حملته اشد و اقسى من حملة سلفه محمد باشا اينجه بيرقدار و بخاصة بعد ان بالغ في قتل و نهب كورد سنجار الايزديين[25]، و يقول الدملوجي عن هذه الحملة و ما ارتكبه محمد شريف باشا بحق اهالي سنجار ما نصه "و اجرى.. من دماء سيولا حتى يقال ان حملة اينجه بيرقدار لا تعد شيئا مذكورا بجانبها"[26].

و تابع حكام الموصل حملاتهم العنيفة ضد ايزيدية سنجار، و ذلك لتقوية قبضتهم عليهم و اخضاعهم للتنظيمات العثمانية و تحديدا التجنيد الالزامي[27]، و كانت حملات محمد باشا كريدلي اوغلو (1845-1846 م) الذي خلف محمد شريف باشا في حكم الموصل اعنفها ضدهم بحسب ما اورده احد الباحثين[28]، و يحدثنا دي فوصيل نقلا عن القنصل الفرنسي في الموصل عن شخصية محمد باشا كريدلي قائلا بان "هذا الاقليم (يقصد الموصل) قد سلم يدا بيد الى لص شقي قاطع الطريق حقيقي متمثلا بشخص هذا الوالي الذي لا يتورع عن اقتراف كل الاثام اذ لا قدسية لشيء في نظره و لا حرمة لديه لحياة او اموال و شرف العوائل و الأسر"[29]، اما الدملوجي فيقول عن سياسة هذا الوالي تجاه الكورد الايزديين بانه "كان اشد الولاة هولا و اكثرهم رعبا و خوفا فافحش فيهم قتلا و تعذيبا"[30]، و هذا ما يؤكده العزاوي ايضا حيث يذكر بان محمد باشا كريدلي كان من اقسى ولاة الموصل عليهم[31].

بدأ كريدلي محمد باشا ادارة حكومته بتوجيه حملة ضد ايزيدية سنجار سنة 1845 م و كان هدف الحملة هو اخضاع رجال قبيلة المهركان للخدمة العسكرية العثمانية و هناك قام الوالي المذكور بقطع رؤوس الرجال اما النساء و الاطفال فقد تم استعبادهم ثم قامت قوات الباشا بسلب و نهب ممتلكات الايزديين و رجعت الى الموصل و معها الكثير من الغنائم[32]، و يبدو ان الحملة فشلت في تحقيق هدفها الرئيسي حيث قدر رسام (نائب القنصل البريطاني في الموصل) عدد القرى التي تركت في جبل سنجار بحوالي احدى عشرة قرية مع حوالي (1500) رجل قادر على حمل السلاح[33].

و في اواسط سنة 1845 م اتهم محمد باشا كريدلي ايزيدية الشيخان بالتخلف عن دفع ضرائب حكومية كثيرة و لما كان الشيخ ناصر الزعيم الديني للايزيدية من بين الذين تصدوا لحملته ضد ايزيدية سنجار بارسال المتطوعين الايزديين للوقوف بوجه قواته و مساندة بني جلدتهم هناك لذلك

اصدر اوامره باعتقاله و ارسل قوة عسكرية لتنفيذ ذلك الا ان نائبه بير سينو حل محله حيث تلقى تعذيبا مكانه دون ان يكشف سره[34]، و كاد ان يحل بايزيدية الشيخان ما حل باخوانهم في سنجار لولا تدخل رسام نائب القنصل البريطاني في الموصل في الوقت المناسب، حيث قام بدفع مبلغ ضخم من المال للباشا عوضا عن الايزيدية مقابل تحرير نائب الشيخ ناصر المحتجز و ترك الايزيدية و شأنهم و بأنه سوف يسوي الخلاف معهم بان يعيدوا اليه ما كان قد دفعه من نفقات في فترة لاحقة بان يمنحوه قسما من محاصيلهم[35].

اما طيار باشا فحاول خلال فترة حكمه لولاية الموصل (1846-1847 م) ان يتبع سياسة اقل حدة و عنفا تجاه الايزيدية لاسيما في سنجار و قد نجحت الجهود السلمية المبذولة من قبل زعماء الايزيدية هذه المرة في اقناع هنري لايارد بالتوسط عند الوالي الجديد لصالحهم[36]، و لتسهيل مهمته زوده الشيخ ناصر الزعيم الروحي للايزيدية برسالة توصية الى زعماء جبل سنجار و شيوخ قبيلة المهر كان تحديدا و طلب منهم فيها ابداء المساعدة لهنري لايارد و الاعتماد عليه في التوسط لدى السلطات العثمانية في الموصل[37].

و في الموصل نزل لايارد كضيف عند طيار باشا و هناك اطلعه على مطاليب الايزديين في تخفيض الضرائب كتقدير من الحكومة لظروفهم جراء التهديدات التي تعرضوا لها مؤخرا[38]، و كان ايزيدية سنجار يعانون منذ مدة طويلة من اعباء الضرائب الحكومية الكثيرة التي اثقلت كاهلهم[39]، و اثناء ذلك بدأ الوالي العدة لحملة عسكرية على سنجار اصبح هدفها بخلاف الحملات السابقة كما يذكر لايارد التفتيش بخصوص مسألة الضرائب الحكومية و جمعها، و النظر في المظالم التي اجراها الوالي السابق كريدلي محمد باشا اذ يقول و هو شاهد عيان لهذه الأحداث: ذهب طيار باشا الى سنجار قصد ان يقوم بالتفتيش بخصوص جمع الضرائب و التحقيق في المظالم التي ارتكبها الوالي الذي كان قبله بحقهم و دعا زعماء الايزيدية لمقابلته في مهركان اكبر القرى الايزيدية في سنجار و قد تلقى اهلها اشد الويلات من محمد باشا و قتل الكثير منهم فامتنعوا من مقابلة طيار باشا خوفا من ان يعاملهم معاملة سيئة و ظالمة.. لذلك ارسل احد قواده اليهم لكي يؤمنهم على حياتهم[40].

كانت هذه الأحداث في شهر اكتوبر/ تشرين الأول سنة 1846م و كان يرافق الوالي فوج من المشاة و بعض سرايا الخيالة و فرق من الفرسان غير النظامية مع بطارية مدفعية و قد خيمت الحملة تحت السفح الشرقي من جبل سنجار، بانتظار نتائج البعثة التي ارسلها الوالي برئاسة احد معاونيه و معه لايارد الذي يحمل رسالة الشيخ ناصر الى زعيم مهركان عيسى اغا، غير ان الافق كان يخبئ كارثة اخرى فعندما اقتربت البعثة من القرية قابلهم افراد قبيلة مهركان الايزيدية بأطلاق وابل من النيران اردت باثنين من فرسان الوالي صرعى و هكذا اصبحت فرص لايارد لايصال رسالة الشيخ

ناصر الى زعيم المهركان شبه معدومة و دون جدوى[41]، حيث غضب طيار باشا و امر قواته بمهاجمة القرية و التي التجأت اهاليها الى كهوف و اودية جبل سنجار و دخلت القوات العثمانية قرية مهركان و قتلوا من وجدوا فيها من شيوخ و عجائز و اوقعوا فيها النهب و احرقوها و جرت معارك و مناوشات بين القوات المذكورة و الايزيدية المتحصنين بالجبل و قتل قاضي العسكر العثماني و الكثير من الطرفين[42]، و تشير احدى المصادر ان جيش الباشا شرع بذبح الايزديين في جبل سنجار اثناء هذه الحملة بوحشية[43].

و قد حاولت القوات العثمانية الاستمرار في مطاردة الايزديين المتحصنين في جبل سنجار، و قد تمكنت من اكتساح مواقعهم بدون قتال في اليوم الرابع من الحملة، غير ان المدافعين الايزديين كانوا قد انسحبوا الى الجهة الأخرى من الجبل و الغنائم الوحيدة لهذه المعركة الضارية كانت غرائر من التين الجاف اذهلت طيار باشا مع رؤوس من الماشية و ممتلكات اخرى ارسلها الوالي الى استانبول[44]، و بحسب مؤرخ اخر فإن الايزديين قاوموا القوات العثمانية لمدة ثلاثة ايام، و قتلوا عددا كبيرا من الاتراك و عند ذاك اضطر طيار باشا العدول عن الاستمرار في تحقيقه و عاد الى الموصل[45]، و تدل المعلومات الواردة في احدى المصادر، مدى البطش و التنكيل العنيف الذي جرى بحق الكورد الايزديين اثناء و بعد حملة طيار باشا، فعندما هرب الايزديون و تركوا قراهم و لا سيما قرية مهركان خوفا من قوات الباشا، تعرضت قراهم تلك الى الحرق و التدمير، اما من بقي في هذه القرى من شيوخ و عجائز و اطفال و نساء، فقد تم قتلهم، و اخذت القوات العثمانية عددا اخر من العوائل الايزيدية كسبايا حرب الى الموصل، و هناك احتجزوا في ميدان عام بواسطة سياج شائك و تجمع حولهم اهالي المدينة و طلب منهم ان يعلنوا الاسلام دينا لهم، لكن لما رفضوا ذلك جرى قتلهم بوحشية بالسهام و الرماح[46].

اما اسماعيل بك جول فله وجهة نظر مغايرة لما اورده لايارد و المؤرخون الاخرون عن احداث هذه الحملة، حيث يذكر عنها ما نصه: "حضر طيار باشا و نزل بالصولاغ و ارسل رجل معمكي ادو الى المهركان و قال لهم انا قد حضرت من طرف الحكومة و من طرف طيار باشا و نحن قد اكلنا خبزكم و ملحكم و انا صادق معكم فقط يكون تعطون اربعة اكياس دراهم الى الحكومة حتى ترضى عليكم فاجابه اغوات المهركان عيسى ادي و علي نافخوش نحن ما نعطي و لابارة.. فطيار باشا لما رأى منهم العصيان سار عليهم بالعساكر لكن اهالي المهركان كانوا قد ارسلوا نساءهم و اطفالهم الى الجبل.. و الرجال اجتمعوا في كلي بيرميني اعني وادي الكبير. و هكذا كلما يصير محاربة يجتمعون هناك لانه مكان عاص. و كان مع طيار باشا ما يزيد عن الف نفر عسكر و صارت المحاربة و قتل من عسكر الحكومة ازيد من مئتين نفر.. فطيار باشا لما رأى انه مكسور و ماله اقتدار عليهم طلب الامان من الايزيدية فقط يعطوه جثث انفار العسكر

ليدفنهم فاعطوه ذلك و رحل عنهم و توجه الى الموصل"[47]. و يمكن ترجيح الروايات الأخرى على هذه الرواية و لا سيما ما ذكره لايارد الذي رافق الحملة و وقف على احداثها بنفسه بمثابة شاهد عيان لها، و هذا ما يذهب اليه مؤرخ اخر ايضا[48].

يمكن للباحث الواقف عند هذه الحملة ان يرى بوضوح فقدان الثقة المتبادلة بين الايزديين و حكام الموصل ولا سيما في سنجار، و هذا ما ذكرته المصادر بشكل جلي عند تناولها احداث هذه الحملة، فعندما طالب طيار باشا مقابلة و مواجهة زعماء قبيلة المهركان، نلاحظهم متمسكين بموقفهم الرافض لذلك، و خاصة ان المظالم و النكبات التي تعرضوا لها على يد محمد باشا كريدلي و الولاة الذين سبقوه لا تزال حية امام اعينهم[49]، و قد دلت تلك الأحداث و عملياتهما على مدى الشدة و البأس و القسوة التي استخدمت ضد الايزديين، و لم يتورع ولاة العثمانيين في الموصل عن استخدام المدفعية ضدهم[50]، و مع ذلك استطاعت العشائر الايزيدية ان تصمد في وجهها[51]، لذلك نجد ان مناطق الايزديين عامة و منطقة جبل سنجار خاصة تتمتع بهدوء نسبي بعد حملة طيار باشا، و تتوقف الحملات حتى بعد حلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر، و يعلل صديق الدملوجي اسباب ذلك بقوله: "ان الحكومة لم تكن لترى بعد هذا معالجة المشاكل الداخلية بالعنف و الشدة، و اخذت تميل الى اتباع سياسة عادلة و رشيدة، و قد ادركت ان الظروف الحاضرة لا تسمح لها بعد هذا بعمل غير انساني، و الاجانب واقفون لها بالمرصاد و يحاسبونها على كل صغيرة و كبيرة تقع في بلادها، و الانكليز يظهرون عطفهم على اليزيديين منذ عهد لايارد و كان يوقفهم على الحوادث التي تقع لهم"[52].

المبحث الثالث:

الايزديون و حكام بغداد

يعود تاريخ اصطدام الايزديين بالسلطات العثمانية في ايالة بغداد الى اوائل القرن الثامن عشر، عندما قررت الدولة العثمانية الحاق منطقة سنجار و مقاطعة ماردين بايالة بغداد بدلا من ايالة ديار بكر[1]، التي فشلت في تحقيق الهدف العثماني الرامي الى اخضاع ايزيدية هذه المنطقة الاخضاع التام و القضاء على نفوذهم في القرن السابق[2].

و بعد هذا الاجراء الاداري العثماني توفرت عوامل عديدة لتدهور حدة العلاقات بين الايزديين و حكام بغداد و بلوغها حد الصدام المباشر، حيث كانت للايزديين شخصيتهم القائمة بنفسها، و في اعتقاد ولاة بغداد انهم كفرة يجب قتالهم[3]، و ذلك يرجع الى الفتوى التي صدرت من قبل شيخ الاسلام في القرن السادس عشر، و بالتحديد في عهد السلطان سليمان القانوني كما ذكرنا سابقا[4]، و كان السبب الاخر لتزايد عمق الكراهية بين الطرفين هو ان الايزديون كانوا قادرين على قطع الطرق الهامة المارة بين العراق و الشام و الاناضول، و كان خطرهم يتردد صداه في العراق كله و في الاستانة، و

كانت السلطات العثمانية في الموصل ايضا عاجزة عن السيطرة عليهم، فكلفت بغداد بدرء خطرهم[5].

لم يكن اخضاع الايزديين في جبل سنجار بالمهمة السهلة التي كان ينتظرها حكام بغداد، حيث كانت لدى العشائر الايزيدية التي تسكنه ما يزيد على ستة الاف رجل مسلحين بالبنادق عدا الفرسان المسلحين بالرماح، كما ان اماكنهم محصنة من كل الجهات الأمر الذي جعلهم ذوي قوة و ذوي شكيمة[6]، لذلك كانت حملات حكام بغداد ضدهم تتسم بالقوة و الضخامة و التنظيم[7]، فقد جرد من ايالة بغداد خلال القرن الثامن عشر اكبر حملتين عثمانيتين ضدهم، الاولى كانت سنة 1715 م تحت قيادة حسن باشا، و الثانية سنة 1752 م قادها سليمان باشا ابي ليلة[8].

و بالاضافة الى منطقة سنجار كان يتبع ايالة بغداد بعض القرى الايزيدية الواقعة على الزاب الكبير، حيث كانت القرى التي تحاذي الضفة اليسرى تتبع اداريا لايالة بغداد، بينما القرى الواقعة على الضفة اليمنى كانت تابعة لايالة الموصل، حيث يقول الرحالة الفرنسي اوليفييه: "و قد قيل لنا ان عدة قرى يزيدية كانت على طرفي النهر (يقصد الزاب الكبير)، و كان لكل منها اغاه و وفقا لموقعهم كان يتبع البعض باشا الموصل، بينما يتبع الاخرون باشا بغداد"[9]، و يضيف اوليفييه الى ان ايزيدية هذه القرى على عكس ايزيدية جبل سنجار اكثر خضوعا، و يدفع رؤساؤهم الجزية بصورة اعتيادية[10]، الا ان ذلك لا يعني تسامح سلطات بغداد ازاءهم و خاصة انها كانت تنظر الى جميع الايزديين على انهم كتلة واحدة[11]، فكان امرا طبيعيا ان يشملهم ايضا سياسة الحملات العسكرية، كالحملة التي قادها والي بغداد احمد باشا (1723-1747 م)، حيث قامت عساكره بنهب و سلب هذه القرى[12].

اما ايزيدية قرى منطقة الشيخان فقد كانوا يتعرضون كذلك للحملات العسكرية لحكام بغداد، حيث قاد احد اعوان والي بغداد سليمان باشا الكبير (1780-1802 م) في مطلع القرن التاسع عشر حملة عسكرية ضدهم، فقامت قواته بنهب حوالي خمس و عشرين قرية من قراهم تلك و سبوا النساء و الاطفال و جميع ما لهم من اموال و غلال، و قتل من ايزيدية الشيخان حوالي خمسة و اربعين رجلا[13].

يبدو ان التغيير الاداري العثماني في الحاق منطقة سنجار بايالة بغداد كان في صالح ايزيدية سنجار، فبدلا من ان يسفر عنه تقويض نفوذهم، نراه يؤدي الى استمرار سيطرتهم على مناطقهم و امتدادهم الى المناطق المجاورة[14]، و يصف رحالة فرنسي في مطلع القرن التاسع عشر محاولات حكام بغداد لاخضاع ايزيدية منطقة سنجار بقوله: "و لقد لاحظت هنا كيف جرب باشوات بغداد في مختلف العصور اخضاع اليزيدية، و مهاجمتهم بقوات كبيرة، لكنهم لم يصيبوا النجاح في ذلك دوما"[15]. فعلى الرغم من تعدد حملاتهم العنيفة، فانها لم تكن لتنتهي ابدا بتحقيق اهدافها في اخضاعهم بشكل نهائي، و سبب ذلك لانهم كانوا

قوماً اشداء متمنعين في جبالهم المنيعة فلا يلبثون ان يستأنفوا نشاطهم الذي تراه الدولة العثمانية و سلطاتها في بغداد معاديا لها، فهم وحدهم الذين تمسكوا بمعتقداتهم الخاصة، بينما معظم كوردستان سني المذهب[16].

تواصلت حملات بغداد ضد الكورد الايزديين في القرن التاسع عشر، فقد استمرت سياسة المماليك السابقة على حالها تجاههم، و يقول احد المؤرخين بأن وقائع الايزيدية كانت اهم ما يشغل بال حكومة بغداد خلال هذه الفترة[17]، الا ان الحملات لم تكن لتشن دون توفر الفرص المناسبة، لذلك قام علي باشا (1802-1807 م) الذي خلف سليمان باشا الكبير في حكم بغداد بتوجيه حملة الى سنجار سنة 1802 م لمقاتلة الايزديين الذين كانوا يقطعون الطريق و يقتلون الناس و ينهبون الاموال وفقا لقول احد الباحثين[18]، و يقول مؤرخ اخر: "اقبل علي باشا والي بغداد لتأديب بعض قبائل اليزيدية الذين كانوا قد قطعوا السبل فحمل على سنجار.. و اجبر العصاة على الطاعة"[19].

بينما يذكر عباس العزاوي بأنه كان قد عزم الرجوع الى بغداد بعد ان اخضع عشائر البلباس الكوردية، لكنه لما علم ان "اليزيدية في جبل سنجار طغوا و تزايد ضررهم" تحرك من اربيل الى سنجار و نكل بهم[20]، و يورد مؤرخ اخر انه بعد اخضاع عشائر البلباس، فكر علي باشا في امر اخضاع ايزيدية سنجار كذلك، و الذين كانوا يسببون المتاعب منذ امد طويل لاهالي الموصل حسب رأيه باعتداءاتهم و شرورهم، فكان توجيه حملة عسكرية ضدهم في تلك الايام، حيث سنحت الظروف فرصة ملائمة جدا لوالي بغداد علي باشا[21]، و يؤيدهم صاحب دوحة الوزراء بقوله: "و على اثر استعداده للعودة (يقصد من اربيل بعد اخضاع قبائل البلباس) تلقى شكوى من سكان سنجار و ما جاورها ضد اليزيدية الذين لا يتقيدون بنظام او قانون، فاضطر ان يتجه نحو سنجار لمعاقبتهم"[22]، و جاء في مطالع السعود ضمن حوادث سنة 1802 م ما يلي: "و فيها غزا الوزير علي بعدما وردت اليه الايالة و عرف الخاص و العام انها له البلباص من الاكراد فاطاعوا و اعطوه ما اراد، ثم انقلب منهم بعسكره الجرار، و عبر الدجلة من الموصل لمقاتلة اهل سنجار.. فنزل شمالي ذلك الجبل، و جاهد.. بالسيوف و الأسل"[23]. و يبدو ان الهدف الحقيقي للحملة كان القضاء على الاستقلال الذاتي لايزيدية سنجار الذي كانوا يتمتعون به خلال فترة حكم والي بغداد علي باشا، فقد كانوا مستقلين في احكامهم ازمانا طويلة و هم يدينون لأمير كوردي منهم – أي امير الشيخان – و له عليهم الحكم المطلق[24].

و قبل ان يأخذ علي باشا قراره النهائي بتوجيه حملة عسكرية ضد ايزيدية جبل سنجار، اراد ان يطلع حلفاؤه على نواياه بهذا الشأن، و خاصة البابانيون الذين رحبوا بذلك و وافقوه على ان في الحملة ثوابا دينيا، و بعد ان نالت الحملة المرتقبة استحسان كل الاطراف، امر علي باشا بالتحريك بعد

ايام يتم خلالها اعداد العدة الكافية، و كانت قوات الحملة تنتمي الى عناصر مختلفة مشبعين بالروح الدينية في الجهاد ضد الكورد الايزديين، و تم استقبال هذه القوات الكبيرة من جانب والي الموصل محمد باشا الجليلي عند وصولها الى حمام العليل التي سارت حتى دخلت مدينة الموصل، و لما كانت قوة الايزديين من الكثرة و مواقعهم من المناعة امر باستعجال التحاق قوات الموصل العسكرية به بغية احراز النصر[25].

تحركت الحملة من الموصل صوب سنجار بعد اتمام و جمع و تحشيد القوات و المعدات الكافية، و لما وصلت سفوح الجبال الواقعة شمالي سنجار اتخذوها مقرا لهم و نصبوا خيامهم، اما الكورد الايزديون فقد تركوا في اليوم التالي قراهم و مساكنهم كلها و توجهوا نحو قمم جبال سنجار و اقاموا فيها الاستحكامات و بنوا المواقع الدفاعية و ذلك لرد الهجمات التي ستشن عليهم، و كانوا قد اخذوا معهم كل ما يحتاجون اليه من مستلزمات و معدات، و قد تبين ذلك للوالي علي باشا عن طريق جواسيس خصوصيين ارسلوا لاستطلاع اخبارهم و ترصد اعمالهم، لذلك صدر الأمر بادئ ذي بدء بحرق مساكنهم و قراهم و قطع اشجارهم و تدمير بساتينهم، و بالفعل تم تنفيذ كل ذلك[26].

اما عن مجريات احداث الحملة الأخرى و وقائعها و اثارها و نتائجها، فهناك معلومات وافرة عن ذلك، حيث ورد في تاريخ الموصل على ان علي باشا والي بغداد خرب و دمر القرى و اتلف المزروعات و البساتين واجبر الايزديين على اعلان الخضوع لسلطته[27]، و يذكر انستاس الكرملي بأنه تمكن من اخضاع جمع غفير منهم، كما قتل منهم خلقا لا يحصى عددهم[28]، ويعلق على وقائع حملة علي باشا ياسين بن خير الله العمري ضمن حوادث 1802م، ما نصه: "شدد الحصار على جبل سنجار فاطاعته فرقة ودام القتال اياما و امر بقطع اشجارهم و هدم قراهم و نهب اموالهم و اخراج خباياهم فتزلوا و اطاعوا و شرط عليهم ان يحرثوا و يعمروا قراهم اسفل الجبل فقبلوا ما امرهم به ثم نصب عليهم احد امرائه.. ورحل علي باشا عن الجبل"[29]، و يوافقه لونكريك على ذلك ضمنيا بقوله بأنه سار للقضاء على ايزيدية جبل سنجار، فأدت اساليب الحصار و الضغط المتوالي الى طردهم من كهوفهم و اضطرارهم للاستسلام بشروط قاسية[30].

و جاءت في دوحة الوزراء عن احداث هذه الحملة ان علي باشا "ضرب نطاقا على المتمردين و راح يصليهم نارا حامية، مما اضطرهم الى ترك بيوتهم و زواياهم و فروا بأنفسهم الى قمم الجبال، و قد استولت الحملة على بيوتهم و قراهم، و ما فيها من اموال و ذخائر، و دمرت بساتينهم و مزارعهم.. ثم ضيقت الحملة على اليزيدية و احاطت بهم من كل مكان، و اصبح اكثرهم هدفا للرماة فوقعوا قتلى و جرحى، و سمح للعشائر التابعة للحملة بالهجوم عليهم وهم العبيد و الجربة و غيرهما، فراحوا يطاردونهم و يتصيدونهم و كادوا يفنونهم عن

بكرة ابيهم لولا ان استسلم الذين بقوا منهم على قيد الحياة، معلنين الخضوع و الاستسلام"[31].

و في كتاب تاريخ الامارة البابانية لمؤلفه حسين ناظم بيك تفاصيل كثيرة و دقيقة عن احداث حملة علي باشا على ايزيدية جبل سنجار، فيذكر انه بسبب مناعة مواقع الايزديين و كون اغلبية قوات الحملة غير متمرسة على قتال الجبال باستثناء القوات البابانية، و لما كان علي باشا يلاحظ هذه المشاكل، كان يخشى عدم النجاح مع عدم تملكه القوة التي يطمئن اليها لاحراز الانتصار، و لكن تمكن ابرز قادة الحملة و لا سيما من البابانيين و بموافقة علي باشا من وضع خطة محكمة للهجوم على مواقع الايزديين و بالتالي ضمان النصر و الظفر[32].

و يشير المؤرخ المذكور ان الخطة الموضوعة كانت ناجحة في اختراق مواقع الايزديين، حيث واصلت قوات الحملة تقدمها صوب معاقلهم بالرغم من الغارات الليلية الاقتحامية المباغتة التي كان يشنها الايزديون، و وفاة احد قادة الحملة وهو ابراهيم باشا الباباني اثناء العمليات، حيث داهموا استحكامات الايزديين و تمكنوا من قتل اعداد كبيرة منهم قدرت بالمئات، فطلب الباقون منهم الامان، فاقتادتهم قوات الحملة مع غنائم كثيرة الى الوالي علي باشا الذي اخلى سبيلهم و اذن لهم ان يأووا الى اماكنهم كسابق عهدهم على ان لا يعودوا الى معتقداتهم ثانية، و الا يخلوا بالأمن و الاستقرار في المنطقة، و يدفعوا ما تراكم عليهم من الضرائب دفعة واحدة نقدا، و بعد تنفيذ الايزديين للشرط الأخير لم يبق ما يستوجب البقاء في تلك الديار، و صدرت الأوامر بالتحرك و العودة[33].

و كانت هذه الحملة موضع اهتمام و رضا السلطان سليم الثالث (1789-1807م) الذي ارسل فرمان تقدير الى علي باشا في اواسط صفر 1218هـ/1803م[34]، و لكن هناك في مصادر اخرى ما يشير الى ان الحملة لم تحقق هدفها الرئيسي في اخضاع الايزيدية الاخضاع التام، حيث يذكر الرحالة الفرنسي روسو وهو الذي عاصر هذه الأحداث قائلا: "و لقد حاول علي باشا ذات المحاولة (يقصد محاولة اخضاعهم) لكنه لم يكن موفقا في ذلك. فقد ذكر ان حملته ضد اولئك.. (يقصد ايزيدية سنجار) لم تمكنه الا من الاستيلاء على ثلاث او اربع من قراهم حيث وقعت مذبحة اصابت بعض العوائل المنكوبة.. التي اجبرت على اعتناق الدين الاسلامي من دون تعويض"[35]. و يتحدث اسماعيل بك جول عن انكسار قوات علي باشا عندما هاجمتهم رجال القبائل الايزيدية، و نتيجة لذلك قام والي بغداد المذكور بمعاقبة عدد من قادة قواته و قتلهم ثم تراجع نحو الموصل[36]، اما عثمان بن سند البصري فينقل عن شاهد عيان قوله ان الباشا غضب اشد الغضب عندما سمع عن هروب بعض القوى المشاركة بالحملة من الواقعة[37]، على اية حال فان نتائج الحملة على المدى البعيد كانت بالفعل غير مثمرة بالرغم من انها اوقعت بايزيدية سنجار خسائر فادحة في الارواح و المتلكات، حيث

ان دخولهم طاعة حكام بغداد لم تستمر طويلا، فقد عادوا خاضعين في احكامهم الداخلية لأمرائهم[38].

خلف سليمان باشا الصغير (1808-1810م) علي باشا في حكم ايالة بغداد و لم يحسن الوالي الجديد التصرف بالسياسة العشائرية التي كانت من شؤون الايالة الخطيرة في تلك الحقبة اذ انحاز الى فارس الجربا شيخ مشايخ الشمر ضد العشائر الايزيدية في جبل سنجار[39]، ففي سنة 1809م اقنع زعيم شمر المذكور سليمان باشا الصغير بقيادة حملة عسكرية على ايزيدية سنجار، و كان هدف فارس الجربا من وراء هذه الحملة ضمان سيطرة شمر الجربا على الجزيرة العليا من جبل سنجار[40]،فأبدى للوزير ان لديهم غنائم كثيرة من السهل الحصول عليها، فسول له ان يسير عليهم[41].

و كان موقف الايزديين من هذه الأحداث هو الاتفاق مع عرب قبيلة الظفير ضد شمر الجربا و والي بغداد و شن الغارات المشتركة على مناطق نفوذهم[42]، في الوقت الذي كان سليمان باشا الصغير يتحين الفرص للهجوم عليهم، لذلك خرج في سنة 1809م من بغداد و على رأس قوة كبيرة لتحقيق مبتغاه، حيث يذكر ياسين العمري: "توجه الى جهة جبل سنجار و نهب مدينة بلد من اعمال سنجار ثم نهب قرى المهركان و قص اشجارهم و خرب ديارهم و اعمى اثارهم ثم نزل على جهة الشمال من سنجار و حاصرها اياما ثم رحل"[43].

و ينقل الدملوجي عن تاريخ جودت حول هذه الأحداث ما نصه: "سار الى جبل سنجار بقوة كبيرة مجهزة بست بطاريات و معه محمد بك امير الكوي و احتل قرية لهم و اعمل السيف برجالها و سبي نسائها واظهر من الشدة و الصرامة ما القى الخوف و الرعب في قلوب اليزيديين"[44]، و يشير مؤرخ اخر بأن سليمان باشا الصغير جهز حملة كبيرة معززة بخمس بطاريات مدفعية صحراء و قادها بنفسه الى سنجار الثائرة و هناك اشتبك مع الايزديين الثائرين، فقتلت و احرقت و سبت ماشاء لها و طاب من نساء و اولاد و اموال الثوار، الذين فروا و اعتصموا بقمم الجبال و اوديته و كهوفه و تحصنوا فيه[45]، بينما يصف الكركوكلي مقاومة الايزديين و دفاعهم عن مواقعهم بقوله: "و لكنهم ثبتوا في وجهه و لم يتزحزحوا عن اماكنهم، و وقفوا وقفة المستميت"[46].

وقد شاركت في هذه الحملة القوات العثمانية المرابطة في كويسنجق و اربيل و كركوك و تكريت بالاضافة الى عشائر عديدة مثل قبائل البوحمدان و البوسلمان وطي و العبيد و البوحمد و شمر الجربا و غيرها و وصفها المؤرخون بانها "عساكر تسد الفضاء"[47]، و وفق تقديرات احد المصادر انه تحرك من بغداد الى سنجار مباشرة على رأس قوة قوامها اربعون الف شخص و خمس بطاريات مدفع و سائر عددالحرب[48]، و على حد قول صاحب دوحة الوزراء فان هذه القوات و العشائر باجمعها لم تفعل شيئا و لم تحرز أي تقدم[49]، فالايزديون كانوا قد اعتصموا بجبالهم و لم يكن اخضاعهم بالأمر الهين،

حيث ذكر انستاس الكرملي بانهم تحصنوا بثنية من ثنايا سنجار لا يمكن الوصول اليها الا بشق الأنفس[50]، و هذا ما يؤكده مؤرخ اخر، حيث يقول: "و اعتصموا برؤوس الجبال و التأوا الى الكهوف و المغارات و استعدوا للقتال، و عندما ادرك سليمان باشا عجزه عنهم ترك الجبل"[51].

و تعلق مصادر مختلفة على فشل الحملة بالرغم من ضخامتها وسعة نطاقها، حيث يقول احد الباحثين: "بيد ان هذه الحملات لم تجديه نفعا (يقصد سليمان باشا الصغير)، فإنه بدلا من ان يعود منها ظافرا محملا بالغنائم التي كان يمنيه بها فارس الجربا وجد نفسه صفر اليدين"[52]، و يتحدث مؤرخ اخر عن فشل هذه الحملة حيث ان الكورد الايزديين كانوا يستندون الى جبلين جنوبي و شمالي، فهاجم سليمان باشا الجبل الجنوبي و مع ان قواته احتلت في الواقع قرية بلد الايزيدية و اسرت اهليها و نهبت اموالهم و استولت على ممتلكاتهم الا ان الايزديين استطاعوا دحر الهجوم الذي شنته قوات الباشا على الجبال وردوا المهاجمين على اعقابهم بعد ان قتلوا منهم الكثير، و اضطروهم الى الانسحاب، كما تمكنوا في هجمات اخرى معاكسة ان يهزموا القوة الرئيسة لسليمان باشا، الأمر الذي لم يترك له أي مجال للشك في ان قواته ستباد بالمرة[53]، و قد تركت الحملة اثار وخيمة على قوات الايالة و اصابتها المهالك و الأخطار من كل حدب وصوب، و هكذا تراجع سليمان باشا يائسا[54].

و جاء في مصدر اخر ان جيش سليمان باشا الصغير وقف مكتوف اليدين عديم الحيلة تجاه موقع الايزديين المنيع بجبل سنجار، فكان من الطبيعي ان تبوء حملته بالفشل، فما ان غادر اخر جندي من جنوده الموقع حتى نزل المدافعون الايزديون من كهوفهم و مواقعهم الحصينة و استأنفوا اعمالهم ضد حكام بغداد بشكل اكثر انتقاما بما حل بذويهم، و ارتكب الجيش الغازي بحقهم من فضائع[55]، و كان اتفاق السلطات العثمانية في ايالة بغداد مع عشيرة شمر العربية ضد وجود الكورد الايزديين في جبل سنجار و انتداب العثمانيين عشيرة شمر لحماية مصالحها في المنطقة اشارة اخرى واضحة الى ضعف السلطة الحكومية العثمانية في مناطق استقرار الكورد الايزديين بجبل سنجار[56].

اراد سليمان باشا الصغير ان يعوض فشله السياسي و العسكري في منطقة جبل سنجار و ما جاورها في مناطق اخرى و لكن بطريقة مختلفة، فبينما نجده يجرد الحملات على ايزيدية سنجار نراه يطلب من امير الشيخان التحرش بايالة الموصل عن طريق نهب القرى المحيطة بها و تخريبها، و لما لم يمتثل لمطلبه في المرة الأولى كرر دعوته في المرة الثانية عن طريق امير بهدينان زبير باشا غير ان الايزيدية و اميرهم يرفضون مجددا تلبية مطاليب والي بغداد سليمان باشا الصغير[57]. و كان هدف سليمان باشا الصغير في تحقيق مطاليبه تلك هو

استخدام الايـزديين كورقـة ضغط ضد ولاة الموصل الجليليين.

و تأتي هذه الدعوات كنتيجة للصـراع المستحكم بين حكام بغداد وولاة الموصل، ولا سيما بعد فشل حملة سليمان باشا الصغير الاخيرة على جبل سنجار و تمكن الجليليون في الموصل مـن اقصاء مواليـه عـن السلطة فيها بعـد نهايـة الحملـة المـذكورة[58]، و كـان هدف بغداد من تسليط الايزديين على ايالة الموصل، ذلك لضـرب هـذه القوى بعضـها بـالبعض و بالتـالي استغلال ذلك للتدخل في شؤونها الداخلية لصالحها، هذا بدلا من ان تأخذ بأسباب الاصلاح و تعيد الأمـن الى نصابه[59]. و مـا يمكن قولـه بعـد هـذه الحـوادث هـو ان حكـام بغـداد و سياسـتهم كانـت سـببا اخـر لاثارة المشاكل في مناطق الايزديين.

كان علي بك امير الايزيدية متمتعا بالاستقلال الـذاتي خـلال فـترة حكـم والـي بغـداد داود باشـا (1817-1831م)[60]، امـا ايزيديـة جبـل سـنجار فكان نفوذهم قد توسع الى الحد الذي لم تكـن فيـه سلطات الموصل قادرة على اتخاذ الاجراءات اللازمـة للحد منه[61]، زد على ذلك انهـم كـانوا قـد حمـوا قاسم بك الشاوي الثائر على والي بغداد داود باشـا، فكان يرى في ذلك خطرا يهدده، لـذلك نصـب احـد المماليـك علـى المنطقـة و زوده بــ(500) مقاتـل و اعطاه مبالغ وفيرة، و كلفه بـأن يقضـي علـى نفـوذ الكورد الايزديين في المناطق الواقعـة بـين سـنجار و ماردين و يعيد سيطرة بغداد اليها، و يبدو انـه لم يقم بالمهمة خير قيام فجرد داود باشا هـذه المـرة و بنفسـه حملـة علـى الايـزديين في سـنجار سـنة 1826م و طاردهم، و لكنه لم يتمكن مـن القضـاء علـيهم و اخضـاعهم الا بشـكل مؤقـت نظـرا لضـيق وقته، و انه لم يفرغ من المشاكل و الفـتن الا لفـترة عامين، و ان اخضاع الايزديين و انهاء نفوذهم كان يتطلـب في الواقـع سـنوات عديـدة حسـبما يتوقعـه احد الباحثين[62].

يمكن للباحث ان يقول بعد دراسة سياسة بغـداد تجاه الايزديين و خصوصا تجاه ايزيدية سنجار بـأن الحمـلات المتكـررة الـتي شـنتها لاستئصـال شـأفتهم كانـت لهـا نتـائج معاكسـة فقـد زادت مـن ايمـانهم في التمسك بمعتقداتهم مـن جهـة و باسـتقلالهم الـذاتي مـن جهـة اخـرى، و يؤكـد العديـد مـن البـاحثين و المؤرخين انه و مهما كانـت الخطـورة الناتجـة عـنهم فقد كانت بالامكان معالجة المشاكل التي كانت تحدث معهم بطرق اخرى غـير الحمـلات العسـكرية، بهـدف التفاهم معهم و احـداث الاصـلاح بيـنهم و المحافظـة علـى الأمـن و الاسـتقرار، و هـذا مـا لم يكـن يحـرص عليها بتاتـا السـلطات العثمانيـة بشـكل عـام و حكـام بغـداد بشـكل خـاص[63]. امـا فيمـا يتعلـق بعلاقـات الكورد الايزديين مع ايالة بغداد في الفترة التالية فلا تورد المصادر اية مناسبات او حوادث بين الجانبين.

هوامش المبحث الاول:

1-الشـيخان: و هـي المنطقـة الواقعـة في شمـال شـرق الموصـل، و اشتقت تسميتها اصلا مـن كلمـة (الشـيخ) و تم جمعهـا وفـق قواعـد اللغـة الكورديــة الى (الشـيخان)، و عرفـت كـذلك لان كبـار شـيوخ الايزديين قد خرجوا من هـذه المنطقـة، كمـا جـاءت تسـمية الامـارة نسبة اليها، حيث كان الأمراء الايزديون يتخذون من قصبة المنطقة

(باعدري) مركزا لحكمهم. ينظر: خدرى سليمان و سعدالله شيخاني، س.ب. ص.25

2-عماد عبد السلام رؤوف، ادارة العراق، دار الحكمة للطباعة و النشر، بغداد، 1992، ص .222

3-وحول قائمة امراء الشيخان و شجرة نسبهم ينظر: خدرى سليمان و سعدالله شيخاني، س.ث، ل27-28، عماد عبدالسلام رؤوف، ادارة العراق، ص 222-224، صديق الدملوجي، م.س، ص 20-.31

4-عماد عبدالسلام رؤوف، ادارة العراق، ص 222، سعدي عثمان، م.س، ص .120

5-امارات دونبلي و محمودي: لقد كانت امارة دونبلي تمارس الحكم في شمال كوردستان الشرقية، و يذكر شرفخان البدليسي بأن قبيلة دنبلي كانت تقطن في الأصل في جبال بوتان قرب الجزيرة، ثم هاجرت الى مناطق كوردستان الشرقية و سكنت خوي و سكمن اباد و خضعت لحكم الدولة الصفوية و اعترفت بسلطتها عليها، لذلك تولت الحكم على الكثير من الثغور و القلاع و القصبات غرب بحيرة اورمية، و اصبحت المناطق الخاضعة لحكم هذه القبيلة الكوردية الايزيدية تعرف بامارة دونبلي. ينظر: الشرفنامة، ص 322-323، صديق الدملوجي، اليزيدية، ص 449-450. اما امارة محمودي فكانت تشغل المنطقة الواقعة جنوبي بحيرة وان، و يتحدث شرفخان البدليسي عن قبيلة محمودي ايضا حيث يذكر بأنها هاجرت هي الاخرى مع الدونبلية من بوتان، و اتصل اميرها الشيخ محمود بمؤسس الدولة القرة قوينلوية قرا يوسف فمنحهم قلعة اشوت و خوشاب جنوب شرق وان تكريما لخدماته التي قدمها له، ثم عرفت المنطقة الخاضعة لحكم هذه القبيلة الكوردية الايزيدية بامارة محمودي. ينظر: الشرفنامة، ص .314

6-خدرى سليمان و سعدالله شيخاني، س.ث، ل 21، عماد عبدالسلام رؤوف، م.س، ص .222

7-م.س، ص 222، و ايضا مؤلفه: الموصل في العهد العثماني، ص .172

8-سعدي عثمان، م.س، ص .119

9-صديق الدملوجي، م.س، ص .456

10-صديق الدملوجي، امارة بهدينان الكردية او امارة العمادية، تقديم و مراجعة: د.عبدالفتاح علي بوتاني، ط2، منشورات دار ئاراس، اربيل، 1999، ص .36

11-الجليليون: و هم الذين حكموا ايالة الموصل خلال الفترة (1726-1834 م)، و الأسرة الجليلية عرفت بهذا الاسم نسبة الى عبدالجليل بن عبد الملك، و بحسب بعض المصادر فان اصول هذه الاسرة هي من منطقة ديار بكر، ثم هاجر جدها عبدالجليل الى مدينة الموصل و استقر فيها، و اصبحت لهذه الاسرة اواخر القرن السابع عشر و خلال الربع الاول من القرن الثامن عشر مكانة اقتصادية و اجتماعية و سياسية كبيرة بين اهالي مدينة الموصل لذلك اسندت الدولة العثمانية حكم الايالة الى هذه الأسرة منذ سنة 1726م. للمزيد ينظر: عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص 39-57، علي شاكر علي، تاريخ العراق في العهد العثماني، ص 158-.160

12-عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص .173

13-ياسين العمري، غاية المرام، ص 330، موصل ولايتي سالنامه سي، 1312هـ، ص .439

14-للمزيد عن هذه الحادثة ينظر: ياسين العمري، زبدة الاثار، ص 155-157، و محمد امين العمري، منهل الأولياء، ج1، ص 196-197، احمد جودت، تأريخ جودت، ج 3، ص .223

15-عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 174، صديق الدملوجي، امارة بهدينان الكردية، ص 36-.37

16-كتخدا: اصطلاح فارسي مركب بمعنى صاحب الدار، و قد يخفف الى كاهية و كهية و كخيا، و يراد به وظائف متعددة متنوعة، اهمها مساعد الوالي او معاونه و مدير مكتبه الخاص لمختلف الشؤون الادارية و العسكرية و المالية فهو اذن بمثابة الوزير للوالي. للمزيد ينظر: عماد عبد السلام رؤف، الموصل في العهد العثماني، ص .226

17-ياسين العمري، غاية المرام، ص 195، عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص .176

18-غرائب الأثر، ص 52-.53

19-كاوه فريق ئاميدي، امارة بادينان 1700-1842 م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة صلاح الدين – اربيل، 1998، ص .94

20-عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 176-180، شاكر فتاح، م.س، ص 113، كاوه فريق، م.س، ص .9

21-صديق الدملوجي، م.س، ص 36-37، عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 174.
22-صديق الدملوجي، م.س، ص 36.
23-ليبور، م.س، ص 92، اوليفييه، رحلة اوليفييه الى العراق، ت: د.يوسف حبي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1988، ص.44
24-للمزيد ينظر: عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 176، كاوه فريق، م.س، ص 95.
25-ياسين العمري، غرائب الاثر، ص 52-.53
26-القس سليمان صائغ الموصلي، تاريخ الموصل، ج 1، ص 294، شاكر فتاح، م.س، ص 112.
27-صديق الدملوجي، اليزيدية، ص 460.
28-احمد باشا بن بكر افندي: و هو من اسرة موصلية متواضعة و شغل والده منصبي كاتب ديوان الولي محمد امين باشا الجليلي و كتخداه، و ورث احمد باشا والده هذين المنصبين فزاد ذلك من اهمية اسرته و نفوذها، و ظل احمد باشا بن بكر افندي يشغل منصب كتخدا الولاة الجليليين و رئيس ديوان انشائهم حتى قيامه بحركة اهلية استهدفت القضاء على حكم الجليليين، و تولى على اثرها حكم ايالة الموصل خلال الفترة (1808-1809 م) و بدعم من والي بغداد سليمان باشا الصغير. ينظر: عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص 91-93، 226-.231
29-م.ن، ص 177، كاوه فريق، م.س، ص 96.
30-ياسين العمري، غرائب الأثر، ص 96، عباس العزاوي، تاريخ العراق، ج 6، ص 193، عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 177.
31-ياسين العمري، م.س، ص 100، عماد عبدالسلام رؤوف، م.س، ص 177-.178
32-ياسين العمري، م.س، ص 100-101، عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 178.
33-سروليس بدج، رحلات الى العراق، ت: فؤاد جميل، ج 2، مطبعة شفيق، بغداد، 1968، ص 258.
34-عماد عبدالسلام رؤوف، م.س، ص 178.
35-تشير مصادر مختلفة الى الأهمية الاستراتيجية لمنطقة سنجار من حيث مرور الطرق التجارية منها. ينظر على سبيل المثال: موصل ولايتى سالنامه سي، 1312 هـ، ص 294، دائرة المعارف الاسلامية، مج 12، ص 244، سيار جميل، حصار الموصل، ط 1، مطبعة الجمهور، الموصل، 1990، ص 253.
36-حسن ويس يعقوب، سنجار في العهد العثماني، ص 13، سيار الجميل، الموصل خلال الحكم الجليلي، موسوعة الموصل الحضارية، مج 4، ص 46.
37-لونكريك، اربعة قرون، ص 21، 123.
38-حسن ويس يعقوب، م.س، ص 15، 27.
39-بينكغهام، م.س، ج 1، ص 20.
40-جليلي جليل، من تاريخ الامارات في الامبراطورية العثمانية، ت: محمد عبدو النجاري، الاهالي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1987، ص 29.
41-عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص 179.
42-عبدالعزيز سليمان نوار، م.س، ص 129-130، اسماعيل بك جول، م.س، ص ن.
43-بيكنغهام، م.س، ج 1، ص 19.
44-حول تفاصيل هذه الحملة يراجع: التمهيد، ص 33-.34
45-لونكريك، اربعة قرون، ص 211-212، عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 179.
46-سيار الجميل، زعماء و افندية، ط 1، الاهلية للنشر و التوزيع، عمان، 1999، ص 85-86، عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 179-.180
47-حول ذلك ينظر: ياسين العمري، زبدة الاثار، ص 124-125، 137، 171، 147-172، و غرائب الأثر، ص 31-.3
48-بكنغهام، م.س، ج 1، ص 19.
49-عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1968، ص 129.
50-عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 174.
51-جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج 1، مطبعة دار الكتب، بيروت، 1971، ص 200.
52-صديق الدملوجي، اليزيدية، ص 494.
53-ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، الوثيقة رقم 536، اواسط صفر هـ. نقلا عن حسن ويس يعقوب، م.س، ص 15.
54-م.ن، ص 15.

55-سيتم بحث حملات بغداد بالتفصيل في المبحث الثالث من هذا الفصل.

56-ياسين العمري، غرائب الاثر، ص 63-64، لونكريك، م.س، ص268-269.

57-زهير كاظم عبود، لمحات عن اليزيدية، ص 72.

58-حسن ويس يعقوب، م.س، ص 15.

59-سروليس بدج، م.س، ج 2، ص 258.

60-ياسين العمري، م.س، ص 80.

61-رحلتي الى العراق سنة 1816، ج 1، ص 19.

62-ابي طالب خان، م.س، ص 354.

63-علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق 1750-1831، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1975، ص 177-17.

64-مراجع تفاصيل هذه الحملة في المبحث الثالث.

65-عباس العزاوي، تاريخ العراق، ج 6، ص 190-191، و ينظر كذلك: علاء موسى كاظم، م.س، ص 177-178.

66-م.ن، ص 177-178.

67-اربعة قرون، ص 291.

68-ينظر ما ذكرته المصادر التالية عن ذلك: ياسين العمري، غرائب الأثر، ص 35، و عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 173، و عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1968، ص 119.

69-سعدي عثمان، م.س، ص 154،
Guest, op. Cit,. P. 58.

هوامش المبحث الثاني:

1-عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 207-208.

2-عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا، ص 151، لونكريك، اربعة قرون، ص 342.

3-اورطات: و المعنى الحرفي لكلمة (اورطة) هو مركز، و كانت مجموعة قوى الدولة العثمانية من الجنود الينكجرية، الذين يتكونون من 196 جماعة مختلفة الاعداد تسمى كل منها (اورطة)، و كانت 101 من هذه الأورطات تكون ما يسمى بعسكر الجماعات في حين تدعى الاورطات الباقية بالبلوكات و السكمانات، و يخضع الكل لقيادة مركزية واحدة يتولاها اغا البكجرية في استانبول. للمزيد ينظر: عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص 239-240.

4-عماد عبد السلام رؤوف، م.س، ص 208-209، لونكريك، م.س، ص 340.

5-Guest, op. Cit., p. 85.

6-سيار الجميل، زعماء و افندية، ص 157، حسن ويس يعقوب، م.س، ص 27.

7-Nelida Fuccaro, The other Kurds/ Yazidis in colonial Iraq, I.B. Tauris Publishers, london, 1999, P. 31.

8-سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث، دار الكتب للطباعة و النشر، الموصل، 1991، ص 360.

9-محمد امين زكي، خلاصة، ص.234

10-الموصل ولايتى سالنامه سى، 1313 هـ، ص 444. نقلا عن صديق الدملوجي، م.س، ص 469.

11-م.ن، ص 469، ينظر ايضا: سيار كوكب علي الجميل، الموصل من نهاية الحكم الجليلي الى الادارة المباشرة، موسوعة الموصل الحضارية، مج 4، ص 82.

12-اليزيدية، ص 469.

13-Austen Henry Layard, Nineveh and its Remains, vol. 1, london, 1849, pp. 276-277, Guest, op. Cit., p. 65.

14-ينظر: موصل ولايتى سالنامه سى، 1312 هـ، ص 443-444، موصل ولايتي سالنامه رسميسيدر، 1325 هـ، ص 99-100.

15-خلاصة تاريخ الكرد و كردستان، ص 234، و هذا ما يؤكده سليمان صائغ الموصلي ينظر: تأريخ الموصل، ج1، ص 311.

16-سيار الجميل، زعماء و افندية، ص 157، و ايضا بحثه المرسوم: الموصل من نهاية حكم الجليلي الى الادارة المباشرة، موسوعة الموصل، مج 4، ص 82.

17-اربعة قرون، ص 344.

18-سروليس بدج/ م.س، ج2، ص 259.

19-سامي سعيد الاحمد، م.س، ج1، ص 92، عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث، ص 131-132.

20-سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، ص 362.

21-نقلا عن Guest, op. Cit., p. 85.

22-موصل ولايتى سالنامه سى، 1312 هـ، ص 446، ينظر كذلك: صديق الدملوجي، م.س، ص 499.

23-عباس العزاوي، تاريخ العراق، ج 7، ص 271، حسن ويس يعقوب، م.س، ص 28.

24-سليمان صائغ الموصلي، م.س، جـر، ص 317، عباس العزاوي، م.س، ج 7، ص 271.

25-سامي سعيد الاحمد، م.س، ج1، ص 92، حسن ويس يعقوب، م.س، ص 28.

26-صديق الدملوجي، م.س، ص 499.

27-عبدالعزيز سليمان نوار، م.س، ص 132، حسن ويس يعقوب، م.س، ص 29.

28-عبد العزيز سليمان نوار، م.س، ص 132.

29-بيردي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن 1814-1914، ت: اكرم فاضل، دار الجمهورية، بغداد، 1968، ص 80، سيار الجميل، زعماء و افندية، ص 162.

30-صديق الدملوجي، م.س، ص 499.

31-عباس العزاوي، م.س، ج 7، ص 71.

32-Guest, op. Cit., p. 93, حسن ويس يعقوب، م.س، ص 29.

33-Guest, op. Cit., p. 93.

34-Guest, op. Cit., p. 98.

ينظر ايضا: د. صلاح، بابا شيخ ناصر، مجلة لالش، ع 16، دهوك، اب 2001، ص 97، و يذكر سليمان صائغ الموصلي بأن كريدلي محمد باشا القى القبض على زعيمهم الشيخ ناصر و لم يطلقه حتى شفع فيه المستر رسام وكيل الدولة البريطانية في الموصل فاطلق سراحه على شرط ان يفيده الايزيدية ففدوه بمبلغ كبير من الاموال. ينظر كتابه: تاريخ الموصل، ج 1، ص 317.

35-Layard, op. Cit., Vol. 1, pp. 271-272, 303-304.

36-Guest, op Cit., pp. 94-97, صلاح، م.س، ص 98.

37-Layard, op. Cit., Vol. 1, pp. 308-309, Guest, op. Cit., p. 97. صلاح، م.س، ص 98.

38-Guest, op. Cit., p. 97, صلاح، م.س، ص 98.

39-Lescot, op. Cit., p. 126.

40-Layard, op. Cit., vol. 1, pp. 309-324, Lescot, op. Cit., p. 126.

41-Guest, op. Cit., p. 97, صلاح، م.س، ص 98، صديق الدملوجي، م.س، ص 500.

42-Layard, op. Cit., vol. 1, pp. 309-324, Lescot, op. Cit., p. 126,

صديق الدملوجي، م.س، ص 500، سليمان صائغ الموصلي، م.س، ج 1، ص 318.

43-نورا كوبي، الطريق الى نينوى، ت: د. سلسلة محمد الطائي، دار المأمون للترجمة و النشر، بغداد، 1998، ص 294-295.

44-Guest, op. Cit., p. 98.

45-Lescot, op. Cit., p. 126.

46-Johannes Duchting, yezidi kurtlerin Tarihi, Deng Magazin, Numara 25, 1993, S. 39.

47-اسماعيل بك جول، اليزيدية قديما و حديثا، ص 115-116.

48-ينظر: صديق الدملوجي، م.س، ص 501.

49-لاحظ بدقة ما ذكره لايارد عن ذلك في كتابه: Nineveh and its Remains, vol. 1, pp. 308-324.

50-سيار الجميل، زعماء و افندية، ص 157، و الموصل من نهاية الحكم الجليلي الى الادارة المباشرة، موسوعة الموصل، مج 4، ص 82.

51-عبد العزيز سليمان نوار، م.س، ص 129-130.

52-اليزيدية، ص 501.

هوامش المبحث الثالث:

1-عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا، ص 119، Guest, op. Cit., p. 57.

2-حول محاولات ولاة ديار بكر لاخضاعهم يراجع: التمهيد.

3-حول اتهامهم بالكفر ينظر: عبد الرحمن السويدي، م.س، ج1 ص 65، 71، عبد العزيز سليمان نوار، م.س، ص 119، يعقوب سركيس، م.س، ق1، ص 234-235.

4-ينظر نص الفتوى في: الملحق الرقم (1) من هذه الرسالة.

5-عبد العزيز سليمان نوار، م.س، ص 119.

6-بكنغهام، م.س، ج1، ص 19.

7-سعدي عثمان، م.س، ص 154.

8-حول تفاصيل هاتين الحملتين يراجع: التمهيد.

9-اوليفييه، رحلة اوليفييه، ص 61-62.

10-م.ن، ص 61-62.

11-عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث، ص 129.

12-عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج5، ص 245.

13-ياسين العمري، غرائب الاثر، ص 52-53.

Lescot, op. Cit., p. 124

14-Guest, op. Cit., pp. 57-58.

15-par M. Rousseau, Description du pachalik De Baghdad, paris, 1809, pp. 98-99.

نقلا عن بكنغهام، م.س، ج1، ص 40.

16-عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا، ص 119، بطرس البستاني، دائرة المعارف، مج 10، دار المعرفة، بيروت، د.ت، مادة "سنجار"، ص 108.

17-عباس العزاوي، م.س، ج 6، ص 331.

18-حسن ويس يعقوب، م.س، ص 17.

19-سليمان صائغ الموصلي، م.س، ج1، ص 294.

20-تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، ص 155.

21-حسين ناظم بيك، تاريخ الامارة البابانية، ت: شكور مصطفى و محمد الملا عبدالكريم المدرس، ط 1، مؤسسة موكرياني للطباعة و النشر، اربيل، 2001، ص 174.-175.

22-الكركوكلي، م.س، ص 223.

23-عثمان بن سند الوائلي البصري، مطالع السعود، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف و سهيلة عبد المجيد القيسي، دار الحكمة للطباعة و النشر، الموصل، 1991، ص 247.-248.

24-بطرس البستاني، م.س، مج 10، ص 108.

25-حسين ناظم بيك، م.س، م. س، ص 175.-176.

26-م.ن، ص 182.-176.

27-سليمان صائغ الموصلي، م.س، ج 1، ص 294.

28-ينظر مخطوطته: اليزيدية، ورقة 53.

29-غرائب الاثر، ص 64.-65.

30-اربعة قرون، ص 269.

31-الكركوكلي، م.س، ص 223.-224.

32-ينظر نص هذه الخطة و تفاصيلها في: الملحق الرقم (2) من هذه الرسالة.

33-حسين ناظم بيك، م.س، ص 184-188، 190.-191.

34-حسن ويس يعقوب، م.س، ص 19.

35-Rousseau, Description Du Pachalik De Baghdad, pp. 98-99.

نقلا عن بكنغهام، م.س، ج 1، ص 40.

36-اليزيدية قديما و حديثا، ص 113.

37-مطالع السعود، ص 247.-248.

38-بطرس البستاني، م.س، مج 10، ص 108.

39-جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق، ج1، ص 268.

40-حسن ويس يعقوب، م.س، ص.21

41-عباس العزاوي، م.س، ج 6، ص 189.

42-محمد مهدي العلوي، م.س، ج7، ص 553، الكركوكلي، م.س، ص 245.

43-غرائب الاثر، ص 88، ينظر ايضا: عباس العزاوي، م.س، ج 6، ص 189-190،

Duchting, A. G. E., S.3.

44-صديق الدملوجي، اليزيدية، ص 495.

45-احمد علي الصوفي، المماليك في العراق، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، 1952، ص 112.

46-دوحة الوزراء، ص 245.

47-ياسين العمري، غرائب الاثر، ص 87، عباس العزاوي، م.س، ج 6، ص 190.

48-حسين ناظم بيك، م.س، ص 243.

49-الكركوكلي، م.س، ص 245.

50-اليزيدية، ورقة 53.

51-الدملوجي، م.س، ص 495.-496.

52-جعفر الخياط، م.س، ج 1، ص 268.

53-حسين ناظم بيك، م.س، ص 243.

54-عباس العزاوي، م.س، ج6، ص 191، علاء موسى كاظم، حكم المماليك، ص 177.-178.

55-احمد علي الصوفي، م.س، ص 112.-

56-Fuccaro, op. Cit., p.32.

57-ياسين العمري، م.س، ص 96، 100، عماد عبدالسلام رؤوف، م.س، ص 177.-178.

58-يراجع ما ذكر بهذا الصدد في المبحث الأول من هذا الفصل.

59-يوسف عز الدين، داود باشا و نهاية حكم المماليك في العراق، ط 2، مطبعة الشعب، بغداد، 1976، ص 30-31، صديق الدملوجي، م.س، ص 460.

60-عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث، ص 130.

61-لونكريك، م.س، ص 291.

62-عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا، ص 154.-155.

63-ينظر على سبيل المثال: صديق الدملوجي، م.س، ص 496، 460-497، عباس العزاوي، تاريخ اليزيدية، ص 110-111، يوسف عز الدين، م.س، ص 30-31.

*الفصل الاول من الرسالة التي تقدم بها عدنان زيان فرحان الى مجلس كلية الآداب في جامعة صلاح الدين لنيل درجة ماجستير اداب في التاريخ الحديث باشراف الدكتور احمد عثمان ابوبكر سنة 2002. و عنوان الرسالة هو: (الكورد الايزديون في كوردستان الجنوبية، دراسة سياسية اقتصادية و اجتماعية من بداية القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الاولى 1800-1918).

لمحة عن حياة الشاعر الكردي "هيمن" و باقة من نصوصه الشعرية

ترجمة و تقديم: محمد سالار شيخ علي

ولـد الشـاعر الكـردي المناضـل هـيمن في قريـة لاجـين قـرب مدينـة مهابـاد في 1300 الشمسـية – 1921 الميلادية.

الغضب المقدس

يسجنني و لكن غضبي
اغلظ من السجن و اقوى
يضربني اما انا فمثابر و مصر على نضالي
يقتلني اما انا فصامد
ا تحدى جلادي و لا ابالي

شعر هيمن 1974

بـديهي مهما كـان المترجـم اريبـاً و ملمـاً بفنـون الترجمة، فان الشعر المترجم يفقد نقاوتـه و اصالته، هذا من جانب، و من جانـب اخـر اذا كانـت ترجمـة الشـعر مـن لغـة الى لغـة اخـرى صـعبة و مستعصـية بصورة عامـة. فـأرى ان ترجمـة شعر هـيمن اصعب واعصى من غيره، وذلك لاسباب منها:

اولاً- ان الشــاعر اســتعمل المفــردات الكرديــة الخلصة نادراً مانرى فيها مفردات دخيلة.

ثانيــاً- ان المفــردات و المعــاني الــتي تضــمنها مستوحاة من اعماق الشاعر المطبوعة بطـابع كـردي خالص بعيد عن التكلف بحيث لما نقرأ اشعاره نحس بنكهـة طبيعيـة و روحيـة كـأن الاشـعار هـي نفسـها ظاهرة من الظواهر الطبيعيـة او مطبوعـة بطبيعـة كردسـتان الخلابـة بحيـث لا يمكـن ترجمتها كمـا لا يمكن نقل المناظر الطبيعية من مكان الى مكان اخـر

و لكـن هـذا لا يعـني ان شـعر هـيمن ممتنـع علـى الترجمة الا ان انصاف اشعاره امر متعذر.

الشاعر الكـبير هـيمن يعتـبر مـن اكـابر شـعراء الكرد اضافة الى اعماله الادبية الرائعة الـتي تلمـع في صفحات ادبنا المشرق كما تلمع النجوم وسط السماء الصافية في ليل مدلهم. فان حياته النضالية مفعمة بالجهد و الكد والتضحية في سبيل تحقيـق اهدافه الســامية و تحريــر شــعبه المضــطهد مــن بــراثن الاسـتعمار و الخونـة حقـاً اسـتطاع تفعيـل اقوالـه و قصائده المنبثقة مـن اعماقـه في حياتـه العمليـة، لان هيمن كان شاعراً مخلصاً لوطنه و صادقاً في مواقفه و اقواله يروي لنا في كتابه (تاريك و روون) ان احـد اصدقائه الذي كان فاهماً لاشعاره و مقاصدها سـأله قـائلاً: لـما قلـت: انـا لسـت عاشـقاً لحـين دعجـاء و لا لقامات رشيقة؟ قلت يا اخـي انـا لا اكـذب احاسيسي ومشاعري..

لو كنت عارفاً و ملماً بتلك الظـروف الـتي كتبـت فيها هذه الابيات لما سألتني هذا السؤال، كنـت انـذاك لم يكن يخطر ببالي خيال العيون و الخدود بـل كـان فكـري حصـراً علـى الـوطن و جبالـه و وهـاده و وديانه.. لأني اكتب ما يفيض من اعمـاقي[1]. و كـان هيمن مرهف الحس و رفيع الذوق و انه نعم بمـاضٍ خصـب بسـبب مـا اذاقـه الـدهر مـن تجـارب حياتـه الصعبة الـتي صـقلته و جعلتـه صـامداً و محتسـباً في مواجهـة صـقعات و صـفعات الايـام اللاذعـة و لـذلك رغم معاناته في الحياة كان متفـائلاً حيـث يقـول مـا معناه: مهما كانت النكبات موجعة و مهما كان الليـل طويلاً و مدلهماً سيطلع بعـده الفجـر و يقضـي علـى حلكته، هذه هي رؤية الشاعر للحياة.

تربيت في ظل الكهف
وكثيراً ما وقعت في اخدة سوداء
و لكن خرجت متحرراً
اخطو نحو الأفق نحو الافق الوضاء
اخطو اخطو الى ذروة التحرير

في الواقـع نحـن لا نسـتطيع في هـذه العجالـة ان نتحـدث عـن حيـاة هـذا الشـاعر المناضـل بالاطنـاب و التفصيل، بل كل ما نصبو اليه هـو ترجمـة نمـاذج مـن اشـعاره و مـن خلالهـا تسـليط الضـوء بصـورة خاطفـة على افكاره وارى من المفضل ان نقتـبس بعـض التعـابير مـن المقدمـة الـتي قـرض بهـا المناضـل الكـردي الشـهير الاستاذ الدكتور (عبد الرحمن قاسملو) كتاب (تاريـك و روون) لهـيمن و نترجمهـا الى العربيـة لان الـدكتور قاسملو، في تقريضه للكتاب يبـدو انـه كـان مطلعـاً علـى حيـاة الشـاعر هـيمن و تفاصيلها كمـا يبـدو انـه مولـع باشـعاره و فاهمـاً لمقاصـدها و ملمـاً بمناسـباتها و كـان الـدكتور معتنيـاً بهـيمن اضـافة الى ذلـك انـه كـان عالمـاً بالمفردات المستعملة لـدى الشـاعر لانـه كـان متعايشـاً في المنـاطق الـتي اسـتعملت فيهـا تلـك اللـهجات الكرديـة الاصيلة السلسة.

في عصرنا هذا من كان مطلعاً على الادب الكردي فانه قاريء لأشعار هيمن و يعرف اسمـه و يعلـم انـه من اكابر شعرائنا في هذا العصر، و لكن اشعار هـيمن منـذ بـدايتها تجـاوزت وسـط الادبـاء و الكتـاب و انتشرت في وسط الجماهير الكردية المتعطشة لها. لان

اشعاره كانت منقطع النظير من حيث القوة و التأثير بحيث هزت مشاعر ابناء الكرد من الاعماق و الهبت في قلوبهم ناراً ملتهبة و وجهتهم نحو النضال و الثابرة و حببت اليهم مواجهة المخاطر و معانقة النكبات و الجراحات و القنابل في سبيل تحرير الوطن و نيل حقوقهم الانسانية.

وجل قصائده تعبر عن اضطهاد شعبه الكردي و المأساة التي عانها على مر التأريخ حيث يقول:

منذ القدم سلبت من الكرد حقوقهم
و منذ القدم يعيش الكرد في العويل
و المأتم في سوح المباريات و الوغى
كانت رؤوس قادة الكرد
ملعوبة ككرة القدم

و بالتأكيد ان طبيعة كردستان الخلابة بجبالها الشامخة و سهولها الخصبة و وهدانها الرخوة و وديانها المكثفة بالأعشاب الطبيعية واشجارها الثمرة المتشابكة ومراعيها المعشوشبة وينابيعها المتدفقة الصافية وعيونها المتفجرة العذبة وكذلك حياة القرى المتواضعة البهية التي تأسر الالباب وتفتح الاذهان وتجمع الخيال وتسر الناظرين فهذه كلها اصبحت مصدراً خصباً لالهامه الشعري بحيث لما نقرأ قصائده يكاد نرى روعة تلك المناظر الساحرة في صورتها الحقيقية او نقول ان ديوانه الشعري كمعرض للفنون التشكيلية المكتظة باللوحات الفنية الرائعة منها ما ترينا حياة القرى المتواضعة والواقعة في سفوح الجبال الباسقة ومنها تعرض الجمال الطبيعي للفتاة القروية الطاهرة ومنها ما تفيض منها دماء الابرياء والادخنة المتصاعدة من القرى والغابات والبساتين الملتهبة تحت وطأة قنابل الاعداء وانفجاراتها ومنها ما يتقاطر منها عرق جبين الفلاحين المنكودين:

انا فلاح انا فلاح
انا صديق الشمس
انا بعرقي
و هي بطاقتها
بنينا اساس الحياة
بساعدي وضوئها
نأخذ الرزق من الارض
اذا لم يصب الفلاح عرقاً
واذا لم تبث الشمس ضوءاً
كيف يأكل الخبز
ساكنو الصرح و القلعة.

هناك خصلة هامة للشاعر اتسمت بها اشعاره وهي، وان كان هيمن عاشقاً لوطنه ومتفانياً في محبة شعبه الكردي و لكن مع ذلك لم يكن حاقداً على أي قومٍ من الاقوام و لانجد في ديوانه كلمة يطعن بها قوماً او يرفع بها الكرد على امة اخرى، و هذه الخصلة السامية قلما نجدها عند غيره من الشعراء (4) ليس هذا فقط بل ان حبه للانسانية كلها طبعت به قصائده و هذه هي النقطة التي يلتقي فيها فحول الشعراء و المفكرون و جهابذة التصوف.

وكذلك المرأة لها حضور تام في شعر هيمن ومصدر رئيس لالهامه وفي كثير من قصائده يصور جمال المرأة ويثمن دورها و يرفع شأنها لان هيمن

كان ثائراً بعقله وضميره على المعاناة التي تعانيها المرأة الكردية في مجتمعها ولذلك كثيراً ما يدافع عن حقوق المرأة ويحثها على ان تناضل في سبيل تحقيق ذاتها لتتحرر من قيود العادات و التقاليد البالية:

ارمي الخمار الاسود
ليبدو خدك الوردي
عار في القرن العشرين
ان تكوني متشحة بالحجاب

عذارك كأنوار طليعة الشمس
ومحياك ابهى من القمر
دون التجميل
خدك شقائق النعمان
مشرق كالقنديل
عيناك كحلاء بالطبع بلا كحل

انت وضاء
مثل دمعة العاشق
وطاهرة
كندى الصباح

ولكن هيمن مع حبه العارم المتجذر للمرأة ومع ما يكن لها من اعماقه من التقدير والاعجاب و التثمين لدورها في المجتمع انها ليست اعز من الحرية عنده و ها هو يصرح بذلك:

نعم البعد عن المرأة
هو القضية
في منتهى الصعوبة
و الأذية
اما عندي
فأحب من المرأة
و اعز
انت يا حرية[5].

وهيمن وان كان محباً لجميع مناضلي الكرد ليس هذا فقط بل يفتخر بان يكون تربة لمقدم مناضل كردي، ولكن خص بالاعجاب و التقدير القائد الكردي التأريخي القاضي محمداً لان القاضي كان استاذاً له و صديقاً و قائداً و مربياً و تأثر باستشهاده ورثاه رثاء الثكلى لوحيدها:

في جوارجرا مهاباد
في مدرسة الفكر الحر
اليد السوداء المستبدة
نصبت مشنقة الظلم
في هزيع الليل
عند عمق الرقاد
نفذ اشنع العمل
شنق القائد
والامل.

وهيمن مع ماعاناه من المصائب والالام والمطاردة في وطنه و ما قاساه من العذاب والمحنة و الجور في الغربة والمهجر و رغم ما تجرع ابناء جلدته من النكبات والاضطهاد و التشريد والتقتيل لم يجد الشؤم الى قلبه سبيلاً بل بقي متفائلاً و صامداً

كطود شامخٍ يناشد الحياة المطرة بطرة و العز و الحرية، و يحث ابناء الشعب على الوحدة و التكاتف و المثابرة في النضال كي يحرروا ارضهم من الاعداء و الخونة ويطهروها من عناصر الشر و الفساد.

وهاهو يقول:

تكاد تثمر
شجرة الكد و النضال
و تتطهر تربة
وطننا المقدسة
من الاحتلال
حينئذ اضع البندقية
و احمل عكازي
و انت كوني خلابة
و انا اكون راعياً
يا ملاك خيالي
و مرادي

و هيمن يقدس الشهيد و يمجده و يرى ان تطهير الوطن من دنس الاعداء و تحرير ابنائه من الاضطهاد و الاستعباد ثمرة للشجرة المباركة التي تروى بدماء الشهداء:

شاب يافع و صنديد
يتمرغ في الدم
هكذا قافلة النضال
تتقدم
دون التواني و الراحة

الشاب الذي عاهد الوطن
ان لا يضع حتى الموت
البندقية
ها هو الان محاصر بالاعداء
في موقعه وحيداً
في سبيل القضية الكردية

و يرى هيمن ان وظيفة الشاعر ليست فقط كتابة الشعر و القائه على الجماهير بل اضافة الى ذلك عليه ان ينخرط في ساحة النضال مع الجماهير المحرومة مدافعاً عن حقوقهم ويقاسم همومهم ومعاناتهم، لذلك ان هيمن لم يبق متفرجاً ولم يأل جهداً بل انخرط في مواجهة المصائب و الرزايا وحث ابناء الشعب على التقدم في درب النضال دون التراجع الى ان يصلوا قمة التحرر والنصر:

انا ابن الكرد
تألفت المشي في الطرق الوعرة
والمنحدرات
وكلما ازيد
في المشي واكد
وكلما يزداد عرقي انصباباً
اختصر طريقي الطويل
امشي نحو الافق
نحو الافق الوضاء
امشي امشي نحو
ذروة التحرير

التربة
لقد كتبت الي لأكتب اليك

من انا؟

لست ذروة قنديل

ولا انا واحة هلكورد

اخطو نحو القمم

رغم صغر حجمي

انا تربة لمقدم مناضل كردي

الشراب الثخين

اتى عيد النوروز

اصبح شرابي اكثر ثخونة

كي لا يقولوا : البلبل

اكثر نشوة من الشاعر

ما اصدق ما قالت الساقية

الرشيقة الدعجاء

من كان ثملاً بالرحيق

فهو حر في الحقيقة

فالشاعر الخمير

يكون في منتهى الحرية

لقد دهست بنات الكرد

المروج بالرقصات

قلبي ادهك من هذه المروج

أأنا انقطعت عني القوة

ام بنت المدينة

انها اجفل من بنت البادية

الأرق

لقد طلع الفجر و الليل مضى

ولكن كحل السهاد عيني

وطار من مأقي الكرى

وتغرد البلابل والاطيار

اما قبجي فلا يقهقه

يسوقني الخيال نحو ملتقى ليالي الشباب

اسفاً لا اسمع هسهسة سوار

و خلاخيل و سخاب ليلى

عشق الحرية

ولو تهور الليل ما بقي منه

سوى الهزيع

الا ايتها الساقية

صبي لي قدحاً اخر

لقد بدا هذه الليلة

من اعماقي حزن اخر

اشبعيني من الشراب هذه الوجبة

اشبعي انا المهموم

كيف اقتنع باني ارى ليلة اخرى

وجبة اخرى

من كثرة عللي و عدم وجود

امرأة مداوية بجنبي

اعتقد بان لا تشتعل

على كيكة عمري شمعة اخرى

قضيت اياماً كثيرة بالمرارة

ايسمح الموت مرة اخرى

لأرى عصراً اخر

وصلت الى ذروة الهوى يوماً

رأيت امامي احزاناً
ومصاعب وهموماً اخر
مادام اراك متبرقعة بالخمار
هناك بقعة اخرى من الضباب
ممتدة على بؤبؤة عيني
اسفاً توفى خاني ليسجل
قصة عشقنا
لا يزال يعيش في كردستان
(مم و زين) اخر
ان فراشة عشقي
لا تعشش في مكان
بل تهبط و ترفرف جناحيها
على صدر و نهد اخر
و ان تصبح حياتي
اضنك و ا تحس
الف مرة
مما انا فيه
ففي قلبي رغم ذلك
امل وضاء
لخال و قصة اخرى
سأبقى سائراً في طريق
العشق و الحرية
و ان كان لا اجني ثمراً اخر
سوى العي و التحسر
لما رايت العبرة على محيا البنت
مكسورة الخاطر
قلت يا رب لا تريني على

الوردة الحمراء
ندى اخر
انتظرتك ليلة
ولكن ما اتيت
لقد اردت من الشاعر المرهف (انا)
ان اقوم بحداد اخر
لست خدراً اجنٍ للعمر الطويل
و التصق بينبوع الحياة
ا نما اريد من الحياة
ان اعيش
لأدخل فمي في فم اخر
كيف تستطيع ان تعالج
قلبي العليل
اذن لماذا تخسر
ايها الطبيب الحكيم دواء اخر
هناك ربيع و وردة
و بنت و ليل مقمر
و شعر طري و شراب
اتريد بعد ذلك
يا شيخ عالماً اخر

نحو الافق

5-لقد كنت صوفياً في الخانقاه
اصبحت نديم ناد
كنت زاهداً في الخلوة الان ثمل بالحميا
العرعر الطليق العالي رائع و خلاب
و لكن انا ولهان وعاشق لمشية

هذه القامة الغنجة
احب بصيص الجمال في كل شيء
يوماً مفتون انا للمنيجوب
ويوماً اموت على الخمار
كل شيء يثر المشاعر حسب روعته
اصيل و الجوزاء و غبشة الفجر
السماء الصافية و البحر الهادئ و ظل الجبل
التفاح الاحمر و السفرجل الاصفر
و الرمان المتورد
من هو مثلي تجرع برودة و حر الايام
احياناً تلفعني زوبعة الجنوب الصائغة
و احياناً اصطك في صقيع "كه دهم" (1)
كأمواج النهر المنهمر ليس لي قرار
ادور حول نفسي متلففاً انا ابن كردي
لهذا العصر
ان الطريق وعرة ومفعمة بالوديان
و المنحدرات و الجنادل و اللصب
علي ان ا تحرك واسرع
في الخطوات دون الراحة
فبالتي شبح الموت اسير نحو المنزل
فالمأوى حفرة القبر اتدحرج نحوه
دون القدم
تجنحت اطير اطير
نحو الأفق و نحو النور
كيف احبو نحو الظلمة و استند
الى الشيطان!
كم من الينابيع الصافية
رأيتها و ما عكرت بسيل الربيع العارم
و كم من الثلوج الهائلة غطت الجبال
فاصبحت بخاراً بشؤبوب من المطر
رأيت حياة قصيرة مفعوعمة
بالفخر و الاعتزاز
وكذلك رأيت حياة طويلة
انتهت بالخزي و العار
نيران اعماقي ملتهبة
تضيء الوطن
حين ادخل
في بحر العدم

كردي انا
عانيت ما عانيت من الالام
والحسرات
وذهبت ثمار كدي سدى
رغم ذلك لا انهزم ابداً
امام هذا العصر العاق
اني كردي اني شهم
لست عاشقاً لعين دعجاء
و بنت جيداء
بل انا عاشق للجبال و الاكمة
و الصخرة
ولو اموت من الجوع و ا تجمد من البرد
لا انصاع لصخرة الاستعمار
مادمت متنفساً
لست مبالياً بالقيود و الزناجير

والمشانق والسجون
لو قطعوني ارباً ارباً
او قتلوني سأبقى
اصيح: كردي انا
كردي انا

اليد
اسفا لليد التي كانت
تربي الرياض
و ترتبها ان تكسر
اسفاً لليد التي كانت
تداعب خصلات الحسان
و تمشطها
ان تكسر
اسفاً لليد المتجمدة المرتعشة
من البرد
ورغم ذلك كانت
ترهب الطغاة والجبابرة
ان تكسر.

اين؟
اين الاصبع التي كانت تعصر الثدي
عصراً
اين القدم التي
كانت تسير قرية قرية
للملتقى
اين العين التي
مارأت الا الحسناوات
اين الفكرة التي
كانت تحلق و تعلو
نحو الذرى

الأسية المتشحة بالسواد
المداوية المتشحة بالسواد
اصبح طبيبي خجولاً لعجزه عن علاجي
اذن كم يكون املي بهؤلاء
و اسيتي في المأتم
سألتني عن حالي؟
كيف اتسرح لك عللي
و الامي
انى لما كنت سالماً
ما استطاعت ان تصور
مشاعري كلماتي

1-كهده: مصيف طبيعي شهير من مصايف كردستان ايران نالهى جوداى – انين الفراق ص 106.

المصادر

1-نالهى جودايى (انين الفراق) محمد الملا عبد الكريم المدرس. ط: بغداد 1979
2-تاريك و روون. هيمن، 1974م – 1353ه.

اختيار الشخوص و المضامين الحداثوية في قصص السبعينيات

اكرم قرداغي
ترجمة: محمد امين احمد

عام سبعين، و خصوصاً بعد اذار، الأدب الكردي عموماً قد انفتح امامه باب واسع، و القصة الكردية كجزء من هذا الأدب، قد بدت ملامحها بصورة اوضح و نشاط اكثر، دخلت ادبنا و بقوة اكبر و حركة تامة. و لأول مرة برزت في الساحة الأدبية مجموعة من الكتاب الشباب فشرعوا في هذا المجال، شيئاً فشيئاً، و جربوا انفسهم و قدموا مجموعة نتاجات، و ان عدداً غير قليل من كتاب رعيل الخمسينيات و الستينيات و الذين لم يتوقفوا عن تقديم نتاجاتهم. و لم يتركوا هذا الجانب بل سايروا حركة التطور و الابداع التكنيكي الفني و المضامين المستحدثه؛ حتى ان قسماً منهم اصبحوا قدوة ابداعية جديدة سواء في تكنيك الفن القصصي ام من حيث مضامين و محتويات تلك القصص التي كانت تتضمنها.

الصحف و المجلات كمجلة (بەيان - البيان) و المثقف الجديد (روشنبير نوى) و شمس كردستان (روزى كوردستان) و الفكر الجديد (بيرى نوى) و الكاتب الكوردي (نووسەرى كورد) و جريدة (زين) الحياة، و التآخي (برايەتى) و صوت المعلم (دەنگى ماموستا). كما كان للندوات المقامة من قبل اتحاد الادباء الكرد دور و فاعلية في حث القصاصين الكرد. و هذا العمل اصبح مصدراً من أهم المصادر فيما بعد لكثير من الابحاث و الدراسات في هذا المجال عن ادبنا الكردي.

اما ما نحن بصدده فانه مثل ما هو موجود في هذه الدراسة و الذي له علاقة مباشرة بالمضمون و

البحث عنه. لاشك انه قد يصيب بمشاكل عدة والتي لا يمكن اهمالها، و التي اهمها:

اولاً: الجانب الاجتماعي و السياسي و الذي يؤثر في الباحث تأثيراً مباشراً بحيث لا يستطيع ان يحلل او ينتقد جميع المضامين القصصية بدون تأويل او تأشير، او ان يضعها على منصة التشريح ما لم يقم بدراستها دراسة شاملة او يحللها تحليلاً دقيقاً. فان هذا الامر يعتبر من اهم العقبات من هذا الجانب امام الباحث مما يضطر الباحث و المحلل ان يتناسى او يهمل بعضاً منها او يتجاهلها ثم يسدل الستار عنها.

ثانياً: من أهم العوامل الأخرى في هذا الجانب هو عدم توفر رؤية فكرية معينة واضحة لدى القصاصين. برأيي: فان هذه النقطة ليست بأقل من النقطة الأولى. بشكل عام اروم: أن الناقد ليس باستطاعته تعيين او تحديد المسار الفكري للمدرسة التي ينتمي اليها القصصيون في الأدب الكردي لأن القصصيين مروا عبر مراحل التأليف بايديولوجيات مختلفة و متضادة، و هذا له تأثير مباشر في نتاجاتهم. و الذي يبدو واضحاً هو دورانهم و انكماشهم في حلقة و هم يتلوون! و هذا يجعل من الناقد و الباحث الا يستطيع ان يحدد المسار الواضح 100٪ لأساليب القصصيين و طرح مضامينهم فعندما يبدو كاتب ما عبر نتاجاته او انه يقدم نتاجا على هذا النمط ليظهر ككاتب اشتراكي في هذا النتاج، يبدي نفسه كأنه كاتب وجودي او عبثي رغم اني لم اتخذ من هذا تعميماً عاماً و لا اجعله ضمن نتاجات قصصيينا. و برأيي لا يمكن انكار وجوده.

ثالثاً: الاهتمام بالفنتازية التكنيكية و الاساليب و التقنيات الفنية و اهمال المضمون. و هذا يبدو بشكل طبيعي في قصص السبعينيات صراعات و منافسات غريبة بين القاصين انفسهم: كاللهث وراء الابداع و البحث عن تقليد الشكل (فورم) الحداثي للقصة و تقليده و ايلاجه الى القصة الكردية، و لكن على حساب المضمون. و هذا يعني الاهتمام بالشكلانية و اهمال او الابتعاد عن المضمون الذي قد يصبح مرآة صادقة تعكس الوضع القائم و الايام العصيبة للمجتمع الكردي. و ليكون شاهداً للعصر في احداثه المأساوية. و ان هذه النقطة بلا شك لا تشمل كل القصصيين.

رابعاً في بحث قصصي كعملي هذا، و لضيق الوقت من ناحية و في ندوة كهذه هنا من ناحية اخرى فالارتباط بأقل تعبير و اقصر طرق الكتابة، يجعل من الاراء المطروحة و التحليلات النقدية القائمة مقصرا في اتخاذ مواقعها و لا تستطيع الاشارة بهذه العجالة الى جميع قصص تلك المرحلة و ذلك لكثرة و غزارة القصص في هذه الفترة بالنسبة الى القصص التي نشرت قبل السبعينيات. و هذا يعني انه قد يضع امام الناقد او الباحث صورة النقص او وضع مساحة زمنية واسعة، و مع كل هذه العوامل و المآخذ المارة الذكر، و بدقة متناهية ان يتابع هذه المرحلة للقصص الكردية أي السبعينيات 1970-1979 يجد قصصنا تكون كالآتي:

1-ان بعضاً من القاصين سواء أكان من حيث الشكل او من حيث المضمون يسيرون على قوالب الاربعينيات و الخمسينيات.

2-و هناك قصاصون اخرون، نقول ذلك بأوضح عبارة انهم في كثير من قصصهم ابتعدوا تماماً عن الابداع و كذلك تركوا المسائل الفنية بل انهم كانوا يهتمون بالقضايا الاجتماعية و السياسية و التي هي هدفهم و ما يصبون اليها.

3-و هناك عدد قليل الى جانب الاتجاهين المتوازيين: الشكل و المضمون على حد تساو كما يحاولون دوما ان يجيدوا المضمون و الشكل الجديد.

4-و لتحديد و تعيين مسار هذا البحث و الذي اراه و من الضروري و علي ان اقوله بكل صراحة و وضوح: ان المسائل الرئيسة في كل عمل يتناول الكتابة القصصية للتعبير و التوضيح و التحليل و اظهار مقصوده هي: هل القصة هي صورة الوضع الاجتماعي و معايشته؟ هل تتناول المجتمع اولاً؟ و بعبارة اخرى: هل يجوز ان تكون الشخوص المختارة ليلعبوا ادوارا في القصص بالمجتمع؟ ام هم شخصيات هامشية و ليس بالمقدور و كنموذج حي ان تحدد الحالة الاجتماعية و السياسية؟

و يجعل منها رمزاً لمرحلة الحركة الاجتماعية؟ ام في الحقيقة انهم شخوص مستقاة في المجتمع و يتعامل معهم في الحياة اليومية العادية و نعيش معهم؟ و ما نريد الاشارة اليهم هنا، نعم.. و مهما كان فان تحليل و توضيح و دراسة الجوانب المتعلقة بالاشخاص ينبع من صلب المجتمع و ان يكون الاشخاص جزءاً منا دون انفصام. في الوقت الذي ان لم يستطع المتلقي أن يجد امثال هؤلاء داخل المجتمع بلا شك ففي ذلك الحين يكون الاشخاص غرباء بالنسبة لنا. و تبدو القصة حاملة ملامح قصة اجنبية او انها تكون كقصة اجنبية لا تعبر عن مشاعر و احاسيس هؤلاء الذين قد كتبت من اجلهم. صحيح ان بعضاً من الآلام و الويلات التي تعيشها من الجوانب النفسية المعقدة و التي توجد في عموم الحياة البشرية (او تكاد تكون لا تخلو منها)، لكن مع هذا و حتى ذلك الموضوع ينبغي ان تستل من عمق مجتمعنا و يدمج بالامنا و ويلاتنا.

الادب الاصيل هو ذلك النتاج الذي ينظر اليه كقضية اجتماعية مخصوصة او من المرقب الفني المندمج بعالم واسع و دنيا فسيحة. و الا تضيع اشكال و خصوصيات و سمات مجتمعه اثناء نقله او ترجمته ابداً. و نحن لا نطالب القاص الكردي ان يبتعد عن همومه الذاتية او حالاته النفسية المتوترة بكل تفرعاته وانفعالاته او خنقه او شعوره بالاغتراب: الغربة و الكآبة و القلق و عدم الاستقرار او يهمل بكاءه الداخلي. و لكن! كمتلقٍ نطالبه بأن يذيب همومه و احزانه الذاتية في امال و تطلعات الالام العامة، و ان يدمجها بشجاعة في امال و اهداف مجتمعه و الايدعهم في اطار سايكولوجيته الضيقة، متى ما بقي الكاتب اسيراً في تلك القوالب الضيقة فان كتاباته لتصبح مذكرة او سيرة ذاتية له، و بذلك يبقى نوعا ما الطابع الاجتماعي العام مفتقداً. فالاهتمام بالتكنيك الجديد و التصوير

الفني و استخدام المنلوج (الحوار الاحادي) او الحوار الداخلي و فلاشباك (الاسترجاع) و الحوار و المونتاج و العودات السريعة في الامواج الذهنية لا يجوز ان يصبح مسألة رئيسة لدى الكاتب. في حينه قد قدم القاص حسين عارف فصلاً جيداً[1] عن الشكل و عملية البحث التحليلي لكن عمل هذه الاسطر كان مجرد اظهار جوانب من تلك المضامين المعبرة عن تلك المضامين فيما اذا حسبنا المضامين ضمن مدرسة ادبية محددة، حينئذ يمكن ان نقول: ان القصص تتناول الجوانب الآتية: الواقعية التصويرية، الواقعية الانتقادية، الواقعية الاشتراكية، الاتجاه السايكولوجي، المذهب الوجودي، المذهب الواقعي الثوري.

اما عن تحليل المضامين فقد اشغل القصصيون انفسهم بهذه الجوانب: الفقر و العوز و المرض – البغالة – حسب القومية – الثورية – التوتر النفسي – الصراع الطبقي – مسألة الارض و الاقطاع – الجنس (سيكس) – العلل الاجتماعية مثل: (الكذب – الرشوة – البخل – تعدد الزوجات – اضطهاد المرأة – القسوة، تربية الاطفال، الحوادث الاجتماعية، و القضايا الانسانية الأخرى. و لكن نحن، كي لا نضيع بين المضامين و المحتويات، و من البداهة علينا ان نستخلص كل ذلك في الاشكال الاتية:

1-الصراع الطبقي.

2-العلل الاجتماعية.

3-الواقع السياسي و الثوري.

4-الجنس – السيكس.

5-الواقع النفسي المعقد و القلق و البلبلة الفكرية.

اولاً- الصراع الطبقي

الادوات الانتاجية في كل المجتمعات لها دور خطير في الابداع و التطور الاجتماعي و العلاقات الاجتماعية و بعدها السعي و التفكير في كيفية تغيير الواقع الاجتماعي.

و بما ان الادب و الفن هما انعكاس للعلاقات الاجتماعية و الطبقات المسحوقة و المضطهدة، و في مجتمع شبه اقطاعي او مجتمع برجوازي، او البرجوازية الصغيرة التي تئن تحت وطأة العادات و التقاليد و القوانين الموضوعة من قبل المتنفذين السلطويين المضطهدين. و تعاني الاضطهاد او التعذيب و الالام و تذوق الامرين، و في العالم الثالث و البلدان النامية و قد بدأ هذا القسم تواً يشعر بالاحساس الطبقي و يحاول ان يصنع لنفسه ادباً اصيلاً معبراً هادفاً.

و منذ السبعينيات و حتى الآن فان الادب الكردي بات شيئاً فشيئاً يظهر الواقع الطبقي و الصراعات القائمة حسب المسؤولية و دراسة الكتاب و المثقفين و في السبعينيات قدم عدد من الكتاب مجموعة من النتاجات التي كانت تعبر عن هذا الجانب. و حسب رأيي انها في مجموعتين:

1-المجموعة الأولى:

يضـم الكتـاب الـذين ذاقـوا التعـذيب و تجرعـوا الأسى و عانوا تلك الحياة الأليمـة مـن بـؤس و شـقاء فجاءت نتاجـاتهم طبـق الأصـل مـرآة حقيقيـة لتلـك الأمنيات و الأمال.

2-المجموعة الثانية:

امـا هـذا القسـم فلـيس مـن قبيـل الفـرض ان يكونوا ضمن تلك الطبقة غير انهم قد تفهموا تلك الالام و الأمـال و اصـبح ذلـك جـزءاً مـن كيـانهم فجعلوها القسم الـرئيس عـن افكـارهم و اخيلـتهم و رؤاهم، و تـرى نتاجـاتهم قـد وظفت لخدمـة هـؤلاء المضـطهدين. و قصـص الكـرد في السـبعينيات جلـها تبحث عن مسألة العلاقات الاجتماعية لفلاح قـروي و الصراعات الطبقية بـين الاقطاع و الفلاحـين مـن جانب، و من جانب اخر محاولة الكشف و الانتقاء و هـو القسـم الـرئيس لهـذا الاتجـاه. وقـد يبـدو هـذا الجانب بوضوح عند حسن القزلجي و الذي يعتبر الى الآن هو اول مـن عـبر عنـه في الادب الكـردي و الـذي كان يقدم ادبا عن عالم تلك الطبقة مباشرة و يكون عارفا بالامهم و عذاباتهم و ضليعاً في تصويرها.

حسن قزلجي: في مجموعتـه (ضحكة المتسول)[2] يبدو كمن هو احد افراد تلك الطبقة و يحاول ان يحلل دقائق و تفاصيل حيـاتهم و الولـوج فيهـا دون حـرج يضعها امـام المتلقي الكـردي، هـا هو في قصة (ضـحكة المتسـول) و الـذي يحمـل اسـم الكاتـب ان (حمـەرەش) هـو احـد الاشـخاص المختـار مـن تلـك الطبقـة و نتيجـة الظلـم و الاسـتبداد الاقطـاعي، و ضعفه و قلة حيلة هذه الشخصية و عـدم قدرتـه و جسمه المنهوك يجبره على مغادرة القريـة، هـو و زوجته يصابان بالحمى فتموت زوجته و ينسلخ هو الى المدينـة و في النتيجـة يصـبح جـوال الشـوارع و الطرقات.

ان اختيـار شـخص مثـل (حمـەرەش) يعتـبر شخصـية نموذجيـة في مجتمـع كهـذا، المجتمـع الـذي تكـون فيـه العلاقـات الاقطاعيـة علـى اشـد و بـذلك الشـكل قـد ادانـه و رد عليـه لأي سـبب و لأجـل أي شيء ترى يتجه (حمەرەش) الى المدينـة و لم يصـبح جوالاً، في حين انه كان طول حياتـه لم يكـن الا ابـن الحقـول الخضـراء و البيـادر و الـذي عـاش بعـرق جبينه؟؟ و التي كان يحصدها قليلاً مـا كـان مثيلـه كهذا الحاصد يفعله)[3]. ها هو الان يدس هذا و ذاك في يـده نقـوداً ذات فئـة اربعـة فلـوس و كـان يقـول: (عمي لست شحاذا بل ابحث عن العمل) غير انه بعـد لم يؤجره احد فاضطر ان يأخذ منهم بعض النقـود من صدقاتهم..

"حسن قزلجي" يريـد مـن هـذه الكـوة ان ينظـر الى ذلك المجتمع المضطرب و الذي تعود فيه العلاقات الاجتماعيـة الى مئـة عـام قبـل ذلـك، و هـو بـذلك يـدعو الى تفكيـك تلـك العلاقـات و القضاء عليهـا. و على لسان احد الاشخاص امثـال (حمـەرەش) يهمس في اذاننـا انـه في مجتمـع كـثير الفئـات و الأطيـاف و الطبقات، و في الوقت الذي كان فيه هضم الحقوق، و السلب و النهب كان على قدم و سـاق، و المفـروض ان يكون هو المتجذر في الحياة الاجتماعيـة مئـات امثـال

(حمه رقش) يجوبون الأزقة والدرابين و طرقات المدينة لهثاً وراء لقمة عيش تائهين ضائعين حيارى.

حسن القزلجي مرة اخرى يشير الى هذا الجانب في (تخمين القطن)[4] مشكلة التخمين و اكاذيب و حيل الاغا و الاقطاعيين و تكشفها في موازنته و اخراجه نتاج تعب و بؤس الفلاحين و يجعل من صوفي (نامق) الفلاح المعدم المعور و الذي هو بانتظار همة الشيخ و بركته بان يترجى (زوراب) بيك الا يأخذ منه كل حصيله القطني.. و كذا الكاتب في قصصه الأخرى (شهيد ظلم الكفن لا يحتاج الى غسل)[5] (بيضة هادي خان)[6] (لا مقابلة حاجي و لانومة المسجد)[7] (تاج و عرش العمدة هومر)[8] و (تخمين القطن و رجاء الشيخ)[9]. و في كل مرة يصور جانبا من هذه الوقائع مستخدماً فيه الاسلوب الانتقادي الشديد اللهجة.

حسن القزلجي يعتقد بان القصة الاجتماعية عند الفلاحين لها مكانة مرموقة ها هو يقول: (منذ سنوات، و خوفاً من البوليس، كنت منشغلاً انذاك بزراعة التبغ في بازيان، و كنت اعيش بين ظهراني الفلاحين، و كنت ارى انهم كانوا يعرفون الكثير عن القصص و الحكايات المنقولة، و كانوا يروونها باسلوب شيق و من هذا بدا لي: بان للقصة تأثيراً كبيراً في المجتمعات الفلاحية و المساكين المتعبين، و لكن بشرط: ان القصة او أي انتاج ادبي اخر ان يكون معبراً عن الوضع الاجتماعي و واقعه، او انه يقول: (النتاج الأدبي قد يستطيع ان يكون هذه الخاصية الخطيرة التي تصيب المجتمع و توجه هؤلاء و في تلك الرؤى، فيه مصلحة الناس و ان تدرس من خلال التوجه و المصلحة العامة، و ان تبحث عن تلك المسائل و المظاهر)[11] او انه يقول:

" الخصوصية الشعبية تطلب او تطالب الكاتب بان تكون كتاباته سهلة و واضحة، و ان تطرح الاهداف بشكل واضح دون لبس كي يفهمها الناس بسهولة"[12].

محمد فريق حسن في قصته (نجمة نهار الحق)[13]، يتخذ من فلاح فقير معدم و اسمه (درويش) و من قرية كردستانية، في ذلك اليوم قد لبس ثياباً جديدة، و يذهب الى المسجد و ينتظر من اهل المسجد ان يباركوه و يهنئوه، و لكن بلا جدوى. و فجأة يلتقي بـ(اغا) البيك، و البيك يندهش مستغرباً و يقول:

"أي سيدي! اصبحت تلبس مثل ملابسي ها.. اذن ضربك واجب، و ان تنال ضرباتي.. هيا "حمه"، "ويسه" اعطوني عصاً"

هذا جانب من تلك المسرحية يوضحها حمه فريق حسن في مجتمع شبه اقطاعي، حتى انه يعد جريمة فيما اذا ارتدى فلاح ثياباً مشابهة لثياب اغا حتى من نفس القماش او نوعه.

يريد الكاتب من هذا الجانب ان يحلل الواقع الطبقي العم درويش المسكين الفقير، يضطر بان يغادر القرية و يرحل.. فانه يترك القرية و يتجه صوب مكان اخر: "سأرحل و ان مطرت السماء مجراً.. سأذهب حتى و ان اصابعي تجمدت الا يوجد ما يفرح قلبي بهذا المكان؟!" و لكن حمه فريق

حسن لم يوضح الى اين سيذهب درويش؟ ترى اليس انه انتقل من ظالم لا يقع في قبضة ظالم آخر؟ و في قرية اخرى؟!

شخصية هذه القصة (العم درويش) شخصية نموذجية مختارة من بين شخوص هذا المجتمع مباشرة. و لكن حسب ذلك الفكر و الوعي. و الان، الذي كتبت له القصة، يعني السبعينيات و الذي كان يعتبر شخصية (درويش) ايجابياً. ترى هل بمغادرته القرية تكون علاجاً للمشكلة؟ ترى فيما اذا غادرها (عم درويش) الا يعني هذا بان هذه العملية لا تتكرر مرات اخرى و مع فلاحين اخرين؟!

اذن انه يعني ان الشخص الايجابي ليس عليه الا ان يذوب في المصلحة العامة و يجد نفسه من خلال المشاكل الاجتماعية و الا يكون منشغلاً بالمسائل الذاتية.

هلا ترى في المجتمع الكردي رجلاً مثل هذا الدرويش لا يستطيع ان يقوم بعمل ما غير الرحيل او المغادرة؟!

محمد فريق حسن في قصة (الحصان الاشهب)[14]، يبدي نوعاً من الثورية، حسب المنهج النموذجي: حيث يسلم القرية الى فلاح مثل (خله). فها "خله" في الوقت الذي كان (ثوره) في مرعى البيك فالآغا مقابل هذا يطالبه بـ(عشرين) روبية!!

يريد الكاتب ان يعبر عن توسلات (خله) و عدم رضاه بهذا الرفض: (انه اقض مضجعه، و عيناه كانتا جمرتين متقدتين، و كان دمه في اوردته يفور، بل كان وجوده مليء بجراحات عميقة و مملحة: "اتقزز من نفسي. دفع عشرين روبيه اليس جريمة؟!!.. يا وضيع! علي اليوم ان انزع هذا الخوف و اتسلح بالجرأة، الذي بلغ مستوى قد نزع عن نفسه لباس الخوف و تدرع بروح جريئة" يبدو من هذا الحوار انه يعني بداية الرفض و عدم الرضا بل التمرد بعينه، فالقارئ ينتظر منه عملاً حيازياً.. صحيح ان قطع الذيل في القرية نوع من التمرد بل يحسب له حساب. غير ان هذا الجانب الذي اثاره "حمه فريق حسن" يعتبر جانباً ايجابياً، لكنه في نفس الوقت امر ناقص، لان الم (خوله) قد توقف في مكانه و لم يندمج بالالام الكبيرة للقرية و فلاحيها. و بقي العمل الفني هذا في مستوى ذاتي بحت و لم يرفع راية المجموع للكل"..

سلام منمي في قصة (ثمرة تعب فلاح)[15]، يتخذ من تعب و ارق فلاح نموذجاً للمشكلة. ها ان الفلاح منهمك بحصاد حنطته و يأتي الأغا و يهدده بحرق بيدره، لكونه مناهضاً للاقطاعي.

ان هذا العمل يعتبر وفق المذهب التصويري في الأدب عملاً مناسباً، و في مجتمع كالمجتمع الكردي قبل سنوات.. و لكن سكوت الفلاح عن حرق بيدره يعتبر عملاً سلبياً في القصة، لأن الشخص الايجابي في القصة الجديدة مع انه لم يكن انساناً مهملاً و لم ينقصه شيء و انه ليس هناك انسان ما يرضى بالواقع المؤلم الذي كان هو فيه بل انه دوما يحاول التغيير و الاصلاح. فلاح سلام منمي يعتبر مع كل مانعته، و عدم رضاه الذي عبر عنه، شخص سلبي في القصة المعاصرة.

(مام وسو) عم وسو عند شيرزاد حسن في قصة "الحب لا ينحني"[16] يصبح شخصية نموذجية، و تنفجر القضية امامه.. عم وسو انسان فقير معوز معدم يعمل خادماً لأحد الأغنياء و له بنت و ابن البيت الذي هو فيه ناقص و ثقيل الظل، عم وقسو يمسكه بالعربة. هذا الولد تسيطر عليه موجات تخيلية لارتكاب الافعال السيئة، فيطلب يد ابنة عم وسو و يهدده بالطرد. عم (وسو) مع كل فقرة يبصق بوجه تلك الحياة و يتركه.. هذه خطوة ايجابية قوية عند قاص شاب شيرزاد حسن لأن الرفض هو رد الواقع في ذاته خطوة كبيرة من التمرد الكبير و محاولة التغيير.

كاوس قفطان (نصف خطوة بعيدة عن الجحيم)[17]، رجل فقير طفله مريض لا يملك نقوداً و لا مصاريف العلاج يتوجه الى اناس معروفين لديه. لا يهتم به احد. و بعدئذ يقتل احد الأغنياء و تبقى هويته في قميصه و بعدها يعتقل بسبب هذا.

اذا قلنا: هذا الشخص هو كانسان حي قد لا يوجد في مجتمعنا فليس بصحيح اذ هذا الانسان هو الوجه الامثل للمجتمع و الواقع الطبقي المعقد، فهو النزول الى عمق اعماق الفقراء.. يبدي في هذه القصة نفسه بوضوح، و لكن لم القتل؟! و كيف يرضى القاص بأن يعالج هذه العلة او هذه المشكلة عن طريق القتل؟!

محرر محمد امين، في الخمسينيات: عم هومر نتيجة الفقر ارسل زوجته الى مطعم جاره الغني، لم تلبث ان القي القبض عليها حيث كان بحوزتها (ماعونان) صحنان، من الطعام. هذا في الخمسينيات..

احمد سلام في قصته (علبة سكاير و علبة حليب): فقير لا يملك ثمن علبة السكاير و لا ثمن علبة الحليب لطفله، فانه يضطر ان يسرق من احد دكاكين معارفه. و هذا في السبعينيات.

بالنسبة لي اياكان، د.كاوس قفطان او احمد سلام فهما لم يستطيعا ان يضعا هذه القضية الهامة في القالب الاجتماعي ضمن القضية الاجتماعية الكبرى و على مستوى العلاقات المعقدة المتداخلة المتشابكة و تدشينها.

بسرقة علبة سيكاير او علبة حليب، فانه ليس من المعقول، لان معالجات اخرى كثيرة كان بامكانه ان يتبعها. ترى هلا يوجد في هذا المجتمع الواسع انسان فقير ما يساعد هذا المسكين؟. او ان يجد له علاجاً؟ ان الفقراء في احايين كثيرة و في جميع المجتمعات كثيراً ما يذوبون في الام و عذابات بعضهم البعض.

ان مقتل البطل عند د. كاوس كثيراً ما يبدو امر ايجابياً – هامشياً، كان بامكان الكاتب ان يدفع طاقة حرارية الى القضية. انا مع كلا الكاتبين: الجريمة هي نتيجة حتمية للفقر، هذا صحيح، و لكن كاتباً اجتماعياً كيف لا يجد علاجاً لهذا المرض! هل يكون العلاج فقط تصويرياً (فوتوكرافيا) ليشمل الواقع؟! او انه يتدخل هو فيها؟ زاهر احمد سهوز، في قصة (انسان تائه و دمعة غريبة)[18] نفس الحدث يتكرر الا و هو البحث عن طبيب و

الحصول على الدواء لخالهم، فيتخذ من هذا مضموماً لقصته، فانشغال الاطباء بأمورهم الخاصة لا يستطيعون الالتفات الى عامة الناس، ها ان هذه الأسرة من الطبقة الفقيرة المسحوقة المعدمة، يموت طفلهم و ليس هناك من يصغي اليهم و يهتم بشأنهم او يشارك الامهم و معاناتهم. قد عبر جيخوف في قصة الحوذي (عربنجي) هذه الغربة بعمق غير ان الفرق بين غربة بطل قصة جيخوف و هذا الذي طرحه (زاهر احمد سهوز) يكمن في ان جيخوف اتخذ الجانب السايكولوجي، اما زاهر احمد سةوز فقد اتجه الى العمق الاجتماعي مما كان هذا كثيراً ما مهتماً بهذا الجانب.

اما محمد امين احمد في قصة (الانسان و مرض كالاسيه)[19]، يوجه الطعنات الى الدول الرأسمالية و التي يحاولون الوصول الى سطح القمر و يصرفون لهذا الأمر مبالغ طائلة بحجة انها لأجل الانسان، في حين ان هناك فوارق طبقية و تمييزاً عنصرياً في اوجه ما فان طفل هذا ايضا مريض و لا يقدر ان يأخذه الى الطبيب للمعالجة.

يظهر صدر الدين عارف في قصة (رحلة)[20] علة البطالة التي هي من نتاج الاضطهاد، و يختار شخصيتين فعلى الدوام فهما يجوبان الشوارع و يدمنان الخمر و يضيعانهما في مثل هذه المسائل. فهو يريد ان يدفعهما نحو الجوانب السلبية السيئة. و هدف الكاتب هو: انه مهما كانت ردود الفعل الاجتماعي في رد المطاليب و الرغبات، لم يعين فان الغربة و ذلة النفس لا يمكن قلعها عن عقول الناس بل يزداد، و الانجراف نحو المستنقعات.

"بارام" في قصة "ثمة شخص اسمه بارام"[21] لعبدالله سراج، يصير نموذجاً اخر، و كذلك هو نتاج الظلم و الاستبداد. قد اجتمعت فيه رموز انواع العذابات و الاضطهاد. غير ان بارام عبدالله سراج يختلف عن الاخرين. ها هو غير راض بحياة البؤس و الشقاء السالفة. و عندما تشمله الاصلاح الزراعي يحس بانه و لاول مرة قد منح حياة و قد ولد من جديد.

اذن "بارام" يصبح انسانا نموذجياً في مجتمع كالمجتمع الكردي! و كذا يعتبر شخصية ثورية لأن اساسيات هذا الانسان و ماهيته: التمرد و محاولة الجمع – الاصوات – و الحصول عليها و صنع القرار، و نزع مظاهر الظالمين.. عبدالله سراج في هذه القصة يصور بحذاقة و يتناول الدمامل القيحة كيف ان قانون الاصلاح الزراعي قد صنعها في نفوس اصحاب الاراضي.

ان بارام المثال الثوري النموذجي في الواقع كواقعنا نحن يصبح ضحية القانون و من اجله يسلم روحه لأن الوعي عند "بارام" اخذ بالازدياد بل تصبح اصابعه شوكة و يغرزها في عين الاقطاعي و خاصة لأنه التطور الجديد هو الذي قد منحته روح الحياة و اثاره فيه مشاعره. و لأول مرة تحول "بارام" الى انسان. و ينظر اليه نظرة انسانية، و لأول مرة شعر بارام بأنه اصبح انساناً. و بنظرة انسانية بدا ينظر الى نفسه والى اصحابه من ذاك

الجانب و ان لا يرضى بتهديدات الاغا و الا يخافه و لا يخشاه..

اما بالنسبة لي فبالرغم من ان بارام عبدالله سراج لم يصل في وعيه بعد الى درجة وعي "جوان"[22] محمود احمد، و مع ذلك فانه يعد خطوة كبيرة لاظهار الشخصية الثورية في القصة الكردية.

طاهر صالح سعيد، يتخذ من شخصية (بانكوش) الأجير الذي يدير هذه الصخرة فوق السطوح اثناء الامطار و الثلوج فهي شخصية مختارة لاظهار الجانب الطبقي المعقد. فها هو لمدة ثلاثة اشهر قد ادار بهذه الصخرة سطح منزل "حاجي" غير ان هذا الحاج شحيح، فيمتنع من دفعه اجرته و هي من حقه الشرعي و رغم ذلك فانه يهينه و ينهال عليه بالسباب و الشتائم.

يريد طاهر صالح سعيد ان يظهر من هذه الناحية الفوارق الطبقية، و ليست القضية تتناول مسألة القرى و الأرياف البعيدة فقط بل تتناول من خلال ذلك: الظلم و الاستبداد، و لا يترك زاوية الا و لها، حيث تتكرر نفس المشكلة حتى داخل المدينة.

اختيار شخص مثل هذا (بانكوش) مع وجود تصوير فوتوغرافي واضح فيه، انه نموذج حي للواقع البرجوازي الصغير ذوي المصالح الخاصة الذين يسعون لأجل ذلك. و يجعلون اهدافهم الرئيسة جيوبهم. و همهم الوحيد هو ان يملؤها و لو كان ذلك على حساب تعب الفقراء و المعوزين المعدمين لذا فان ذلك التشابك و التأثيرات الرئيسة داخل المجتمع و في هذه القصة تبدو للعيان و لمست هذه الزاوية بوضوح.

"طاهر" مرة اخرى و في قصة (مسرح الحياة)[24] يقوم بتصوير جانب اخر من هذه الجوانب المعقدة. الذي يجعل من بائع الكتب بطلاً نموذجياً، و في يوم شديد الرياح يردي بيع الكتب فوق رصيف الشارع الكبير، و الذي لا يأتيه احد. من يقرأ الكتب؟ و في الطرف الاخر صبية بلا أهل. قد اشعلت ناراً لتتحمى بها. فالتقاط هذه الصورة قد يمكن اعتباره من النقد الاجتماعي لأظهار و طعن الواقع المر، و المسألة الطبقية. فيعتبر هذا عملاً ايجابياً في القصة.

طاهر صالح سعيد، من هذا الجانب، اراد ان يقول لنا بدلاً من البسمة و الترنيمة او استدرار الحنان: انظر الى هذين الصبيين فها انت تراهما؟!

هذان الصبيان نموذجان حقيقيان للمجتمع و الى الآن المصلحة الشخصية تفوق المصلحة العامة، فهو بذلك يريد ان ينبهنا بأن تشرد هذين الطفلين اللذين لا احد لهما قد جاء نتيجة العلاقات الهزيلة داخل مجتمع شبه برجوازي. و بالرغم من ان "طاهر" قد ابدى اهتمامه بالمسألة الفكرية و اهمل الجانب الفني مع ذلك فنماذجه يمكن اعتبارها حقيقة و ان اغلقنا اعيننا عن مسألة اشعال النار في الشارع و عدم بيع حتى كتاب واحد و في مثل مدينة كبيرة كهذه..

اما دلشاد محمد امين (دلشاد مريواني) في قصة (السمكة – الفأس - فيوز)[25] فانه ينصاع بوضوح و

يداخل المسألة الفكرية هذه و يبدو كمثقف ثوري واقعي منتم الى الواقعية الثورية و يطالب بالغاء كل العلاقات الاجتماعية المتهرئة و ينادي بها لابطالها و قلعها من الجذور. انه ان لم تقطع العلاقات الاجتماعية الزائفة من جذورها و يقضي عليها فيبقى العمل كما هو و تبقى العلل الطبقية دون قلعها كما هي..

فالسمكة عند دلشاد رمز المضطهدين و الفأس هي علامة الظالم المضطهد، و تنسب الذنوب الى (الفيوز) و الذي يطالب باستبداله و هو يقول: "بدلوا الفيوز، ارموا باللايتات (المصابيح اليدوية) جانباً. تكمن العلة في الفيوز، فالمصابيح سليمة".

قد يكون عيب هذه القصة هو في ان الكاتب لم يحدد الطريق و كيفية استبدال الفيوزات، لأن الكاتب الواقعي لا يضع المشكلة هكذا امام القارئ بل انه معه يحاول ان يحدد الجوانب التي لها علاقة بالذين يخلقون تلك المشاكل بصورة عامة، فحينئذ كيف يعزلونها؟ و كيف تبنى من جديد؟ و بأي طريقة؟!

لدينا امثلة كثيرة على مثل هذه الجوانب. و الان وجدت هذا كافياً. و الذي بقي ان اقوله عن هذا الجانب هو: من شروط واساسيات و الركائز الأدبية التي تكتب لكل المجتمع و شرط اساسياته التي هو يضعها في خدمة المضطهدين المسحوقين، ينبغي ان يكون ادباً واضحاً و بلغة سهلة بسيطة مفهومة بعيدة عن التعقيد"، بل ان يفهمها جميع الناس و ان يكون بلغتهم..

و برأيي: ان تلك المجموعة القصصية التي اشرت اليها تتوفر فيها هذه الشروط و الى ابعد حد، قد خلصوا انفسهم من الانطواء و الانكفاء و التألم، و ابتعدوا عن استخدام المفردات المعجمية و مكتوبة بلغة و اسلوب بسيطين، و ان كان احياناً، المسألة الفنية "و التي هي من الشروط المهمة لكتابة القصص"، و ان قل عند بعضهم و في مجال ما مثل الاهتمام بالمحتوى، تبقى القيمة و المثل، المسألة الفكرية كما هي و لا ينتقص منها (رغم اعتقادي بان الاهتمام بالجانب الفني على حساب المضمون ليس بجائز، و كذا الاهتمام بمسألة المضمون على حساب المسألة الفنية: غير جائز ايضاً). و انا دوماً على هذا الاعتقاد ان المضمون الجميل عند القاص الأصيل الذي يخلق فنا جميلاً، و ابداً لا افكر عكس ذلك. و لم يبق الا ما اشير اليه في هذا المجال هو انه كان ينبغي ان اختار قسماً جيداً لنضال الطبقة العاملة و ان نعطي حقها من البحث، و لكن بقدر ما انا بحثت عنه فلم احصل الا على نماذج متفرقة، و لم اجد نصاً جديراً بالذكر من هذا القبيل الذي يمثل العامل كطبقة واضحة مضطهدة في القصة الكردية او قد وجد مكانه في الادب الكردي. و ان كانت هناك امثلة و لايمكن انكارها، و لكن القسم الكبير من تلكم الامثلة بسيطة ساذجة غير عميقة الرؤى و الوعي و التفكير في تلك المسألة اكثر اهمية من الامثلة الهامشية الاعتيادية الواردة في بعض قصص السبعينيات..

ثانياً- العلل الاجتماعية

و ان كانت العلل و الامراض الاجتماعية من عادات و تقاليد و ماشاكلها مرفوضة، فانه لا يمكن فصلها عن المسألة الطبقية و ان كانت هي الا انعكاس لمرآة الحالة الطبقية بل قد تكون سبب وجودها هو. فمع ذلك اردت ان اتناولها بشكل مستقل و اظهرها للعيان.

ان الجوانب الاجتماعية التي تناولها كتاب القصص في السبعينيات، فانه قسم رئيس منهم قد تحدثوا عنها، في حين وردت في قصص الأربعينيات و الخمسينيات و حتى الستينيات وتناولوها بشكل او باخر و الكتاب الاخرون قد ولجوا فيها.

يبدو في بعض الأحايين ان الوعي عند الكاتب الخمسيني ليس غريباً ان يكون هو في احد الجوانب الاجتماعية اكثر ايجابية و مع ذلك فان كتاب القصص في السبعينيات، انهم قد جاءوا ببعض المناحي الأخرى، و التي لم تكن من قبل و غير متناولة بذلك الوضوح في القصة الكردية.

طاهر صالح سعيد كما تحدثت عنه من قبل انه ككاتب نقدي واقعي يقدم نفسه و احياناً يقربنا من الريالزمية الجديدة، ها هو في قصة (ظرف ازرق)[27] يكشف الغطاء عن مشكلة الرشوة في مجتمع لم يفقد نفسه علاقات مستوى الاقطاعية بعد.

يبدو ان قضية الرشوة تظهر كعمل اجتماعي و بوضوح لذا فاظهار هذه العلة و من هذا المنظور كشف النقاب عن وجه الرشوة. سلام منمي في قصة (الكابوس)[28] يتخذ من (عهزة) عزيز تنكجي، او عزيز الحداد بطلاً ايجابياً، و في المنلوج الداخلي لـ(سلطان شكر شريف) الذي هو مدير الدائرة فيعرفنا عليه بان عزيز هذا ضد الرشوة و الوساطة و انه يعيش مع الفقراء و المضطهدين.

اهمية هذا الجانب عند سلام منمي تعود الى ان عزيز تنكجي الذي يصبح فيما بعد مديراً للدائرة نفسها و لأن سلطان شكر رجل مرتش فاختيار شخص مثل عزيز هو بطل ايجابي، لأن عزيز هو نفسه ضد الرشوة و هو مع الفقراء و المعدمين ثانيا ان عزيز هو نموذج من هؤلاء الناس البسطاء الذي يقف ضد الواقع المفلوج و يحاول القضاء على هذه الظاهرة و استئصالها.

كاوس قفطان في قصة (امر صغير)[29] يكشف النقاب عن تلك الظاهرة. ذلك في الوقت الذي تختل فيه الموازين و يصير الابرياء مذنبين لأن اختلال المقاييس منوط بالقانون و الحياة العامة. فنجاح هذا النوع من القصص يكمن في ان قليلاً من الفقراء او كثيراً منهم يجدون انفسهم فيها أي يرى كل منهم نفسه فيها و يقرؤها.

محمد رشيد فتاح في قصة (القافلة)[30] هو ايضاً يكشف عن علة اجتماعية كبيرة و الذي يضعها نصب الأعين: كيف انه في مجتمع شبه اقطاعي ينظر الى المرأة كسلعة؛ "فـ(عائشة) عند الكاتب محمد رشيد رمز لكل النساء اللائي في المجتمع لا حول لهن و لا قوة. و عم (ويسو) والد عائشة، لتنفيذ رغباته يريد تزويج عائشة من (خوله) كي

ينكح هو والدة (خوله) (خوله: تصغير لـ"محمود") لكونها ارملة. فاختيار ظاهرة كهذه صحيحة الوقوع.

حسين عارف في (رايز يعيش في دمائهم) يلتقط على القمار في صورة "رايز" و يظهر نتائجها الوخيمة. اختيار ذلك الحدث و بعده عن المجتمع الكردي، و لكن نماذج حقيقة حياة بعض اسر الكرد في مدينة كـ(بغداد).

شيرين ك. في قصة[32] (هجره) تمثل نفس مسألة نكاح عائشة الواردة في قصة محمد رشيد فتاح و تعبر عنها: امرأة شابة تنكح من رجل طاعن في السن لا سرور و لا غبطة في حياتهما سوى الذكريات الأليمة و الشيخوخة تقضي عليه.

هذه القصة في مثل هذه الحالة الاجتماعية حية و تعيش في مجتمعنا، و لكن يبدو ان عيب اكثرية قصاصينا الذين لهم قصة في هذا الجانب يكمن في ان النسوة في قصصهم ساذجات بسيطات فقيرات مظلومات مخنوقات ضعيفات.. يستطيع الكاتب ان ينفخ فيهن روحاً جديدة عن طريق ارضية الوعي كأن تزرع فيهن روح التمرد على النظام البالي و رفضهن اياه، و لهذه الطريقة: النظرة المستقبلية و التي تعتبر من اهم الركائز الرئيسة للبطل الايجابي. و من هذه الناحية فان قصة[33] (قانون الرماد و اللبن) لحسين عارف مثال جيد لكسر و تحطيم القوانين التقليدية و القضاء عليها.

حسين عارف يضع اصابعه على التمرد الاجتماعي و هذا التمرد و الرفض يظهر ضمن شهوة جنسية، و لكن يجعل من السيكس العملية الجنسية هذه اشارة منه اليها، تشير بها الى مسألة هامة يوجهها كضربة الى المجتمع.

فاطمة رمز رفض و تمرد اجتماعي و المجتمع تحت ستار القوانين الاجتماعية يكبتونها.

د. كاوس قفطان في قصة [34] (المخيط) يريد من هذه الناحية اظهار اساس الكذب الذي هو علة اجتماعية خطيرة. و كمثقف يربط المشكلة بالمدرسة و التي هي بداية حياة الطفل هي البيت: يعود الرجل الى البيت، و السائق الذي اقله يكذب معه، و الطفل يكذب عليه و يطلب من الطفل الا يكذب عليه، و يتجنب الكذب فاذابه و بعد قليل يعانق جاره و يمطر عليه بوابل من الأكاذيب و الطفل يرى هذا بام عينيه!

محمد نوري توفيق في قصته (سوق العدالة)، انه يكشف عن اقنعة التحايل و السحر و خداع فقراء المجتمع المعدمين، و يشير فيها الى الخروج عن الحقيقة و الركض وراء الفسق و الفجور و الفساد و التخلي عن الحق، و ذلك في سبيل مصلحة شخصية و الأفندي النحيف الهزيل هو المثال، و الرجل الهرم الذي على كتفه المصلاة، و الاخر الاسمر ذو الكرش الكبير، يتخذ منهم نموذجاً للمجتمع المتخلف، و الذي ركائز قول الحق و مواجهة الظلم فيه بعد لم يستقر و رجالات النفاق بعد يقلبون الحقائق رأساً على عقب و يضلون الناس عن الطريق السوي و رأس الحبل مازال بأيديهم، و لكن حبل التضليل قصير، فانه لابد ان تنقطع و ينكشف امرهم. فالكاتب في نهاية قصته يقول: "بعد ان نمت

البراعم، لم ينسوا هؤلاء الرجال الكذبة، و للمرة الثانية انهالوا على الرجل الكذاب، اينبغي ان يكون رجل سوء" انظر محمد نوري توفيق مجلة البيان العدد 1979/13 في سوق العدالة..

عبدالله عزيز خالد في (بحر الألم)[35] يتخذ من مجموعة من النسوة رمزاً للاضطهاد و ان كل واحدة منهن تتوجه الى مرقد (كاكه احمد الشيخ) ها هن يتشبثن بالمرقد متوسلات بالضريح. النسوة اللائي هن من هذا المجتمع و من واقعه و لا يفترقن عنه. عذاباتهن هي نفس عذابات جميع الناس.

عبدالله يريد من وراء تلك الأسئلة جمع الاجوبة.. هل يستطيع كاكه احمد الشيخ غسل الآلام؟ و الرجل العطش من جانب اخر الذي يجري وراءهن؟! فانه اختيار ناجح. لان الرجل هذا يفقد احساسه الذاتي و يقرر مواصلة الحياة مع الام هؤلاء و يقضي معهم مادام حياً.. عبدالله عزيز في هذه القصة تعامل مع جانب ايجابي و بذكاء. و مرة اخرى عبدالله عزيز في قصة (بابانوئيل زعلان) يربط المسألة الاجتماعية الأساسية بالمسألة السياسية و يسلط الضوء و بهدوء على اطفال هذا المجتمع و يمثل لهم اسرة فقيرة (شوان) رمزاً نموذجياً في مجتمع للذين فقدوا آباءهم. الى الان لم يعالج فيه من الذي لا اب له، غير ان اكثر ابطال عبدالله عزيز واقعيون يعيشون معنا. في قصة (مرة اخرى خازة تتكلم)[39] و في قصة (اجهاشة غادة) فقلة ذات اليد و الفقير و المطرود مباشرة يربطها بالوضع القائم و الارضية السائدة للمنطقة و يعتبرها امراً رئيساً سواء كان (لاوه) الشخص الرئيس او (غريب).. الذين يعيشون معنا و لكن لا يتألفون.

يبدو أن العيب الكبير لهذا الكاتب هو ايضاً يرى فيه خيطاً من التشاؤم و السوداوية التي تحتضن شخوصه، تكاد لا تنفصل عنهم و هذا التشاؤم فيما اذا كان موجوداً في واقعنا الاجتماعي، و لكن على الكاتب ان يتحرر منها بجرأة و يزيد في معنوياتهم و ينمي املهم بالمستقبل.

غفور صالح عبدالله في قصة (معبد حب ابن كرمياني)[38]. "شونم" هي البطلة الرئيسة في القصة. منغصات الحياة و مصائبها من موت الأب و الأم، التشرد المجيء (الرحيل) الى المدينة، التسول، التعثر و الانحراف. كل ذلك تظهرها في مجال التقزز و الغثيان، هذا مابدا للكاتب ان يصورها (شونم)، عند هذا الكاتب هي شابة، تصبح رمزاً للواقع الاجتماعي المر الذي صنع (شونم) المنجرفة و المنزلقة..

الوجه الايجابي في هذه القصة هو ان هذا الشاب الكرمياني و الذي يحبها و يرفض الواقع المر و بوعي يفتح صدره لـ(شونم) و يمنحها امل الحياة فيتزوجها.. هذه النظرة احسبها جديدة في القصة الكردية، نظرة جديدة و نابعة عن ارضية ثقافية.

٭نلفت الانتباه الى ان هذا البحث كتب في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين ويظهر مستوى النقد الكردي في تلك الفترة.

سردم العربي

نماذج من الشعر النسوي الكردي المعاصر

قصيدتان

نزند بكيخاني

ترجمة: نوزاد احمد

1- الثناء

انسكبت قطرة ظل امام قدمي

انقسم الفضاء

تصدع المكان الى نصفين

نبتت الحدود

انا هنا.. و هناك.. في ان

لكني معك دوماً

الامكنة ملأى باللاطمأنينة

ضباب السكون فوق وجنتي الالتقاء

ايدينا مفعمة بقطرات الندى

الضوء يشبهنا

محياه مليء بالشكوك

في الرقة يضاهينا

في القوة يشبهنا

يبكي بصمت مثلنا

هنيئاً ارقد في قفر يديك

عنقود من الجمال

في احضان الحياة

سواء اكنا معاً ام مفترقاً

ندون بعضنا البعض

الآخر.. كان ماضياً

الاخر الذي لن يكون في المستقبل ابداً

الرؤية.. لم تستطع ان تصل

الى صدى المنافي

نبت المنفى

بين اناملنا

كالأعشاب الرقيقة

ذات فجر, او ظهر, او بعد عصر

نهوي بصمت

نغمض اعيننا كالنيام

نتنفس كالأموات

2-الغزو

الى ارامل الانفال

من الكتب المقدسة كلمات

من الكلمات المضيئة معان

من المعاني المخفية اصوات

هبت الاصوات

صوت الغيض و صوت الغزو المأيوس

هبت الانفال

ا.. ل.. ا.. ن.. ف.. ا.. ل..

أ: ألسنة نار هوجاء

نحيب روح الاطفال

احتراق قلب الام

دوي سقوط الاعمار

ل: لظى العويل

صدى صرخة الفراشات

مئة و اثنتان و ثمانون الف فراشة

خضراء و حمراء و صفراء

داخل اعصار الذبول و طوفان الزمن

ن: نور, نور رسولي

يزحف بصورة عدوانية

يأتي و يطوي ايامنا

يفرش الصحراء

و يغبر عيون الينابيع بغبار الغزو

ف: فانوس, فانوس الانتظار

يشتعل بلهب في يد امرأة صحابية

ارملة في السادسة عشر من عمرها

واقفة على دكة العزلة

ا: امل, امل العودة الى حفلة الالوان

امل رقيق من اجل اللمعان في العمر

و احتضان السنوات المفقودة

ل: اظلمت عيوننا

التحفنا الضباب

لينقشنا على حواشي الكتب المقدسة

ا ل ا ن ف ا ل.. ا ل ا ن ف ا ل

هبت الاصوات

صوت الغزو المأيوس

صوت الاعصار في الصحراء و طوفان الحجر

هبت الاصوات

صوت الغزو و صوت الهروب

هبت الانفال

ا ل ا ن ف ا ل

كانت امي تجدل فوق دكة الانتظار
قلادة الامل
حينما سقطت جثة رضيعها في احضانها
هبت الأصوات
صوت الغيض و صوت الغزو
غزو الحدائق و الالوان و التحليق
ينهمر الصراخ في صمت انتظار امي
لا يجرؤ احد ان يقول: ماتوا
فهي توقد فانوس الانتظار فوق عتبة الامل
منذ ثلاث عشرة سنة
و تجدل قلادة اللقاء لرضيعها الاوسط
تشتعل فانوس الانتظار
في ازقة الامل الضيقة
في ايدي خمسين الف ارملة صحابية..

صغيرة . . . .ولكن واأسفاه كبرت

شعر: كزال أحمد
ترجمة: آزاد برزنجي

فيما مضى
كنت أختبئ تحت ورقة شجرة من المطاط
كنت صغيرة بحيث
أجلس على الدرجة الأخيرة
كالغرباء
تقرأني الكتب خفية
و انا أقرأها
تحمرُ وجنتاي
من حمى خجل متوقد
و يكتبني الشعر عند
المساء
آه... كبرتُ
شجرة المطاط تختبئ ورائي
الآن
أقف على أعلى درجة
كالغرباء
مازالت الكتب تقرأني
ومازلت أقرأها
وحين يكتبني الشعر
و أكتبه
مازلت أحمرُ خجلا
ولكن ما لا يعود بي الى
الصغر
مصيبةٌ مكتوبة على الجبين
تسمى الكبر
أتعرف يا عيني؟
ان موسم بكاء السماء
هو الشتاء وحده
وموسم بكاء الأوراق
هو الخريف وحده
وموسم بكاء الأجساد

هو الصيف وحده

وموسم بكاء العشاق

هو الربيع وحده

ولكن موسم بكاء قصائدي

هو الفصول كلها

أتعرف يا عيني؟

فيما مضى لم يكن لدي موسم

على هامش المواسم الشاحبة

كنت أسير وراء ضفادع الحدائق

على ركبتي

كنت أتصور أن الدنيا

هي اكتشاف سر حياة ضفدعة!

ولكن الوقت لا يتسع لي الآن

كي أسير وراء خيالي

اذن

مــن أكثر جهلا

من غارق في العولمة

لاوقت لديه كي يسير

وراء أسرار روحه

على ركبتيه؟

يا لبساطة أحلام عين ماء

تفهمها فتاة قروية تتنكب كوزا

ولكني لا أحلم حتى حلما واحدا في سنة

بسيطا كان أم غامضا

اني أحسد عين الماء

وكذا الكوز

بل القروية ايضا.

المدينة!!..يا لها من متاهة!

الأولاد الذين كنا نلعب معهم(الأستغماية)

حينما كنا أطفالا

الآن..فيهم من يرافقه حرّاس

فيهم من يضرب زوجته كل يوم

فيهم من صار لصا..وجلادا

فيهم من هاجر

وفيهم من استشهد

لا أعرف أخبار بعضهم

وفيهم من لا يسمح لأطفاله

أن يلعبوا (الأستغماية) مثله في الزقاق!

هل ترى؟

هل ترى يا عيني؟

أي مصيبة هو الكبر؟؟!!

لا اعرف العيش من دونك

للشاعرة: كزال احمد

ترجمة: د. عادل كرمياني

تعودت عليك

لا استطيع الجلوس في مكاني
و بدلاً عنك
ارتب حاجبي
اواصل شرب القهوة
و اكل النستلة
و ادخن علبة السكائر
و اتلهى بقرض الشفتين
و اصبغ اضافر يدي و قدمي
و ارتشف الحشيشة و شراب توسيرام
و اتجول في الاسواق و اتبضع
عشرات الاشياء الجديدة
و لا يبقى شارعاً لم اسر عليه
فلا ينتهي يومي، و لا قلبي يستكين
اتعود على الغضب و الشتائم
و يوميا لعشرة مرات
اركض من باحة الغربة نحو الأعلى
و اسرح بخيالي في ايقاع (موبايل)
و اتلهى مع (الايميل) و (الجات)
و اتسمر امام (الستلايت)
اهرب من ملاحظة وردة
اصطف في صف شراء الصمون
و ابدأ بالتفكر
و اتلهى بشراء تذكرة
و تمزيق الصورة و الورق
و قول كلمة (انا) و ابدأ بسحب ربطة النساء
لا اعرف العيش من دونك.
اتلهى بقلع بثرة الموت
فأقع في بئر الحياة
امنح قلبي لنسيم الأغنية
يجب ايجاد عادة اخرى
في بئر حبك.
سليمانية!
يا عقد لؤلؤ
منفرط في كف منتصف الليل
قبالة القلوب الملتهبة
في شارع (ازمر)ك
انت الرعشة الدافئة لذلك الحب
الذي لم يره احد
سوى من كان عاشقك

قصيدتان

شعر: دلسوز حمه

ترجمة: رؤوف بيكرد

امبولانس

يداه من النور و حرارة الشمس
هو الشهامة بعينها
مع المسيح قطعتان من تفاح احمر
اتى..مع الصيحة المباغتة و الجسورة
لشجرة الاقحوان الوحيدة و الاليمة

المؤنفلة تحت رحمة نار القيظ
وزلزال العتمة المكثفة
للدمار و الهجران
اتى...وعند قدومه كانت المنية في فنائنا
تبحث منهمكة
وكانت شراسة الطوفان المبيدة
اكثر من تفسح المجال لتقول الحنجرة لاوتارها :
اه..متى يعود ؟
ويقول الدم لشرايينه هل مازلت حيا ؟
وان اقول لك : منذ عهود وانا في انتظارك .
كان عليه ان يعود
كي لاتتحول الحياة الى الدمار
والوطن الى مفاذة
وكي لااغدو اكثر عزلة .
عندما وعكت الارض
اصبح هو طبيبها
ومنذ ان خدعت السماء الارض
بقيت الارض ذليلة
وتحولت الى مريم خائنة
كان رسالة لاشتعال الارواح المطفئة للنجوم
ورعشة للقلوب المصابة..
بالذل والقساوة
كانت انامله اكثر ندرة من الاسطورة
في تاريخ مداوات الالام
وتوزيع الخلود وفي ترويض شعري
فقبل مجيئه
لم اعش يوما واحدا

ما عداه لم يشغف هكذا قلبي احد
على جسر الوصال المخيفة
وضباب قحط الحب
ما اخطر الانوثة هذه ؟
قد يكون هو فارس الخوف
في رداء اخضر للمهدي
او نفايات الاعداء باسم عطور الحب
او ضباب قحط الحب
ما اخطر الانوثة هذه ؟
حقيبتي مملوءة بالالام
وانا اطفح بتوتر قاتل
يحول دون ترويضي
وماس اكثر فتكا
كم جميلا حضوره الاسطوري
عندما يقول لي :
انت جميلة بفيروزة هذه الاحزان
تعيش باشجان هذه الصلبان
وهل يحزن الاموات ؟
حبيبي منهمك
امبيولانسه مملوءة بالنار المخدوعة
بحب سنة العجاف
والرياح الكئيبة بالوحدة
والمياه المسنة باحزان الاخوة
والتراب المعتاد على الياس
وعلى انتظار من لايعود ابدا .
وكذلك..الجثة العزيزة من فصل الاموات
والشيخوخة

هو اخبرني مبكرا :
الارض امرض عما كانت
والاصحاء مغموسون بالالام
سوف يموتون..يموتون
وتبقى المرضى اصحاء
والحب اكثر مرضا من قبل .
كانت يداه من شهامة الخلود
وصوته اصدح من انبلاج باب
غرفة الاعدام في 7|3|1991
اكثر ضرورة من رش عطور الحب
على عزلة النسوة بعد الهجران
انا سكرى باحاديثه
انوثتي عاشقة بندرته الشجاعة
ما عداه لم يشغف هكذا قلبي احد
لولا حبك لكنت متحررا من كل القيود.
هو ضوء في ايامي الحالكة
يدفعني الى ساحة الوغى ويقول:
(فقط هذه الارض سالمة
بعمق بقائك وسحابة الشعلة
ورماد عيونك الجميلة
انا على يقين من موت سنة العزلة
وشفاء الارض)
عندما ينساب عطر كلامه
من شعري على ايدي الزقاق
اسمع النساء يقلن لي :
هنيئاً لك.
انا عندما انفلت من قبضته الفولاذية
اصبح حبلى بتوام القصيدة و الصمود

المدينة

قريب من المحال
قريب من الممكن
محطة أوقفت السير
محطة أوقفت الشيخوخة
دخل أحد ما
من المطر وسكينته
من الحديث والصمت
والتراب والسراب
والثلج والشمس
أحد..
من الثبوت والحركة
من اليقين والشك المكثف
من كل الأشياء واللاشيء
احد، تأخرت زيارته
او كنت انا مبكرا في المجيء
كان قريبا من الوجود والعدم
في البدء
امسك اليقين يديَ..
الخوف من الحديقة
والخوف من الثبوت قال لي:
هناك، مدينة وحيدة
لم تصل اليها الطرق قبلا
لا الطرق الاسفلتية ولا المعبدة والجسور

ازفقتها من الغيوم
اشجارها من الكلام
واحجارها من النجوم
مدينة وحيدة
كلمة تدفعك للفردوس
كلمة تقربك من فوهة الجحيم
نظرة تملأك باليقين
نظرة تفرغك من الروح
لا توجد الشيخوخة
ولا الهوية
لا الشرطي ولا الحراس ولا قاطع الطريق
ولا القاتل
ليس هناك موت ابدا
القدوم والخروج
التأخير والتقدم
القفل والمفتاح
ليست هناك جدران عالية او منخفضة للعمر
او ليس هناك جدار مطلقا!
آه .. أنا ذهبت
انا هناك
في مدينة على بحار الحكمة
قريب من جبالها البائسة
ووديان طريقها القفر
للسيف واللايقين
آه .. انا اين!
في مدينة لم تخلق لحد الآن

1999 أرنهم - هولندا

قصائد شيرين. ك

امرأة سريعة العطب

أنا إمرأة
بلا ماض
معك نسيت تأريخي
غداً عدم
و بعد غدٍ السراب
لأجلك
تعلمت الانتظار
في عقارب الساعة
و نوطات الاغاني
أنا إمرأة الحاضر
في حضنك ضاعت
كل أبعادي
و أصبحت إمرأة اللحظة الراهنة
وأنت أجمل لحظاتي..
أنا إمرأة
تركت الزمن وراءه
غير آسفة
و دخلت متاهات العشق
راضية، مستسلمة
انا إمرأة
سريعة العطب
شفافة، روحي لا تحتمل

شعاعاً من العشق
فتحترق و تصبح نثارا..

تآمر

كنت أراقبك
وأنت تفتـقـد حضوري
أراك وأنت تهمل وجدي
بل لاتراني
لانك لم تتعود على
رؤية الاشياء الجميلة
التي هي مثلي
كان لقاءً عابراً
وكنا ممتلئين بالبراءة
حين تركنا المكان
أبت خلية من جسدي
و خلية من جسدك
أن تتبعا ظلينا
وبقيتا خارج الزمان
وتعارفتا
وتآمرتا
وأشعلتا ثورة
في كيانينا..

ترانيم من أجل موتي

أنا منذورة للنسيان.. للذكريات
لأكون سطراً في قصيدة
نوطة في لحن
أو مجرد صورة باهتة

لا .. لم يكن لي إمتداد في حياتك
ولا حياة أي منهم
لذا.. أريد أن أموت الموت العجيب
لأكون شرخاً
في حياتك الهادئة
وسيرتك المستقيمة
ستكون هناك (حياتك) قبلي
و(حياتك) بعدي
آه.. إنه قدري
أن أحب رجلا
عندما يريد تقبيلي
يستأذن مسدسه!
ولما يريد ضمي
يرشو قبيلة
ولكن عندما أحبني
لم يسأل حتى نفسه!!
لا .. لاتقل لي: أعذرني
(لماذا تشعر دائما بأنك مدين لي)
أ لأني أحبك وانت لا ..
أم لأنك تحبني وأنا لا..
من منا يحب ومن منا لا؟!
كفانا إعتذارا
سنوات حبنا مضت
كزهور تذبل في إناء من صدأ
سنوات أجتزنا ابوابها
جرياً
ولم نملك فيها، إلا سويعات

من العشق..
إنها سنوات
لست آسفة على إنني
عشتها معك..

فصول

إنه أيلول
والخريف آت
على حصان الريح والغبار و المطر
و ورود الجهنمية الحمراء
تستعد باكية للرحيل
ولم تبق على التقويم السنوي
سوى ثلاث ورقات
إنه تشرين
والخريف في عنفوانه
في تشرين ولدت
وفي تشرين كان حبي الاول
وفي تشرين
عرفت بأنه قد رحل
إنه كانون الاول
وقد غزا الشيب
شعر الخريف الذهبي
وأغتسلت قامات الصفصاف بالمطر
وغطى ثلج رقيق جدائل الكرمة
وأقدام الصنوبر
آه.. إنه كانون الثاني..

والخريف سيرحل
وحان الوقت لأستبدل
ستائر التول البيضاء
بستائر القطيفة الحمراء
انت والشتاء ستدقان الباب!!!

ملاكي

كنت أتساءل
لماذا أنا؟
لماذا أنت؟
أحبك و تحبني؟
(الخريف يلف روحي الحزينة
وجسدي شجرة رمان عطشى
تتساقط أزهارها الحمراء العليلة
و أناملك الرقيقة لا تقوى على لململة
أزهارها الذابلة الحزينة)
-من قال إن ملاك الموت
بشع مخيف
سياتي
و ستكون له عيناك
و ستكون له شفتاك
و سيكون موتي جميلا
على يديك

موت معلن

زهور ذابلة
ولافتات سوداء

وحروف نارية تركض وتنادي
على أصناف دم بشرية
الليل يصطك أسنانه من البرد
والعتمة تهدد بألف خطر
النجوم خافتة.. والقمر مزرق
اللافتات السوداء تـزداد
مع صيحات الاناشيد التي
تغتال بقية طفولة في دمي
الاحرف النارية تركض
وتنادي على الصنف النادر لدمي..
والشمس تصل متأخرة اليوم
الى حديقتي
فلا زهرة تتفتح
ولافتة سوداء تحط كغراب أسود
على باب بيتي..
ولا نشيد يصدح لي!!

هذيانات العشق

[1]

أنا من حكمت عليها الآلهة
بالتيه في برار
لم يخط إله حدودها بعد
وانا أردد: أحبك.. أحبك
أنا من إختارت
العشق ليكون
هو الجنون الذى أريده
وأنا من تبعثرت حياتها
كنتف الثلج
ما أن ألمسها
حتى تذوب

[2]

أتمرد عليك
تخبو هذيانات العشق
أنساك
يهجرني الحب
أتخلى عنك
تنفيني عبارة (أنا أحبك)
وأجد نفسي مهجورة
ومنفية و بلا هذيان

[3]

كنا راقدين
كنا في سبات
في لذة النعاس الطفولية
ولحظة حكائية
لحظة فيها.. ينأى الصوت عنا
ويسكنني حلم
يعيدني إلى (أنا)ي السفلى..

قصص

فيء ليس في مكان ما..

جليل القيسي

الى صديقي المبدع الشاعر سركون بولص

قال صديقي و قد دخل منذ مدة في دنيا ليس في مكان ما: البس يا عزيزي اجمل ما لديك و اعتن بنفسك جيداً لتبدو اضافة الى وسامتك اكثر ابهة و كبرياء.. سآخذك هذه الليلة الى مكان ينطبق عليه بحق الكلمة اليونانية: ليس في مكان ما.. سألته ماذا يقصد بهذه الكلمات، اجابني: اقصد اليوتوبيا.. سترى بنفسك انه فعلاً المكان المنشود لهناء الانسان، و بالأخص لإنسان مثلك، شاعر حقيقي و حار الشاعر.. لكن من يدري قد تحتقر ليس في مكان ما رغم انبهارك.. حسناً، من يفهم اعماقكم انتم الشعراء..

*****

في المساء استقبلني بحرارة، و هو، ينظر الي بتعجب شديد قائلاً: اه.. انت الآن فعلاً اشبه بنجم سينمائي.. رائع.. لننطلق الى ليس في مكان ما. ما اطلبه منك يا عزيزي السيطرة الشديدة على نفسك وسط جميلات يخلبن اللب، و دينوصورات، و مواميث المال و الشياطين.. حذارِ ان تتهور.. اجل اعرف انك لست من النوع المتهور لكن الشاعر فيك هو المتهور..

*****

فجأة وجدتني في صالة كثيرة الشبه بواحدة من صالات جاتسبي العظيم الخرافية[1].. حفلة باذخة بل خرافية، و صخب هادئ لكن جميل، و ضروب المشروبات و المأكولات، و احاديث غريبة بكلمات مخمورة و ماكرة، و لغة ثلعبية.. نساء جميلات و اخريات قبيحات لكنهن تحت اضواء ثريات ملونة تشبهن ممثلات. عجوز شمطاء تجلس باسترخاء مراهقة فوق كرسي هزاز بلون الكرز، و شاب ماجن يداعب وجهها و يهز بيده الأخرى الكرسي. فتاتان فوق ارجوحة لها مظلة ارجوانية تغازلان البعض بطريقة سحاقية وقحة. نساء، رجال، تدلل، تملق، هذه تغازل، و ذاك تهدهده مراهقة بفرح قوس قزحي و بابتسامات شيطانية او

تكشيرة ترابية.. الجميع بطريقة مسرحية يتقبل سورات و نـزق الـبعض امـا بهـزة رأس رفيقـه او بابتسـامة دبلوماسية ماكرة و بحركة يد سريعة او بأجفان مسترخية، و احيانـاً بحركـات تهريجيـة و ببراعـة ممـثلين و ممثلات.. جنيات، مراهقات يلعقـن و بطريقـة جنسـية مـثيرة مثلجـات ملونـة، و بمناشـف ورقيـة ارجوانيـة يمسحن شفاههن. نساء يطلقن موجات من دخان سيجارهن و يحولن المكان الى غيمـة رماديـة. وجـوه سـاحرة تضرب القلب مثل قصيدة رائعة، و وجـوه مومیائیـة مرقشـة بالاصباغ ینـادين علـى خـدم بحركـات بـاردة.. خدم.. خدم، يتنقلون مثل الات بشرية بين موائد عليها اغطية جميلة فوقها ضروب النعم.. اكتاف بيضاء و برونـزية، و سمراء، و بقع بنفسجية فوق هذا الخد و تلك العنق.. تماثيـل خشـبية افريقيـة الصـنع لرجـال و نساء عراة بلون الصلصال المحترق.. الهي، كنت بلطف ورقة و حساسية و حرمـان شـاعر ادقـق بصـري في هـذا الكرنفال تحت اضواء ملونة كما لو ان هذه الاضواء الموزعة بهندسة دقيقة تواطأت هي الأخرى لتعطي المكـان مزيداً من المكر، و الشهوة و اللذة و المجون.

*****

بعد ربع ساعة من دخولنا الصالة رأيت فتاة جميلة جمالاً اسراً: قلت لصديقي: الهي، مـن هـذه التحفـة؟؟ و الشابان الوسيمان اللذان يقفان على طرفيها؟؟ من هما؟؟ اجابني بصوت اقرب الى الهمس: يقال انها تحبهمـا معاً.. قلت بتعجب شديد: معاً؟.. معاً!!..

-بالضبط.. تماماً مثلما احبـت الملكـة مـاري انطوانيـت السـيدان: دي كـوران، و دي بـوزان.. يـا عزيـزي ان معظم النساء هنا مزاجيات..

-اه.. آآآآ.. انظر اليها.. ان مجرد مرآها يترك موجة من الحرارة في القلب..

-فعلاً..

-انظر الى الشابين.. انهما يميسان تيهاً كأميرين.. و هي فعلاً مثل الملكة انطوانيت توزع حبهـا و عطفهـا و مشاعرها بين الأثنين..

-يقال ان كل واحد منهما بطريقته الخاصة يثير لديها الحنين و الحب، و احياناً الآسى الحزين و العبث..

-حسناً.. من هي؟؟..

-انها ثرية جـداً.. جـداً.. انهـا ملكـة مـن غـير تـاج.. و الغريـب يـا صـديقي الحبيـب انهـا معروفـة بنـزقها الشديد، بل هي بنـزق فراشة ربيعية..

كانوا لا يبقون في مكـان معـين سـوى لـدقائق.. ينـتقلـون، يشـربون، يتكلمـون، يلوحـون بايـديهم بحركـات مسرحية كما لو يرسمون كلمات حقيقية في الفضاء، او يعملون اشكالاً مبهمـة يعرفونهـا فيمـا بيـنهم فقـط.. اقـترب رجـل في حـوالي السـتين يتـأبط ذراع شـابة في حـوالي الـثلاثين. كـان يغازلهـا بصـوت خافـت، رقيـق

مستعملاً كلمات شيطانية مثيرة.. توقفا على مبعدة امتار مني. كان بين حين و اخر يأخذ حسوة من الويسكي الذهبي في الكأس، و بطريقة ارستقراطية يهمس للمرأة: اقسم يا عزيزتي انك تضيئين في الظلام مثل الضوء.. تطلق الشابة ضحكة ناعمة فيها رنة سخرية محببة و تقول:

-انك تبالغ.. تبالغ..

-ماذا؟؟ ابالغ!! انستي هناك احجار كريمة اذا تعرضت للشمس تمتص ضوءها ثم تشتعل في الليل.. انت بالضبط مثل هذا الحجر الكريم.. و اضاف ببسمة شيطانية: انت يعسوبة كبيرة تومض في الليل.. (تأملته جيداً و انا اردد مع نفسي: يا الهي، رجل مال و هو يتكلم بلغة شاعر؟؟) اطلقت الشابة ضحكة حلوة و ساخرة..

-احب ضحكك.. آه لو تعرفي كم اتخاذل امام نظراتك، بل بصراحة اسلم كل اسلحتي، و ابقى مثل اسير لا حول له و لا قوة..

-اسمع، هل تغضب اذا قلت لك انك كذاب..

-ابداً.. ابداً.. انا مثل (فرتر) في رائعة الشاعر الألماني جوته اقول (بوسعك ان تضيفي الكذب ايضاً فلا مديح بلا كذب[2]..)

-آه.. انت فعلاً كذاب جميل..

*****

صوت سقوط عدة كؤوس.. صوت تشظي زجاج. حبات الزجاج البلورية تنتشر هنا و هناك مثل رشق من حبات الضوء.. فتح سدادة قنينة شامبين. صوت فرقعة.. ضحكات شهوية.. ضحك صهيلي.. رنوت الى الجهة التي منها انطلقت الضحكات.. تحت ضوء عقيقي رأيت تنورة ليمونية تطير في الهواء./ ظهر عار/ ظهر لين ذو تقويرة مثيرة/ سيقان بلون البرونز تتحرك/ ايقاعات عارية/ وثبة عالية/ ساق مطوية في الهواء/ القدم الواحدة على الأرض و الأخرى تطير مثل حمامة مطعونة في الهوء/ رقص.. رقص جنوني/ قدمان عاريتان في الهواء/ ساقان مفتوحتان/ ركبتان تلمعان كقمرين اسمرين/ شابة بلون الذهب ترقص بحماس محموم/ رقص جنوني، بل هستيري/ رغم بعدي عنهم استيطع ان اسمع صوتاً مثل الفحيح يخرج من افواه الجميع. شابة في ملابس شفافة تصور الراقصة برصانة/ الفتاة مازالت ترقص مثل مهرة متهيجة و قد انفجرت فيها شياطين الشبق/ فتاة في فستان قزحي دخلت دوامة الرقص/ رقص جنوني بمزاج ناري..

*****

فجأة يقف امامي رجل مترهل الوجه لواطي النظرات ثم يسير بخطوات وئيدة مطلقاً آهات صغيرة/ عجوزان ترسلان نظرات شتائية هنا و هناك، و توصوصان بتعليقات ميتة..

*****

الرجل الستيني و الشابة عادا و وقفا في نفس مكانيهما. قالت الفتاة: ايها الكذاب الجميل، أفي هذا العمر تحب بحرارة؟؟

-نعم و بحرارة شاب..

-كيف! اقصد لماذا؟.. و شعرك الفضي الطويل يلمع؟

-آه.. آنستي.. مرة اخرى اعود الى الشاعر جوته.. اجل كان على صواب عندما قال: (لقد بيضت شعرك السنوات ايها الشيخ لكنك ستحب و تعشق فلا تقلق..)

-اراك تكثر من ترديد اسم هذا الشاعر؟

-لأنه عشق بحرارة بعد السبعين من عمره.. و انا بالمناسبة اتابع حياة جميع المبدعين العشاق فقط، و اعشق على طريقتهم.

-ها ها ها ها.. انت اخر من يشيخ.

-طبعاً. لأنني اسخر من كل شيء، و اصرف ببذخ، و انفذ جميع رغباتي، و حتى في هذا العمر رغم حموضة صوتى اغني ثم ان فلسفتي في الحياة، هي، ان الحياة لا تساوي شيئاً.. ربت عدة مرات بيده الماجنة على خدها ثم تأبط ذراعها و راح يدور بها الصالة الكبيرة.

*****

جاءت شابة ترقص مثل فراشة و تنادي بصوت مخمور، احمد.. احمد.. احمد.. توقفت امامي، و راحت تنظر الي بدهشة بعينيها العنبريتين .. ترنت. اطلقت فواقاً مثل فواق المخمور. ارادت ان تتحرك تعثرت و سقطت. مددت يدي لها. اطلقت ضحكة ناعسة و هي تسلم يدها الناعمة. وقفت على رجليها بصعوبة. تنهدت. نهداها الثقيلان المشرئبان ارتجا مع تنهيدتها. قالت بهيئة ناعسة، حالمة: (اوه.. شكراً.. شكراً. جلست فوق اقرب مقعد و وشجت اصابع يديها ببعضها، و راحت في احلام هادئة.. كان وجهها المخمور يفيض بحنان رائق. بعد قليل اطلقت فواقاً، و انحنت برفق. قاءت، فاح المكان الذي اقف فيه برائحة الشامبين.

*****

موجات من الضحك الناعم.. من بعيد ارى صورة راعشة لمراهقات رحن في رقص هستيري..

*****

مر رجلان يحمل كل واحد منهما كأساً بيده، يشربان بين حين و اخر باستمتاع لذيذ.. ارسلا نظرات باردة الي، ثم بحركة سريعة ارسلا الي تحية اكثر برودة.. كان الأول له وجه مخروطي مثل وجه ثعلب و نظرات ذئب.. اما الثاني فله وجه طفولي. اوقف الأول الثاني بحركة مسرحية و قال بصوت هامس: اسمعني جيدا و نفذ العملية.. نفذها..

اجابه الثاني بصوت راجف: لا لا. لو نفذتها ستكون على حساب حيوات العديد من الابرياء.

-ثم ماذا؟ ثم ماذا؟..

-كيف! كيف يا عزيزي.. أ أزهق ارواحا بريئة.

-اسمعني، او بالاحرى استمع الى الداهية ميكيافيللي الذي يقول (على الأمير الذي يرغب في الحفاظ على دولته ان يرتكب الشر احياناً..) الاعمال الطيبة مضرة، و انت امير ذاك المصنع الكبير.. نفذ.. ن. ف. ذ.. و اربح.

*****

اصوات ازاحة قناني الشامبيني.. ضحكات.. ضحكات شهوية.. آهات حارة.. تصفيق.. قبلات.. هتافات.. صرخات من يعانون من هياج..

*****

جاءت الفتاة التي بصحبة الشابين. عندما رأتني، توقفت للحظات و القيت نظرة ناعسة تجاهي و بحركة باردة اخرجت سيجارة و اقتربت مني، و بصوت امر و دلع قالت: اشعلها لي.. اشعلت السيجارة. شكرتني بغمزة حلوة من عينها اليمنى، و اعطتني بحركة مسرحية ظهرها.. جلب لي صديقي كأساً من الويسكي المثلج. آه، لحظتئذ كنت فعلاً بحاجة ملحة لذلك الثمل اللذيذ الذي يدب في الرأس، و استطيع عبره ان ارى و انا في هذا المهرجان الفوضوي، افق الزمن حتى الذبابة.. كان الضيوف يتوافدون الى هذا الحفل الكرنفالي الذي يقيمه الثري الخرافي مرة كل شهر و يدعو صديقي الذي يعمل عنده مستشارا مالياً.. شربت باستمتاع.. انتعشت. الرجل الستيني العاشق يطوف بالفتاة، و هي، تستمع اليه و الى لغته الشيطانية الدافئة بحرارة و اعجاب شديدين.. يسيران و يرشفان السائل الذهبي.. وقفا مرة اخرى امامي. قال الستيني للفتاة، و هو ، يربت على كتفها: يا عزيزتي، يا عزيزتي، صحيح انني اكبرك بثلاثين سنة.. ثم ماذا؟؟ ثم ماذا.. ما دخل العمر، و العرف، و الاخرين!! اسمعي عند قبائل بشار يتزوج الشيوخ في الثمانين طفلات في العاشرة من غير ان يستقبح احد ذلك.. و انت في الثلاثين.. يا عزيزتي الشاعر الايطالي العظيم دانتي احب بياترس و هي في التاسعة عشر. و شغف الشاعر بتراك بجنون بالصغيرة لور و هي في الثامنة عشر.. انا اريد ان اعيش مع جسدك الفياض بالانفعالات، و اليقظة الحارة.. ان جسدك في هذه المرحلة سيصعقني، و انا، آه، يا عزيزتي بحاجة ماسة الى الصعقة..

-لقد بدأت تتكلم بجرأة.!

-طبعاً، لأنني ارتشف الفرح و السعادة في هذه اللحظات و انا معك.. سأنتظر منك كلمة موافقة سريعاً.. و ينتهي كل شيء في اسبوع واحد.. اذهبي الآن تفسحي و اذهب انا لاعقد صفقات تجارية ليلية بالملايين.. نعم صفقات مربحة مع رؤوس عبث بها الخمر و النشوة و العبث.

*****

كنت اشرب، و اراقب المرأتين العجوزين، و العاشق الستيني الذي ذهب بخطوات ذئب الى شلة من رجال المال المسنين.. جاء ميكيافيللي ماسكاً بذراع صديقه يكلمه بحرارة و مكر و حماس شخصية شيكسبير – كاسيوس في يوليوس قيصر، و هو يتامر مع بروتس لقتل القيصر. يجره من يده محاولاً بأي ثمن ان يغرس خططه في رأس ذاك البائس المرتعب الذي تحول وجهه الى وجه انسان مأخوذ.. كانت كلمات ميكيافيللي الشيطانية ترن في رأسه: (ان الاعمال الطيبة مضرة..) و نفذ العملية و احصل على الملايين..

*****

الجميلة مثل غزالة شاردة تسير بخيلاء صحبة العشيق دي كوران و العشيق دوبوزان.. التفتت الي و ارسلت نفس تلك الغمزة اللازوردية.. ان حدسي التلسكوبي يؤكد لي ان هذه الجميلة بدأت تميل الي. قال لي صديقي قبل ان نجيء: اياك ان تتهور في الصالة.. لكن هذه التحفة الجميلة تدعوني الى التهور.. يا الهي، كيف يتصرف الواحد مع هذه الخلية الخليعة!!!

*****

كانت الفتيات مازلن يرقصن. كان الفستان الليموني للفتاة مازال يطير في الهواء بارتفاع اعلى. السيقان تتحركان. بمزاج ناري. فتيات مبهورات يرقبنها، و هي، ترقص. بهستيرية.. نظرات لهفة، و تعجب، و انشداه.. اما هي ففي صحراء اندماجها كانت وحيدة مع نفسها وحدة صحراوية.. اجل الرقص الحقيقي ضرب نادر من الجنون العاقل.. الفتاة الجميلة تخلصت من العاشقين دي كوران ودي بوزان.. ارسلت الي عدة غمزات لازوردية.. ا هي طعم في سنارة مسمومة؟؟ ام محاولة غرس اظافر في العنق؟؟ تذكرت للمرة الثالثة كلمات صديقي: اياك ان تتهور! انت لست متهورا، لكن الشاعر فيك هو المتهور.. هذه الكلمات وحدها لجمت هوس عواطفي، و ساعدتني في السيطرة على نفسي، و الا، يا الهي، من يصمد امام تلك الغمزات و النداءات الكهرومغناطيسية التي تدفع بقلب قديس الى ازمات مزاجية.!؟ اقتربت مني.. ذهبت بعيدا. اعرف انها فتاة نزقة كما قال صديقي. ثم ما جدوى اية علاقة مع جنيه ثرية مزاجية مثل هذه، و شاعر معدم مثلي، و هي ابنة من رجال دولة بلوتوقراسية و انا هنا ليلة واحدة.. يا الهي، هل اطبق كلمات الرائع بوشكين (لا ابيع ليلتي بألف ليلة) ام احترم كلمات صديقي.. وقفت في مكان استطيع ان اراها بوضوح..

*****

مر ميكيافيللي الذي مازال ماسكاً بذراع صديقه بمكر متآمر، يكلمه بصوت خافت و يردد: ابهذه الأسلحة السخيفة تريد مواجهة ذئب حقيقي..؟؟ لا.. لا يا عزيزي.. سوف ازودك انا بمشورتي و بسلاحي.. يجيبه الاخر بذل: لا لا.. ارجوك.. لا اريد.. سأكتفي انا مثل النبي داوود بمقلاعي و خنجري.

-ماذا؟ هراء.. هراء. مثل النبي داوود؟ مقلاع؟ خنجر؟؟ و هل انت انسان بدائي؟؟

-ربما.. تذكر عندما زوده شاؤول بسلاحه و دروعه و بعد ان قام بتجربتها رفضها و فضل مقلاعه و خنجره.

صرخ: ماذا تقصد.. افصح..

-اقصد ان اسلحتك، نصيحتك لا تفيد.. لن اتسبب في قتل ابرياء.. لن افجر المعمل.. ردد ميكيافيللي بصوت مثل الفحيح: غبي.. غبي.. ترفض الملايين.. جبان..

*****

غني شاب بمصاحبة فرقة صغيرة اغنية حزينة بصوت لين جميل ارسلت الفتاة النزقة الي غمزة طويلة.. يجب ان اعترف ان هذه الجميلة الساحرة راحت تمارس علي ضرباً من السحر، و قد اصابتني بشلل في الإرادة، و الجسد، و الاعصاب.. و بالهشاشة اعصاب الشاعر امام الجمال. و الغريب، انها تواقت بطريقة شيطانية ظهورها و مطاردتها لي كما لو تقرأ افكاري، و لحظات اشتهائي لرؤيتها بطريقة استعراضية، و تتموج رغماً عني الرغبة، و الاشتهاء اكثر فأكثر.. و اتهيج عندما تعبث بشعرها بكسل متعمد، او تكشف عن ذراعيها الورديين.. وجه ساحر جداً، و انف صاعد. حركات شفتيها و هي تردد الاغنية بطريقة حارة كأنها تحاول ان تخفف من تعذيب مشاعرها العاطفية. شعرت بغبطة ملتهبة و انا اردد: اياك ان تتهور.. قامت بعده بحركات مثيرة تحت اضواء المصابيح التي تلعب على جسدها و تضيئه، و على وجهها ترف ظلال سعادة ربما لا تعرف لها سبباً حقيقياً.. كانت تشبه لوحة للفنان – رينوار، و هي تشع رونقاً جنسياً. الهي، هذا كثير لشاعر حساس مثلي.

*****

مر رجل في حوالي الخمسين، يحجل في مشيته مستنداً الى شاب في حوالي الثانية و العشرين – كان الرجل بعصبية يقرع الشاب و يسخر منه بطريقة مسرحية ضارباً رأسه بأصبعه العظمى الطويل: ما هذا؟؟ و يجيبه الشاب: هذا رأسي يا ابي.

-رأسك.. حسناً.. شكراً لله.. اذا انه ليس رأس قرنابيط.. اسمع ايها الغبي عندما تضع في رأسك بذرة يجب مثل أي رجل اعمال تحاول ان تخصبها بسرعة.. يجب و بسرعة ان تعرف منه رجل المال الحقيقي.. يقال ان اليهودي وحده يعرف كيف يشم اليهودي.. و الرجل الحقيقي كذلك.. اما انت فغبي.. لا مكان للأغبياء في هذا العالم..

-كيف يا بابا..

-تسألني كيف؟ بالتفكير المستمر. الرأس للتفكير و القرنابيط للأكل.

-لكنني انجزت اعمالاً مثمرة.

-خراء.. خراء.. انت تستطيع ان تنجز اعمالاً مثمرة عندما تستطيع ان تعض مؤخرتك.

-بابا الا تعتقد انك افرطت في الشرب.

-ماذا؟ لا.. لماذا؟

-لانك بدأت تتكلم عن مؤخرتي.

اطلقت لا ارادياً ضحكة.. التفت الرجل الي. كان وجهه من شدة السكر في حمرة غبب الديك الرومي. سحبه ابنه من يده و هو يردد: تحرك يا بابا طريق المرافق من هنا.. اسرع قبل ان تتبول في بنطالك.. اعتقد ان رأسك من كثرة الشرب تحول الى رأس قرنابيط..

-فعلاً.. تحرك بسرعة..

*****

اقتربت الفتاة النزقة مني كانت وردية الخدين، ثملى بفرح اخترق قلبها. وقفت امامي و راحت طاقتي، انفها مثل كلب يدقق في رائحة بعيدة. كان ضوء حليبي قوياً فتح لتوه يضيء وجهها و الزغب. تأملت عينيها الواسعتين اللتين كانتا ترنوان الي كما لو تقولان: ان حدسي الانثوي يقول لي ان طلعة هذا الشاب الوسيم مريحة جدا، وضاءة، و انه دافئ القلب.. قالت بصوت ناعم: منذ دخولي الصالة و انت لوحدك في هذا المكان، صامت كأبي الهول.. ارى انك تلتذ عندما تضع نفسك في شبكة من الألغاز..؟

-اية الغاز؟؟

-بل انت لغز.

-انا لا اعرف احدا هنا، و سعيد جدا و انا اراقب هذه الشريحة الغريبة من البشر..

-ما الغرابة في هذه الشريحة من البشر؟

-قد تكون بائسة رغم انها تعيش في هيبريوريا كبيرة[4].

-هيبرويوريا!! ما معنى هذه الكلمة؟

-كلمة صعبة على فهمك يا آنستي.

-و هل انا غبية

-حاشاك.. حاشك..

-يعجبني ان اصادقك.

-آنستي، اتعرفين أي ذكر على ظهر هذه الأرض اكثر وفاء لأنثاه؟؟

-لا.. لا اعرف.. من هو؟؟

-انه سمك السيلاتيوس.. يقضي حياته ملتصقاً بجسم انثاه الى ان يموت، او تموت هي..

-ماذا تقصد بالضبط؟.

-انه وفاء نادر جداً اليس كذلك؟؟

-ماذا تقصد بالضبط..

-اقصد، ان لي صديقة احبها بجنون. من الأفضل ان تذهبي الى السيدين دي كوران و دي بوزان..

-من هما؟؟. دي كوران و دي بوزان؟.

-عشيقاك الشابان..

عندما وجدتني باردا جدا امام فتنتها الصاخبة، انصرفت و ربما تعلمت حتماً درساً جديدا في شؤون القلب.. يا الهي، و هل لدى هؤلاء قلباً مثل قلب شاعر.

*****

بدأت الشابة ذات الفستان الليموني وصلاً جديداً من رقصها الهستيري.. انها تطير من جديد في الهواء/ ظهر لين ذو تقويره مثيرة/ ساقان بلون البرونز المطروق/ انخرطت اخريات في الرقص/ سيقان عارية/ عواء يخرج من افواه الشباب/ ساقان مفتوحتان تحت ضوء عقيقي/ صراخ/ اصوات مثل الفحيح

*****

مر ميكيافيللي كعادته متأبطاً ذراع صديقه القلق المتردد، و هو اكثر اصرارا على اقناعه لنسف المعمل. كانا يترنحان من السكر.. قال ميكيافيللى، آه، اخيراً سعيد لأنك اقتنعت.. يا عزيزي ان ميكيافيللي كان على صواب عندما قال (ان الشعب غير قادر على فهم السياسات الدقيقة للدولة) و كذلك جميع العاملين في ذاك المعمل الكبير.. غدا اسلمك مبلغاً كبيراً.. اضرب.. و ليمت من يموت..

*****

عاد الرجل يستند الى كتف ابنه يسير بخطوات مهزوزة و يردد: كأس اخيرة.. كأس واحدة و اخيرة للطريق.

-لكنك يا بابا تبولت في بنطالك. ان منظرك الآن يشبه منظر المهرجين.

-ثم ماذا؟ يجب ان اخد رأسي بعد عشر ساعات من العمل الشيطاني.. دنيا المال صعبة.. ان رأسي ليس قرنابيط اخضر هيا هيا.. اجلب كأساً اخيرة.

*****

جاء العاشق الستيني و يده الماجنة تربت على كتف الفتاة، و بنفس دبلوماسيته الشيطانية يقول: يا عزيزتي و هل انا ذكر الفيل لأعرف التعفف في الحب؟؟؟ التعفف. التعفف. ما هذه الكلمة.!

-و هل لا يعرف ذكر الفيل الحب؟

-يعرف الحب كل ثلاث سنوات و لمدة خمسة ايام فقط.. انا اريد ان احب كل يوم، واضاجع كل يوم..

-ماذا؟ و في هذا العمر؟؟

-طبعاً.. ستذهبين معي هذه الليلة.

-لم لا..

*****

جاءت الفتاة، و الشابان دي كوران و دي بوزان يسيران على طرفيها. عندما وصلت حيث اجلس قالت للشابين بسخرية ناعمة: انني احب سمك السيلاتيوس الى درجة الموت. التفتت الي و قالت: انتظرك في الحفلة المقبلة.. اجلب معك سمك السيلاتيوس ايضاً.. اجبتها ببرود: اما انت مع الأسف فلن تكوني سمك السيلاتيوس ابداً.

*****

في الثانية بعد منتصف الليل غادرت ليس في مكان ما و تلك الشريحة من البشر في دولة بلوتوقراسية، اولئك المنسجمون في تعقيداتهم، و المعقدون جدا في عدم انسجامهم، و المهووسون في صنع المال و المؤامرات، و الافراح، و التعاسة في ليس في مكان ما، حيث اثرياء الحربين الداميتين ثمة احلام، جيشان، بؤس، و الكثير من الفقاعات، و الكثير من المال الحرام.

*****

من جديد و انا اهم بمغادرة الصالة، بدأت ايقاعات عارية. هذه المرة فتاة بلون الذهب بدأت ترقص.. كانت تطير في الهواء مثل سمكة ذهبية.. من جديد رقص محموم

صراخ،

عويل،

اصوات مثل فحيح افعى الكوبرا.

الهوامش

1-رواية الكاتب الامريكي سكوت فيتزجيرالد (جاتسبي العظيم).

2-المقصود رائعة الشاعر الالماني جوته (الام فارتر).

3-بلوتوقراسية: دولة المال.

4-هيبريوريا: مدينة اسطورية يونانية كانوا يظنونها موئلاً للأقوام المتنعمة السعيدة.

اسرار خلف صورة الجنرال

قصة: دانا فائق

ترجمة: كاوه حسن محمد

بعد ساعات اصبح رئيساً، اصدر الجنرال بياناً لجميع الناس "يجب ان تعلق صورته في المنازل و المحال.. الشركات و المعامل.. المساجد و المدارس و كل الأماكن العامة في الدولة و الأماكن المناسبة.." كان هذا اول قرار للجنرال بعدما اصبح رئيساً. في البداية اهمل الناس الأمر و لم يتحدث احد ما حول اذا ما كان يطبقه ام لا. لأن اكثرية الناس كانوا يعتقدون ان هذا القرار مثل بقية القرارات التي اصدرها الرؤساء السابقون، يتطرقون اليه لمدة وجيزة و يهملونه و من ثم سرعان ما يتناسى الأمر.. و لكن بعد ان اصر الرئيس على تطبيق القرار و معاقبة المخالفين اشد العقاب، عندئذ بدأ الناس فرداً فرداً يعلقون صورة الرئيس.

لا اعرف لماذا وددت ان اجد احدى صور الرئيس في بيتنا، لهذا كنت اشجع ابي في اكثر الأحيان و اصررت على ان يعلق صورة الرئيس على احدى غرف بيتنا.. لكن ابي دون ان يرد علي، كان يقطب وجهه في كل مرة و يسكتني.

منذ تلك اللحظة التي اصدر فيها القرار لم يكن بأستطاعة أي من كان ان يحتج علناً، عدا بعض الأئمة[1] العند، حرموا القرار معتبرين انه مخالف للشرع، رافعين هتافاتهم ضد القرار.

و هؤلاء الأئمة كانوا يقولون (كل مكان وجدت فيه صور الانسان.. فإن ملائكة الله لا يتوجهون الى ذلك المكان..)

بعد ان قرر الرئيس اعدامهم امام الجماهير، شمل البعض منهم، اما الأئمة الاخرون سرعان ما تراجعوا عن ادلائهم و قد اعلنوا مع عدة ائمة اخرى "تعليق صورة الرئيس ليس يتفق مع الشرع فحسب.. بل انه واجب ديني مقدس.." و كذلك يقولون ".. و ليس في المنازل و اماكن العمل و الأماكن العامة حسب.. بل علينا جميعاً ان نعلقها على صدورنا!.."

بعد ان اعدم الأئمة العند، كان الناس على عجلة من امرهم في البحث عن صور الرئيس، و كأن بيد الرئيس بلطة واقفاً فوق رؤوسهم، و الذي لم يحصل على الصورة بأسرع وقت يفصل رأسه من جسده..ذلك المساء الذي رأيت ابي و بيده صورة الجنرال، كان احلى مساء و اجمل اوقات حياتي، لذلك هرعت اليه للترحيب به..

لأول مرة ارحب به هكذا بحرارة و شوق، قبل كل شيء اخذت منه الصورة و السعادة تغمرني و انا اتطلع الى لون الشعر و الحواجب و شكل عينيه و شارب الجنرال.

لم يهمني كيف و بأية طريقة حصل ابي على هذه الصورة، بل الاهم هو حصولي على شرف تعليق صورة الجنرال في بيتنا.

ابي كان يريد ان يعلق الصورة في غرفة الاستضافة او في الغرفة التي كنا جالسين فيها، و لكنني توسلت اليه و طلبت منه ان نعلقها في غرفتي.. و وعدته و بأسرع وقت ان اضعها في الاطار و يكون المسح و التنظيف على عاتقي كل يوم.

بعد عدة محاولات و كيفما كان اقنعت ابي، و حملت الصورة و اتجهت نحو غرفتي، كل لحظة اسرع في تعليق الصورة كنت اقترب اكثر من السعادة و الأطمئنان.

لهذا قررت ان انزع صورة الطفل الذي يعزف الكمان من الاطار، و اضع مكانها صورة الجنرال، و هذه الصورة كانت لأحد اصدقائي المقربين، اهداها اليّ بمناسبة عيد ميلادي. و خلال محاولتي في انتزاع الصورة، كنت مسرعاً لدرجة ان الصورة مزقت من عدة اطراف. و بعد ذلك جلبت صورة الجنرال و وضعته في الاطار، و لكن حينما امعنت اليه بدقة، تبين لي انها مائلة قليلاً، لم تكن تلاحظ الأعوجاج الا اذا نظرت اليها بدقة، و لكني لم اتحمل ذلك، بكل حذر نزعت الصورة من الاطار، و حتى وصلت الى القناعة التامة بأن الصورة صحيحة، اخرجتها و ادخلتها عدة مرات!!.

بعد ذلك قمت بتنظيف الزجاج و اطار الصورة، حينها اتجهت نحو المسمار الذي كانت صورة الطفل الذي يعزف الكمان معلقاً بها، و لكن عبثاً كانت محاولاتي، فإني لم استطع ان اعلق الصورة، لم اكن اعرف، ترى هل كنت من قبل قصير القامة هكذا، لأن يدي لم تكن تصلان الى المسمار، ام ان صورة الجنرال منذ دخولها للبيت بسببها اصبحت قصير القامة، و لم افكر كثيراً بالطول او القصر في الأيام الماضية، فقد كان جم تفكيري هو البحث عن شيء اضعه تحت قدمي لكي اعلق به الصورة، و كان اقرب شيء هو مكتبتي، و بسرعة جررت كم كتاب و وضعته تحت قدمي، لا اعرف هل بالصدفة جاءت هذه الكتب بين يدي ام حجمها دفعني الى اخراجها: (القرآن الكريم، كرد و كردستان، بنود حقوق الانسان، الكتاب المقدس، رأس المال، ...).

وضعت الكتب فوق البعض ثم وقفت عليها، و لكن يدي لم تصل الى المسمار، لذلك جلبت بعض الكتب الأخرى و وضعتها على البقية، و قبل ان اعلق الصورة، نظفت زجاج الاطار مرة اخرى.

و منذ ان علقت صورة الجنرال في غرفتي، لا اذكر يوماً لم انظفها و اقف امامها ناظراً اليها اكثر من مرة، و لكن الأغرب من كل شيء هو ذلك التغيير الذي كان يحصل للصورة، و كل يوم كنت احس به اكثر، بأستمرار كانت الصورة امام عيني تخيف و تفزع، و كلما اصبحت مخيفة كنت اهمل تنظيفها، و لكن مرة تلو الاخرى الاحظها اكثر و اتمعن فيها بدقة.

اعين الجنرال كانت ما تبرح تزداد احمراراً لحظة تلو الأخرى، و تقترب حواجبه من بعضها البعض، و اشعر ان حنكه[2] تطول و شفتيه تعلوان و اسنانه تكبر، حتى تلك اللحظة تغيرت الصورة بشكل، لم تكن تشبه الصورة القديمة فحسب، بل حتى لم تكن تشبه صورة انسان.

و اخيراً، تغيرت معالم وجه الجنرال في عيني بشكل مخيف، لو لم ارغم نفسي في النظر اليه، لما كان بمقدوري ان اراه بسهولة، عيناه اصبحتا قدحين مليئين بالدماء، نابان حادين مكشرة خارجة من شفاهه، و كنت اشعر انها تسيل منهما الدماء، وجهه كان مكتظاً بالشعر الذي جعل من لونه رمادي الشكل.

لم تكن بمقدوري رؤية هذا المنظر المخيف، لذا قررت ان لا اترك غرفتي فقط بل بيتنا و المحلة التي اسكن فيها الى الأبد، لم اكن اخطو بالكامل، حتى لمست قدماي يدين ذاتي شعر قوي و صلب، تجرانني نحو صورة الجنرال، كانت اليدان سوداوين جداً كأنهما مصنوعتان من الفحم. و اظافره الطويلة كانت منغرسة في ساقي، اليدان كلما تقتربان من الصورة، كان شكل الجنرال ما يبرح يكون مخيفاً، و لم تكن بإستطاعتي رؤية الصورة، لذلك اغطيت بيدي وجهي، و فجأة صدر ضحك مخيف اهتز غرفتي.

و لو استمر ذلك الصوت لمزق غشاء اذني، و لولا صرامة اليدين اللتين كانتا ممسكتين بساقي، لوقعت جانباً و يغمى علي، لأن صوت ضحكته كان قوياً و مفزعاً، و بسرعة رفعت يدي من عيني و فتحتهما، رأيت فم الجنرال مفتوحاً بحجم فك التمساح، بدون ان يقول شيئاً كان يضحك مقهقهاً، و مع الضحك المتواصل تسيل من فمه الدماء قطرة فقطرة تصب في غرفتي، و كنت اشعر انه يحاول بكل قوته ان يضحك، و كلما ضحك بقوة كانت اظافر يديه تتغرز في لحمي اكثر، و ازدادت تدفق و جريان دمائه، و كان تنسكب و تصب بكل ماله من قوة في غرفتي، و عندما اغمى علي لم اكن اعرف ماذا يحصل لي، كان الجنرال متواصلاً في الضحك و بكل شراسة.

لا اعرف كم استغرق وقت اغمائي. متى و كيف صحوت؟ و لكن عندما استفقت كنا انا و غرفتي غارقين في الدماء.

الهوامش:

1-العند: جمع عنيد.

2-الحنك: الذقن او الدقن.

عن مجلة (كلاويزى نوى) العدد (23-24).

مملكة الرفاة

قصة: صمد احمد

ترجمة: نوروز شوكت

حينما أزيحت الرمال عن جبهتي ووجهي واذني، لم أعرف الى اين ولّت النمل والأفاعي هاربة وكيف اختفت، وبما انني كنت ميتاً منذ عدة سنوات او بالأحرى كنت قد دفنت حياً، لم اكن قادراً على الحركة، لذا فانها كانت تنهش جسدي حسب هواها..

كنت شاباً مربوع القامة قبل أن ادفن في الرمال، وكنت في مقتبل العمر ولم يخل ببالي ان اكون يوماً ما ذليلاً واكون غذاء الحشرات..

(آه من دنيا ومملكة ما تحت الرمال ، فان فيها عيشا عجيباً، عيشاً لم يره هؤلاء الذين يعيشون فوق الارض قط ولايظنون أنه موجود)..

ما كان موضع القلق لدي هو أن جلدي كان يتهرأ يوما بعد يوم كالقماش، لم يمر على دفني الا ساعات حتى انتفخ جسدي وكأنه يُنفخ، كدت انفجر، بعدها افرز جسدي رائحة كريهة، فلا احد يعرف هذه الرائحة الكريهة سواي، لا اعتقد بان احداً يصمد امامه، وازدادت تلك الرائحة في اليومين الثالث والرابع بعد موتي، وافرز جسدي مع هذه الرائحة الكثير من القيح والدهون، الى حد دهنت الرمال من فوقي ومن تحتي ومن جانبي.. وما أن تشرّب الرمل بالدهن.. رباه ما الذي أراه، انا اقول المئات، قل انت بل الآلاف من شتى انواع الحشرات قد تجمعت علي وكل واحدة منها الثمت علي في جانب من الجوانب، ولو لم أعرف من اين اتت تلك الحشرات..

كان الوضع عجيباً، ما كنت قد انتظر حالة كهذه، ولم اكن اظن ان مملكة عجيبة مثلها موجودة تحت تلك الرمال الجافة والميتة، فمن الحشرات ما لها قرنان، ومنها مغطاة الجسد بالشعيرات، ومنها ما ليست لها اعين، ومنها ما لها اسنان حادة ومسمومة، فكلما عظت احداها جسدي تقطع من جسدي قطعة بحجم عظتها

او اكثر، ومنها طويلة الأرجل والأظافر، تغرز أظافرها في جسدي المتعفن بسهولة مثلما يغرز الانسان قدمه في ثلوج حديثة السقوط، وتقطع اللحوم من جسدي بحركة عنيفة..

بدا عدد من الثقوب على جسدي في الأسبوع الأول من دفني حيا، لكن العجيب هو أن هذه الثقوب لم تكن تسيل منها الدماء، فلم أعرف هل تجمدت بحيرة دم جسدي أم جفت ام حصل لها شيء آخر، لكن ما أحزنني ان احدى ساقي شخص آخر مدفون واقعة على صدري، والتي بدت من خلال تجاعيدها انها لرجل عجوز، فقد كثرت الحشرات من حولي وازعجتني بسبب وجود هذه الساق، ولكن لم اقدر على فعل شيء لكوني ميتاً، لكنني كنت افكر بعمق واتمعن في تلك الوضعية التي وقعت فيها، كنت في البداية لاصدق ما اراه سائلاً نفسي: هل حقاً انني ميت؟

كنت اريد ان احرك أصابعي جوابا لهذا السؤال، لكنني لم اكن قادراً على الحركة، عندئذ ايقنت أن الأمر قد قضي وانني ميت فعلاً، فلو كنت قادرا على الحركة لأزحت هذه الذراع الواقعة على فمي جانباً، والتي كنت لا أعرف هل هي ذراع امرأة أم ذراع رجل..

لا اتذكر بأنني قتلت نملة واحدة طوال حياتي، ليس هذا فحسب، بل اتذكر انني كنت في الصف الخامس الابتدائي وكان معلم العلوم يشرح طرق ابادة الحشرات، فوقفت ضد هذه الطرق بصرامة، وذات مرة قلت لمعلمي بجرأة: أي علم تعلموننا؟ فجدتي تقول: من قتل نملة واحدة انتقم الله منه وادخله النار، وانتم تريدون ابادة الحشرات بالمواد الكيمياوية، فلم اعرف ان مصيرنا هو الابادة الجماعية والدفن الجماعي..

ان ما سبب في تحطمي جسدياً ونفسياً هو تلك الاحتفالات التي كانت قد اقيمت على الأرض، كان الناس يظنون اننا أموات ولانحس بأي شيء، مع انني كنت اتعجب من نفسي فكيف احس بكل مايجري وانني ميت، لكن وبعد ان تم دفننا كنت على علم بان الذين دفنونا حصلوا على انواط الشجاعة في مراسيم خاصة في ليلة ذلك اليوم..

هذه الحالة التي احزنتني، والحالة الاخرى التي ادهشتني الى حد الجنون والتي لا انساها ابدا ولم اعرف كيف فكرت فيها هي انني كنت احسد (اخناتون) و(نفرتيتي) وجميع الفراعنة المصريين، فهم عاشوا سعداء ودفنوا مقدسين منذ آلاف السنين واجسادهم بقيت على حالها، لكنني بعد عدة من الاسابيع انفصل لحمي عن عظامي وكأن احدهما خصم للآخر، والآن لم يبق مني سوى بضع عشرات من قطع العظام..

خلال ذلك التراكم للعظام، كل عظمة تحكي قصتها بلسان الحال، وما أن تحكي عظمة ساق أو ذراع أو ضلع أو جمجمة ما حتى تصغي لها سائر عظام المملكة بامعان، ضاحكة تارة وباكية تارة أخرى، وانا لا أظن بأن هناك امسية شعرية أكثر اكتضاضاً وحماساً من حلقة القاء قصص العظام..

وما هو موضع النظر المركز في هذه المملكة أكثر من الأشياء الأخرى هو اننا دفنا في تلك الحفر التي كل منها تحتوي على اربعين أو خمسين شخصاً منا.. و امتدت الحفر على مدى النظر، وكان يقال بأن الحفرة

الأخيرة تقع في رمال جافة ومالحة، مالحة الى حد المرارة.. واذا ما كانت عظمة ساق او ذراع أو جمجمة من الحفرة الأولى تروي قصتها فان العظام في الحفرة الأخيرة تسمعها روحياً، اظن انني كنت في السنة الثالثة بعد دفني جاء دوري لأروي قصة حياتي للحضور في مملكة الرفاة.. فبدأت بقصتي هكذا:

انا اسمي (مردان)، من أهالي (بانكول) في منطقة (كرميان)، كان عمري قبل أن أدفن عشرين عاماً، حسب رواية أمي، فان اليوم الذي ولدت فيه هو (8) من شباط من عام 1968، هبت في ذلك اليوم ريح قوية بحيث كان من الصعب الصمود امامها، أخذت الصغار والكبار، الرجال والنساء، الشباب والمسنين، لم يعرف احد من أين اتت هذه العاصفة، فمن الصعب الحديث عن الخراب الذي أحدثته..

تحسرت أمي على أيام شبابها مرات عديدة وكانت الدموع تملأ عينيها وقلبُها مليء بالحسرة، روت لي بأن ابي استطاع بشق الانفس أن ينقذنا من التسمم بهذه الريح، ولكن ضحى بعمره الـ(22) سنة لأمي ذات الـ(18) سنة..

حتى ذلك الحين كان هناك الكثير من القصص لم اسردها ولم استطع ان اتممها، قلت باكياً: آه امي العزيزة، امي الشابة الحسناء، اين انت الآن؟ هل تسمعين صراخ روح ابنكِ مردان؟ انا على يقين بأنك لاتعرفينني لو رأيتيني؟ فلم تبق لي عينان كي تتعرفي عليّ خلال خضرتهما، ولم يبق لي ذلك الخال الصغير على حنكي، لم يبق أي منهما.. فالآن لم تبق الا جمجمة تلين وتتآكل يوماً بعد يوم، اين انتِ يا امي العزيزة؟

حينئذ جاءني صوت ظننت انه قريب من الحفر الأخيرة، صوت حنون ولكنه مهزوز قال: مردان، انا هنا يابني، في هذه الحفرة، انني ميتة ايضاً، انا مدفونة ايضاً، لا أقدر على الحركة، وقع رأس ورجل ويدان على جسدي الميت، أزعجتني كثيراً ولا أعرف أصحابها، أراك بعين الروح واسمع صوتك، ارثيك من بعيد، نحن نبقى هنا في مملكة الرفاة، فلا اعتقد بان الناس الأحياء على وجه الارض يعرفون باننا هنا.. تغيرت نبرات صوتها في جملتها الأخيرة فأجهشت بالبكاء ولم تستطع أن تكمل كلامها.. وهكذا تكلمنا انا وامي بعد سنوات من الفراق..

بدأت بالكلام من بعدي عظمة الساق التي وقعت على صدري منذ اليوم الأول لدفني وبقيت عليه الى ان ازاحوا الرمال عليّ، أخيراً جمعوا عظامي مرة أخرى ووضعوها في كيس ثم في تابوت كبير، ثم ووريت بعلم من ثلاثة ألوان: احمر وابيض وأخضر، ووضعوا عظمة الساق هذه في كيسي، لكنني حينما اخرجوا عظامي من الحفرة لم اعرف في كيس من وضعوا عظمة ذراعي اليمني التي وقعت تحت رأس امرأة بجانبي؟ او بالأحرى لم اعرف انها اصبحت جزءاً من عظام مَن ؟

كان عجيباً عندي ان اقربائي واصدقائي الذين بحثوا عن اخبارنا وحتى جثثنا مدة 15 سنة كاملة لِمَ لم يدققوا النظر ولم يسألوا انفسهم : كيف يمكن ان تكون لانسان ما ثلاث أرجل و يد واحدة؟

انني الآن في كفن ضمن تابوت كبير، وانني الآن عبارة عن جمجمة: عدد من اضلع، ثلاث عظام للساق، اثنتان منها لليمنى والاخرى لليسرى، مع عظمة يسرى للذراع.. كنت في حفرة ضيقة منذ سنين، لكنني الآن وحيد في تابوت كبير من دون يدي اليمنى.. ورغم انني لم أكن شيئاً سوى عدد من العظام، الا انني كنت اتمعن في ذكرياتي مثل أي انسان سوي، كنت اتفكر، اتساءل، احلم احلاماً جميلة وعظيمة، كنت مفرحا في بعض الأحيان، وحزيناً حينما كنت اتذكر يدي اليمنى..

فرحت كثيراً عندما أخرجوني من تحت الرمال بعد 11سنة واستطعت ان ارى الحياة على الأرض من جديد، بالأخص في ذلك الحين الذي أوصلوني فيه الى كركوك ومروني على جسر (خاسه)، كدت ان انهض في التابوت واصرخ، لكنني حزنت حينما تذكرت انني بدون يدي اليمنى، فمن المحال أن اقدر إلى العيش او الموت دون ذكريات يدي اليمنى، فاني كتبت بها رسائل الحب الى حبيبتي (شونم) مرات عدة..

والأنكى من هذا، حين وقع نظري على السيدة (زارا) في أسفل جسر (خاسه) وهي تتسول، أظلمت الدنيا أمام عيني، فلم أعد أرى شيئاً، غير أن ذكريات أيام سابقة قد ابتلعتني في أعماقها.. تذكرت يوم أن كان الهيكل العظمي لـ(كاروان) الابن الأكبر للسيدة (زارا) يحدثنا عن أمه، وكيف انه قبل أن نقبر أحياء أخرجه الجنود عنوة من بين ذراعيها، اجهش (كاروان) اثناء رواية هذه الحادثة بالبكاء كالمرة الاولى، واغرقت بعده مملكة الرفاة في البكاء بأجمعها..

كان (كاروان) آملاً في أن يغفو اغفاءة بين ذراعي امه مرة أخرى، ولم يكن يعلم أن أحضانها ستضيع مثل يدي اليمنى ولا يعثر عليها..

بعد رؤية منظر السيدة (زارا) هذا، أبديت عن ندمي في ان ابعث حياً مرة أخرى، في هذه الأثناء، وكنت مستعجلاً جداً وكنت أتمنى التخلص من هذا التابوت ويوارى جثماني مجدداً، وكنت اواسي هيكلي العظمي حتى أوصلوني الى المقبرة: ايتها العظام الجافة المتهرئة، منح الاله الخلود لنفسه فقط، اما نحن فكان الموت قدرنا، لذا كان علينا ان نعرف في وقت مبكر ان الحياة لاتعدو كونها لعبة لامعنى لها..

وحينما وريت، ولكن بعكس المرة الأولى، في مراسيم لائقة وعدت الى مملكة الرفاة، كان أول هيكل عظمي استقبلني وسألني عن أخبار كردستان وأخبار مافوق الأرض، هو الهيكل العظمي لـ(شريف باشا خندان)..

كركوك - مايس 2003

*حازت القصة على الجائزة الاولى مناصفة مع القاص احمد محمد اسماعيل في مهرجان كلاويز السابع في نوفمبر 2003 في السليمانية.

المسرح الكردي في كركوك

بين الحاجز الشوفيني و النشاط الجاد

علي كريم

كركوك مدينة كردستانية و مركز مهم لصناعة البترول، و تركيبتها القومية توصي بالتاخي و السلام بالضد مما تشاع من قبل اعداء الكرد و التركمان انها مدينة التاخي و الحب، عاش فيها الكرد و التركمان و الكلدواشوريون بالحب و التعايش الأخوى بعيداً عن العداء و النعرات العرقية و الشوفينية، تركيبة هذه المدينة بالرغم من اللاتناغم، حالة من الانسجام تحسد لها و تبقى هكذا الى الابد بالرغم من المحاولات من هنا و هناك، انها مدينة الكرد و التركمان و العرب الكلدواشوريين، كان السوق و التجارة و الحياة الاجتماعية في هذه المدينة ابان الخمسينيات و النصف الاول من الستينيات من القرن الماضي تحت رحمة الاغنياء و التجار و الافندية التركمانية، الا ان الوضع القائم انذاك قد تغير خصوصاً بعد المفاوضات الكردية العراقية/ جناح المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني (الطالباني) و حكومة العراق (عبد الرحمن البزاز) عام 1966، و لكن التغيير الاهم حدث عند اعلان اتفاقية الحادي عشر عن اذار عام 1970 خصوصاً في المجالين الادبي و الفني حيث تأسست العديد من الاتحادات و الجمعيات الثقافية و المهنية منها: اتحادات الشباب و الطلبة و المعلمين و النساء من جهة و اتحاد ادباء الكرد، و جمعية الفنون و الاداب الكردية في كركوك من جهة اخرى، و كذلك فرقة (مشخل) للتمثيل و نادي (سولاف) الرياضي، كل هذه هيأت مناخات ثقافية و سياسية كان في غير حسبان السلطات الشوفينية انذاك فما كان منهم الا ان يقفوا حاجزاً امام هذه التطلعات الجادة سياسياً و ثقافياً و تجارياً – لا اقول اقتصادياً – فكانت القطيعة و من بعدها انهارت التعايش اللامتكافيء، و الاخوة الزائفة، و اندلعت الحرب كما يندلع البركان، و لجأ البعث في ساعات انكساراته الى

المؤامرة و بفعل مؤامراته الدولية جاءت النكسة، و غضب الشعب و اندلعت الشرارة ثانية في عام 1976) و بفعل المؤامرة الدولية – شاه ايران و صدام العراق – بدأت مخططات التعريب و التبعيث و التهجير حيز التنفيذ فشملت هذه المخططات المجالات السياسية و الثقافية و الحياتية، فمنعت الجمعيات و الاتحادات الثقافية و المهنية من القيام بنشاطاتها بل وصل الامر الى غلق مقرات الكثير منها، حيث تم نقل العديد من المعلمين و الموظفين و العمال من مدينة كركوك و من بينهم اعداد كبيرة من الادباء و الفنانين الى جنوب و وسط و بعض اقضية و مدن كردستان النائية فما كان منهم – الفنانين خصوصاً – الا ان ينضموا الى الفرق و الجمعيات الفنية و المسرحية في دهوك و السليمانية و هولير، حيث انضم الفنانون: د. فاضل جاف و جهاد دلباك و جليل زنكنه و حسين ميسري و علي كريم الى الفرقتين الطليعة الكردي و السليمانية للتمثيل، و مهدي اوميد و تحسين علي شعبان و غيرهم الى فرق و جمعيات اربيل المسرحية، و بذلوا كل ما في طاقاتهم من اجل الارتقاء بالمرسح الكردي الى الامام و لا يزالون يواصلون المسيرة بجدٍ و جدارة.

المسرح الكردي في كركوك بعد ثورة تموز عام 1958

بعد النصر المؤازر لثورة تموز عام 1958 فتحت الابواب على مصراعيها لانبعاث ثقافة كردية متميزه و لاول مرة في تاريخ العراق الحديث خصوصاً بعد ان اقر الدستور المؤقت شراكة الكرد و العرب في هذا الوطن، حيث ظهر العديد من الجمعيات و الاتحادات المهنية و الثقافية، فقدمت البعض منها نشاطات فنية و موسيقية و مسرحية و دبكات شعبية و ذلك من خلال الاعياد و المناسبات الوطنية، و قد اعد عدد من شباب الكرد مسرحية (كاوه الحداد) باشراف الشاب المتحمس (جهان شاويس) و ذلك قبل ثورة تموز باشهر و في ملعب (شركة نفط كركوك) حيث داهمتهم الشرطة العراقية انذاك و منعتهم من تقديم مسرحيتهم، و في سنوات بعد ثورة تموز تم تأسيس فرقة (خبات) الفنية فقدموا في المناسبات السنوية العديد من العروض و المسرحيات منها: مسرحيات (المشعوذ، الليلة الاخيرة، كاوه الحداد) و كان مخرج و مشرف كل هذه المسرحيات الفنان (نوري هونو) و كان يشاركه العديد من الشباب منهم: شيخ ملك شيخ رؤوف، و كاكه مم بوتاني و جوهر عبدل، و عبد الخالق عبدالرحمن و حسن كه‌له‌ميرد، و حسيب محمد بك كلي و، نورالدين عبدالرحمن، و علينا ان لا ننسى الدور الريادي و الكبير للاديب و الفنان الكبير (خالد دلير) و شقيقته السيدة (زيبا) في تفعيل الوسط الفني و دفعه الى الامام، و باندلاع ثورة ايلول عام 1961 ساد ركود طاغ على الفن و الادب الكردي ليس في كركوك فحسب بل في جميع مدن اقليم كردستان و طال هذا الركود حتى عام 1968 و في اثناء المفاوضات (الكردية - العراقية) خصوصاً الحوار الذي كان قائماً بين جناح المكتب

السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني – ابراهيم احمد و جلال طالباني – و نظام حزب البعث حديثاً – حيث انتعش الثقافة الكردية بشقيها الادبي و الفني خاصة عند تأسيس – جامعة السليمانية – و احياء العديد من المنظمات المهنية و الديمقراطية كالشبيبة و الطلبة و النساء و المعلمين، فبدأ الفن و الادب الكرديين في كركوك يخطوان خطوات جادة و رصينة الى الامام و كان الحال قائماً هكذا حتى اصدار بيان (11 اذار) التأريخي.

11 اذار و الانعطافة التأريخية

كان لبيان اذار التأريخي دور مهم، و انعطافة تأريخية كبيرة في حياة شعب كردستان سياسياً، و اقتصادياً، و ثقافياً، خصوصاً في مدينة كركوك، هذه المدينة التي لا تزال الى يومنا هذا مركز صراع – بفعل المؤامرات الخارجية – و محط امال شعب ذاق مرارة الاحتلال و التعريب منذ تأسيس الدولة العراقية في عام 1922 تلك الدولة اللاقانونية و اللاشرعية، فكان عام 1970 و بالاخص الحادي عشر من اذار موعد الكرد مع الحرية و الموت المؤجل في حلبجة، و عمليات الانفال الاجرامية. اذاً كان لبيان اذار عام 1970 دور كبير في تأريخ كرد العراق، حيث شهدت كركوك في تلك الفترة تطوراً نوعياً من الناحية الحياتية، و انعطافة كبيرة و ملموسة من الناحية الثقافية و السياسية لا تزال اثاره الايجابية و تأسيساته التأريخية جداراً متيناً بوجه الشوفينية التي جعلت من كركوك دوماً عائقاً عقيماً امام حل القضية الكردية في كردستان الجنوبية الملحقة قسراً بالعراق العربي.

فبعد هذا الحدث التأريخي ظهرت العديد من الاتحادات و الجمعيات المهنية و الثقافية كالنساء و الطلبة و الشبيبة و المعلمين و من خلالهم تشكلت حركة ادبية و فنية تجسدت في تقديم مسرحيات و فعاليات موسيقية، و امسيات ادبية لا تزال في ذاكرة الكركوكيين خصوصاً جيل السبعينيات جيل الثورة و السلام و الانتكاسة. اذن لهذه المدينة دور كبير في تأسيس ثقافة كردية كركوكية خدمت بجد و اخلاص الثقافة القومية لشعب كردستان، و من اسماء الذين ساهموا و برزوا و خدموا هذه الثقافة في هذه المدينة هم: (عبدالله السراج، محمد موكري، عثمان خوشناو، احمد محمد اسماعيل، و حسن جاف، صلاح شوان، اسماعيل روزبيانى، صدرالدين عارف، لطيف هلمت، سلام محمد، احمد شاكلي، فرهاد شاكلي، و مصطفى نريمان ادبياً و فاضل جاف و اري بابان و سعاد ستار و وجاد دلباك و جليل زنكنه و حسين ميسري و، علي كريم، و عباس محمد و ، محمد عباس بهرام و قادر مردان و علي عزيز و و رمضان زامدار فنياً، و علينا ان لا ننسى الدور الريادي للشيخ رؤوف خانقاه و عبد العزيز خانقاه و عبد الصمد خانقاه و عبد الخالق الاثيري و غيرهم. اذن لمدينة كركوك الكردستانية دور فاعل و مؤثر في تطوير و تأسيس الثقافة القومية الكردية، و كانت لبيان اذار التأريخي مساهمة كبيرة في تفعيل هذا الدور باتجاه المسار

الصحيح لتأسيس هذه الثقافة القومية في عموم كردستان و خصوصا في كركوك.

المسرح الكردي في كركوك 1974-1970

حباً بالكرد و مسابقة مع الزمن

مع الاعلان عن اتفاقية 11 اذار عام 1970 بين قيادة الثورة الكردية و الحكومة العراقية انبرى جموع كبير من شباب الكرد و المتحمسين ذكوراً و اناثاً في كركوك الى المجالات الادبية و الفنية تعبيراً عن حبهم للكرد و ثقافتها القومية و مساهمة منهم من اجل الارتقاء بهذه الثقافة و ذلك من خلال الاتحادات و الجمعيات التي كانوا ينضمون اليها، فقد تهيأت الارضية الخصبة بعض الشيء لانبعاث ثقافة كردية تنسجم مع الواقع القائم انذاك، حيث بدأ الادباء و الكتاب الكرد في كركوك بنشر و طبع نتاجاتهم الشعرية و القصصية و كذلك الحال بالنسبة للفنانين حيث تشكلت فرق و جمعيات بعضها تابعة للاتحادات و المنظمات الجماهيرية و المهنية كالشبيبة و النساء و الطلبة و المعلمين و البعض الآخر فرق مسرحية و موسيقية خالصه مهامها تطوير المسرح و الموسيقى الكردية في كركوك و تنشئة جيل من الشباب الذي يتطلع الى المشاركة في النشاطات الفنية و الثقافية، احدى هذه الفرق هي فرقة (مشخل) للتمثيل، و جمعية الفنون و الاداب الكردية فرع كركوك و فرقة سولاف الموسيقية و فرقة التمثيل التابعة لاتحاد الشبيبة الديمقراطي الكردستاني، حيث قدمت فرقة (مشخل) و جمعية الفنون و الاداب الكردية فرع كركوك العديد من الاعمال المسرحية و التي نالت استحسان الجمهور و الوسط الثقافي في كركوك و كردستان انذاك، فمن هذه الاعمال المسرحية (ام الشهيد) و (بيشمركه) و (نهاية الاقطاع) و (الفتاة الخرساء) و (ارضنا) (الربيع المسروق) حيث كان للفتيات الكرد النصيب الاكبر في المشاركة في هذه الاعمال الفنية كما قدمت هذه الاعمال في بعض مدن اقليم كردستان و خاصة مسرحيات (ام الشهيد) و (الفتاة الخرساء) حيث عرضت في السليمانية و اربيل، هذا الى جانب مشاركة فرقة كركوك المسرحية في اضخم مهرجان فني كردي في بغداد العاصمة و ذلك بمسرحيتين هما: (قبة من الدخان) لمهدي اوميد، و (الانفجار) لسلمان كاكةيى حيث نالت المسرحيتان استحسان و قبول الجمهور في بغداد و استطاعت المسرحية الاخيرة (الانفجار) الفوز بكل جوائز المهرجان كالآتي:

أ-جائزتا احسن تمثيل و احسن نص لعلي كريم.

ب-جائزة احسن اخراج لسلمان كاكەيى.

ج-جائزة احسن انتاج لجمعية الفنون و الاداب الكردية/ فرع كركوك.

و كانت مسرحية (الانفجار) لجمعية الفنون و الاداب الكردية من احسن العروض في المهرجان حيث لجأ المخرج الفنان (سلمان كاكەيى) الى استخدام الصورة السينمائية توثيقاً للاحداث و بشهادة

الفنانين و الكتاب امثال الفنانين (جعفر علي و ناصر حسن) و الشاعر (شيركو بيكس و محيي الدين زنكنه) كانت المسرحية من انجح و احسن العروض و اكثرها جودة من الناحية الفكرية و البنية الفنية، و بهذا العرض المسرحي سجل فناني مسرح كركوك تاريخاً مشهوداً و ناصعاً لهم في صفحات تأريخ المسر ح الكردي في كردستان، هنا اود ان اشير الى عدد الفرق و الفنانين المشاركين في هذا المهرجان فقد بلغ عدد الفنانين المشاركين الى (240) ممثلاً و مخرجاً و عدد الفرق و الجمعيات الفنية المشاركة الى (14) فرقة و جمعية فنية. و بتقديم هذا العرض المسرحي لفناني مسرح كركوك نكون قد وصلنا الى نهاية حقبة مضيئة من العمل المسرحي الجاد في كركوك، حيث اندلعت الحرب مرة اخرى بين فصائل شعب كردستان و الجيش العراقي و لم يعد بامكان فناني مسرح كركوك الاستمرار في نشاطاتهم الفنية و المسرحية فقد لجأت السلطات العراقية الى اغلاق المقرات و مكاتب الفرق و الجمعيات الفنية و كذلك مقرات المنظمات و الاتحادات المهنية، اضافة الى ذلك فقد لجأ العديد من الفنانين في كركوك الى الجبل حيث شاركوا في الثورة و نشاطاتها الاعلامية.

اهم المسرحيات التي قدمت في هذه الفترة.

1-مسرحية ام الشهيد من تأليف (فريدون عثمان) اخراج سلمان كاكهيى.

2-مسرحية (بيشمركه) من تأليف (بهزار) اخراج سلمان كاكهيى.

3-مسرحية (نهاية الاقطاع) تأليف مهدي اوميد اخراج سلمان كاكهيى.

4-مسرحية (رأس الشليلة) تأليف يوسف العاني اخراج فاضل جاف.

5-مسرحية (الفتاة الخرساء) تأليف و اخراج سلمان كاكهيى.

6-مسرحية (الربيع المسروق) تأليف عدنان صاري كهيه اخراج سلمان كاكهيى.

7-مسرحية (واحد، اثنان، ثلاثة) اعداد و اخراج سلمان كاكهيى.

8-مسرحية (الانفجار) اعداد علي كريم اخراج سلمان كاكهيى.

9-مسرحية (قبة من الدخان) تأليف و اخراج مهدي اوميد.

10-(نضال النساء) تأليف و اخراج مهدي اوميد.

11-(مطعم محمود الاعرج) تأليف و اخراج جميل جيماو.

12-مسرحية (الجوع) تأليف جليل زنكنه و اخراج سلمان كاكهيى.

13-مسرحية (كاوه الحداد) اخراج سلمان كاكهيى.

بطاقات فنية

1-د. سلمان كاكهيى اسمه الكامل سلمان فائق كاكهيى ولد في كركوك و انهى الدراسة الابتدائية و المتوسطة فيها و تخرج من معهد الفنون الجميلة في بغداد ثم سافر الى جمهورية رومانيا الاشتراكية و

واصل التدريس هناك حيث حصل على شهادة الدكتوراه في السينما. له عدة افلام سينمائية و تلفزيونية منها: (كوجر) و (الشروق) و (المصير) و (ئاسو) هذا بالاضافة الى اعماله السابقة في كردستان كـ(الربيع المسروق) و (مزرعة الشلب).

2-د. فاضل جاف: اسمه الكامل فاضل علي جاف ولد في كركوك و اكمل المراحل الدراسية الثلاث فيها ثم لجأ الى بغداد العاصمة حيث درس الاخراج في كلية الفنون الجميلة – قسم المسرح مثل و اخرج عدد من المسرحيات في السليمانية و كركوك اهمها (ام الشهيد) و (البيشمركه) و (رأس الشليله) و (العالم على راحة يدي) و عندما تخرج من الكلية تم تعيينه كمدرب فني في المركز الثقافي لجامعة السليمانية و بعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية لجأ فاضل جاف الى الجبل لينضم الى صفوف الثورات و بعدها سافر الى بلاد روسيا حيث حصل و من خلال اطروحته الموسومة (البيوميكانيكا في مسرح مايرهولد) على شهادة الدكتوراه.

3-مهدي اوميد: كان هاوياً طموحاً وسط فناني مسرح كركوك كتب و اخرج العديد من المسرحيات، بعد نكسة ثورة ايلول سافر الى اوربا حيث درس السينما و اخرج و شارك في عدد من الافلام السينمائية منها: الذئاب، النفق، (خيوط العنكبوت) و هناك اخرون عادوا من اوربا و هم يحملون شهادات عالية في مجال الفن و الثقافة الكردية: ازاد كركوكي في مجال السينما، و ازاد حمه في مجال العلوم الانسانية و انسان عصر العولمة.

النتائج:

⋆تم انتاج عدد كبير من الاعمال المسرحية و في غضون سنوات قليلة جداً.

⋆لو اقيمت الفرص لفناني مسرح كركوك من الكرد لكانوا دائماً في مقدمة المسيرة.

⋆لكرد كركوك ثقافتهم القومية و بامكانهم فتح الحوار مع بقية القوميات كالتركمان و العرب و الكلدواشوريين.

⋆لو اتيح لكركوك ان تدار من قبل الحكومة الفدرالية لاقليم كردستان لاصبحت مركزاً ادبياً و فنياً يحسد عليها.

⋆و من خلال انضمامهم للفرق المسرحية في السليمانية و دهوك و اربيل استطاع فنانو كرد كركوك من المشاركة الفعالة في هذه المسيرة و لهم اليد الطولى في ترصين و تأسيس المسرح الكردي في كردستان العراق.

اذن كان لفناني مسرح كركوك الدور المهم و الاساسي في المسيرة المسرحية في كردستان عموماً و مدينة كركوك بصورة خاصة.

حوار

حوار مع الدكتور نصر حامد ابو زيد حول القضية الكردية

اجرى الحوار: سالار اوسى

مفكر عربي من مصر، عمل استاذاً للدراسات القرآنية في كلية الآداب – جامعة القاهرة، و يعمل حالياً استاذاً زائراً في جامعة لايدن – هولندا. له مؤلفات عديدة في الفكر و الفلسفة و الدين منها: الاتجاه العقلي في التفسير، فلسفة التأويل، مفهوم النص، نقد الخطاب الديني، التفكير في زمن التكفير..، مقيم في هولندا.

+قد تكون هذه المرة الأولى اليي يدخل فيها الدكتور نصر حامد ابو زيد في حوار خاص حول القضية الكردية، ليعلن من خلاله مواقفه من، و ارائه في هذه القضية. هل توافق على أن تكون بداية الحديث من عندك×؟

-طبعاً، القضية الكردية بمختلف جوانبها حاضرة و بقوة كقضية تستوجب حلاً، خصوصاً في السنوات الأخيرة. و بالفعل هذه اول مقابلة خاصة موضوعها الشامل و الكلي قضية الكرد، اشارك فيها بناءً على دعوتك لي، لكن هذا لا يعني انني لم اعلن عن مواقفي و ارائي في قضية هذا الشعب كلما جاءت المناسبة.

الحديث عن الموضوع الكردي، يبدأ في رأيي و احساسي، من اعتبار القضية الكردية من القضايا المغيبة، ليس فقط على صعيد العالم العربي و الاقليمي، بل على الصعيد العالمي ككل. لأن قضايا الأقليات في جميع انحاء العالم تلقى الاهتمام الدولي. الا أن القضية الكردية، ربما لأنها تتصل بدول و بقوى مختلفة، تظل غائبة.

أما بالنسبة لهذه القضية في العالم العربي، أعتقد ان ثمة غياب للمعلومات بالنسبة للمثقف العربي الذي لا يشعر بأن الكرد اصحاب قضية عادلة و بحاجة الى حل. و هو (المثقف العربي) غير واعٍ لمدى الممارسات القمعية التي تمارس ضد الكرد في اماكن

تواجدهم، سواء كان ذلك في تركيا، او في العراق او في ايران. و في مسألة غياب المعلومات هذه، تكون المسؤولية مشتركة، فمثلاً معظم المؤتمرات التي يعقدها الكرد، هي مؤتمرات كردية – كردية.

مؤخراً، تم عقد مؤتمر في كردستان العراق، و تمت دعوة عدد من المثقفين العرب اليه و انا كنت من بين المدعوين، الا انني لم اتمكن من تلبية الدعوة بسبب حادث سير تعرضت اليه في هولندا، تزامن مع فترة انعقاد المؤتمر المذكور.

في رأيي، أن عقد مثل هكذا مؤتمرات مهم جداً، و يفتح باب التواصل و الاتصال المباشر بين المثقفين العرب و الكرد، و هذا من شأنه تزويد المثقف العربي بمعلومات و تفصيلات عن قضية الكرد تحفزه نحو اتخاذ مواقف يقتنع بها. و اعتقد في هذا الخصوص، ان أي مثقف يمتلك رؤية معرفية تقدمية لن يرضى بالتمييز العنصري و التفرقة العنصرية. و في حال توفر المعلومات الدقيقة و الصحيحة، أظن انه ستكون هناك مواقف اكثر تعاطفاً – عذراً اذ ليس المطلوب التعاطف – بل أكثر مساندة و تأييداً و تضامناً للحقوق المشروعة للشعب الكردي من قبل المثقفين العرب.

+كمفكر عربي، لديه اطلاع الى حد مقبول على الوضع الكردي العام، ما هي الحقوق المشروعة للشعب الكردي برأيك؟

-للكرد حقوق مشروعة كما لكل الشعوب الأخرى، و أنا لا ارى مانعاً من فتح نقاش حتى امام رأي يريد الاستقلال التام، فليس من المعيب ان يكون للكرد رغبة في الانفصال، و ليس مطلوباً منا رفض ذلك، بل المطلوب مناقشة ذلك. علينا ان نبدأ بالنقاش، و من هذا المنطلق رحبت جداً بدعوتك لي الى هذا الحوار الذي هو – في رأيي – بداية لخلق صلة بين المثقف الكردي و المثقف العربي الذي الى الآن لا يشعر، او لا يدرك وجود مشكلة كردية حقيقية.

+قد يكون ثمة مثقفون عرب لا يدركون، او لا يشعرون بوجود مشكلة كردية حقيقية للسبب الذي ذكرته في بداية الحديث، و هو غياب المعلومات لديهم عن هذه القضية، لكن بالمقابل ثمة الكثير من المثقفين العرب يتقصدون الصمت، و هم مضطلعون على تفصيلات القضية الكردية. اذن، ثمة اسباب اخرى تحول دون تواصل المثقف العربي مع الحالة الكردية، و هي اسباب تكشف عن جوانب اخرى تفضي، بدورها، الى التساؤل عن مدى الشعور بالمسؤولية تجاه الكرد من قبل هؤلاء المثقفين أليس كذلك؟

-انا لست مغرماً بتحديد المسؤوليات، و لكن اذا كان لابد من تحديد المسؤولية، فأعتقد انه في كل الأحوال هي مشتركة بين الكرد و العرب. فثمة قضايا ينجح اصحابها في جعلها قضايا ظاهرة، و بالمقابل ثمة قضايا يظل اصحابها متخوفون من مناقشتها مع الآخرين، فيناقشونها مع بعضهم البعض، و هذا بالطبع لا يعفي المثقف من الطرف الآخر من ضرورة أن يدرك و يعي المشكلة، و يقوم بدوره فيها كمثقف، رغم انه بذلك، احياناً، يمكن أن

يواجه عقبات، و نتيجة لهذه العقبات يتراجع من مبدأ عدم التدخل في شؤون الآخرين.

فإذا كان الأقباط في مصر مثلاً، يرون أن مشكلتهم هي شأن قبطي، فهم بذلك يقطعون أمام مثقف ما يتضامن معهم و يكتب ضد التفرقة العنصرية ازاء الأقباط. هنا، يبدو هذا المثقف و كأنه يثير نعرات طائفية(!). بالعودة على موضعنا، ارى ان المسؤولية تقع على عاتق المثقف العربي الذي يمتلك المعلومات، و لأسباب ايديولوجية يظل يحتفظ بمسافة تبعده عن القضية التي يدركها.

و انا عن نفسي اقول انني بدأت اهتم بالقضية الكردية بشكل قوي مع اعتقال الزعيم الكردي عبد الله اوجلان، و بدأت ادرك و انا اراقب العالم الذي يحرك جيوش الاطلنطي من اجل اية مشكلة اقلية في اية زاوية من هذا الكون، وقف صامتاً يتفرج، و لم نسمع سوى بيانات شاحبة و هزيلة تدين عملية القرصنة التي تمت. بعد ذلك، كنت في تركيا، و سألت صديقاً لي عن وضعه في الترقية، فقال لي أنه من أجل الترقية، كان عليه ان يغير بعض الشيء في شكله، لأن شكله كردي!. وقتها عرفت انه كردي رغم انني كنت على علاقة صداقة معه قبل ذلك بفترة طويلة.

اذن، بصفة شخصية ايضاً، يمكن للمرء أن يتعرف على الكثير من القضايا. و اذا كنت الآن اهتم كثيراً بالقضية الكردية، فأنا في الوقت نفسه. ربما مسؤول عن جهلي ازاء هذه القضية من قبل.

الأمور التي عرفناها عن اوضاع الكرد في العراق، كانت عن طريق الأفلام التي قام بانجازها اجانب، و لم يكن لا للعرب و لا للكرد دور فيها. سمعنا بالمجازر التي قام بها صدام حسين ضد الكرد عن طريق الاعلام الغربي، عندما بدأ الغرب يشتكي من صدام حسين. امام تلك المجازر، لا تستطيع سوى أن تقف و تقول: يا الهي اين نحن مما يحصل؟!.

حتى المثقف العراقي العربي الذي يتحمل ثمن سكوته في احيان كثيرة، و ثمن نطقه دائماً، هو في وضع مشتت ضمن التركيبة العراقية القائمة الآن، نتيجة الصعوبات العامة الكبرى، الفئوية و الحزبية و التنظيمية. هذا وضع جميعنا ضحاياه، لكن اعتقد انه آن الأوان لنفرض أن نبقى في موقع الضحية، و نتحرك لنكون في موقع الفعل و ليس موقع رد الفعل.

ارى ان الأهم، الآن، من تحديد المسؤولية، هو البحث عن كيفية تجاوز الموقف، و اعتبر دعوتك الطيبة هذه لي، بمثابة بداية و انا مستعد الان حتى للقيام بزيارة الى كردستان، للقاء المثقفين الكرد و مناقشتهم و الاضطلاع على الأوضاع العامة هناك، و فهمها على ارض الواقع.

على المثقف أن يكون ضد التمييز العنصري و العرقي، و يحترم ثقافة الآخر و اختلافه. فإذا كان الكردي يريد أن يمارس لغته و يغني اغانيه، و يرقص رقصاته، و ينشط مسرحه و سينماه. ما الضير في ذلك؟! هل هذا يضر بالثقافة العربية؟! بالعكس، هذا اغناء و اثراء للثقافة العربية. و اذا

اراد الكردي ان يتمتع بحكم ذاتي، أو حتى باستقلال ذاتـي، فمـا المـانع في ذلـك؟ لـيس ثمـة محظـورات في النقاش، على الأقل في المستوى الثقافي و الفكري، و ان كانـت ثمـة محظـورات سياسـية. الا اننـا كمـثقفين لا يجـب ان نعمـل وفـق اجنـدة السياسـة، فأنـا كمثقـف عنــدما اتضــامن مــع القضــية الكرديــة. لا يــأتي تضـامني هـذا مـن موقـف سياسـي او حزبـي، وربمـا أكون مختلفاً حتى مع الأحزاب السياسية الكردية، الا أن القضية الكردية تبقى بالنسبة لي قضية انسانية ثقافية.. الخ.

+بعض المثقفين العرب المرمـوقين، امتنعـوا عـن تلبية دعوتي لهم في الحديث عن القضية الكـرديـة، و اعتقـد ان مـوقفهم هـذا جـاء لاعتبـارات سياسـية، حتـى ان الـبعض مـنهم بـرره بقولـه: ان القضـية المذكورة لا تحتاج الى حديث، و يمكن حلها فقط، في اندماج الكـرد بـالمجتمع العربـي، دون ان يبينـوا ما يقصـدونه بالانـدماج. مـا هـو مفهومـك للانـدماج مسحوباً على الحالة الكـردية – العربية؟.

-في بنية الثقافة العربية، و المثقف العربـي جـزء مـن هـذه البنيـة، هنـاك فـزع مـن التشـظي. فعنـدما نتـابع الخطـاب العربـي نسـمع دائمـاً: امـة عربيـة واحدة، شعب عربي واحد، لكن واقع الأمر يقول انـه لا الامة العربية هي واحدة، و لا الشعب العربـي هـو واحد. اذن، بين الشعار و الواقع، ثمة شـرخ كـبير، و بدلاً عن التسليم بالواقع و الاعتراف بأن هذا التعـدد و التنـوع هـو لـيس تهديـداً للأمـة الواحـدة كمـا يقولـون، و يمكـن ان تكـون فعـلاً امـة واحـدة لكنهـا متعددة الثقافات و الأعراق و ما الى ذلك.

هاجس الوحـدة و هـاجس الضـعف الـذي نعيشـه نحـن العـرب، يجعـل مـن الـبعض الـذين يتخيلـون ان جزءاً مـن هـذه الأمـة يمكنـه ان ينشق عنهـا، و هـذا يزيـد مـن المخـاوف لـديهم. اذن، نحـن نعـيش فوبيـا التشرذم ان صح التعبير.

في حـدود معلومـاتي – و ارجـو ان تصـححها ان كنت مخطئاً فيها – ان الكرد لا يطـالبون بالانفصـال عن العرب، و يمكن اعتبارهم الى حد كبير على انهـم مندمجون، فلـم اقابـل شخصـاً كرديـاً حتـى الان الا و يتحـدث اللغـة العربيـة، و مـنهم مـن قـام بترجمـة اعمالي الى اللغة الكردية.

لكـن، هـل الانـدماج يعـني ان يتخلـى عـن لغتـه مثلاً؟! حتى لو اعتبرنا الكـرد جـزء منـا، و يريـدون العيش معنا، لكنهم يبقون جزءاً متميـزاً لـه ثقافتـه و لغتـه و تقاليـده الخاصـة و مـن حقـه ممارسـتها بحريــة. لا ان يحــرم مــن ممارســته لحقــه، كجــزء متميز، بدعوى الاندماج.

حتـى داخـل اي مجتمـع متجـانس، ثمـة ثقافـات محلية تمارس، فمصر مثلاً هـي اكثـر مجتمـع عربـي متجـانس منـذ (7000 سـنة)، و يحـوي ثقافـات متنوعـة، لكـن لا يمنـع ان الكـل هـم مصـريون في النهاية.

اعتقد ان هـؤلاء المـثقفين الـذين تحـدثت عـنهم، لديهم مخاوف التشظي و الانقسام الـتي تعكـس واقـع مخيـف و مـؤلم، و يـأتي حرصـهم علـى "الجسـد"

الواحـد، متناسـين ان الجسـد الواحـد نفسـه يحمـل تضاريس مختلفة.

مرة اخرى اسأل هؤلاء، هل يعني دعوتكم الكرد الى الانـدماج مـع العـرب تخلـيهم عـن ثقـافتهم و خصوصيتهم العامة؟ هل يعـني هـذا الانـدماج الغـاء تراث فني و ادبي و لغوي لهؤلاء الكرد؟

انـا ارى ان الانـدماج، ان كـان لابـد منـه، فهـو لا يعـني الغـاء الخصوصـية. نحـن الان يفـترض بنـا ان نندمج مع العالم من خلال العولـمة، و بالتـالي علينـا ان ننـدمج بتراثنـا الـذي بـه سـوف نغـني الـتراث الانساني، لا ان نتخلى عنه.

و ارى ان الكـردي حـر في تقبـل الانـدماج او رفضـه، و هـو حـر في ان يتخلـى عـن ثقافتـه و خصوصـيته ان اراد، لكـن ذلـك لـن يكـون موضـع ترحيـب مـن قبلـي. لأنـه بالغائـه لخصوصـيته يلغـي جـزء مهـم مـن تـاريخ المنطقـة، يلغـي صـلاح الـدين الأيوبي، و صلاح الـدين لم يكـن عربيـاً كمـا نقـرأ في بعـض الكتـب. فكيـف لنـا ان نتفـاخر بصـلاح الـدين الأيوبي و نقول للكرد: مـن فضـلكم انـدمجوا معنـا و انسوا تراثكم! اعتقد ان هذه دعوة عدمية.

+في بداية حديثك معي، وقفت عند ضرورة الحوار بين المثقفين الكرد و العرب، بالطبع فإن اقامة مثل هذا الحوار لا تبدأ بخطوة اولى لتنتهي بثانية، بمعنى انه علينا ان نضمن استمراراً لهكذا حوار، و انت تعلم أن المعوقات كثيرة امام ذلك. منها ان أي حوار في أي بلد عربي لن يكون بمنأى عن تأثيرات السياسيين في ذلك البلد، و ان تم في منطقة كردية سيتخلف عنه الكثير من المثقفين العرب بدعوى ان ذلك يرسخ من حالة التقسيم، و ان تم في الغرب فثمة من سينظر اليه بعين الشبهة. الا ترى معي ذلك؟

-طبعاً، انت هنـا تشـير الى وضـع متـأزم و عـام، و هـو لا ينطبـق فقـط، علـى مسـألة الحـوار الثقـافي العربـي الكـردي، بـل ينطبـق في شـكل مـن الأشـكال بإقامة أي حوار في أي موضوع في أي بلد.

فـإذا اردنـا مـثلاً اقامـة نـدوة حـول الفكـر الاسلامي المعاصر، و اردنا لأجل ذلك دعوة بـاحثين و مفكرين و ليس واعظين. سوف نصطدم بعوائـق كثيرة في أي بلد عربي او اسلامي. فـاذا اردنـا ذلـك في مصر لابـد مـن تواجـد الأزهـر فيهـا، و اذا اردنـا ذلـك في المغـرب، فسـيتم تحـت اشـراف الملـك، و في الأردن سـيكونوا الأخـوان المسـلمين، و في تركيـا ستتحكم فيها الأحزاب الدينية المختلفة التوجهات. لكن في كل الأحوال يجب الا نـرفـع النظـر عـن مثـل هـذه النـدوة رغـم العراقيـل الـتي تخـرج بهـا عـن هـدفها. و هـذا ينطبـق علـى الحـوار العربـي — الكردي. ليقبـل مـن يقبـل، و ليرفـض مـن يـرفض. لكن في النهاية لابد من أن يتم، ربمـا لـيس بالشـكل المطلوب، و حتـى ان تم في الحـدود الـدنيا المطلوبـة، فهذا يعني انه يتم خلق شيء نحن بحاجة اليه.

لابد من وجود مـثقفين لـديهم اسـتعداد لتجـاوز الأعـذار الواهيـة الـتي يتمسـك بهـا الـبعض الآخـر، و اقول ان مكان اقامة مثل هذا الحوار غير مهم، بقـدر

اهميـة و ضـرورة اقامتـه، و ان تعـذر ذلـك في بلـد عربي، فليكن في أي مكان اخر.

علينـا باسـتمرار ان نلـح في هـذا، حتـى لـو اصـطدمنا بعراقيـل في البدايـة، لأن الإلحـاح يلـين المواقف المتصلبة المانعة لدى البعض، فهذه المواقـف في النهاية ناتجة عن خوف اصحابها مـن أن يتهموا مـن قبل سلطات بلدانهم، و نحن بحاجة الا نخاف.

ما المشكلة في ان يواجه مثقف عربي ما سلطاته، و يقول: نعم كنت في حوار عربي – كـردي. انـا ارى ان مخاوف المثقفين، احياناً، مبالغ فيها. و الخوف من الفعل يتحول مبرراً لعدم الفعل.

علـى المثقـف ان يغـامر، لأن المغـامرة موجـودة في كل شيء يقوم به الانسان. و هنا اقول ان اقامة مثل هذا الحوار غـير مـرتبط بالضـرورة بحضـور الأسمـاء الثقافيـة اللامعـة دائمـاً، لأن معظـم هـذه الأسمـاء جالسـة علـى كراسـي تخـاف مـن فقـدانها، و هـذه الكراسـي هـي جـزء مـن مؤسسـات، و كلمـا ارتفـع منصـب المثقـف في مؤسسـه مـا، كلمـا ازداد خوفـه و حرصه على الاحتفاظ بمنصبه. و انـا، ربمـا اتحدث بهذه الحرية، و انا غير خائف او نادم، كوني لا املك كرسياً (منصباً). ففـي النهايـة لـيس لـدي مـا اخـاف عليه، و حريص علـى الا املـك شـيء، لأن في ملكيتي له سيظهر لدي خـوف عليـه، و ان خفـت عليـه فـإن ذلـك سـيجعلني اقيـد مـن حـريتي و حريـة افكـاري للحفاظ على ما املكه.

+في كتاباتك، حول العلاقة بين العرب و الولايات المتحدة الأمريكية، ركزت غير مرة، على أن الحوار العربي – الأمريكي يجب أن يكون حوار الند للند. هل تتبنى الرأي نفسه بالنسبة الى الحوار العربي – الكردي؟

-بالتأكيد، لا يختلف رأيي في هذا الحوار عـن ذاك، فالعرب ليسوا متفوقـون علـى الكـرد، و الكـرد ليسـوا أقل شأناً مـن العـرب و لا هـم أكثـر شـأناً. و بالتـالي، فـأن الطـرفين متسـاويان في الحـوار، مثقفـون مـع مثقفين، تنظيمات شعبية مع تنظيمـات شعبيـة، أي يجب أن يكون الحوار داخل منظومة واحـدة، و علـى أساس التكافؤ و الندية. فالكرد لا يطـالبون المـثقفين العرب بحل لمشكلتهم، بل مشـاركتهم في النقـاش لحـل هذه المشكلة. و أنا اشكرك الآن كونك طلبت مني أن أشـارك في مناقشـة القضـية الكرديـة، أي اعتـبرتني طرفاً في مناقشة هذه القضية.

علينا أن نعلم قبـل كـل شـيء، ان النديـة موقـف مبـدئي، اذ لـيس الآخـر هـو الـذي يجعلـك نـداً، بـل عليك أنت أن تقف على ارض الندية. و النديـة هنـا، ليس معناها العناد، بل أن أكون قادراً علـى فهمـك، و ان اجعلك انت قادراً على فهمي.

و أنا التقيت عدداً من المثقفين الكـرد في اوروبـا، و لا استطيع الا ان اعتـبرهم انـداداً. و هـا أنـت و انـا هنـا في هـذا اللقـاء نـدان، و لا املـك سـوى ان احـترم نديتك لي عبر هذا الحوار. فالندية هي ثقة بالنفس و لا يمنحها طرف ما للآخر.

عندما نتحدث عن حوار عربـي كـردي، لا اشـعر انني اتحدث عـن حـوار مـع الآخـر بـل حـواراً داخـل البيت الواحـد. و في مثـل هـذا الحـوار يمكن لأخ مـن

هذا البيت أن يطلب الاستقلال بنفسه عن باقي اخوته و عن البيت. و نزولاً عند رغبة هذا الأخ، تجتمع الأسرة لبحث موضوع خروجه و استقلاله بنفسه، لكن يجب أن يكون النقاش واضحاً، و لا يجب ان نخفي ما نريده تحت اغطية مزيفة. لنفرض انك ككردي تريد أن تكون لك دولة كردية مستقلة، فهذا من حقك، لكن لا يجب أن تخفي ذلك، و تظهر بأنك لا ترغب في ذلك. لأنه في هذه الحال، سيبقى النقاش و الحوار لا معنى لهما. و انا هنا لا ادعو الى العزلة و لا الى الانفصال، لكن يبقى هذا من حق كل البشر و كل الشعوب اذا ما ارادت ذلك. و انت تعلم ان هذا كلام في الفكر، و ليس كلام في السياسة، فالسياسة لها موازينها الخاصة.

+لنبق اذن، في الجانب الفكري، و لنفترض ان تسوية ما تمت للقضية الكردية الآن في جانبها العربي، لكننا نعلم ان مشكلة الكرد مع العرب في عقود مضت اتخذت مختلف اشكال الصراع العسكري و السياسي و الاستخباراتي، وصولاً الى تحالفات اقليمية و دولية لكل طرف من اجل كسب الصراع، كما لو بين أي عدوين، و ترك كل ذلك نتائج وخيمة و بشعة في نفوس ابناء الشعبين. برأيك، هل لصيغة حضارية ما، كشكل للعلاقة الجديدة، أن تمحي ما تركته العقود الماضية، بحمولتها و مآسيها، لدى الطرفين، و لدى الطرف الكردي بشكل خاص؟

-لو قسنا ذلك على ما حصل في جنوب افريقيا بين الاقلية البيضاء و الأغلبية السوداء، سنوات من الحروب و الضحايا كان احد هؤلاء الضحايا نلسون مانديلا، لكن امكن تجاوز كل ما حدث بحكمة شخص يدعى نلسون مانديلا، بعد خروجه من السجن، و استلامه رئاسة الجمهورية. المجازر التي حصلت خلال العقود الماضية وفق ما اشرت في سؤالك، كانت مجازر بحق كل الشعب العراقي، لكن بالطبع الشعب الكردي عانى منها بشكل مضاعف.

فاذا ما قلنا، مثلاً، ان الشعب المصري كله يعاني، لكن تبقى معاناة الأقباط مضاعفة كونهم مصريين اولاً، و اقباط ثانياً. و هذا ما ينطبق على الكرد في العراق، فهم عراقيون اولاً و كرد ثانياً، و لذلك معاناتهم تكون مضاعفة.

اعتقد، انه توفرت نوايا حسنة لالتئام الجروح، مرافقة لتغيير بنية النظام، و ظهور مناخ يجفف الدماء و الجروح العميقة بين الطرفين الكردي و العربي، فان تجاوز ما وصفته انت قبل قليل ممكن. لأن ثمة دلائل تاريخية تؤكد ذلك، لكن بالمقابل هذه الامكانية تحتاج الى وقت طويل، و جهود نابعة من حسن النية من الجانبين.

انظر مثلاً، الى العلاقة بين العرب و اسرائيل. ففي الوقت الذي لا يزال فيه الدم ينزف، ثمة سعي لحقن الدماء و التعايش السلمي، و نرى البعض من الفلسطينيين، بينهم المفكر ادوارد سعيد، يدعو الى دولة واحدة يعيش الفلسطينيون و الاسرائيليون فيها معاً.

نعود الى الموضوع الكردي، و من خلال علاقتي بالمثقفين العرب العراقيين و حديثي معهم عن القضية الكردية، اشعر ان الكثيرين منهم يدافعون

عن الحق الكردي دفاعاً قوياً كما لو انهم كرداً، و هذا له دور كبير في ردم الهوة التي تم حفرها بين الكرد و العرب.

+و لكن اذا كان موقف المثقف العربي هو بالشكل الذي قلته، الا يتطلب من باقي المثقفين العرب في البلدان العربية و خارجها، الموقف ذاته، و الى اية درجة في حال وجود هكذا موقف عام من قبل المثقفين العرب، ان يكون مؤثراً في تغيير نظرة و سلوك السلطات العربية ازاء القضية الكردية؟

-في رأيي أن موقف المثقف العراقي هو المهم بداية، فهم (المثقفون العراقيون) بمثابة الأخوة بالنسبة للكرد، و يعانون ما يعانيه اخوتهم، و موقفهم الايجابي هذا سيؤسس لموقف ايجابي عام لدى المثقفين في البلدان العربية الأخرى و الذين هم اولاد عم ان صح المعنى. و بالطبع، فان ذلك من شأنه ان يخلق رأياً عاماً له منبر للتعبير، و التأثير بشكل ما على بعض السلوكيات التقليدية للسياسيين.

أنا لا أدعي انه بامكان المثقفين خلق معجزات، لكن بامكانهم اعطاء دفع و سخونة للقضية عبر التحريض بأفكارهم. نحن جميعاً بحاجة الى تغيير في انظمتنا السياسية، و اعتقد ان قوة الضغط العام الفكري و الثقافي في ظل سياق العولمة لا يجب أن يستهان بها، و ان كان لدينا يأس من امكانية أن يكون للمثقفين تأثير في التغيير، فان ذلك ناتج عن حكمنا على الراهن. و انا مقتنع بان تأثير المثقف موجود و يمكن أن يتنامى مهما ادعت انظمتنا السياسية اننا غير مؤثرين و بإمكاننا ان نجعل هذه الأنظمة تتراجع عن بعض قراراتها، تراجعاً تكتيكياً احياناً، و استراتيجياً احياناً أخرى، و علينا أن نكون واعين لإمكاناتنا.

+هل من كلمة أخيرة، يود المفكر الدكتور نصر حامد ابو زيد ان يختتم بها هذا اللقاء؟

-اود أن اقول، انه في العرف الثقافي و الفكري كل شيء قابل للنقاش و قابل للحل. و حل القضية الكردية منوط بجهود المثقفين الكرد و العرب قبل ان يكون منوطا بأمزجة سياسيي الطرفين. مطلوب من المثقف الكردي أن يعي ضرورة فهم الآخر لقضيته، و تكثيف جهوده لأجل ذلك عبر الحوار الجاد و الصريح معه.

و مطلوب من المثقفين العرب، ايضاً، محاولة فهم القضية الكردية فهماً علمياً، و الشعور بضرورة أن يكون طرفاً في الحوار و النقاش حولها بغية التوصل الى حلول حضارية لها، من اجل مصلحة الشعبين و الثقافتين الكردية و العربية. هذه مهمتنا جميعاً، و قد ان الأوان للبدء بها. و اخيراً اشكرك جزيل الشكر

+شكراً لك.

*التهم جهاز التسجيل، ما يقارب دقائق من الحديث بصوت الدكتور نصر حامد ابو زيد، ورغم ان ذاكرتي احتفظت ببعض ما غاب عن ذاكرة الجهاز الا انني لم ارغب في تدوينه دون الاستناد الى وثيقة صوتية و اذ اشير الى ذلك، اقدم اعتذاري الى الدكتور ابو زيد، و من ثم الى القارىء. و العتب على التكنولوجيا.

*الكرد في الوعي الثقافي العربي- سالار اوسي.

وثائق

اسرار عذراوات الانفال وما بعد الانفال

عبدالله كريم محمود

ترجمه: عبدالواحد العلاف

من نائب عريف الى قائد الانفال

كان البعث مدرسة لتربية الجلادين النموذجيين الطفيليين، وحسب الظروف والازمنة الخاصة، وكان لهم تقييم خاص لمواجهة الثورة الكردية وابادة الانسان الكردي في كردستان، ففي عام 1963 كان الزعيم صديق يتمتع بصلاحيات واسعة مارس بها عمليات الابادة الجماعية في السليمانية والقرى المجاورة لها وفي بداية السبعينيات نفذ ناظم كزار عشرات الاعمال الارهابية وتغييب المئات من الكرد، وفي مستهل ثورة شعبنا الجديدة وفي منتصف السبعينيات الى الثمانينيات من القرن المنصرم نفذ الملازم محسن العديد من الجرائم المليئة بالمآسي والجينوسايد داخل السليمانية، هؤلاء واخرون من الجلادين نفذوا المذابح واعمال الابادة الجماعية ضد الانسان الكردي، واشهر هؤلاء (علي حسن المجيد) ابن عم صدام، الذي كان برتبة نائب عريف في معسكر كركوك، وكان قد وظف كل اهتماماته من اجل تنفيذ مخطط تغيير الواقع الديموغرافي لمدينة كركوك، لترحيل الكرد والتركمان، واول ترقية له كانت توظيفه كحماية لـ (حماد شهاب التكريتي) وكان هناك سببان لهذه الترقية:

1 ـ يعود الى التركيبة العائلية التي كان النظام العراقي يعتمد عليها.

2 ـ لان هذا الرجل كان من احد افراد عشيرتهم، ولم يكن له أي تاريخ حزبي او سياسي قبل تسنم حزب البعث السلطة في العراق.

كان علي حسن المجيد قادما من القرى الفقيرة، ليكون في حماية النظام، وبعد ان شهد عددا من الدورات العسكرية المكثفة تسنم مهاما بالغة الدقة في الاماكن الحساسة ومنها حماية القادة والقصر الجمهوري، اذ كان ينبغي ان يكون افراد الحماية من الاقرباء المقربين للقادة، ومن اصل واحد ليكون لهم مصير واحد، ان هؤلاء تربوا على ان القضاء على اقربائهم من القادة يعني القضاء عليهم، أي بمعنى اخر ان أي خطر يصيب القادة فان هذا الخطر يصيب العشيرة، ويؤدي الى القضاء على عوائلهم الذين يبتعدون عن القصر بضعة امتار، ان افراد الحماية مرتبطون بالنظام عن طريق مصالحهم، فاكثرهم كانوا يمارسون اعمال التجارة ويربحون الكثير، ويقيمون في اماكن مهمة ويقضون ليالي حمراء في النوادي الخاصة والمغلقة.[1]

وخلال الفترة الزمنية التي رقي فيها لم يكن لعلي حسن المجيد أي صوت لا في الحزب ولا في الدولة وحينما تكلم لاول مرة كان في اجتماع حزبي في 17 تموز 1979 وكان حديثه تفوح منه رائحة الدم وخلال محاكمة رفاقه بعد ان تمت تصفية (محمد عايش) بمؤامرة خبيثة فقد كسر حاجز الصمت والخوف والشك الذي كان يسيطر على جو القاعة فنهض وتوجه صوب صدام حسين الحاكم قائلا:

ما دام (عبدالخالق السامرائي) باقيا على قيد الحياة فان هذه المؤامرة سوف تستمر داخل الحزب انذاك اجابه صدام الحاكم بالقول: "خذها من هذه الشوارب" أي بمعنى سوف اقضي عليه. كان صدام يبحث عن رجل ليست في قلبه ذرة رحمة، ووجده في شخص ابن عمه حيث اختاره في عام 1987 قائدا لعمليات الانفال بموجب القرار 160 في 1987/3/29 الذي يحمل توقيع صدام حسين رئيس مجلس قيادة الثورة وبعدها تسنم مهام قيادة الجيش في الكويت والاشراف على عمليات القضاء على الانتفاضة الجماهيرية في وسط وجنوب العراق وقيادة اربعة فيالق في الجيش العراقي أي قيادة 40٪ من الجيش العراقي الذي كان قوامه عشرة فيالق [2].

القرار 160 في 1987/3/29 الصادر عن مجلس قيادة الثورة

اولا:

استنادا الى احكام الفقرة (6) من المادة الثانية والاربعين والفقرة (3) من المادة (43) من الدستور وتنفيذا لما تقرر في الاجتماع المشترك لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد في 1987/3/18 .. قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة في 1987/3/29 ما يلي:

اولا - يقوم الرفيق علي حسن المجيد عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي بتمثيل القيادة القطرية للحزب ومجلس قيادة الثورة في تنفيذ سياستها في عموم المنطقة الشمالية وبضمنها منطقة كردستان للحكم الذاتي بهدف

حمايـة الامـن والنظـام وكفالـة الاسـتقرار فيهـا وتطبيق قانون الحكم الذاتي في المنطقة.

ثانيـا ـ يتـولى الرفيـق عضـو القيـادة القطريـة، لتحقيق اهداف هذا القـرار صـلاحية التقريـر الملـزم لجميع اجهزة الدولة المدنيـة والعسـكرية والامنيـة وبوجـه خـاص الصـلاحيات المنوطـة بمجلـس الامـن القومي ولجنة شؤون الشمال.

ثالثا ـ ترتبط الجهات التالية في عموم المنطقة الشـمالية بـالرفيق عضـو القيـادة القطريـة وتلتـزم بـالقرارات والتوصـيات الصـادرة عنـه الـيي تكـون واجبة التنفيذ بموجب هذا القرار.

1 ـ المجلـس التنفيـذي لمنطقـة كردسـتان للحكم الذاتي.

2 ـ محـافظو المحافظـات ورؤسـاء الوحـدات الادارية التابعون لوزارة الحكـم المحلي.

3 ـ اجهزة المخابرات وقوى الامن والاستخبارات.

4 ـ قيادات الجيش الشعبي.

رابعـا: تلتـزم القيـادة العسـكرية في المنطقـة باوامر الرفيق عضو القيادة القطرية بكل ما يتصـل بـ (اولا) من هذا القرار.

خامسا: يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره وحتى اشعار اخـر ويوقـف العمـل بالاحكـام القانونيـة الـيي تتعارض واحكام هذا القرار.

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

ان هذا القرار صدر عن صدام لاطلاق يد الجلاد علي حسـن المجيـد، بغيـة تنفيـذ مخطط اوسـع مـن مآسي الجينوسايد التي بدأها[3].

الاعتداءات

تحـدث السـجناء السياسـيون عـن الاسـاليب اللاانسـانية الـتي كـان الامـن السـري العراقـي يمارسها لانتزاع الاعتراف من السجناء، فقد كانوا يستخدمون غرفـا خاصـة للتعـذيب، حيـث يجـرد السجناء مـن ملابسـهم ويعلقـون في سـقف الغـرف وكـل مـن لم يـدل باعترافـه كـان عليـه ان يشـهد عمليـة اغتصـاب ابنتـه او شـقيقته مـن قبـل عناصـر الامـن، في الكـثير مـن المـرات كـان افـراد الامن يقبضون على فتيـات جمـيلات مـن الشـارع ويعتدون علـيهن جنسـيا داخـل كابنـة خاصـة في بنايـة الامن الحمراء بالسليمانية، وكانوا في بعض المـرات يصـورون عمليـات الاعتـداء لاسـتخدامها لتلبيـة حاجـاتهم في الايـام اللاحقـة. وفي كـل عمليـة اعتـداء كـانوا يحتفظـون بقطعـة لبـاس داخلي للضحية داخل الكابنة[4].

الفتيات المؤنفلات

يمتلك المجتمع الكردستاني ميـزة كرديـة خاصـة من ناحيـة التركيبـة الاجتماعيـة ففـي هـذا المجتمـع ومـن اجـل تكـوين العائلـة تراعـى احكـام الـدين الاسلامي الحنيـف، المـرأة الكرديـة في القـرى تمتلـك حريـة العمـل في جميـع مجـالات تلـك الحيـاة، ففـي الريف تعمل المرأة الفلاحة الى جانب الرجل وتشارك

في جميع اعمال الزراعة وتربية المواشي هذا فضلا عن دورها الاساس في تربية الاطفال ورعاية البيت.. المرأة الكردية الطاهرة والعفيفة نالت نصيبها من ظلم واضطهاد سلطات البعث الدكتاتورية فقد قام ضباط الامن والاستخبارات والبعثيون وبعيدا عن كل الدساتير والاحكام والقوانين ومبادىء حقوق الانسان وبعيدا عن القيم السماوية وفي اكثر الاعمال وحشية بالاعتداء على شرف البنات الكردية و التركمانية والمسيحيات والاشوريات والنساء الكويتيات ايضا.

ففي اواسط الثمانينيات تلقي مديرية امن السليمانية القبض على احدى الفتيات المسيحيات كونها جميلة جدا وبعد ان تقوم مجموعة من عناصر الامن بالاعتداء عليها جنسيا وبعد ذلك تقتل.

وهنا نشير الى وثيقة مهمة جدا وهي عبارة عن كتاب صادر عن مديرية مخابرات التأميم تعبر عن مدى وحشية اجهزة النظام البعثي في تعاملها مع الفتيات الكرديات المؤنفلات فقد جاء في الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

(سري وعلى الفور)

العدد/ 1601

التاريخ 1989/12/10

مديرية مخابرات محافظة التأميم

الى مديرية المخابرات العامة

الموضوع/ اجراءات

بعد الإيعاز المباشر من لدن القيادة السياسية وقيامنا بعمليات الانفال الاولى والثانية والتي تم فيها حجز مجاميع مختلفة من الاجناس ومن تلك المجاميع مجموعة من الفتيات التي تتراوح اعمارهن بين (14 ـ 29) سنة وقد قمنا وحسب اوامركم بارسال مجموعة من تلك الفتيات الى الملاهي والنوادي الليلية لجمهورية مصر العربية وحسب طلبهم واليكم طيا قائمة باسماء تلك الفتيات مع عمر كل واحدة منهن للتفضل بالاطلاع مع التقرير.

كلاويز عادل رحيم 17، **جيمن نازم عباس** 23، **ليلى عباس جوهر** 21، **لميعة نازم عمر** 19، **بيمان شكر مصطفى** 16، **خراسان عبدالله توفيق** 20، **قدرية احمد توفيق** 17، **كوليك ابراهيم علي** 19، **خولة احمد فخرالدين** 25، **عصمت قادر عزيز** 24، **نجيبة حسن علي** 18، **حسيبة امين همزة** 29، **شلير حسن علي** 20، **شكرية رستم محمد** 27، **حسيبة هدايت ابراهيم** 15، **كويستان عباس محمد** 26، **سروه عثمان كرم** 17، **سوزه مجيد** 29.

التوقيع

مديرية مخابرات محافظة التأميم

1989/12/20

ان هذه الوثيقة تؤيد ان اكثرية الفتيات من كرميان وتتراوح اعمارهن بين (14 ـ 29) عاما وتشير معلوماتنا الى انه تم عزلهن عن عوائلهن في القاعات الموجودة في طوبزاوه، وقد قام مسؤولو البعث الوحشيون بالاعتداء على مجموعة منهن جنسيا وبعد ذلك قتلن اما الباقيات فقد جرى

ارسـالهن الى الـدول العربيـة ومنهـا مصـر (كمـا في الوثيقة) والسعودية والكويت.

ان مثل هذه الجرائم لم ترتكب في ايـة دولـة في العالم وخاصة بعد الحرب العالمية الثانيـة، هنـا ومـن المناسـب ان نـدعو جميـع منظمـات حقـوق الانسـان والمنظمـات الدوليـة والنسـوية والصـليب الاحمـر ان تجـري تحقيقاتهـا بغيـة الكشـف عـن مصير الفتيـات العذراوات الكرديات اللاتي هن ازكى من ملك الكتـب الاسطورية، هل هن على قيد الحياة؟ او انهن ما زلن في المكان المخزي الـذي ارسـلن اليـه مـن قبـل وحـوش البعث وجرى غسل ادمغـتهن ويمارسـن الرذيلـة الـتي هـي بعيـدة كـل البعـد علـى الاخـلاق والقـيم الكرديـة ينبغي لحكومة الاقليم وبالتعـاون مـع منظمـات حقـوق الانسـان والمنظمـات الدوليـة وبـدعم منظمـات حقـوق الانسـان في مصـر ان تقـوم بـاجراء متابعـة ميدانيـة لقضـية الفتيـات الكرديـات للكشـف عـن اسـرار الجانـب الاخـر مـن عمليـات الانفـال السـيئة الصـيت ليتجلـى بوضوح اكثر للجامعة العربية وجميع منظمات حقوق الانسان مدى وحشية نظام صدام المقبور[5].

صيحة الانفال

يـروي احـد الاصـدقاء سـيرة احـدى النسـاء الكرديـات مـن بهـدينان انهـا وحينمـا كانـت حـاملا وعلـى وشـك الـولادة، اركبوهـا قسـرا في بـاص مـع مجموعـة مـن النسـوة الكرديـات وتوجهـوا بهـن نحـو جنـوب الموصـل وفي الطريـق شـعرت المـرأة الكرديـة بـالام الـولادة، وتتوجـه السـيارة نحـو بغـداد دون ان تتوقـف رغـم صـيحات النسـوة الراكبـات في السـيارة وطلبهن من السائق وقف السيارة الا انه يرفض ذلـك وفي الطريق تلد المرأة الكردية ويكتـب للوليـد الحيـاة فيسمى (هاوار)[6].

ان هـذا المنظـر المليء بمأسـاة ام تلـد وتعـاني الام الولادة داخل باص مليء بالبشر عن ماذا يعـبر سـوى عن وحشـية البعـث، ومـاذا تـرك المنظـر لـدى ركـاب الباص من خوف ورهبة ورعب.

اشرطة الفيديو

في الاسبوع الاول مـن شـهر اذار مـن عـام 1991 اندلعت الانتفاضة الشعبية في السـليمانية وتم حـرق مبنى مديرية امن السليمانية وداخل المبنى استولت قوات البشمرطة على العديد من الوثائق ومـن بينهـا اشـرطة فيـديو سـجلت لنسـاء جـرى تعلـيقهن مـن نهودهن في غرف التعذيب هذا فضلا عن العثور على بقايـا عظـام المعـتقلين الـذين فـارقوا الحيـاة تحـت التعذيب[7].

يروي احد الضباط السابقين في الجـيش العراقـي برتبـة مقـدم انهـم تلقـوا اوامـر بقتـل جميـع البيشمركة وحتى الذين يسلمون انفسهم الى سـلطات البعث وكـذلك الفلاحـين الـذين يزاولـون الزراعـة في المنـاطق الـتي اطلقـت سـلطات النظـام البعثـي عليهـا مناطق محرمة اذ اعتبروا بيشمركه وكان من بيـنهم فلاحـون بعمـر 15 عامـا واخـرون بعمـر 60 عامـا ويقتلون لانهم حسب جلاوزة البعث "مخربون"[8].

ان هذه المشاهد السريعة التي قرأتها في المواضيع المطروحة في هذا القسم والمليئة بالمآسي والويلات الانسانية لم نر لها مثيلا في اية دولة بالعالم انها مشاهد تقلل من شأن القيم الانسانية ولا نجد لها مثيلا اللهم الا في عهد العبودية التي استعبدت فيها القيم، لقد جرى تغييب 182000 الف انسان من النساء والفتيات والاطفال والرجال والشيوخ خلال سبعة اشهر و ثماني مراحل انفالية من 1988/3/21 الى 1988/9/6 هنا ينبغي لنا العمل وبجدية من اجل ايلاء اهمية بالغة بجميع مراحل الانفال وما بعد الانفال والمقابر الجماعية. من المؤسف ان كل ما تم بشأن الانفال لحد الان ليس بالمستوى المطلوب وليس بمستوى حجم المأساة، وهذا بسبب ان الاعمال هذه لم تأت على اساس من تخطيط مسبق ودقيق وعلمي.

المصادر:

1 - زهير الجزائري - لندن - قبل الانفال وبعد الانفال النسيان، مركز برايتي العدد (4) الصفحة 54 و 55.

2 - المصدر السابق نفسه.

3 - المجلد الاول من كتاب رياح السموم والانفال، من منشورات وزارة الثقافة - السليمانية 2002.

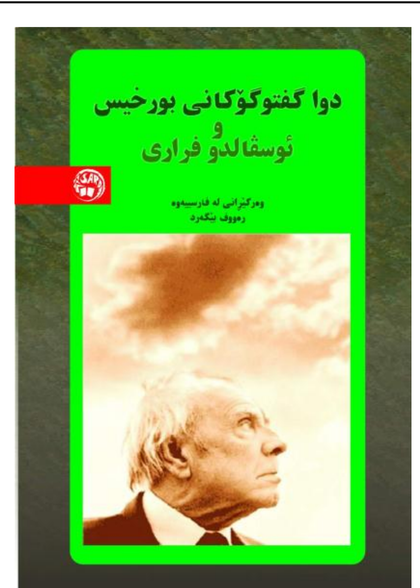
4 - قتل الكرد في العراق بمثابة الرياضة، اراس محمد غريب، العدد 84 كردستانى نوى.

5 - المجلد الثاني من رياح السموم والانفال.

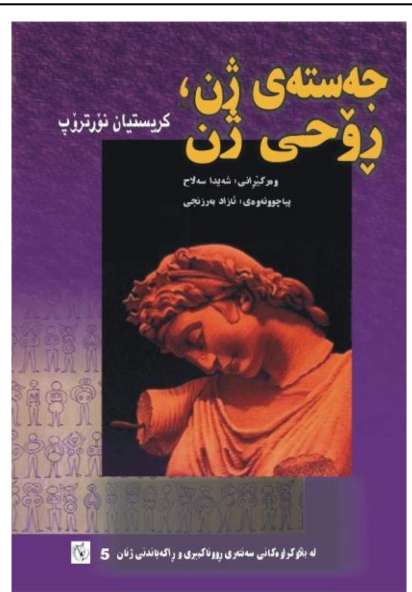
6 - ب. د . ازاد امين النفشيندي جامعة صلاح الدين اربيل عمليات الانفال ملاحظات والسمات الرئيسة، مركز برايتي العدد 24 ص 104.

7 - ب . د منذر الفضل - السويد خروقات حقوق الانسان والجرائم الدولية في العراق. مركز برايتي العدد 24 ص 122.

8 - ب .د ازاد امين النفشيندي جامعة صلاح الدين اربيل عمليات الانفال ملاحظات والسمات الرئيسة مركز برايتي العدد 24 ص 102.



اللقاءات الأخيرة بين بورخيس و اوسفالدو
ترجمة: رؤوف بيكرد



جسد المرأة، روح المرأة
ترجمة: شيدا صلاح

وثيقة

براءة الى اطفال كردستان*

هادي العلوي

المفكر العراقي هادي العلوي، كان من اوائل المستنكرين لما قام به جيش النظام العراقي من هجوم بالأسلحة الكيميائية على مدينة "حلبجة" الكردية في اذار (مارس) 1988.
و قد جاء استنكاره لجريمة العصر هذه، على طريقته الخاصة. فقد اعلن في رسالة بعث بها الى اطفال كردستان، تخليه عن هويته العراقية، مستجدياً اياهم قبولهم براءته كعراقي من دمهم.
تقديراً للمواقف المبدئية و الأنسانية للمفكر العلوي و تكريماً منا له في غيابه. ننشر نص "براءته" هنا:

ليس من المعقول ابداً و ليس من المنطقي ابداً ان يستمر هذا النهر من الدم في الجريان دون ان يسعى احد لتسكيره، أي عشق للقتل يتلبس هذا الرجل الذي لم يعد قادراً على العيش خارج هذا النهر؟ حتى كأن السلطة لم يبق لها معنى لديه سوى تحرير مراسيم الموت بلا حدود، و بلا سبب، و بلا هدف.

ان أي قاتل محترف، جائع، مريض، قد يمر بفترة استراحة يتكلم بها مع نفسه، و ربما يطرح عليها سؤالاً عن بعض من اختارهم للقتل ان كان قد احسن الاختيار، لكن هذا القاتل/ البدعة لا يريد ان يستريح، يرفض ان يأخذ اجازة يطرح فيها على نفسه هذا السؤال.

ان الدفاع عن السلطة في العالم الثالث يستوجب القتل لتثبيتها، و هو قد يقتل من الناس ما يكفي لتثبيتها طيلة عشرين عاماً، و مع ذلك فهو لم يتوقف عن لعبة الموت، صار وجوده في الحكم يتركز في معنى ان نهر الدم يجب ان لا ينقطع عن الجريان لأن انقطاعه يجعل سلطته بلا معنى.

□

ابـاد مـن رعايـاه في المـدة مـا بـين 1968 و 1980قرابـة عشـرين الفـاً، معظمهـم بوسـيلته المفضلة: التعذيب، الذي يشمل اقرب خلصائه، تقـول الروايات انه اعدم ناظم كزار مدير امنه العام نشـراً بالمنشـار لأنـه تحـداه في المحكمـة الخاصـة، و تقـول اخـرى انـه سـلق وزيـر صـناعته محمـد عـايش في طنجرة نحاس (صفرية) لأنـه تجـرأ عليـه في محكمـة مماثلة. و الخيال الشعبي حين ينسج هذه الصور انما يسـتند الى ارضـية، هـي الـتي تفسـر لنـا معظـم مـا نقـرأه في التـاريخ القـديم و الحـديث مـن الأمـور الخارقة. فهي ليست مجرد حكي يتناقلـه النـاس دون مضـمون ارضـي. و مـن الايـرانيين مليـون، في حـرب كلفت جيشه نصف مليون، كثير منهم اعدمتـه فـرق الاعدام العاملة وراء الخطوط لظنـة تقصير او جـبن او تراجع.

و اليـوم و قـد سـكتت الجبهـة الايرانيـة، تتوجـه الفيـالق الى كردسـتان، الجيش العراقـي هنـاك معلنـاً عن حضور بنفس الكثافة، و بنفس المعدات، و نفس الطريقـة في القتـال دليـل علـى ان اندفاعـه في تلـك الجبهة لم يكـن بسـبب معنويـات خاصـة نسـبها اليـه انصـار الـدفاع عـن الـوطن مـن العـراقيين، فهـاهو يواصل في كردستان حروبه الاجرامية بكل بشاعتها، كنت اقول لهم ان هذا الجيش سـيقوم بـنفس المهمـة حين يكلف بالهجوم على بيوتكم.

ان ما يجري في هـذه الأيـام يتحـدى الخيـال.. و لا يعبر عنه بقـاموس.. اشـعر بـالعي و صعوبة الكـلام، ابحث عن مفردات مطابقة و تتعذر علـي، صـدقوني اني بحثت لعلي اجد ما يساعدني على تحرير وصف لما يجري في كردستان العراقية فلم تسعفني اللغة، ان الافادات التي ادلت بها منظمة العفو الدولية و بعض الحكومات في اوروبا قد عبرت عن الدهشة.. غير انها لم تدخل في عمق المفارقة.. كيف يكون هذا الجيش؟ كيـف يكـون هـذا الرجـل الـذي يعطيـه الأوامـر؟ ان الجنود العراقيين يجتـازون في هـذه السـاعات الحـدود التركيـة ليصـبوا حمـم مـدافعهم علـى مخيمـات اللاجئين الكرد. هـل سمـع احـد بهـذا مـن قبـل؟. ان اللاجـئين مـا ان يجتـازوا حـدود بلادهـم حتـى يصـبحوا امـنين بحكـم الأعـراف الدوليـة، امـا ملاحقتهم وراء الحدود، وهم مجرد لاجئين، و بعـد ان يكونوا قد سكنوا الخيام، لاستكمال ابـادتهم فهـذا من خصوصـيات جيشـنا و قائـده العـام. لقـد امسـت الهمجية التركيـة بعراقتهـا في العـدوان علـى شـعبنا و الشعوب المحكومة بها مـلاذاً لهـؤلاء النـازحين، و لـولا جـبن هـذا الجـيش و خوفـه مـن الأتـراك لكانـت المخيمات الكردية قد امحت من الوجود الآن.

يهجـم الجنـود العراقيـون علـى القـرى الكرديـة لينفـذوا خطـط ابـادة منظمـة، كمـا تقـول حرفيـاً منظمة العفـو الدوليـة في موقـف اسـتثنائي خرجـت بـه علـى لغتهـا الانجليزيـة المحايـدة، هـذه القـرى الوديعـة، البسـيطة، المتصـوفة في زوايـا الجبـال طالمـا فاضـت علـى العراقـي بـاللبن و العسـل و اسـتقبلته بنـداء كاكـه الـذي يعـني عنـد الكـرد انـك امـن علـى نفسك و مالك و كرامتك الشخصية. فالكردي العادي هو مثل سفوحه الخضراء لا يصدر عنـه الا الطيـب.

حتى لصوصهم و قطاع الطرق منهم يسلكون من القيم الأخلاقية ما لا تملكه اكثر الجيوش تحضراً.

يمسحها الجندي العراقي بحذائه المحمل بالغاز السام، ثم يجمع ما يتبقى فيها من الأطفال و الأمهات و الجدات حتى يتمتع برؤيتهم و هم ينامون كالفسائل المقطوعة تحت اخماص بنادقه الرشاشة، لم يتردد الجندي عن اداء هذا الدور، لم يأخذ الندم، و لم يسأل الطيار نفسه على من يرمي قنابله الكيمياوية، ناهيكم عن ان يفكر بالنزول بطائرته في بلد آخر لكي يكتسب الجنسية البشرية و يعلن للعالم حقيقة ما يجري في هذا البلد العجيب، كلا ابداً، بل اقولها عن تثبت - و نحن ابناء قرية واحدة كما يقول المثل العراقي - انه سيعود بعد ان يفرغ حمولته على غرف نوم الكرد ليحدث زوجته او عشيقته عن بطولته لذلك اليوم.

ايها الطفل الكردي المحترق بالغاز في قريته الصغيرة، على فراشه او في ساحة لعبه، هذه براءتي من دمك اقدمها لك، معاهداً اياك الا اشرب نخب الأمجاد الوهمية لجيوش العصر الحجري، و لا امد يدي الى واحد من انظمة العصر الحجري، اقدمها لك على استحياء ينتابني شعور بالخجل منك و يجللني شعور بالعار امام الناس اني احمل نفس هوية الطيار الذي استبسل عليك و ليت الناس اراحوني منها حتى يوفروا لي براءة حقيقية من دمك العزيز انا المفجوع بك، الباكي عليك في ظلمات ليلي الطويل، في زمن حكم الذئاب البشرية الذي لم نعد نملك فيه الا البكاء.

اقبلها مني ايها المغدور: فهي براءتي اليك من هويتي.

هادي العلوي 1988/8/23

هامش:

*النص مستل من مجلة "رسالة العراق" العدد 94 تشرين الأول 1988. و المنشور ايضاً في كتاب: (الكرد في الوعي الثقافي العربي – سالار اوسي).

تراث

الاعداد بين التراث و الباراسايكولوجي

دراسة مقارنة بين العربية و الكردية

عبر لغة العددين [3] و [7] و خصوصية و فعالية الأحداث فيها

أ.د. نسرين فخري

و انا ابحر مع العدد (7- سبعة)، اتغلغل، والتقط من هنا و هناك ما يفتح السبيل امامي لمحاورتها و الوقوف على سر ما فيها، اذا بالعدد (3) يفرض وجوده في اكثر من مكان، و في اكثر من موقف.. في البداية لم اعر هذه الظاهرة تلك الاهمية لأنني بصدد بحث خاص به بعد هذا البحث، لكن ما ان بدأت الترحال معها، حتى بدأت لغة العدد (7-سبعة) و هي تتغلغل في ثنايا لغة العدد (3-ثلاثة)، تدفعني باصرار الواثق الى جمعهما معاً في بحث خاص يحتضن العديد من مواصفات و خصوصيات لم يستطع البحثان المستقلان التقاطهما و تسجيلهما كأدلة و مؤشرات مهمة على طريق التعرف عليها اكثر فاكثر، و قد تشربا من قدسية الهية و سريا في عروق الحياة نهجاً يوطد – صلة الارض بالسماء عبر الانسان - خليفة الله – على هذا الكوكب المعنى به و معه. فالقاسم المشترك بينهما خيوط مضيئة تشدهما الى بعضهما كالبنيان المرصوص، و تنير درب المصمم على اخراجه للنور.

رحلة الابحار معهما لم تكن سهلة، لكن وضع يدي على الخيوط و الخطوط التي توصلني الى الهدف المنشود كان وراء تمهيد الدرب – و مسافة الف ميل تبدأ بخطوه" اذا احسن المرء اختيار موقع

تلك الخطوه، للسير بخطوات ثابته موزونة نحو سر هذا التداخل و ذلك التآلف الوطيد بينهما، و لكي نزيد البحث و ضوحاً، قررنا جمع الافعال و الاحداث المتداولة فيهما و بينهما دون سواها و تحليلها و تفسيرها كأدلة اخرى على سر تناقلها عبر الازمان السحيقة في القدم، فكان هذا البحث المتواضع الذي نأمل ان نكون قد حققنا بعض غايتنا منها خدمة للمجتمع لغة و تراثاً، متضمناً صلاة شكر للخالق الذي من علينا بالتالف بين القلم و الكلمة الطيبة – (ن و القلم و ما يسطرون) صدق الله العظيم.

هذا الى جلب الاهتمام اليها، و قد بدأت تحت رحى الحضارة، و معمعة الحياة المتشابكة، و لهيب الرياح الأتية الدخيلة من هنا و هناك تفقد هذا الكنز الثمين و هذا الموروث الاصيل، بعض اصالته و تشوه جوهر قواعده بل يكاد ينسى عند البعض الا حين الحاجة اليه دون الاحساس به، و ربما البعض يخونه الحظ في التشبث به عند الضرورة، لأنه ادار له ظهره او ادير له، فعلى من تقع اللائمة يا ترى؟!.

بدءاً نقول و كما ذكرنا سابقاً.. بان لهذه الاعداد لغتها الخاصة و العامة، المكشوفة و المكنونة كالسهل الممتنع، فهي غير اللغة الكلامية، و غير اللغة الاشارية، و غير اللغة الصوتية، و غير اللغة الاحصائية، بل لغة تعبيرية متفردة قائمة بذاتها، تدور كل تلك اللغات في مدارها عبر مسار الزمن السحيق، و عبر مدار اللغة العريق، امتداداً الى الحاضر و ولوجاً في غياهب الآتي..

"و ما اوتيتم من العلم الا قليلا"، "و علم الانسان ما لم يعلم"، اليس الخالق عبر خلق الكون و مكنوناته علم الانسان عن طريق العقل كيف يتأمل؟ و كيف يفكر؟ و كيف يسطر لنفسه قوانين للحياة يحميها و يحتمي بها؟!

"يستشف (هوبر) وجود ثلاثة –3- احصائية – فتكرار الأمر عينه ثلاث (3) مرات، او اية عملية من هذا القبيل يعطي الانسان البدائي الدليل على انه ليس امام مصادفة عادية و انما في حضرة واقعة تخضع للقوانين.. ان استمرار هذا النمط شبه البدائي يؤلف واحدةً من غرائب المنطق البشرى".

فهذا القول ينطبق حتماً على العدد (7 - سبعة) و على العدد (40 - اربعين) عبر الادلة الدينية و التراث الاسلامي و مضاعفاته الحسنة بعشرة و الحسنه بسبعين و سبعمائة الى اخره تاكيد يقطع الشك باليقين بواقعية الحدث و حدوثه.

"فما ورد في الانجيل مثلاً كما في الكتب المقدسة بان الرقم (7 – ما هو الا رمز لقوى الله الغامضة، او الروحانية، كما تكمن في ظل الرقم (7) اسرار الأهمية الرئيسة في انه القاسم المشترك للحركة في الزمان، كما يمثل الحد الاعلى لمكونات اجزاء المكان البشرية"..

و "يقول: كونتينو – كما ان للاسم سلطاناً في تفكير القدامى، فان سلطان الأعداد يعتبر نتيجة طبيعية كانت تعتبر وسيلة من وسائل التعبير فتضفي صفاتها الخاصة بها على الشيء الذي ترتبط به، و لهذا فقد اكتسب الأعداد الصفة المقدسة التي

ادت الى اعتبارها احد انواع اللغة القدرة على التعبير عن كل فكرة".

"يستهل –زيرمان- كتابه بهذه الكلمات: يحتوي العدد على الحكمة الاسمى في الصورة الاكثر اقتضاباً، بأنه القانون الداخلي، النظام العظيم، الكون بأسره مشيد عليه"[1].

و "المدهش حقاً هو.. ذلك الايمان الحدسي بأهمية العدد، الايمان الذي بقي حياً على الرغم من تعاقب القرون، وجد اليوم ما يوطده في التحليل النفسي و الابحاث السيكولوجية المتعلقة به.. انه موقف نمطي من تطور المعرفة البشرية"

..و قوة العدد عند (فيلولاوس) – هذا المفكر هي مبدأ الوجود بقدر ما هي ايضاً مبدأ قابلية ادراك ما هو موجود، ذلك ان طبيعة العدد تمنح المعرفة، فهي توجه و تعلم ايا كان بصدد كل امر مشكوك فيه او مجهول.. فالعدد يطابق الاشياء مع ادراك الحواس داخل النفس..

ان طبيعة العدد و التناغم لا يعرفان الكذب.. الكذب لا يلج ابداً الى العدد، انهما خصمان لدودان..

اذن انها اعداد في دائرة الزمن و مدار اللغة، انفردت دون غيرها لتحتل مكانة بارزة في تاريخ التراث الانساني، الاسلامي، فأينما التفت و رغم زخم تلك الثروة القومية المتوارثة –التراث- لابد و ان تحسب لهذه الأعداد حسابها، حيث عمليات رياضية تتضارب فيها وقائع علمية مع خرافات و اساطير و مفاهيم كانت سائدة، و عادات و تقاليد موروثة و مقتبسة من واقع الحياة الاسلامية و ما قبل الاديان السماوية.

فالبحث و التنقيب عن سر تلك الاعداد و ما توظفها في صياغة الحدث و ما تختار من فعل الى جانب الجوانب المذكورة اعلاه و كشفه يكشف لنا القناع عن جوانب عديدة عن مفاهيم و قيم شرائح المجتمع المتفاوتة فمنها ما كانت تسري دواء تعالج النفوس، تخلق من ذاتها طبيباً و مرشداً و هادياً، و كاشفاً عن كوامن و خفايا و كينونة هذا الكائن و الكون المحيط به. كيف ولدت؟ كيف توالدت؟ كيف تغلغلت و كيف ترسخت في ذاكرة الأذهان؟!

نحن هنا لا نريد العودة الى اوليات العددين اللذين افردنا لكل واحد منهما بحثاً مستقلاً[2،3] صارا مدخلاً لهذا البحث الذي هو جمع لشملهما لما بينهما من اكثر من قاسم مشترك، يضاف الى البحثين متمماً اصلاً يفتح الطريق الى دفعه الى طريق التكامل المرضي عبر من يريد سبر غوره و ارضاء طموحه اكثر من الباحثين، و لعودة واعية للتراث في جمعه و دراسته.

الباراسايكولوجى – قاسماً مشتركاً بينهما حدثاً و عدداً

"و حكي ان (يوسف) يوم دخل على الملك عمره (30) ثلاثين سنة (مضاعفات الثلاثة)، و ان الملك خاطبه بسبعين لغة – (مضاعفات السبعة)، و في كل ذلك يحاوره بكل لغة منها فأعجبه ذلك مع حداثة سنه و الله اعلم"[4].

هــذا الترابــط و التوافــق مــاذا يعنيــان؟! اهــو الصدفة؟!

تجنباً للاطالة و التكرار اشرنا الى هذا الجانب بهذا المثال فقط، للمزيد يمكن مراجعة البحثين الخاصين بكل عدد على حدة. الموثقين في (مركز البحوث النفسية – الباراسايكولوجي -) حيث القي البحثان ضمن ندوتين من ندوات المركز مع نيلها شهادة تقديرية – الباحثة.

العددان (3) و (7) و القاسم المشترك اللغة و الحدث و التآلف

قصة يوسف التي جاء ذكرها في موضوع الباراسايكولوجي – ضمن هذا البحث، و هي: "و حكى ان يوسف يوم دخل على الملك عمره (30) سنة (30=3) مضاعفات (3) عشر مرات و ان الملك خاطبه بسبعين لغة – (70÷7=10) مضاعفات (7) عشر مرات، و في كل ذلك يحاوره بكل لغة منها فأعجبه ذلك مع حداثة سنه و الله اعلم".

و قد اختلفوا في مقدار لبثه في بطنه (أي يونس في بطن الحوت)، فقال مجالد عن الشعبي – التقمه ضحى و لفظه عشية و قال قتاده: مكث فيه ثلاثا (3)، و قال جعفر الصادق سبعة ايام، و قال سعيد بن ابي الحسن و ابو مالك: مكث في جوفه اربعين يوماً.. و الله اعلم كم مقدار ما لبث فيه[5].

-(22) "فانتدب هذان الشابان لعقرها، و سعوا في قولهم بتلك، فاستجاب لهم (7) سبعة اخرون فصاروا تسعة (9) رهط يفسدون في الارض و لا يصلحون"[6].

استجابة من (7)

-الكواكب (7) مع الشمس و القمر (9)

-ليلة القدر في السابع و العشرين (27) من رمضان حيث تنزيل القران (27÷3=9÷3=3÷3=0، و الشهر بشكل عام (30) يوم).

-الوليد يولد في الشهر التاسع (9) مضاعفات (3) و الخدج في الشهر السابع، دون هذا يموت.

فهل التوظيف تبركاً ام حقيقة؟!

و كان العراقيون يعلقون اهمية خاصة على ملاحظة اليوم السابع و الرابع عشر و الواحد و العشرون، و الثامن و العشرون. البدء بالسبعة و الانتقال الى مضاعفته الى (4) مرات (28) و الواحد و العشرون: مضاعفه للعدد (3) سبع مرات (21÷3=7، دورة القمر باوجهه الاربعة.

-عن زوجات اسماعيل (ع) و قيل هذه ثالثة، فولدت له اثني عشر ولداً ذكراً، و دفن نبي الله اسماعيل بالحجر مع امه هاجر و كان يوم مات (مائة و سبعاً و ثلاثين سنة (137)[7]

-قالوا: و خرجوا مع موسى و هم ازيد من ستمائة الف مقاتل 600.000 – مضاعفات (3)، و في نص اهل الكتاب: انهم كانوا (70) سبعين نفساً (مضاعفات السبعة).

-و عند اهل الكتاب: ان عمر يعقوب يوم دخل مصر (مائة و ثلاثون سنة (130)، و عندهم انه اقام بأرض مصر سبع عشرة سنة (17) اهي الصدفة ام قرار ام للتبرك؟

لاحظوا: "و مع هذا قالوا: فكان جميع عمره (140) سنة – مائة و اربعين سنة"[8]

"الشهر (30) ثلاثون يوم، فيه اسابيع اربعة، كل اسبوع (7) سبعة ايام."

-ليلة القدر و تنزيل القران في (27) من شهر رمضان

0=3÷3=9÷27

0=3÷3=3÷9=3÷27

-قالوا: ثم مرض ابراهيم (ع) عن (175)، و قيل: تسعين (90)

25=7÷175 / 0=7÷7=25÷175

0=3÷3=10÷30=3÷90

-و عن ابي هريرة: ان رسول الله (ص) قال: و كان طول ادم ستين ذراعاً (60) في (سبعة اذرع (7)

20=3÷60 ، 0=3÷3=20÷60

الشرذمة في اللغة بين (3-7) للبدء و الانتهاء

-و قد اختلفوا في مدة بلواه (أي ايوب) على اقوال، فزعم وهب انه ابتلى ثلاث سنين لا تزيد و لا تنقص، و قال انس انه ابتلى سبع سنين و اشهراً، قال حميد: مكث في بلواه ثماني عشرة سنة، ثم تساقط لحمه حتى لم يبق الا العظم و القصب، فكانت امرأته تأتيه بالرماد و تفرشه تحته، فلما طال عليها، قالت، يا ايوب: لو دعوت ربك لفرج عنك، فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهل قليل لله ان اصبر له سبعين سنة؟[9]

-في طلب الشفاء: "ضع يدك على الذي تألم من جسمك و قل: بسم الله ثلاثاً (3)، و قل سبع مرات: اعوذ بالله و قدرته من شر ما اجد و احاذر"[10].

-ايام العزاء (3) الى (7)

زيارة القبر في اليوم الثالث او السابع، او معاً

توزيع الخيرات في اليوم الثالث او السابع، او معاً

-و قال كلكامش و هو يجسد لصاحبة الحانة حقيقة الموت و بشاعته بشخص صديقه (انكيدو):

ندبته ستة ايام و سبع ليال

و ابقيته ستة ايام و سبع ليال

-يقدس اليهود اليوم السابع من الاسبوع و هو (السبت) و يجعلونه يوم راحة، و يرجع هذا الى ان الله – في التوراة – خلق العالم في ستة ايام و استراح في اليوم السابع[11].

عند الاسلام في هذا اليوم – أي السابع – استوى على العرش.

-و تذكر الاسطورة السومرية: "ان الطوفان استمر سبعة[7] ايام و ليال، و في الاسطورة البابلية – ستة ايام و تراجع في اليوم السابع[12].

"..فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج و سبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة".

3+7=10، لاحظوا جمع العشرة بـ(3+7)

-ستة سنين تزرع ارضك و تجمع غلتها... 11 –

و اما في السابعة فتريحها و تتركها ليأكل فقراء شعبك"

-ستة ايام تعمل عملك و اما في اليوم السابع ففيه تستريح لكي يستريح قومك و حمارك و يتنفس امتك و الغريب"[13]

-و في سفر ايوب (كان رجل في ارض عوص اسمه ايوب) و كان هذا الرجل كاملاً مستقيماً يتقي الله و يحيد عن الشر -2- و ولد له سبعة بنين و ثلاث بنات.

في الافراح و الاتراح – (3) الى سبعة ايام (7)

و قالوا خمسة و سادسهم كلبهم، و قالوا ستة و سابعهم كلبهم، و قالوا سبعة و ثامنهم كلبهم"

و كانت لـ(سن) مهام اخرى فهو الذي يقيس الزمن و على هذا قرر (مردوخ) يوم التكوين.

"و عندما يبدأ الشهر يشع على الارض فأظهر قرنين لتسجيل ستة ايام (3+3)"، (3×2)

و في اليوم السابع اقسم التاج نصفين

و في اليوم الرابع عشر "وجهك الكامل"[14]

تداخل الرقمين (3) و (7)
تقسيم الرقم نفسه على (3) و (7)
أي تقسيمهما على بعضهما دون باق

1-وفاة الرسول (ص) في (63) من عمره

و العمر التقاعدي في نفس العمر

0=3÷3=3÷9=7÷63

0=7÷7=3÷21=3÷63

2-و كان من جملة من قدم مع يعقوب من بنيه و اولادهم – فيما قاله ابو اسحق السبيعي عن ابي عبيدة عن ابن مسعود ثلاثة و ستون (63) انساناً[15]

لاحظ تقسيم الرقم على (3) و على (7)

ثم اهي صدفة؟ و هل الرقم حقيقي؟ ام التبرك بالرقمين ضمناً و معاً؟!

-"المرأة هربت الى البرية لها موضع معد من الله فكان هناك الفاً و مئتين و ستين يوماً"

20=7÷140=3÷420=3÷1260

20=3÷60=3÷180=7÷1260

-تأكلون فطيراً في اليوم الحادي و العشرين من الشهر مساءً

3=7÷21 7=3÷21

21=3×7 21=7×3

-"فعن ابن عباس: كانوا ثمانين نفساً و معهم نساؤهم، و عن كعب الأحبار: كانوا اثنين و سبعين نفساً"

8=3÷24=3÷72

0=3÷3=8÷24=3÷72

-"تأكلون فطيراً في اليوم الحادي و العشرين من الشهر مساءً"[16]

3=7÷21 ، 7=3÷31 ، تكرار (7) 3 مرات و (3) سبع مرات.

مضاعفة كل من العددين (3) و (7)

الشهر اربعة اسابيع، كل اسبوع (7) سبعة ايام، ثم: الاسبوع الاول (7)، الاسبوع الثاني (7) أي (14)، الاسبوع الثالث (7) أي (21)، الاسبوع الرابع (7) أي: (28)

28=7+7+7+7 مضاعفة السبعة (7) اربع مرات

-قالوا: ثم مرض ابراهيم (ع) و مات عن (175) و قيل (90)

175÷25=7 مضاعفة العدد (7) (25) مرة

90÷30=3 مضاعفة العدد (3) (30) مرة

-و عن ابي هريرة: ان رسول الله (ص) قال: و كان طول ادم ستين ذراعاً (60) في (سبعة اذرع) عرضاً

60÷20=3، مضاعفات (3) عشرون (20) مرة.

-اطلاقة المدفع (21) طلقة في المناسبات الرسمية لرؤساء الدول في الاستقبال خاصة.

21÷3=7، 21÷7=3، ثلاث مرات سبعة، سبع مرات ثلاثة

تجزئة العدد (الرقم) (7)

الى جزئين تخرج بـ(3) و بجمعه مع الجزء

(العدد) الاخر (4) أي باتحاد الجزءين و معونة

(3) يتكون العدد (7)

في امثال سليمان بن داود

2-ثلاثة يعجزني فهمها و اربعة لا اعلمها (3+4)=7

21-تحت ثلاثة تربح الارض، و اربعة لا تستطيع احتمالها

3+4=7

29-ثلاثة هي حسنة التخطي، و اربعة مشيها جميل 3+4=7

".. فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج و سبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة (10)"[17].

تجزئة العدد (10) عشرة الى (3) و (7)

3+3+3+3+3+3+3=21 ، 7+7+7=21

أي قسمة نفس العدد على كليهما دون باق

لغة العددين (3) و (7) و العادات و التقاليد و المعتقدات

وفاة الرسول و انهاء رسالته في (63) من العمر

"اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً"

في الحياة العملية – السن التقاعدي (63)، حيث التوقف عن العمل و الركود الى الراحة بعد العناء.

كذلك "و كان من جملة من قدم مع يعقوب من بنيه و اولادهم – فيما قاله ابو اسحق السبيعي عن ابي عبيدة عن ابن مسعود – ثلاثة و ستون (63) انساناً"[18]

هل هذا الاختيار تبركاً ام هو صدفة؟!

الحكم على المرأة الناشز بـ سبع سنوات و ترفع الى تسعة

يحكم للمرأة بالانفصال في غياب زوجها عنها (سبع –7- سنوات)

الشرذمة في اللغة جماعة من (3-7).

الوليد يولد في اتمام الشهر التاسع

و الخديج يولد في اتمام الشهر السابع

وقد اختلفوا في مدة بلواه (أي ايوب) على اقوال، فزعم و هب: انه ابتلى ثلاث سنين لا تزيد و لا تنقص، و قال: السن: انه ابتلى سبع سنين و اشهراً، و قال حميد: مكث في بلواه ثماني عشرة سنة، تساقط لحمه حتى لم يبق الا العظم و العصب، فكانت امرأته تاتيه بالرماد و تفرشه تحته، فلما

طال عليها، قالت: يا ايوب.. لو دعوت ربك لفرج عنك، فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحا، فهل قليل لله ان اصبر ان اصبر له سبعين سنة؟![19]

الاقتراع يكون ثلاث او سبع مرات

عند التسمية يقرأ في اذن الوليد اسمه (3) او (7) مرات و يعمد الطفل عند المسيحيين في اليوم السابع

في الرياضة و التهيؤ يذكر: واحد، اثنان ثلاثة، و الايقاع ثلاثة و السلم الموسيقي (سبعة).

"و رهط تسعة (9) حكموا الارض قبل ادم"

(9) مضاعفات (3×3).

7=2-9

ففي الهيئات و اللجان و هيئات المحاكم (3-7-9) اعضاء

في التعاويذ و الدعاء: القراءة و قراءة الايات (3) الى سبع مرات

عند التطهير (يغمس الشيء في الماء (3) الى (7) مرات مع البسملة.

في الالعاب: لعبه (3) قفزات و (7) قفزات

في خضر الياس – ليلة المحيا يهيأ (سبعة انواع من الخضرة)

مع الصوم ثلاثة ايام.

يفتدى المريض او الغائب العزيز بالدوران حوله قرباناً له (3) الى (7) مرات.

المرور على (3) او (7) من الدور للاستجداء نذراً بعد تحقيق المراد.

القفز على الشيء المهيأ في مثل هذه الحلات (3) او (7) مرات و عند طرد الشر و طلب المراد.

في العلاج و طلب الشفاء:

"ضع يدك على الذي تألم من جسمك، و قل: بسم الله ثلاثاً و قل سبع مرات اعوذ بالله و قدرته من شر ما اجد و احاذر"[20]

ايام العزاء (3) الى (7)

و زيارة القبر في اليوم الثالث او السابع او معاً أي في كليهما.

و توزيع الخيرات في اليوم الثالث او السابع او معاً أي في كليهما.

قال كلكامش و هو يجسد لصاحبة الحانة حقيقة الموت و بشاعته بشخص صديقه (انكيدو):

ندبته ستة ايام و سبع ليال

و ابقيته ستة ايام و سبع ليال

فان هذه الفكرة قد قامت في ظل عقيدة دينية، و انها ضاربة في بطون التاريخ"[21].

يقدس اليهود اليوم السابع من الاسبوع و هو (السبت)، و يجعلونه يوم راحة، و يرجع هذا الى ان الله في التوراة: خلق العالم في ستة ايام و استراح في اليوم السابع[21].

و لنفس السبب اليوم السابع (الاحد) عند المسيحيين

و اليوم السابع (الجمعة) نهاية الاسبوع، يوم الراحة و التبرك، لأن الله خلق الكون في ستة ايام "ثم استوى على العرش"

و جاء في الوصية الرابعة:

"اذكر يوم السبت تقدسه ستة ايام، تجعل و تصنع جميع عملك، و اما اليوم السابع ففيه سبت الرب (الهك) و لا تضع عملاً ما: انت (1) و ابنك (2) و ابنتك (3)، و عبدك (4)، و امتك (5)، و بهيمتك (6)، و نزيلك الذي داخل البيت"

لأن في ستة ايام صنع الرب: السماء و الارض و البحر و كل ما فيها و استراح في اليوم السابع[23]

".. فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج و سبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة"

و تذكر الاسطورة السومرية: ان الطوفان استمر سبعة ايام و ليال، و في الاسطورة البابلية ستة ايام و تراجع في اليوم السابع"[24] الصبر فالفرج

في الثواب و الدعوة الى الخير و المكافأة

"وفي سفر ايوب (كان رجل في ارض عوص اسمه ايوب و كان هذا الرجل كاملاً مستقيماً يتقي الله و يحيد عن الشر -2- و ولد له سبعة بنين و ثلاث بنات"[25]

ام سبعة بنين تسمى بام البنين

و ام سبع بنات تسمى بالفاضلة

الافراح - تدوم ثلاثة ايام بلياليها، او سبعة ايام بلياليها

مشاركة العددين في الحالتين و الوجهين المتناقضين الأفراح و الاتراح.

سن القانوني لدخول الطفل الى المدرسة (الصف الاول) بعد اتمام السنة السادسة من العمر و بدء الدخول الى السنة السابعة.

كل هذا و غيره لأن لغة هذين العددين - لغة حضارية في نظام اخلاقي و دستور اجتماعي و نهج انساني أي لغة احكام مقرة و بنود قوانين محكمة، تبرز سمات العصر، و توضح ملامح كل مجتمع، تقرأ فيها الماضي بوضوح، و ترى فيها التناقل عبر الزمان بثبات، و التراث المحفوظ فيها و اصول توظيفه توظيف المدرك بأهميته - عبر لمن يعتبر - و ضرورة صيانته عبر ذلك السجل الذي تحكي صفحاته و سطوره حياة كاملة للأقدمين - من الاباء و الاجداد لكي نتواصل معهم و نمتد فيهم و منهم لنضيف الى صفحاته و سطوره شأننا شأنهم في "فد الانسانية برحيق الفكر و خلاصة التجارب للآتي من الاجيال.

فمن قدسية هذين العددين.. الى القاسم المشترك بينهما و ملازمتهما لبعضهما هذا التلازم الذي يفرض عليك ان تقف حياله حائراً و متمعناً في خفاياه.. ما السر وراءه؟! الى جانب الخروج بـ:

1-نظام اجتماعي "الكل فيه سواسية كأسنان المشط".

2-الحفاظ على القيم الاجتماعية و التمسك بها - كصلة الارحام.

3-صلة الرحم بين ابناء المجتمع الواحد و فئاته و شرائحه تطبيقاً للبنود الواردة فيه: "المؤمنون اولى بالمعروف" و "مثل المؤمن في تواده و تراحمه كمثل جسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى.

4-استنباط القصص و الحكايات التي تنسجم و تلك الاحكام و توظيف هذين العددين توظيفاً بارعاً يسلب الالباب.

5-تغلغلها و لغة العددين (3) و (7) أي الافعال في المعتقدات و وضوح دورها في ثبات و اصالة القيم، و العمل بموجبها في مراسيم الوفاة، في الأتراح و الافراح، في تنظيم الحياة اليومية، في العلاج، الاستشفاء، في التوبة و الغفران، في الصبر و الفرج، في العصيان و العقاب، في التمسك بحبل الله و الثواب، في التفاؤل (تفاءلوا بالخير تجدوه)، في الدعوة للخير، في الحذر و العبر، في الوصايا.. و في غيرها و غيرها مما ورد في البحث هذا و لم يرد، او ورد في البحثين المستقلين بهما و التي لم ترد.. و التي هي في بطون الكتب، و في سجل الصدور المؤمنه بها، و ما يتفتح عنه ذهن القارئ مع الوارد في البحث.

الخلاصة

الايمان لا يجزأ.. بالله و ابداعه و روعة خلقه فلكل شيء سببه، و كل شيء بوعده، و الحياة لن تتوقف على شيء و لا عند شيء واحد، فلكل شيء امده كما له اجله، ذلك هو سر الحياة و ديمومتها و الا ما كانت او مادامت.

هذه التجارب و هذه العبر و الدروس و هذه النظم التي تسطرها هذه الاعداد و تفسرها بلغتها الخاصة، ثم هذا التشابك و هذا التداخل و هذا التعاون و القاسم المشترك بينها كربانين لسفينة واحدة هي الحياة و ادارة دفتها بهذا النسق المتناسق و التناقل و التوالد عبر الازمنة السحيقة و الاديان القديمة، عبر الأساطير و الحكايات الشعبيه الى عروق المجتمع و الخروج بهذا الدستور و ذلك القانون الى عادات و تقاليد و اعراف لا تقل عن بنود القوانين وضوحاً و التزاما.. الا دليل بل دلائل على ما ذكرنا.

لذا فان ظهور الاعداد –حتى- في الاحلام ليس مستغرباً بحد ذاته، فالأعداد شانها في ذلك شأن غيرها من منتجات العقل الحساب.. قابلة لأن تنتقل من الواقع الى الحلم" و من الشعور الى اللاشعور حتى "تكون في اللاشعور –ايضا- كيانات مستقلة[26].

العدد (3) و العدد (7) و لغتاهما.. عددان مقدسان، باراسايكولوجيان، غائران في لغة التراث و لغة المجتمع يمتدان كشريان الحياة في كيان الحياة و عمر الزمان و عروق المكان.. ماذا يعني كل هذا؟ اليس تذكيراً بابداع الخالق و قدراته الخلاقة كتسلسل الغرائض و حبات السبحة، كل يكمل الاخر، و كل شيء حسب المقتضى

هل كل هذا صدفة؟ و اية صدفة هذه؟ ما هذا التألف؟ ما هذه اللغة؟ فهذه اللغة و هذه الاعداد و ان كانت حقاً لغة احصائية، تبقى ايضاً لغة رمزية و لغة اشارية و لغة تعبيرية.. في ايقاعات الصلواة البدائية لواهب النعم وأما بنعمة ربك فحدث

كيان متكامل عرفاً و سماتاً لا تشوبه شائبة.. يذكرك: كيف تتذكر و كيف تفكر و كيف توظف لكي تستمر و تستمر بك الحياة يا ايها الانسان. فكل هذا ان كان يبدو للبعض كثيراً فهو (فيض من

غيض) و محاولة لجلب الانتباه الى هذه الاعداد و لغتها و خصائصها و بصماتها التي تزداد عمقاً و لا تزول مادام هناك صدر التراث سجل الزمن الواقي، و مادام في كل زمان و مكان من صدورهم كصدره و اقلامهم تضيف الى سجل الزمن معطيات الحياة الجديدة المليئه دفقاً و حيوية "ن و القلم و ما يسطرون"

فان اطلت او بالغت او كررت او سهوت فشفيعي لديكم ذلك العشق الالهي الغامض و ذلك الهيام المبهر بالتراث الذي سيطر علي مع اول الترانيم و التنويمات و الحكايات و ما كنت ارى مما يدور حولي و ما يدور في مكامنها التي وجدت طريقها سهلاً يسيراً الى نبضات طفلة حارت امام ما يحيط بها رغم كل شرح و تفسير تطلب المزيد و لا جدوى فكلما خطت نحو الحياة خطوة جديدة و تقدم بها الزمن فوجئت بغموض اخر و عادت الى السطح لتعاود العوم باتجاه اخر، و ازدادت فضولاً لسبر غور هذه العوالم و كلما تعمقت و اعتقدت انها وصلت او اقتربت من مبتغاها و دغدغ سمعها صوت الحكمة:

"فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً و غابت عنك اشياء نعم – كلما ازددت علماً، ازددت علماً بجهلي"

"و ما او تيتم من العلم الا قليلاً، "ليس للانسان الا ما سعى و ان سعيه سوف يرى" صدق الله العظيم.. و شكراً للآذان الصاغية التي تبعث فيك الثقة للتواصل، فلكم تقديري و امتناني ثانية.

الحواشي

1-رحلتي مع العدد (7)، عبد الرحمن سليمان ياسين، بغداد، 1990 ص 223، 234، 318.

2-لغة العدد (7) في مسار الزمن و مدار اللغة، د. نسرين محمد فخري. القي البحث في الندوة الثانية لمركز البحوث النفسية – الباراسايكولوجي – مطبوع، بغداد مركز البحوث، 1992.

3-لغة العدد (3) بين التراث و الباراسايكولوجي، د. نسرين محمد فخري القي في ندوة مركز البحوث النفسية (الباراسايكولوجي) و مركز التراث في شهر ايار 1992، معدة للطبع.

4-قصص الانبياء، للامام ابي الفداء اسماعيل بن كثير، 701-774هـ، صفحة 23.

5-لغة العدد (3) المصدر اعلاه، ص 31.

6-لغة العدد (3) المصدر اعلاه، ص11.

7-قصص الانبياء، المصد اعلاه، ص 222.

8-قصص الانبياء، المصد اعلاه، ص 265.

9-قصص الانبياء، المصد اعلاه، ص 269.

10-رحلتي مع العدد (7)، المصدر نفسه، ص 91.

11-رحلتي مع العدد (7)، نفس المصدر اعلاه، ص 18.

12-لغة العدد (7)، نفس المصدر اعلاه، ص 21.

13-لغة العدد (7)، نفس المصدر اعلاه، ص 24.

14-لغة العدد (7)، نفس المصدر اعلاه، ص 3.

15-قصص الانبياء، نفس المصدر اعلاه، ص 262.

16-لغة العدد (3)، نفس المصدر اعلاه، ص 31.

17-لغة العدد (7) نفس المصدر اعلاه، ص 31، 22.

18-قصص الانبياء، نفس المصدر اعلاه، ص: 262 (قصة يوسف)

19-قصص الانبياء، نفس المصدر اعلاه، ص: 269

20-رحلتي مع العدد (7) نفس المصدر اعلاه، ص 91.

21-رحلتي مع العدد (7) نفس المصدر اعلاه، ص 24.

22-رحلتي مع العدد (7) نفس المصدر اعلاه، ص 18.

23-رحلتي مع العدد (7) نفس المصدر اعلاه، ص 26.

24-لغة العدد (7) نفس المصدر اعلاه، ص .21

25-رحلتي مع العدد (7) نفس المصدر اعلاه، ص 34.

26-رمزية الاعداد في الاحلام، لودفيغ ثانيث، ترجمة هنرييث عبودي، بيروت: 1986 ط1، ص 186، 318.

المصادر

1-رحلتي مع العدد (7)، عبد الرحمن سليمان ياسين، بغداد" .1990

2-لغة العدد (7) في مسار الزمن و مدار اللغة – راجع الحواشي.

3-لغة العدد (3) بين التراث و الباراسايكولوجي، راجع الحواشي.

4-قصص الانبياء، للامام ابي الفداء اسماعيل بن كثير، 701-774 هـ.

5-رمزية الاعداد في الاحلام، لودفيغ ثانيث، ترجمة: هنرييت عبودي، بيروت: .1986

6-خزين الذاكرة و الايداع الذهني، عبر سنين البحث.

ملاحظة :

جميع المصادر الأخرى الكثيرة التي لم نشر اليها هنا كلها مذكورة في المصادر اعلاه، و التي ذكرت في البحثين الخاصين بالباحثة و هما (لغة العدد (7) في مسار الزمن و مدار اللغة. و (لغة العدد –3- بين لغة التراث و الباراسايكولوجي) فلمن اراد و للاختصار و السهولة العودة الى هذين البحثين.

الفهرست

□

14-في المعتقدات و العادات و التقاليد المتوالدة الى جانب المتوارثه.

15-في اللغة.

16-في الألعاب.

كل هذا و ذك و الافعال – فيها محور الحركة و الأداء و الايصال افعال تميزت بحكم الاحداث بخصوصية خاصة.. لقدرتها على اداء المراد من الأحداث الملازمة و الموظفة للعددين و لغتيهما.

هذه الافعال اذن هي العمود الفقري لذلك الكيان المبني من و على اساس لغة العددين (3) و (7).

فدراسة اوسع و تنقيب اكثر و تصنيف ادق يؤكد قولنا و اكثر.

حكاية شعبية كردية

الدرويش و ابن الملك

اعداد و ترجمة: محمد حمه صالح توفيق

يروى أنه كان هناك في سالف العهد والزمان ملك متزوج من ثلاث نسوة لم ينجبن منه نسلاً. حيث باء علاج الاطباء ومشورة الحكماء جميعها بالفشل ولم يجدهنّ التشبث بأضرحة الأولياء والصالحين نفعاً وبقين عقيمات ولم يحبلن. وقد طغى حزن عميق على الملك كونه لايخلف وليّاً للعهد ويرث آخرون ثرواته وحكم مملكته، حيث تملكه اليأس والقنوط.

وذات يوم يصادف أن درويشاً يؤمّ هذه المدينة ويحضر بين يديّ الملك عارضاً عليه خدماته قائلاً: يا حضرة الملك سأعمل كلّ ما بوسعي كي تنجب كل واحدة من زوجاتك ولداً ولكن بشرط. فاستبشر الملك خيراً وانبسطت أساريره من شدّة الفرح قائلاً خذ من مالي وكنوزي ما تشاء لقاء عملك هذا. غير أنّ الدرويش اشترط شيئاً آخر على الملك قائلاً: أنا لا أطلب مالاً ولا جاهاً، شرطي الوحيد هو أن تعطيني أحد أولادك الثلاثة حين يكبرون، ورضى الملك بما اشترط عليه الدرويش. بعدها أعطى الدرويش الملك ثلاث تفاحات قائلاً: يا حضرة الملك اقطع كلّ تفاحة الى نصفين، كل أنت نصفها واعط النصف الآخر الى احدى زوجاتك، عندها ودّع الدرويش الملك وغادر. وقد شاء القدر أن تحبل زوجات الملك وبعد انقضاء تسعة اشهر وتسعة أيام ولدت كلّ واحدة منهنّ ولداً. وقد ربّوا على أحسن وجه وعهدوا الى

مـدرّبين ومعلّمـين أكفّـاء لتعلـيمهم. وقـد كـبروا على مرّ السنين ووصلوا سن الرشد ولم يعد أحد يتذكّر الدرويش وشرطه. وفي هذه الأثناء حضـر الـدرويش مطالبـاً بتنفيـذ مـا اشـترط عليـه مـع الملك ، بأخذ أحـد أولاده لنفسـه. وقـد أراد الملـك المماطلـة والتنصّـل مـن العهـد غـير أن الـدرويش هدّد بدعاء يفنى الأولاد وكأن لم يكونوا. عندها انتاب الملك خوفاً ورعبـاً ممّـا قـد يحصـل لأولاده ولسان حاله يقول ان أفقد أحدهم أفضـل مـن أن يضـيع الثلاثـة متـي. حينهـا ذهـب الى زوجتــه الكبرى وأفشى له بمكنونات نفسه، غـير أنهـا أبـت أن ترضى بإعطاء ولدها للـدرويش، وكـذلك كـان موقف الزوجة الوسطى. فاضطرّ الملك للذهاب الى زوجتـــه الصـــغرى شـــارحاً لهـــا الحـــال بقضـــه وقضيضه قائلاً: أما أن نخسر ثلاثـتهم أو نكسـب اثنين ونخسر واحدا منهم. وكان موقـف الزوجـة الصغرى مغايراً لموقف ضرتيّها حيث قالـت: أيّهـا الملك ابني هذا هو جزء من كبدي وكبدك فافعل به ماشئت فأنت أباه.

وبـذلك فقـد أعطـى الملـك ابنـه هـذا المسمّى أحمـــد للـــدرويش آخـــذا ايّـــاه. ومـــا أن ابتعـــد الـــدرويش فرســـخا عـــن المدينـــة حتـــى خلـــع عـــن نفســـه لبـــاس الزهـــد، متحـــولاً لحظتـــه الى غـــول عملاق رهيـب،تفوّه قـائلاً: اتـبعني يـا أحمـد والاّ ابتلعتك.

وقـد ارتعـب أحمـد مـن هـول مـارآه مرتجفـاً متقطع الأنفاس كاد يموت مـن الخـوف والرّعـب، فاضطرّ أن يتبعه، حيث قطعوا ما لا يحصى مـن الصحارى والسهول والوديان والجبال وانتهى بهـم المطاف الى نبع ماء وقد أخذ التعب والأنهاك مـن أحمد كلّ مأخذ وانسلخ الجلد مـن تحـت رجليـه، حيث تمدّد عند النبع. وعندما أخذوا قسطاً من الراحـة قـال لـه الغـول: يـا أحمـد أنـا ذاهـب الى الأماكن القريبة كي أصطاد فريسة وأنـت حـذار أن تفكّـر بـالفرار وان ابتعـدت حتـى ولـو سـبعة فراسـخ مـن هنـا لحقـت بـك وأكلتـك. وقـد قـال الغـول ذلـك وانصـرف، ومـا هـي الاّ هنيهـة حتـى حضر الى النبع شيخ جليل نـورانيّ المحيّـا وقـال: يا أحمد الى أين أنت ذاهب؟ فأجابـه أحمـد: بمـا أنّـك تعـرف أسمـي فأنـت تعـرف مقصـدي أيضـا. وحينها قال الشيخ: هذا الغـول يضـمر لـك سـوءا وقـد انهمـك سـبعة أيّـام بلياليهـا يضـرم النّـار في التنّور ناويا شوائك والتهامك. وهنا جفـل أحمـد وازداد خوفـه وارتجـف متوسّـلا الى الشـيخ كـي يعينـه في محنتـه هـذه. اجابـه الشـيخ قـائلا: لا تخـف يـا بـنيّ فأنـا خضـر اليـاس سـوف أكـون في عونك ان شاء الله، غير أنّني الآن ان ذهبت بك الى أيّ مكان فإنّ الغول سوف يلحق بك وتهلك، أصغ أليّ واتبع نصيحتي تنج باذن الله، سيرجع الغـول الآن ويأخذك الى بيته وقبل أن يذبحك ويشـويك يـأمرك أن تخبــز لــه مــلء طشـت مــن العجـين، فامتنع عن ذلك وقل له أنا من نسل الملوك وقـد تربّيــت في النعــيم ولا أقــدر علــى ذلــك حيــث يضـطرّ بعـدها لأن يخبـز بنفسـه وحـين يـدخل

برأسه الى فوهة التتور نادني: العون يا خضر الياس وادفعه فورا الى التتور ثمَ اغلق فوهته. بعدها وحين يحترق بالكامل سوف يتحول الى قطعة من ذهب، اخرجها لنفسك وسترى خيرا بعدها.

وقد اتبع أحمد نصائح خضر الياس بحذافيرها وتخلّص من الغول ومضى الى سبيله وسار عدّة أيّام بلياليها الى أن وصل قلعة حصينة، وكان جائعا أضناه التعب والأنهاك، وحين دلف الى الداخل رأى طبخا في قدر كبير، غير أنَ المكان كان خاليا لا أحد فيه وقد أكل منه أحمد حتى شبع. ولم يطل الوقت حتى بدا للعيان فارس ملثم يترك وراءه سحابة من غبار، وحين الوصول دخل القلعة وترجَل ذاهبا الى القدر رافعا غطاءه ليرى بأنَ احدا ما قد أكل منه وصرخ قائلا:أنا المكتى بالفارس الغليظ لا ينجو مني طائر في السَماء وفارس في الأرض، فمن هنا فليكشف عن نفسه والاً قطعته اربا اربا.

وكان أحمد قد أخفى نفسه في زاوية وقال في نفسه: يبدو أن لا مخرج لي هذه المرَة وقد يجهز عليَ هذا الفارس. واضطرَ أن يعلن عن نفسه قائلاً:أنا الذي قدمت الى هنا وأكلت طبيخك، أنا عابر سبيل ولا أضمر لأحد شراً. وهنا قال الفارس الغليظ: انا لا يهمَني ان كنت تضمر شرَا أم لا، بل يجب أن نتصارع فمن غلب الآخر فليقتله. وهكذا اشتبك الأثنان وخاضوا مصارعة عنيفة لوقت طويل لم يغلب أحد فيها وصار ميدان العراك وحلاً من كثرة ما تصببا من عرق، ثمَ استراحا لبعض الوقت، وحين ابتدءا من جديد استعمل أحمد جلَ قوَته ونادى:أسعفني يا خضر الياس وطرح الفارس الغليظ أرضاً ثمَ استلَ خنجره هاتفاً: أيَها الكافر اللعين سأقتلك في الحال.

وهنا صرخ الفارس الغليظ قائلاً: أتوَسل اليك لا تقتلني فأنا ابنة ملك الجان وأنَ قراني عاقد عليك منذ الأزل. سحب أحمد خنجره الى غمده وقام حائراً مرتبكاً لا يدرى ماذا يفعل ولحظتها رأى الفارس الغليظ وقد نزع عن نفسه لباس الحرب وتحول الى فتاة شابَة جميلة لا يضاهيها جمال في الكون قائلة له : أنا الوحيدة التي بقيت من أسرتي وبناء على نصيحة والدي كسوت هذا اللباس ومن قدم الى هنا صارعته وطرحته أرضاً وقتلته على الفور، لكنَك كنت الشخص الذي كنت أبحث عنه ومن الآن فأنا زوجتك وسأقوم بخدمتك في البيت وأنت انطلق الى البراري والسهوب للصيد.

وهكذا فقد قضى الإثنان حياة سعيدة هانئة. غير أنَه ذات يوم ذهبت ابنة ملك الجان الى ضفة نهر وصادف أن وقعت فردة من حذائها الذهبي فى النهر فالتهمتها سمكة، ولم تقدر الفتاة على فعل شيء وقفلت راجعة الى البيت حزينة مهمومة. وعند المساء حينما رجع الزوج الى البيت ورأى زوجته على هذه الحال استفهم منها السبب وأخبرته بما جرى لها في النهار وكيف أن

سمكة ابتلعت فردة حذائها الذهبي. فقال لها أحمد هوّن عليك فإن الأمر لايغدو الاّ أن يكون بسيطاً. أجابته الزوجة أنا لايهمني الحذاء بقدر ما أفكر بأن هذا الحذاء قد يسبّب لنا مشكلة ما. غير أنّ أحمد هدأ من روعها قائلاً: يا عزيزتي لا تهتم، ليست هنالك قوة تفرق بيني وبينك غير الموت.

وقد صحّ هواجس ابنة ملك الجان، حيث أن السمكة التي اتبلعت فردة الحذاء انحدرت مع تيار النهر وبعد فترة وقعت في شباك صيّاد باعها الى ابن الملك. وعند تحضير السمكة وتقطيعها خرجت من جوفها فردة الحذاء اعجب بها ابن الملك ايّما اعجاب متخيّلا بأن حذاءً بهذا الجمال والروعة فكيف اذن بجمال صاحبته وأين عساها أن تكون هذه الحسناء. وبهذا فقد ألحّ الأمير ليأتوا به هذه الفتاة حيثما كانت. وقد حاول أباه كثيراً كي يتخلّى عن هذا الخيال فلم ينفع معه شيء بل ازداد اصراراً على موقفه. وعلى مرّ الأيّام والأشهر دبّ الوهن في جسد الأمير وأصبح نحيلاً ضعيفاً يكسو وجهه لون الموتى واستدعي له جميع حكماء وأطبّاء البلاد فلم يقدروا على علاجه وكانت صحته تزداد سوءا يوماً بعد يوم. فاستنجدوا بالمنجّمين، حيث قالوا بأن فردة الحذاء هذه تعود لابنة ملك الجان و هي في مكان مستعص عصيّ وعر وراء جبل قاف وأنّه من المحال الوصول اليها قطّ.

وقد أمر الملك المنادين كي يجوبوا البلاد ويبلّغون الناس بأن من يأت بهذه الفتاة فسوف يحصل ما يعادل وزنه ذهباً. غير أنّ أحداً لم يقدر على ذلك. وذات يوم جاءت امرأة عجوز الى الأمير وقالت: نفسي فداء لحضرة الأمير فأنا سوف آت لك بهذه الفتاة. وانبسطت أسارير الأمير وقال: يا جدّتي ان فعلت ذلك فسوف أهبك مايعادل وزنك ذهباً. غير أن العجوز قالت بل أريد ما يعادل وزني غزلا لكني بحاجة الى قليل من المخدّر.

بعدها ركبت العجوز الدولاب الطائر وطارت في السماء الى أن وصلت مكاناً قرب قصر ابنة ملك الجان، حيث أخفت الدولاب وذهبت محدودبة متكئة على عصا الى باب القصر، ودقّت الباب لتفتحه الفتاة. قالت العجوز: مسكينة لا مأوى لي ولا مسكن دعيني آخذ قسطاً من الراحة في دارك وان شئت سأكون خادمتك. لكن ابنة ملك الجان طردتها قائلة: اذهبي من حيث أتيت فأنا حذرة من حيل العجائز وكيدهنّ. وكانت العجوز قد توسلت كثيراً فلم تقتنع الفتاة، غير انها انتظرت قرب القصر الى أن عاد أحمد فاعترضت طريقه باكية متوسّلة كي يؤويها وتكون خادمتهم ، فرثى أحمد لحالها وأدخلها البيت رغم احتجاج زوجته وعدم رضاها بذلك قائلاً: يا زوجتي العزيزة ماذا عساها أن تفعل هذه العجوز المسكينة فلتأكل لقمة خبز في هذا البيت ولتخدمك. واقتنعت

□

الفتاة ارضاءَ و حبّاً لزوجها قائلة: فلتكن كما تريد. وهكذا فان العجوز بدأت بالطبخ والتنظيف في البيت بجّد واخلاص وراقبوها لمدة فلم يروا أيّة بادرة سوء فيها وبذلك زال الشك من قلبهم ازاء العجوز واطمأنوا أليها. وذات مساء دسّت العجوز المادة المخدّرة لعشائهم وعند تناولهما له أغمي عليهما، ثم أنّ العجوز ذبحت أحمد بسكين وحملت الفتاة على ظهرها و وضعتها داخل الدولاب الطائر وطارت بها في السماء الى أن وصلت الى الأمير ونالت جائزتها. وحينما عادت الفتاة الى وعيها نادت على زوجها: أحمد يا أحمد، فلم تجد جواباً، وعندما رفعت عينيها فهمت ما حدث لها وقالت لنفسها ان كان أحمد باقياً على قيد الحياة فانه سيصلني قبل انقضاء مدة أربعين يوماً وينقذني. وقد أبلغت الأمير: يجب أن تنصبوا لي خارج المدينة خيمة بلون أصفر و أحمر وأن لايقترب أحد متي لمدة أربعين يوماً غير الخدم والحشم ، بعدها تستطيع أن تتزوجني. فتهلّل ابن الملك فرحاً وأمر على الفور بتنفيذ ما طلبت الفتاة.

ولنعد الآن الى أحمد لنرى ما حلّ به وما حدث له. فقد صادف في اليوم التالي الذي ارتكبت فيه العجوز تلك الفعلة الشنعاء، أن مرّ عابر سبيل بذلك المكان وكان منهكاً جائعاً، حيث دخل القلعة ورأى شخصاً مذبوحا ًوالأكل موضوع على المائدة، فلم يتناول الاّ الخبز الجاف وصمّم في قرارة نفسه أن لا يترك هذا الميت ريثما يعلم بما قد يحدث لاحقا. ولم يطل الانتظار، حيث خرج فأران من جحر واشتبكا في عراك مرير انتهى بأن قطع أحدهما رأس الثاني. ثمّ بعد ذلك رأى الفأر الحي وقد ذهب ألى مقربة من الجحر قاطعا بعض الحشائش النابتة هناك وثرمها ومن ثمّ وضعها على المكان المقطوع من الرقبة ويا للعجب فقد شفى الفأر المذبوح ودلف الاثنان الى داخل الجحر.

وقد قال الرجل لنفسه يبدو أنّ الفأرين ملائكتان لهذا الشخص المذبوح، ثمّ قام من مكانه وحذا حذو الفأر وأتى بقليل من الحشيش من نفس المكان وثرمه على المكان المقطوع من الرقبة وفجأة عطس أحمد وشفى على الفور ثمّ نادى على زوجته غير انّه لم يسمع غير جواب الشخص الّذي أسعفه فأدرك بأنّ العجوز قد دبّرت لهم مكيدة. وبعد ذلك ابدى شكره وعرفانه بجميل الشخص المسافر وقال له: أنا ذاهب الى مكان ما فان لم أعد في أربعين يوما فليكن هذا البيت وما فيه حلال لك وأن عدت نتقاسمه مناصفة. ثمّ ودّعه وسار بجانب تيّار النهر المنحدر ايّاما وأسابيع الى أن وصل المدينة التي كانت زوجته فيها حيث رأى الخيمة ذات اللون الأصفر والأحمر وسأل شاباً ما هذه الخيمة؟ فأجابه الشاب بما ورد الى مسامعه من أخبار هذه الخيمة: أنّها تعود لابنة ملك الجان، حيث أنّ عجوزاً شريرة قد أقدمت على قتل زوجها بتدبير حيلة ما واختطفتها لابن الملك

وهم الآن ينتظرون انقضاء مدة أربعين يوماً كي يخطبها الأمير.

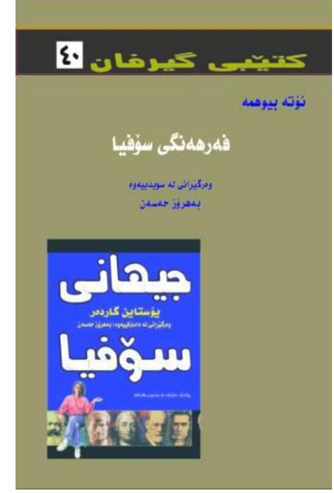
ذهب أحمد الى ضاحية المدينة وطرق باب امرأة عجوز دفع لها مالاً وفيراً كي تؤويه في بيتها. وحين سألها عن قصة الخيمة الملونة خارج المدينة أخبرته نفس ما قاله الشاب وبذلك اطمأن الى أنّ هذه زوجته بعينها. و عندها قال لها أحمد: يا جدتي سأعطيك نقوداً اشتري بها الحلوى وخذها لتلك المرأة لأنها غريبة ومنكوبة تفرح بها.ثمّ دسّ أحمد خاتمه الى كيس الحلوى، وحين تفتح المرأة الكيس وتقع عينها على الخاتم تدرك بأنّ زوجها قد قدم الى هنا. وفي الغد تزورها العجوز ثانية وتقول لها الفتاة: يا جدتي أخبري ضيفك بأنّني سوف أقوم غداً بنزهة في بستان الملك وسوف ترافقني ابنة الملك لوحدها في هذه النزهة فليأت الى هناك، ومن ثم قدّمت هديّة ثمينة الى العجوز.

وفي اليوم التالي تذهب ابنة ملك الجان وبرفقتها ابنة الملك الى البستان الموعود لا يرافقها غير بعض الخدم والحشم. وكان البستان بعيداً عن المدينة وقد حاول الملك كثيراً أن يرافقهم الحرس والجنود غير أنّ الفتاة تأبى ذلك وتصرّ على مرافقة ابنة الملك فقط. ثم يصل زوجها أحمد الى البستان ويذهب بها مع ابنة الملك الى بيتهم كي تكون وصيفتها في القصر ويعيشون أيامهم في سعادة وحبور.

*كتاب أشعار وأقاصيص شعبية باللغة الكردية

جمع و أعداد/ محمد حمه صالح توفيق.

اصدارات دار سردم للطباعة والنشر- سلسلة كتب الجيب



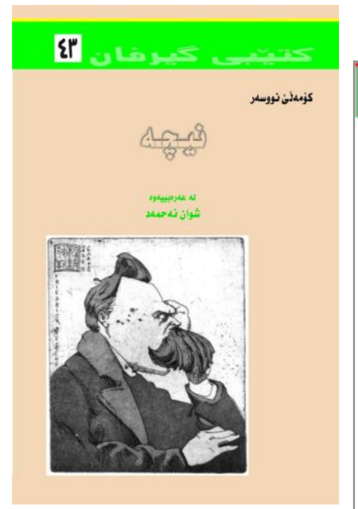
قاموس عالم صوفيا

ترجمة: بهروز حسن



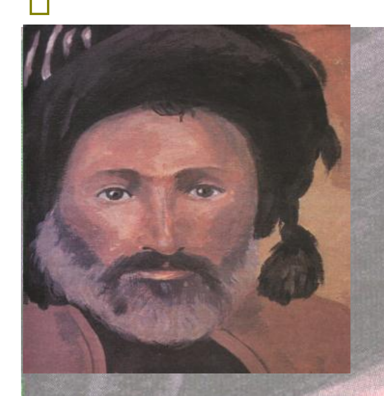
لست وحيدا

ترجمة: عبدالله توفيق



فريدريك نيتشه

ترجمة. شوان احمد



شخصيات كردية

حسين حوزني موكرياني

اسمه حسين بن سيد عبد اللطيف بن الشيخ اسماعيل بن الشيخ لطيف ولد في 22 من شهر ربيع الاول سنة 1311 للهجرة في مدينة سابلاخ. كان علماً من اعلام الكرد ثورياً يحب وطنه و يعمل جاهداً من اجل نصرته، كان عالماً وطنياً و اديباً مرموقاً و لغوياً ضليعاً و مؤرخاً حاذقاً و حرفياً ماهراً، عاش حياة مليئة بالفقر و لكنها غنية في النضال و التوعية و الكتابة و الحرف اليدوية، طبع اكثر من 17 مؤلفاً و اصدر عشر جرائد و مجلات باللغة الكردية و طبع على نفقته 12 كتاباً لمؤلفين كرد اخرين.

هاجر مبكراً من سابلاخ الى مدينة رواندوز حاملاً معه افكاره الوطنية الثورية و قلمه و مطبعته المتواضعة. اضافة الى لغة الام استطاع ان يتقن اللغة العربية و التركية و الفارسية و الروسية و الفرنسية، كان بليغاً في علوم الدين و تاريخ ادب المنطقة، برع في صنع الاختام و الكتابة على النحاس و الزجاج و الخشب و الاحجار و الاختام البلاستيكية و التصوير و حفر الكليشهات.

تجول في جميع ارجاء كردستان الكبرى و سافر الى روسيا و تركيا و ايران و افغانستان و سوريا و لبنان و مصر و الحجاز و فرنسا. الف ما يقارب عشرين كتاباً، مثل: براعم الربيع، قائد الدين، تاريخ الامارات الكردية، تاريخ حكام الكرد في اربيل، حكام بابان، من مشاهير الكرد، تاريخ الكرد و نادرشاه، مختصر تأريخ امراء سوران، تاريخ كردستان موكريان.

اصدر في عام 1917 مجلة اسبوعية بعنوان "مجلة كردستان" في اسطنبول مع صديقه محمد المهري، كانت مجلة سياسية اجتماعية علمية و ادبية اصدر منها 37 عدداً. في عام 1925 و في مدينة حلب اصدر عدداً من الجرائد و المجلات منها: مجلة ارارات، بوتان، جبال كرمانج، مجلة سوران، مجلة دياربكر. و في سنة 1926 اصدر مجلة (اللهجة الكرمانجية) في مدينة رواندوز اغلقت في سنة 1932 بعد ان اصدر منها 24 عدداً. و في اواسط الثلاثينيات من القرن الماضي شارك مع الشاعر الكردي المعروف بيره ميرد في اصدار جريدة زيان (أي الحياة)، و في اربيل اصدر مجلة روناكى (الضياء)، و في اواسط الاربعينيات اصدر 24 عدداً من مجلة (صوت العالم الجديد) الشهرية في بغداد. في رواية (الريش) للروائي الكردي الشهير (سليم بركات) نقرأ لمحات من تأريخ حياة هذه الشخصية المبدعة.

توفي بتأريخ 1947/9/20 في بغداد و في ظروف غامضة.

محطات ثقافية



نقرة السلمان جحيم الكرد على الأرض

اعداد: سيروان غريب

ترجمة: كاوه حسن محمد

(الهي.. ارجو أن لا نراها مرة أخرى، الهي.. ارجو ان لا يرى أحد غيرنا ما رأينا، الجوع و التعذيب النفسي و الاهانة و التنكيل، لقد رموا هنا الاف الجثث لتنهشها الكلاب).

هذه كانت اقوال ذلك الرجل العجوز، الذي كان يحفظ في ذاكرته كل حكايات الطريق، امام بوابة نقرة السلمان.

نقرة السلمان مكان محفور في ذاكرة الكرد. لا يمكن نسيانه ابداً، ذكريات مليئة بالجرائم الكبيرة، كبيرة لدرجة لا يمكن ان تندمل جراحها.

في عام 1988 و وفق خطة مدروسة نفذت عملية الأنفال، في مراحل مختلفة من قبل حزب البعث، و الذي كان في اوج سطوته الموجهة نحو ابادة الشعب الكردي، و كانت (نقرة السلمان) الواقعة في مدينة السماوة، المركز الرئيس لتجميع المؤنفلين الكرد.

و في زيارة لمجموعة من الشباب، و اكثريتهم كانوا من المثقفين و الصحفيين، رأينا ذلك الجحيم الذي لم يخلق سوى للكرد.

بعد عدة لقاءات في (مديرية الأمن الحمراء في السليمانية[1]) السيئة الصيت، اجتمع هؤلاء الشباب مكونين عصبة مخصصة لهذه الزيارة، اتفق الجميع على تحديد 2003/7/24 يوماً للزيارة، التي سميت بـ(الزيارة الى الجحيم).

و في صباح ذلك اليوم الباكر، اتجهنا نحو (نقرة السلمان) حتى نعرف عن كثب المكان الذي كان مخصصاً لإبادة الأمة الكردية.

واصلنا رحلتنا وسط الرمال و نحن في الحافلة، مثل المؤنفلين كنا نمعن للرمال، و التي تحولها الأعاصير الصحراوية و تنقلها من

مكان لآخر، لكي تضع منها جبلاً من الرمال، و تضلل كل من يسلكها. تخيلت و فكرت و في الوقت الذي كنت امعن في الصحراء، و قلت في نفسي يا ترى هل الصديقان (بيشواز) و (كريم) اللذان نظما الزيارة ينويان ان يؤنفلونا، و في الحقيقة اذا لم تشعر و لبرهة من الزمن في ذهنك بأنك تؤنفل، فمن المستحيل ان تحس بتلك الآلام و الجراح، كالتي عاناها المؤنفلون في هذا الطريق. (رزكار امين) و الذي جاء بآلة تصويره لإعداد عمل وثائقي حول هذه الصحراء، كنت اسمعه يردد مع نفسه و بكل هدوء (تفوح من هذه الصحراء رائحة الموت).

كلما كنا نسير اكثر في الصحراء، كانت تتسع و تظهر فضاؤها أكثر و أكثر، كانت الرمال على موعد معنا، و من خلالنا كانت تستذكر الكرد الذين غطتهم، و هي الآن مليئة بأصواتهم، فلا غرابة أن وصف الشاعر و الروائي الكردي (بختيار علي) في روايته (اخر رمانة الأرض). الصحراء بأن: ..الصحراء تملؤها الأصوات.. الرمال وحدها تفكر في الصحراء.. تسمعها و هي تناديك اثناء الليل..

رفع الجميع ستائر نوافذ الحافلة، كانوا يرنون في الرمال، و كانت (نرمين) هي ايضاً تتمعن في الرمال و تقول: (على كل كردي ان يأتي الى الصحراء، و الى هذا المكان، لكي يعرف الى أي حد تعذب المؤنفلون، و هذا واجب قومي)، لقد اهملت نرمين حفلة التخرج في الجامعة لكي تأتي معنا. و حسب اقوال الدليل الذي جاء معنا الى الجحيم، لم يبق سوى ظرف ساعة لبلوغ هدفنا، ركاب الحافلة امسوا كلون و شكل الأنفال. (ئالان عطوف) كان يفكر في كيفية تحرير السجين نفسه من شيء اسمه (نقرة السلمان) و أكثر من مرة فسر و حلل، و لكن محاولاته كلها باءت بالفشل، و اخيراً وصل الى نتيجة يائسة و قال: (كيف تهرب تنفد بجلدك، في النهاية يجب عليك العودة الى السجن و تؤنفل نفسك بها).

كلما رنوت في الصحراء لم تكن هناك انفاس لها رائحة الحياة و لو بصيصاً منها، و لم اجد طرفاً تعطيك و لو ذرة من الأمل، فإن هذه الصحراء هي المكان الذي تدفن فيه كل انواع الأحلام، انها فضاء للأخصاء، و في هذا المكان نسي الله الكرد.

كلما اقتربنا اكثر كنا نشم رائحة الأنفال و لون الأنفال و كنا نشعر بصوت الأنفال و بأحلام الأنفال، و عند كل هذه المشاعر المتأججة، فجأة جاءنا صوت (كاوه) الملقب بـ(قلب المكتبة) و كأنه اكثر منا حساً، فشعر بصوت المؤنفلين، ارتجت الحافلة، حينما نادى: (هذه هي قلعة نقرة السلمان ارفعوا ستائركم). بهذا التلميح او التنبيه كان (كاوه) يشبه بطل فلم (1900) الذي صرخ بكل قوته لكل القاطنين على الباخرة و نادى (هذه امريكا)، عندما شاهد تمثال الحرية.

و لكن بعكس ركاب الباخرة الذين كانوا سعداء جميعاً، لأنهم كانوا يخطون نحو الحياة، و ركاب

حافلتنا كانوا حزانى و مهمومين، لأننا نقترب من الموت كنا ننظر الى الجحيم، اما هم فكانوا ينظرون الى الجنة، و الابتسامة لا تفارق وجوههم. مع نزولنا من الحافلة كنا امام سجن، جهاته الأربع تحيط بها اسلاك شائكة لم ار مثلها من قبل، لقد تجولت كثيراً حول القلعة، لكي افهم لماذا بنيت هذه الجحيم، و الذي لا يستطيع كائن من كان ان يهرب من حائطه السميك، يشبه الى حد قريب قلعة (فرانز كافكا). ترى لماذا هذا الجدار الضخم؟ ترى لماذا هذا السجن كبير الى هذه الدرجة؟ و فجأة اسعفني جواب و الذي خلع كل اسئلتي من جذوره، في وقتها تذكرت وحشية الحكومات الدكتاتورية المتعاقبة في العراق، ان هذه القلعة مبنية لنا! و بسرعة تقدمت نحو الباب في انتظار رجل مسن و معه رجل اخر و كنا نلقبه بـ(الحاج) و قد جئنابهم كشهود عيان، لكي يكشفوا لنا خفايا و اسرار و كيفية معاملتهم من قبل النظام البائد. و الحاج هو واحد من الأشخاص القلائل الذين نجوا بأعجوبة، و بعد ان اقترب من الباب بدأ بالدعاء و من ثم اردف قائلاً: (نحن في بداية الشهر الرابع من عام 1988، احتجزنا هنا ستة اشهر تقريباً، و قد جاءوا بنا بأطباء تابعين للنظام، و قالوا لن يبقى احد، الكل سوف يموتون.. ان هذا المكان عبارة عن طابقين كبيرين، لم يكن باستطاعة الأطفال العيش و البقاء فيه).

كلما كنت تنظر الى حجم السجن، كان المكان يبدو لك و كأنه يحوي من (7-10) الاف شخص، و نلاحظ من ذلك، ان النظام قصد من ذلك ضمهم و جمعهم الى مجموعات، و كل من كانت صحته تتدهور و يلقون حتفهم، يصبحون طعاماً للكلاب. و ان من حالفه الحظ و لم يمت، جعلوه صديقاً دائماً للصحراء و ينقلونه الى مكان مجهول عنا.

عندما قلنا ان الحاج نجا بأعجوبة، فان ذلك يعود الى الفترة التي وضعت الحرب العراقية – الايرانية اوزارها، و ضعفت بل انعدمت تقريباً الثورة الكردية في كردستان العراق، لذلك افرج عن الحاج مع بعض الأشخاص القلائل بعفو عام، لأن النظام كان يعتقد ان هؤلاء ليس بمقدورهم ان يصبحوا من (البيشمركه) او في الأقل ان يساعدوهم.

حتى نهاية زيارتنا للسجن، لم نكن نرى بعضنا البعض، و حتى في بعض الأحيان كنا نفقد اثرنا، و السبب طبعاً يعود الى حجم و كبر مساحة القلعة، و كنت اتجول في تلك القاعات التي لا تعد و لا تحصى و لكنها كانت تؤدي الى طريق واحد. و فجأة جذبني الانتباه الى شاشة تلفاز كانت مرسومة على احد الجدران، و هذا كان بمثابة الرمز الى كل من تحط بهم اقدامهم الى هذا الجحيم، لكي يعرفوا أن اناسا احياء تواجدوا من قبلهم هنا.

و اتجهت الى قاعة اخرى، و رأيت هناك شاباً لابساً نظارة و كان اسمه (دارا) و هو ايضاً جاء معنا كشاهد عيان، و قد سألته: عزيزي دارا هل تتذكر شيئاً عن

هذا المكان. و قد اجابني: (نعم اتذكر كل شيء، انا في البداية كنت بقرية (مله سوره) و ثم جمعنا في -كرميان- و اركبونا بالحافلات العسكرية نحو قوره توو – و من ثم الى – توب زاوا – و بعد ذلك الى – دوبز – و الذي مكثنا فيه اربعة اشهر، و من هناك حملنا و لم نكن نعرف الى اين يأخذوننا، ثم وجدنا انفسنا هنا، و قد قضينا ظروفاً صعبة، انظر الى هذا السجن ليست فيها اية مستلزمات للعيش كي تصان كرامة الانسان، ناهيك عن العذاب النفسي الذي كنا نعاني منه، و مات هنا العديد من الضحايا.

و بدأت القاعات و درجات الحرارة تزداد، و كنت اصغي لأصدقائي و هم يتحدثون عن الحجر المحروق في هذه الصحراء، و من الجدير بالذكر كانت هناك احجار من المكن ان تكون قد جاءت عن طريق المؤنفلين كتذكار من قرى كردستان، حجر جميل كالحجر الذي يأتون به من – قره داغ – الى المدينة لكي يضعونه في احواض السمك، و لم اكن افهم لماذا كانت هناك احجار تحرق نفسها امام شمس الصحراء، و في اخر المطاف لم نكن نعرف لماذا تتواجد مثل هذه الأحجار في الصحراء، لقد جلب بعض منها كتذكار، و في هذه الأثناء عندما انشغل كل فكري بالأحجار، كنت افكر بصديقي القاص (آكو) يا ترى في أي قاعة من القاعات يذرف دموعه و يخفي نفسه عن الكاميرات، و قد سمعت بعد ذلك انه رمى بقلمه في الصحراء و هو يبكي.

قاعة تلو القاعة و زاوية تلو الوازية في هذا الجحيم، كانت مكتظة بالصحفيين الذين جاءوا لكي يكتبوا عن الجحيم، و كنت ابحث عن (مريوان) صديقي الجديد، و الذي وجدته مع دارا و هما جالسان و حولهما الصحفيون، و كان دار يعدد المرات الذي مات و بعث في هذه الصحراء، و سألته حول كيفية اطعامهم و شرابهم؟ و قد اجابني: (كانوا يعطوننا ماء مالحا و حارا و الذي لم يكن صالحا للشرب، و ثلاثة صمون، خلال الأربع و العشرين ساعة). و كان (ارام منشغلاً في اثارة الحاج لكي يدلو بحديثه، و قد انتبهت للحاج و هو يقول لـ ارام: قبل ان تأتي مجموعتنا الى هنا، كانت هناك مجاميع اخرى، و قد رأيت بأم عيني كيف كانت امتعتهم مبعثرة و مشتة في كل مكان، و حتى لم يدعهم ان يأكلوا، و لا اعرف اين اخذوهم؟).

التفت الى وسط القاعة حيث رأيت مجموعة من الزائرين يرسمون لوحة جماعية تعبر عن آلام المؤنفلين، و خارج القاعة كان (زانا و كوردو) يخططان لكي يفعلا شيئاً، و فعلاً تفننا في ابداع ما تجول في خاطرتهما و مخيلتهما حول الأنفال، و في قاعة مظلمة كان (ريبين) يكتب او يرسم بالشموع عدد ضحايا الأنفال و هم (182) الف شخص و اشعله لكي ينير القاعة.

و فنان آخر يعزف اجمل الألحان للمؤنفلين، مع سماع لحن العود كنا ننظر الى الجدران و عليها بعض الكتابات و

الأشعار، و قد كتب أحد المؤنفلين و بكل شوق:

مررت باحدى المقابر

سمعت نحيب باك

رأيت عظماً في الأرض ينادي

اين طعم و حلاوة هذه الدنيا؟

و شعور هذا المؤنفل، يعطينا صورة واضحة عن عدم وجود أي شخص أو أي شيء في مخيلة المؤنفل سوى المقابر و البكاء و العظام، و خير دليل على ذلك عندما يقول: اين طعم و حلاوة هذه الدنيا؟.

و قد كنا نمعن من نوافذ الغرف الى الخارج، كانت مصنوعة من الفولاذ و الحديد الصلب، و لم يكن هناك شيء سوى الرمال، و هذا يدل على انهم انتهكوا ابسط حق للانسان في السجون.

مع مرور الوقت كنا نتواءم مع المكان، و كفرد مؤنفل كنا نفتش الغرف و التي لم تكن فيها نوافذ، و كنت اتجول في الغرف الانفرادية، فكل من يدخلها تنحبس انفاسه، و نادراً ما كنت اشعر انني شخص حر طليق.

و تعجبت لأنني لم اكن اعرف كيف اتحرك و اتجول، و في اكثر الأحيان كانت انفاسي منحبسة، و كأنني سجين هذا المكان.

حتى جاء الى مسمعي صوت ينادي: (من بقي في الداخل؟.. اننا نرحل). و بعد ساعات طويلة من الجلوس في الحافلة، كنا نشعر اننا مؤنفلون، و بعد قضاء يوم كامل، لم يدخل النوم جفوننا، كنا نفكر بعجائب الأنفال، و في اليوم التالي و عند عودتنا كان اكثر الحديث يدور حول الزيارة و استمرارها في تجمعاتها و عدم انقطاعها، و اعطاء دور حقيقي و بارز لقضية الأنفال، و كانت المناقشة حادة و ساخنة بين (بيشواز و كريم) و كان جم حديثهم حول كيفية الضغط على الحكومة لكي تجعل من الأنفال مناسبة و قضية كبيرة في العراق..

كان الإرهاق و النوم يشاكسانني، لم اعرف هل كان حلماً أم خيالاً، سمعت صوتاً يقول: (ترى هل سوف نؤنفل مرة اخرى في المستقبل؟) و فجأة ارتجفت من مكاني و قلت (ماذا؟) و بسرعة البرق رد علي (سرهنك) و الذي جاء معنا كطبيب و قال: (لا شيء انك تحلم).

هامش:

1-مديرية الأمن الحمراء: او مديرية الأمن العامة في السليمانية، كانت المؤسسة الارهابية السيئة الصيت، يقوم فيها النظام البائد باعتقال و تعذيب و اعدام الكرد. اصبحت الآن متحفاً.

2-الأسماء الواردة في هذا المقال هم افراد الطاقم الذين زاروا (نقرة السلمان)، الكاتب و المترجم كان من بينهم.

المصدر:

صحيفة (هاولاتى) العدد 134.

القومية و الأقلية القومية

Nation & National Minority

فؤاد طاهر صادق

إنه لمن المؤسف و الاجحاف بحق الأمة الكردية و نكران الجميل لأدوارها و مشاركاتها التأريخية الإيجابية ان يذكر الكرد من قبل بعض العنصريين العرب كأقلية قومية.. هذا بلا شك مغالطة كبيرة تخالف الواقع.. إن الحقيقة البينة للقاصي و الداني، للعدو و الصديق، بأن الكرد امة عائشة في وطنها كردستان.. لكن هذا الوطن مجزأ و أجزاؤها ملحقة بدول محتلة لكردستان.

إن المجاميع الانسانية التي اصبحت تشكل بالتدريج و بمراحل قوميات، لم تكن كذلك في العصر القديم.. قبل ان تكمل مجموعات من الناس شروطها و معالمها و تصبح امة، كانت مجموعة قبائل و عشائر.. نتيجة تقدم الحضارة و الثقافة، فإن تلك المجتمعات قد اخذت تتطور و تكون بالتدريج مقومات اوطانها.. و هكذا فإن العشيرة و العشائرية، الاقليم و الاقليمية، الطائفة و الطائفية قد انصهرت بمراحل في بوتقة القومية.. الجدير بالذكر ان تكون المدن و الأقاليم قد سبقت تبلور الوطن و الوطنية و بروز القومية.. فاخلاص و خضوع اليونانيين القدماء قبل المسيح، كمثال، كان لمدينة اثينا و اسبارته و ليس لكل اليونان و شعبه!

ان تطور و تقدم الأوضاع الاقتصادية – الاجتماعية – الثقافية – السياسية للمجتمعات الانسانية و انتقالها من الحالة الاقطاعية – الكهنية الدينية – الزراعية البدائية الى الرأسمالية – الزراعة المتطورة – الصناعة – العلمانية (Secularism)، حولت الاقطاعية و الاقليمية، الأسرية و العشائرية الى الوطنية و القومية.

قبل التحدث عن "القومية" و "الاقلية القومية"، لنعرف ما المقصود بالأكثرية (Majority) و الأقلية (Minority).. الأكثرية و الأقلية تحددان بمقارنة اجزاء الكل و هما نسبيان.. من جهة اخرى فإن ما تحدد القومية و الأقلية القومية متعلق بظروف و شروط تكوينهما اكثر من الكثرة و القلة.. بمعنى اخر فان القومية الصغرى، أي اقل سكاناً، و القومية الكبرى التي هي اكثر سكاناً، لا تعني بأن القومية الصغرى تشكل اقلية قومية و ان القومية الكبرى فقط تكون قومية!

ينبغي ان لا نخلط القومية و الأقلية القومية بالأكثرية و

الأقلية، لأن مفاهيمها و معانيها مغايرة.. ليكن سكان قومية مشاركة في دولة مع قومية اخرى اقل عدداً، فان هذا لا يعني بأن القومية الأقل سكاناً هي اقلية قومية.. مثال ذلك ان الكرد في كردستان سوريا رغم كونهم اقل عدداً من عرب سوريا، بما انهم يعيشون على ارض وطنهم كردستان و تتوفر فيهم شروط القومية فانهم يشكلون قومية و ليست اقلية قومية.. اما بالنسبة الى عدد السكان فان الكرد و العرب في سوريا يشكلان اقلية و اكثرية.

القومية او الأمة هي مجاميع من الناس يشكلون مجتمعاً متميزاً.. انها تكوين و وجود و واقع اجتماعي – تأريخي – جغرافي – ثقافي.. ان جملة من الشروط و المكونات تكون قومية او امة ما، منها:

1-وطن مشترك لسكانها.

2-ثقافة مشتركة لهم و منها اللغة و التقاليد و العادات و الأخلاق التي هي من اهم مكوناتها .

3-تجانس التكوين النفسي لأبنائها.

4-تأريخ مشترك ساهم فيه ابناؤها و تمتعوا بنعمه و ذاقوا معاناته.

5-اقتصاد و سوق مشترك يجمع ابناءها.

اما الأقلية القومية (National Minority) فأنها تلك المجاميع من الناس تتوفر فيها بعض الشروط القومية و تفتقر الى بعضها منها عدم عيشها على ارض وطنها.. فمثلاً ان الكرد في لبنان يشكلون اقلية قومية لأنهم يعيشون على ارض لبنان و ليس على ارض كردستان.. كذلك فان العرب في المكسيك و الأرجنتين و دول اخرى في القارات الأمريكية و الأوربية يشكلون اقلية قومية.. ان الروس في وطنهم روسيا يشكلون قومية، الا انهم في جورجيا و اوكرانيا مثلاً هم اقلية قومية لأنهم يعيشون كمجاميع متناثرة في اوطان غيرهم. صحيح ان للأقلية القومية ثقافة قومية منها اللغة القومية و لأبنائها تجانس نفسي و لكن ليس لها وطن و اقتصاد مشترك يجمع ابناءها.

ان ابناء قومية ما عندما يشكلون قومية في وطنهم كالانكليز في انكلترا، الكرد في كردستان، العرب في الوطن العربي، الفرنسيون في فرنسا، الفرس في بلاد فارس و هكذا، فإنهم كمجاميع متفرقة من الناس خارج اوطانهم في اوطان الغير لا يشكلون قومية.. مثال ذلك الكرد في المانيا، العرب في انكلترا، الفرس و العرب و الأتراك في كردستان يشكلون اقليات قومية. لكن هنالك حالات استثنائية عندما قام جزء كبير من شعب ما باحتلال اوطان اخرى و الاستيطان فيها و توفر شروط القومية فيهم، فأنهم قد اصبحوا قومية هنالك ايضاً، فمثلاً الانكليز في استراليا و نيوزيلندا و كندا و الولايات المتحدة الامريكية و الفرنسيون في اقليم كيوبيك في كندا.

ان الكرد في أي جزء من كردستان يعيشون على ارض وطنهم يشكلون قومية.. صحيح

بـان الكـرد نتيجـة تقسـيم كردسـتان بعـد الحـرب العالميـة الأولى مـن قبـل بريطانيـا و حلفائها على دول تركيا و ايـران و العـراق و سـوريا لا يشـكلون اكثريـة في تلـك الـدول، الا انهـم بسـبب تـوفر شـروط الأمـة فـيهم فإنهم يشكلون امـة او قوميـة.. و لغويـاً لـيس مـن اللائـق ان يقـال "الأكـراد و العـرب"، بـل ينبغـي القـول "الكـرد و العـرب".. فـان قـول "الأكـراد" كالحـديث عـن مجـاميع متنـاثرة مـن الكـرد كقول "الأعراب" بدلاً من العرب.

الكـرد امـة و وطـنهم كردسـتان محتلـة، و هـم حتـى يومنـا هـذا محرومـون مـن حـق تقرير مصيرهم!!

قبل الفيدرالية و كركوك

عدنان حسين

لكـرد العـراق كـل الحـق في المطالبة باقامـة نظـام فيـدرالي في العراق الجديد و بضـم كركوك و مـدن و بلـدات و قـرى اخـرى كرديـة او كرديـة تركمانيـة، عربيـة، كلدواشـورية الى اقلـيم كردستان. فالعراق بلدهم كما هو بلد العرب و التركمان و الكلدان و الاشوريين، و العراق الجديد الذي يريده معظم العـراقيين ان يكون ديمقراطيـا سـاهم الكـرد، و يسـاهمون الآن، في صـنعه الى جانـب اقـوام العـراق الاخـرى. و الديمقراطية تعـني ان يكون لكل جماعة، بل لكل فـرد ايضا، الحق في ان يقرر مصيره بنفسه. و كما يحـق للعـراقيين ان يـدعوا في المرحلة الانتقالية هـذه الى اقامـة نظـام اسلامي تكـون فيـه الغلبـة للشـيعة او لا تكـون فيـه غلبـة للشـيعة علـى السـنة و لا للسـنة على الشيعة، و كما يحق لغيرهـم ان يـدعوا لنظـام يؤكـد علـى مـا يعتبرونها الهوية العربيـة للعـراق، و كمـا يحـق لآخـرين ان يعملـوا علـى جعـل النظـام ديمقراطيـا علمانيـا لضـمان عـدم تـدخل الدولة في الـدين كما كانت عليه الحال في عهد صدام البائد و عـدم تدخل الدين في الدولة على النحو الذي يجري في ايران المجاورة مثلا مـا جعـل الجـار الشـرقي للعـراق لـيس بأحسـن حـال مـن عـراق صدام حسين، فان من حـق الكـرد ان يدعوا و يعملوا لنظام فيدرالي و جعل كل المنـاطق الكردسـتانية جـزءا مـن اقلـيم كردسـتان الـذي سيتمتع بوضع فيدرالي في العراق الديمقراطي.

لا لـزوم، اذن لهـذا الضـجيج المبحوح الـذي يحـاول الشـوفينيون العرب و التركمان اثارتـه بـدعم و تحريض من دول و قوى خارجية لتحقيق اهـداف و مصـالح خاصـة بهـا علـى حسـاب مصـالح العـراق،

فمطالبة الكرد بالفيدرالية و ضم كركوك و سائر المناطق الكردستانية الى اقليم كردستان لم تجر لا على اسنة الرماح و لا تحت التهديد بالانفصال، و لا ايضا انطلاقا من عواصم الدول المجاورة كما يفعل مناهضو هذه المطالبة من الشوفينيين العرب و التركمان.

كرد العراق اعلنوا مطلبهم جهارا امام اجهزة الاعلام في بغداد و اربيل و السليمانية، و هي كما يعرف الجميع مدن عراقية و ليست سورية او تركية او ايرانية، و رفعوا هذا المطلب الى اعلى هيئة حكم عراقية (مجلس الحكم) من دون ان يلوذوا بجهات خارجية و قبل هذا كله و بعده لم يأت كرد العراق ببدعة، فنصف العالم تقريباً فيدرالي، بما في ذلك اكبر بلدانه و اهمها: الهند و الولايات المتحدة و روسيا و المانيا و سويسرا.. و القائمة تطول. كما ان مطالبتهم بالفيدرالية قديمة ترجع الى نحو خمس عشرة سنة و قد حظيت بدعم و تأييد من اهم القوى السياسية المعارضة لنظام صدام حسين و تبنتها كل مؤتمرات المعارضة منذ العام 1991. اما المطالبة بكركوك و المناطق الاخرى فتاريخها اقدم، و هي بعمر نضال الكرد من اجل حقوقهم، و في المفاوضات مع الحكومات العراقية السابقة، و بخاصة التي اسفرت عن اتفاق اذار (مارس) 1970 الذي اعترفت فيه حكومة البعث البائدة بحق الكرد في حكم انفسهم بانفسهم، كانت قضية كركوك و المناطق الاخرى على جدول الاعمال و جرى الاتفاق على تأجيلها لبحثها في المستقبل. وليس الغائها. باعتبارها واحدة من عدة قضايا خلافية. و في مفاوضات 1991 كانت هذه القضية من الاسباب الرئيسة التي عطلت التوصل الى اتفاق جديد مع نظام صدام.

لكرد العراق كل الحق في المطالبة بالفيدرالية و كركوك، لكن ما يتعين عليهم ان يدركوه انه من دون قيام نظام ديمقراطي حقيقي في العراق لن تتحقق لهم الفيدرالية و لن تكون لهم كركوك و سائر المناطق. و بصراحة فانهم مقصرون كثيرا في هذا الشأن، فما زالوا متفرقين، كل مهتم بحزبه و ادارته و متربص للاخر من دون ادراك لأهمية ان تنشأ في اقليم كردستان ادارة ديمقراطية موحدة لا يحتكرها الحزبان الرئيسان، فديمقراطية اقليم كردستان نصف الطريق الى العراق الديمقراطي. فاقطعوا لنا هذا النصف ليصبح العراق ديمقراطيا و خذوا الفيدرالية و كركوك، بل العراق كله، فانتم ابناؤه و انتم الاولى به.

a.hussein@asharqalawsat.com

ليس عن الفيدرالية، لكن عما حولها

عبد المنعم الاعسم

لا اجد تفسيرا لدى معارضي حق الكرد في الفيدرالية من العراقيين حين يتجاوزون المناقشة الموضوعية حول خيار مطروح على الطاولة، و ليس تحتها، الى شعارات و املاءات تنأى عن مبادئ حقوق الانسان بمسافة عصور، كما لا اجد مبررا لدى المدافعين عن حق الكرد بالفيدرالية في المضي بالمناقشة الى حد القذف و التهديد و الطعن في نزاهة المقصد من وراء الاعتراض على هذا الحق.

و ليس ثمة ما يبرر لاصحاب الرأي في معارضة اقامة الفيدرالية الادارية في العراق على اساس وجود قوميتين رئيستين للخروج بالجدل عن اطار تبادل الراي و احترام الراي الاخر الى انكار حق الكرد في صياغة شكل علاقتهم بالدولة العراقية او الى تجريح مشاعر الكرد الوطنية، في حين لا موجب للمدافعين عن الفيدرالية في التعامل مع مخالفيهم من زاوية التعصب الذي يصل حد السقوط في ضيق الافق القومي و التلويح بالحرب القومية.

احسب انني اشير الى متطرفين من المعارضين للفيدرالية و المدافعين عنها، و ليس الى عقلاء متوازنين من المسكرين ممن ابتعد عن السجال الاستعراضي المتوتر من على الشاشات الملونة او على واجهات الصحف و شبكات الانترنيت، و استبق النقاش الى التعبير عن القلق من ان تتزايد مساحة التطرف كلما اقتربنا من موعد استحقاقات تقنين بناء اسس الدولة العراقية و ما يتصل بتنظيم افضل السبل لاتحاد اختياري بين القوميتين الرئيستين في العراق، العرب و الكرد، في كيان واحد.. و الا ما هو هدف محاولة المعارضين للفيدرالية من وراء خلط الاوراق لزج اسم اسرائيل في قضية الشعب الكردي الذي كان اسبق من اسرائيل على الخارطة بمئات السنين.. و لماذا يلقي مدافعون عن الفيدرالية مسؤولية جرائم الابادة و الانفال على عاتق مناهضي الفيدرالية من عرب العراق، و هم ابعد ما يكونون عن شبهة هذه التهمة، بل ان للكثير منهم ضحايا تحت المقابر الجماعية، الوجه الاخر للانفال و حرب الابادة.

و احسب كذلك، ان الخلل هنا يكمن في الجاهزية السياسية و في درجة استيعاب مبادئ الديمقراطية و تطبيقاتها على ارض العراق و على مشكلاته المعقدة، الامر الذي يعبر عنه (لدى البعض) في الاستغراق

بنظرية المؤامرة و المضي بها الى حد اختزال القضية الكردية الى ارادة زعامات او تصويرها كصفقة سياسية عابرة فيما هي مشكلة تاريخية ضاربة الجذور، ليس في العراق وحده، بل في اربع دول اخرى، و قد جرى العراق الى متاهات و حروب و فظائع آن الاوان البحث للخروج منها.

و من غير استغراق في تفاصيل اراء المعارضين للفيدرالية و المدافعين عنها، فان القضية توضع في ثلاثة عناوين متداخلة، الاول، حق الكرد في اختيار شكل العلاقة بالدولة المركزية حيث اجمعوا على الشكل الفيدرالي ضمن حق تقرير المصير المكفول بميثاق الامم المتحدة، و الثاني، حق القومية الرئيسة و الاقليات القومية في مناقشة هذا الخيار او الاطمئنان الى حقوقها في ظله، و الثالث، حقوق الدول المجاورة في ان لا تكون الهيكيلية الجديدة للدولة العراقية مصدر تهديد امني لها.

ان الجانب الكردي مدعو الى الصبر حتى تقتنع الاطراف ذات الصلة بان الفيدرالية لا تهدد مصالح احد و لا تفتت الكيان العراقي بل هي تدبير اداري يستهدف اعادة صياغة العلاقات بين القوميتين الرئيستين في العراق بما يؤمن حقوقا للكرد تتناسب مع دورهم و حجمهم في النسيج السكاني.

اننا في طور تأسيس قواعد للحوار حول مشكلاتنا الكبرى مما ورثناه من عهد الدكتاتورية البغيضة، الحوار بالحسنى.. فيما يقترح البعض منا، و غرباء من وراء الحدود، الحوار بالسكاكين.

www.kirkukcenter.com

حتى لا يخان الكرد مرة اخرى

الفيدرالية تعزيز لوحدة العراق و ليست تقسيما له

د. خالد شوكات*

تملصت الادارة الامريكية من التزاماتها تجاه كرد العراق دون أي شعور بتأنيب الضمير، متحججة بان الامر يهم العراقيين انفسهم، و بان على هؤلاء ان يختاروا شكل الدولة التي تناسبهم، و كانت مسألة الفيدرالية وحدها التي تقتضي في نظر المسؤولين الامريكيين حسم العراقيين لها، اما بقية القضايا المطروحة فلا ضير من ان تبدي فيها الرأي و المشورة، بل تقوم الى ذلك بالاشراف على التنفيذ.

كما بدأت اصوات عراقية و عربية تتعالى بوتيرة كثيفة و

تتعلل باعذار كثيرة، تبدي في مجملها ممانعة تجاه مبدأ الفيدرالية – الذي يفترض انه كان مبدأ وطنيا مجمعا عليه من قبل جميع قوى التغيير العراقية التي ساهمت في الاطاحة بنظام حكم الطاغية، و تزعم ان الشكل الفيدرالي سيقود الى تقسيم العراق.

و لا شك ان ما تلبد من غيوم في السماء العراقية في الفترة الاخيرة، يدفع المتابع الى شم ريح الخيانة حيال حق الكرد المشروع في تقرير المصير، و لطالما عانى الكرد للاسف الشديد – من الخيانة و التآمر و نقض العهود، و لطالما انتهكت ارواحهم و اعراضهم و اراضيهم بايدي العنصرية البغيضة.

ان كردستان لم تكن يوما وطنا مصطنعا، و لا كان الكرد مهاجرين جرى تجميعهم من اقطار و قارات شتى و توطينهم على ارض لا علاقة لهم بها، و ان شئنا الانصاف فان "الكرد" اعرق شعوب المنطقة و اكثرهم ثباتاً في ارضهم، و ليس لاحد ان ينفي هويتهم الحضارية و الثقافية المتميزة او يزايد عليهم في التضحيات او البطولات القومية، فلماذا يسمح العرب و الفرس و الترك لانفسهم بالحق في الوجود و الخصوصية و يمنعون هذا الحق المقدس عن الكرد؟

لقد جرت المفاهيم العنصرية التي اقيمت عليها الدول في المنطقة الشرق اوسطية الكثير من الويلات و المآسي على الشعب الكردي، و لا يوجد مبرر لاي شخص معتز بهويته القومية العربية و متشبث بطموحاتها الوحدوية و النهضوية، لانكار الحقوق التي يطالب بها لنفسه و قوميته، عن اخرين ينتمون لقومية مختلفة عنه، فالدرس الاساسي الذي يجب ان يتعلمه المرء المحب لامته و قوميته، هو ان يكون لكل انسان نفس الحق في ذات الحب، تماما كما يكون لأية امة الحق في السعي الى تقرير مصيرها و بناء وحدتها و تعزيز هويتها.

و لا يجد المرء النزيه تفسيرا لهذه السعادة التي يمكن ان تحلم بها امة، و هي تعلم ان مصدر هذه السعادة مأساة امة اخرى و نكبتها، فاذا كانت سعادة عرب العراق سنة و شيعة مشروطة بشقاء و بؤس الكرد، فلن تكون هذه السعادة في جوهرها سوى مواصلة لنهج الاقصاء و الالغاء السابق، و اذكاء لنار الحقد و الكراهية التي ابتدأت بحرق القرى و الاحلام الكردية و انتهت بالتهام الوطن كله، بمختلف مكوناته و اعراقه و طوائفه.

لقد اظهر قادة القضية الكردية خلال العقد الاخير من تأريخ العراق، الكثير من مظاهر الولاء للعراق، و قد احتضن اقليم كردستان العراق لسنوات طويلة بكل اخلاص حركة المعارضة و التغيير، و دفع ثمنا لذلك غالياً من ارواح ابنائه و ارزاقهم، و كانت الرؤية الى غاية سقوط بغداد في التاسع من ابريل سنة 2003، واضحة للغاية، فمكونات المعارضة العراقية، شيعية و سنية و كردية، متفقة على مبدأ الفيدرالية، ليست تقديرا للدور الكردي في المعارضة فحسب، بل

التـزام بـروح مبـادئ الديمقراطيـة و حقوق الانسان، التي اقيم على ضوئها مشروع التغيير في العراق الجديد.

و ان العـــودة الى مـــؤتمرات المعارضـة العراقيـة منـذ حـرب صدام الجائرة على الكويت، لتؤكد بشكل لا يقبـل التشـكيك، اجماع قوى المعارضة العراقية على مبدأ الفيدرالية، حيث وقع المشاركون في مـؤتمرات مصـيرية كمـؤتمر لندن و مؤتمر صلاح الدين، على وثائق لاتـزال محفوظـة، و ربطوا انفسهم بعهود و مواثيـق لا يجـدر بهم ان ينقضوا عراها.

و الى كـل هـذا، فقـد اتسـم سلوك القـادة الكـرد المشـاركين في مجلس الحكم و الوزارة بقدر كبير مـن المسـؤولية و الالتـزام حيـال مصالح العراق و وحدة اراضيه، و هـو مـا يفنـد بشـكل قـاطع أي طموحات انفصـالية لـديهم، او أي نية لهم في التحلل مـن التزامـاتهم ازاء مشــروع العــراق الجديــد المتعدد و الديمقراطي.

و لا شـك انـه سـيكون ظلمـا كـبيرا و اضـــرارا كـبيراً بهـــذا المشـــروع، لـــو تراجعـــت القـــوى السياســية العراقيــة الــتي قــادت التغــيير، عــن الالتــزام بمبــدأ الفيدراليـة او حتـى مبـدأ الـدفاع عنها، اذ كيف لنظام صدام حسين الذي اقيم على اسس عنصرية، ان يعترف للكرد بحقهم في الحكم الـذاتي (وقـد نقضـه لاحقـا)، في حـين يقـوم العـراق الـديمقراطي الجديـد بخـذلانهم و انكـار هـذا الحق عليهم.

ان الــذين يعارضــون مبــدأ الفيدراليـة في العـراق، لا يريـدون له الخير او الاستقرار، سـواء عـن قصد و سـوء نيـة او عـن جهـل و عصـبية، اذ لـــن يكـــون للكـــرد استعداد ابـدا و ذلـك مـن صميم حقهـــم للتفـــريط في كيـــانهم الخـاص، الـذي قـاموا ببنائـه عـبر شـلالات دم و تضـحيات لا حصـر لهـا، و لعـل اسـتفزازهم و اللعـب باعصـــابهم و اشـــعارهم بعـــدم الامـان، سـيقودهم الى مزيـد مـن التطـرف و التشـدد بمـا لا يخـدم مصلحة العـراق الموحـد و مصالح جميع مكونات شعبه.

لقد شـهدت الكـثير مـن الـدول المتقدمـة نزاعـات مشـابهة لتلـك المطروحـة اليـوم علـى العـراق، و كانــت الفيدراليــة حــلا ممــاثلا ساهم في تعزيز وحدة هذه الـدول و الحيلولـة دون تقسـيمها، مثلمـا كـان عليـه الحـال في اسـبانيا الـتي اختــارت الحــل الفيــدرالي بعــد تحولها الى الديمقراطيـة في بدايـة الثمانينيـــات، او بلجيكـــا الـــتي وضـعت حـدا لنـزوع "الفلامـان" الانفصالي بعـد تقسيم الـبلاد الى ثلاث مقاطعات، و الاعتراف بحكم ذاتـي لــ"فلانـدرا"، الـتي اصـبحت اليـوم قائـدة للمشـروع الاتحـادي البلجيكي و احـرص ما يكون علـى اســتمرار الدولــة البلجيكيــة الفيدرالية موحدة.

ان معارضـــة الفيدراليـــة في العراق، تعني عمليا الايمـان بمبـدأ الوحدة القائم على الغلبة و القهر و الالغاء و الاقصاء، في حين يعـني الايمــان بالفيدراليــة الوحــدة القائمـة علـى التنـوع و الاثـراء و الاحـــترام المتبـــادل و التعـــاون الطــوعي بــين مختلــف اقــاليم الـبلاد، و لا شـك ان اشـعار الكـرد بالامـان و طمـأنتهم علـى احـترام الجميـع لخصوصـياتهم و تقـدير

الكـل لعطـاءاتهم و تضـحياتهم، وحـده الـذي يمكـن ان يشـدهم للعراق اكثر.

و لعـل القيـاس علـى تجـارب الدول المجاورة للعراق، القائمة على سياسة الغاء وجود الشعب الكردي و العمـل المسـتمر علـى ارهابـه و تخويفـه، لـن يكـون مجـديا و لا مفيـدا في الحالـة العراقيـة، الـتي يفترض انها جاءت لتأسيس نموذج جديد في الحكم، يقوم على اسس و رؤى مغـايرة. فالسياسـة التركيـة و الايرانية و السورية و "الصدامية" سـابقا. حيـال المسـألة الكرديـة، لم تنتج الا مزيدا مـن احساس الكرد بالظلم و القهر و الرغبـة في الثـورة و التحـرر، و لعـل هـذا الاحسـاس سيتفجر يوما ما في وجه المسؤولين عنـه، و سيفضـي طـال الزمـان ام قصـر الى تصحيح الاوضاع المختلة المسـتندة الى القـوة الباطشـة و الى نظرة عنصرية مقيتة.

لقـد تـآخى العـرب و الـترك و الفرس و الكرد لقـرون طويلـة، و بنـوا معـا في اطـار الحضـارة الاسلامية الكـثير مـن الانجـازات و الملاحـم التاريخيـة، و كـان حريـا بهـذه الشـعوب ان تـرفض و قـوع الظلـم داخلـها، و ان تسـعى باسـتمرار لـدوام الطـابع الطـوعي للعيش المشـترك فيمـا بينهـا، فـاذا ما قدر لثلاثـة مـن هـذه الشـعوب ان تعـيش في كيانـات سياسـية مستقلة، فانه لمن المعيب ان يحـرم الكـرد مـن حـق الحفـاظ علـى الخصوصـية الثقافيـة و الهويـة القومية.

ان الكـثير مـن معارضـي مبـدأ الفيدراليـة في العـراق، يقلـدون بوعي او دون وعي طريقة تفكير الصهيونية في التعامل مع القضية الفلسـطينية، فزعمـاء الدولـة العبريـة يـرون في غـالبيتهم، ان نهايـة اسـرائيل تبـدأ مـع مـنح الفلسـطينيين حـق بنـاء دولـة في الضفة الغربية و قطاع غـزة، لان الخطـوة القادمـة لهـؤلاء سـتكون المطالبـة باسـتعادة اراضيهم الـتي اقيمـت عليهـا دولـة اسـرائيل، و كـذا الامـر بالنسـبة لـبعض العراقيين، فان منح الكـرد حكمـا ذاتيـا سـيكون مقدمـة لمطـالبتهم بالاستقلال التام.

و الـبين ان هـذه العقليـة المستبدة الخائفة من الاخر، حتـى و ان كـان مـن اقـرب النـاس، لـن تقـود الا الى مزيـد مـن الخـراب و العجز في جميع الاتجاهات، فيمـا سيقود التفكير بطريقة معاكسة، تقام فيها العلاقـات بـين العـرب و الكرد في العـراق، علـى اسـاس مـن الاعـتراف و الثقـة المتبـادلين، الى حماية و ضمان ما يخشى ضياعه، و سيضيع اذا ما اصر البعض على السير في طريق الماضي البغيض.

*كاتب تونسي مقيم في هولنـدا، عضـو المؤتمر القـومي العربـي/ مـدير مركـز دعـم الديمقراطيـة في العـالم العربـي – لاهـاي، الـنص منشـور في صـحيفة (السياسـة) الكويتيـة بتـأريخ 2004/1/11

حتى انت يا محمود درويش!

د. احسان الطرابلسي

لعل فضيحة (كوبونات النفط) السوداء التي كان الهمام صدام يستعملها كطعم لفئران الصحافة و الثقافة و الاعلام العربي و لغيرهم من المنتفعين الراقصين المطلبين، تعتبر اكبر فضيحة للثقافة العربية، بعد فضيحة مجلة "حوار" المشهورة في بداية الستينات من القرن الماضي التي قادها مجموعة من القومجية المتعربجين في ذلك الوقت.

لقد كنا نعتقد ان الهمام صدام كان يستطيع ان يغري من الصحافة فئرانها لكي تدخل مصيدته الجهنيمة، و تقضم من قطعة الجبن المسمومة، و تهرب. و لكنا لم نكن نعتقد ان جهابذة الصحافة العربية و اساتذتها و مالكي الصحف و المجلات فيها هم ايضاً جراذين صدام الذين اكلوا من قطعة الجبن المسمومة التي كان يقدمها لهم صدام على شكل كوبونات نفطية سوداء.

و لقد كنا نعتقد ان مثقفي الدرجة العاشرة في الثقافة العربية هم الذين كانوا يمدون ايديهم للطاغية طلباً للحسنات و الصدقات و المكرمات، ففوجئنا ان ما كان يسمى بـ"اعناق الجياد النافرة" على رأي الشاعر الراحل الماجد فواز عيد هي في حقيقتها اعناق فئران مستلمة متزلفة، لاتفتأ ان تنحني بخنوع مخجل لذهب الطاغية الأسود سواد وجهه، و سواد الأيام التي عاشها العراق تحت بسطاره.

و لقد كنا نعتقد ان المعارضة العربية التي ملأت الفضاء العربي و الاسلامي بشعارات الحرية و القومية و العروبة و الكرامة و العزة و البسالة و الجهاد و الفداء و التضحية و الاستبسال..الخ، هي معارضة شريفة لكل انواع الديكتاتوريات في العالم العربي العسكرية و الحزبية و القبلية، ففوجئنا ان هذه المعارضة كانت عبارة عن ارانب وديعة في حضن الديكتاتور المقبور، يجندها و يوظفها للدعاية له، و لمباركة عهده الأسود.

اعتقدنا كل ذلك، و اعتقدنا ان شاعراً جماهيرياً قومجياً عالي الصوت، ذرب اللسان، كان عبارة عن صوت الأمة العربية الشعري المدوي في الندوات و المهرجانات و الزفات و المؤتمرات كنزار قباني هو الوحيد الذي كان يقبض من صدام في الصباح، و يشتم الديكتاتورية في المساء، لكي يبيع دواوين اكثر، و لكي يكسب مالاً اكبر، و هو صاحب دكان " السمانة الشعرية الشامية" لا

يعــرف للشــعر معنــى الا كــم "المصاري" الذي يجنيه هذا الشعر لـه مـن كتابتـه و بيعـه للاخـرين ليصبحوا بـه شعراء مـزيفين، كما قـال لنـا جهـاد فاضـل في كتابـه "فتافيت شاعر". و من هنا احتكر نزار قباني نشر شعره و توزيعه، و انشـأ لـه داراً للنشـر، اطلـق عليها "منشـورات نـزار قبـاني". و هـو الذي قال في صدام يوماً:

لقد جئت الى بغداد مكسوراً..
فاذا بصدام حسين يلصق اجزائي
و جئــت كــافراً بممارســات
العــرب و اذ بصــدام يــرد الـي
ايماني، و يشد اعصابي
و هكذا اعود مـن بغـداد و انا
ممتلئ بالشمس و العافية
فشـكراً لصـدام حسـين الـذي
قطر في عيني اللون الأخضر!

و كنا نعلم ان شاعراً "ارزقياً" كنـزار قبـاني، لا يقفـل يـده امام لمعة اي قرش من اية جهة، بل هو سعى الى الشحاذة مـن دول الخليج و من السعودية بالذات التي اقفلت بابها في وجهـه، بعـد ان وسـط (طــوب الأرض) لكـي يــزور السعودية و يقيم فيها مهرجاناته الشعرية، و يبيع فيها دواوينه.

كلهــذا كنــا نعلمــه، و كنــا نتوقعـه، و ان لم نعلنـه في حيـاة نزار قباني الذي كان محتضناً من معظـم قبضـايات الصـفحات الثقافية، و يا ويل من كـان يمسه بسـوء او يحـاول ان يقلـل مــن مكانتـه الشـعرية. و كلنـا يـذكر الأذى الذي اصاب شاكر النابلسي عندما كتب كتابه الموسوعي عنه (الضــوء و اللعبــة، 1986) و حـاول ان يضـع نـزار قبـاني في ميـزان نقـدي جديـد بعيـداً عـن اعجــاب الغوغــاء، و الجمــاهير الهوجاء، و وله النساء.

كلنا كان يعلم كل هـذا و كان يتخيلـه. و لكـن الـذي لم نكـن نعلمـه و لم نتخيلـه، و وددنـا ان نموت قبل ان نعلمه هو ما اعلنه الشـاعر و الديبلوماسـي العراقـي السابق (ارشد توفيق)، احد كهنة المعبد الصدامي المنهار في حديثـه لإيـلاف (2004/3/10) الــذي اجــراه اســامه مهــدي، مــن ان الشــاعر الفلســطيني الثــائر، و الأممـي الحـائر، و رمـز الثـورة و الثوار النادر، محمود درويش كـان مــن "القبيضــة" الــذين تسـلموا اموالاً من الهمام صدام عن طريـق ارشد توفيق الذي قال:

"امـا هـل قمـت انـا شخصـيا بايصال عطايا؟ نعم. استلم ادباء مرموقــون عراقيــون و عـــرب ظروفا ملأى بالدولارات. و استلم مـني اثنـاء عملـي سـفيراً قـادة لأحـزاب و رؤسـاء وزرات مبـالغ طائلـة حتـى ان احـدهم اسـتلم الدولارات و لم يرجع لي حقيبتي ايضـا. و في حفـلات الاسـتقبال الرسميـة كنـت التقـي بهـؤلاء. و كنــت اخجـل مــن النظــر في وجوههم، الا انهم لم يخجلوا قـط مـن ذلـك. و كنـت اتساءل دائما لماذا تدفع هذه الأموال؟

و الأن يبـدو ان المسـتور قـد انكشف. في حين ان نقـاد درويـش الأدبـيين – علـى قلــتهم – لم يستطيعوا كشف ذلك مـن خـلال ما كـان يكتـب درويش الا عنـدما همس احدهم بان ديوان درويش "مديح الظل العـالي" كـان مهـدى لصـدام، و ان صـدام هـو المعـنى بـ"الظل العـالي" كحارس للبوابة

الشرقية، و هو كان في حقيقته (حاميها حراميها). و قد قرأت كل ما كتبه النقاد عن محمود درويش، و خاصة كتاب شاكر النابلسي المهم (مجنون التراب، 1987) الذي يعتبر اوفى المراجع النقدية واضخمها عن شعر درويش حتى العام 1990، فلم اجد اثراً لرائحة النفط العراقي الصدامي فيما كتبه النابلسي، و لكني عندما رجعت الى ما كان يقوله محمود درويش عن الديكتاتور الفلسطيني ياسر عرفات، و منه قوله فيه (مجلة الكرمل عدد 10، 1983):

ليكن هو نحلة الفكرة و خليتها التي تبدع مكاناً على اية زهرة ممكنة

لأنه هو المكن الوحيد للتفاوض مع المستحيل

لأنه هو المكان اينما كان

عليه ان يحيا لندرك ما البحر

عليه ان يحيا لنبلغ البر

و هذا الرجل واقف امام البحر

فهل يبحر

و هل يلقي خطبة البحر

هل يتسع له هذا البحر

و هل رأيتم من قبل رجلاً لا تتسع له الكرة الأرضية لأنه يحمل حلم فلسطين بديع

انه ياسر عرفات قائدي و صديقي

و نشيد البحر

و حين قرأت تعليق شاكر النابلسي على هذه المقطوعة في كتابه (اكله الذئب، 1999) (و الذئب هنا ياسر عرفات و المأكول هو (ناجي العلي) و هو السيرة الفنية لرسام الكاريكاتير الفلسطيني الأشهر ناجي العلي الذي قتله ياسر عرفات في لندن عام 1987، و الذي كان الشهيد الفلسطيني الثقافي الوحيد الذي لم يرثه درويش في اشعاره، و لم يؤبنه في مجلته الثقافية (الكرمل)، و لم يأت على ذكر استشهاده قط، و هو مداح الشهداء الفلسطينيين، و ذلك لأن الديكتاتور (قائد درويش و صديقه) كان هو القاتل.. ساعتها عرفت فقط ان درويش لم يكن مداح الشهداء فقط، و لكنه كان مداح الديكتاتوريين ايضاً. اذن، ولاء درويش للديكتاتور صدام لم يكن هو الأول و الأخير فقد كان ولاؤه للديكتاتور الفلسطيني سابقاً، و لكن رائحة الدم الفلسطيني الذي كان يتفجر و يتدفق كل يوم، حالت دوننا و دون باقي الروائح الكريهة المنبعثة التي كانت تزكم الأنوف. و منظر الشهداء المتقاطرين على المذبح الفلسطيني حال بيننا و بين رؤية الأيدي القذرة التي كانت تمتد في جيوب الديكتاتوريين لكي تقبض المعلوم.

انها فجيعة كبيرة تلك التي كشفت عن ان شاعر المقاومة الاول كان يرتهن لصدام كما كان يرتهن اي مرتزق اخر.

انها فجيعة كبرى للناس الذين صدقوا نبوءة الأنبياء الكذبة.

انها فجيعة كبرى حيث تؤمن فتكفر.

و حين تثق فتخسر،

و حين تتبع فتنحر،

و حين تحب فتسحر،

و حين تنتصب فتكسر.

و سامح الله كل الأنبياء الكذبة في السياسة و الوطنية، و ادعياء الشرف و الطهارة.

حوار مع الشاعر و الدبلوماسي ارشد توفيق

حول فضيحة [كوبونات النفط]

حاوره الدكتور اسامة مهدي

يتحدث الشاعر و الدبلوماسي العراقي ارشد توفيق عن رحلته الادبية و السياسية و الحزبية و الدبلوماسية التي بدأت في خمسينيات القرن الماضي عاش خلالها تجارب غنية عبر سنوات شكلت ملامح الادب العراقي الحديث و معها السلطة و الحزب و الدولة و التي اوصلت اوضاع العراق الى ما هي عليه الان. و فيما يلي الحلقة الثانية من لقائنا مع ارشد توفيق:

***كيف كانت ظروف انتمائك الى حزب البعث و ما هي الدوافع التي جعلتك تتجه الى هذا الحزب دون غيره؟**

-في جيلي كنا ننتمي الى الاحزاب السياسية و نحن في سن المراهقة.. ليس هناك اختيار عقائدي بما تعنيه هذه الكلمة.. فأنت لا تطلع على ايديولوجيات متعددة ثم تختار احداها.. ثم انك غير قادر اصلا في تلك السن على الفهم السياسي و التمييز بين حركة و اخرى.. في حي ما.. او في مدرسة ما يصبح اصدقاؤك في حزب معين و تجد نفسك بينهم ثم تصبح مع الزمن احدهم.. هذا ليس تنكرا للواقع او انسحابا من تاريخ شخصي بل هو الواقع بعينه و هو يشمل اغلب الذين انتموا لحركات سياسية في سن مبكرة.. و تمر سنوات عديدة و يصبح هذا الانتماء واقعا.

***لماذا اتجهت الى الاعلام في مطلع السبعينيات دون المجالات الاخرى؟ و هل كنت مقتنعا بالاعلام البعثي ام كنت تسعى الى انفتاحه و محاولة تعديل مساراته؟**

-انا لم اختر الاعلام و انما نقلت اليها.. فاهتماماتي ثقافية و ليست اعلامية و شهادتي في الحقوق و ليس الاعلام. و كان عملي في الاعلام في زمن الرئيس الراحل احمد حسن البكر و لم يكن انذاك حادا او مباشرا بالطريقة التي اصبح عليها في عهد صدام حسين.

كنت اطرح على وزير الاعلام لطيف نصيف جاسم عام 1986 ان مهرجان المربد على سبيل المثال اصبح ظاهرة او فعالية اعلامية محضة و هو يضعف المهرجان و يجعله بائسا.. و كنت اقول له لو ان هذا المهرجان حافظ على نهجه الاول و اختصاصه لكانت النتيجة الاعلامية له افضل.. غير انه لم يكن بالمستوى الذي يجعله يدرك

اهمية ذلك. اريد ان اقول ان نظرتي للاعلام كانت تختلف و لكن قيادته كانت امية.. و من اقسى التجارب انك تتلقى التعليمات من شخص لايفقه شيئا.

***بعد ان اعلنت معارضتك للنظام العراقي السابق عقب غزوه الكويت اعتقد كثيرون انك ستكتب كتبا عدة عن الحياة في ظل الدكتاتورية.. لكنك لم تكتب غير (نصف السماء) لماذا؟**

-نصف السماء فيها نقد عنيف للنظام و رئيسه و فيها تسجيل لمعاناة الكرد لمن يقرؤها بعناية. صحيح ان كثيرين توقفوا او ارادوا مني ان اكتب كراسات اعلامية صرفة زخرت بها السوق بعد حرب الخليج و كانت سلعة تجارية لم يبق منها شيء الان. في الصحافة كتبت مقالات عن النظام لكن المقال السياسي شيء و الادب شيء اخر.

***عملت اكثر من عقدين في المؤسسات الثقافية العراقية بعد 17 تموز (يوليو) 1968 فكنت رئيسا لتحرير هذه المجلة و تلك و مديرا للدائرة الثقافية.. هل تعتقد ان عملك كان دعائيا للنظام اكثر منه افادة للثقافة العراقية.. و لماذا؟**

-تحديدا عملت رئيسا لتحرير مجلة المثقف العربي و اعدادها موجودة و هي ليست دعائية بل فكرية.. كما عملت رئيسا لتحرير الطليعة الادبية و اعدادها موجودة ايضا و هي مجلة ثقافية تعني بادب الشباب لاغير.. و كنت رئيس تحرير مجلة فنون اذاعية و هي مهنية صرفة.

اما عملي كسكرتير تحرير في مجلة الاديب المعاصر فالادباء جميعا يعرفون مستوى تلك المجلة و اختصاصها.

***يتردد بين الاوساط الثقافية العراقية و العربية بان طارق عزيز نائب رئيس الوزراء السابق كان يطلب منك منح مكافات مجزية لعدد من المثقفين العرب المعروفين و من بينهم الشاعر الفلسطيني محمود درويش.. فمن هؤلاء؟ و ما هي العطايا التي قدمت لهم و لماذا؟ و هل كان شراء النظام السابق ذمم المثقفين العرب و الاجانب لكي يكيلوا له المديح ام لكي يسكتوا عن ممارساته في افضل الاحوال؟**

-لماذا يكون الصحفيون و الادباء هم الهدف الاسهل علما بان جريرتهم اقل من جريرة اخرين؟ الانهم الاضعف في هذه الحلقة؟ و الافقر و الاقل حذارا؟ اذا كان لنا ان نشير الى مكافات مثل هذه فالاجدر بنا ان نشير الى ملايين صرفت دون حق ليس لخدمة العراق و انما لتجميل صورة "الرئيس الرمز" ليس الا. زعماء احزاب في العالم كله و ليس في الوطن العربي وحده تسلموا الملايين.. و رؤساء حكومات استلموا مبالغ طائلة.. و مرشحو انتخابات عامة مولوا حملاتهم الانتخابية من مال الشعب العراقي.. حركات سياسية في امريكا اللاتينية و افريقيا و جنوب غرب اسيا و اوربا كانوا يتسلمون بانتظام عطايا شهرية.

و في المكسيك، على سبيل المثال، كانت القيادة القومية ترسل شهريا مبلغا كبيرا الى احدى المجلات.. و اثناء عملي سفيرا في المكسيك فوجئت ان هذه المجلة لا تصدر اصلا و ان سيدة تستلم هذه الاموال فقط لانها كانت على علاقة مع احد المسؤولين الكبار في القيادة القومية لحزب البعث و قد استطعت بشق الانفس قطع هذه "الشهرية".

و هناك صحفيون في اوربا يتسلمون رواتب شهرية دون القيام باي عمل و يكونون غالبا من يعمل في الصفحات الدولية. اما الثمن: فان هؤلاء لن يكتبوا اية مقالة تمس النظام في العراق.. كما انهم لن يسمحوا بنشر مقالة "غير ايجابية".. و يعتبر هذا كسبا لاعلام النظام.

اكتشف الصحفيون بفراستهم المهنية ان هذا النظام مولع بنرجسيته فاسس الكثير منهم مجلات تاخذ تمويلها و ارباحها من النظام.. و هذا ما جعل النظام يحارب بجيش من المرتزقة سرعان ما انقلبوا عليه بعد غزو الكويت. و هذه الطريقة لازالت سائدة في الاعلام الحالي داخل العراق و اخشى ان تتحول الى قاعدة لا يخجل منها احد.

اعتقد بهذه المناسبة اننا حين نشخص عيوب النظام يجب ان نبتعد عنها نحرم تكرارها لا ان نغض النظر عن ظواهر لا تقل عنها سوءا و نتجنب نقدها لا تعود الى نظام صدام حسين.

اقول ان ادباء عرب تسلموا مكافات من السلطة العراقية السابقة.. نعم و هناك ادباء عراقيون و صحفيون استلموا اكثر.. و هنا يجب التمييز بين المكافأة الادبية الصرفة التي يستحقها الكاتب كما يستحق الطبيب او المحامي اجور اتعابه.. و هناك مكافآت من نوع اخر.. هذا النوع يجب ان يدان و يفضح من اجل عدم تكراره.

اما هل قمت انا شخصيا بايصال عطايا؟ نعم.. تسلم ادباء مرموقون عراقيون و عرب ظروفا ملأى بالدولارات.. و تسلم مني اثناء عملي سفيرا قادة لاحزاب و رؤساء وزارات مبالغ طائلة حتى ان احدهم تسلم الدولارات و لم يرجع لي حقيبتي ايضا. و في حفلات الاستقبال الرسمية كنت التقي بهؤلاء.. و كنت اخجل من النظر في وجوههم.. الا انهم لم يخجلوا قط من ذلك.. و كنت اتساءل دائما لماذا تدفع هذه الاموال..؟

ارى ان احدى خطايا النظام السابق انه كان يتصور نفسه قوة عظمى.. لذلك تمتد عطاياه من الارجنتين حتى السلفادور و من افريقيا حتى جنوب غرب اسيا. و على اي حال كان محرما ابداء الراي في العطايا و المساعدات السياسية و عليك فقط تنفيذ الاوامر..

في عام 1979 حدث اعصار في جزر الكاريبي و قام صدام حسين شخصيا بتوزيع المساعدات واحداها وصلت الى الدونيكان مع ان الاعصار بجزيرة دومينيكا.. و عندما ارادت السفارة تصحيح ذلك جاء الجواب بانه قرار رئاسي و لا يمكن مناقشة ذلك.. و اظن ان خطأ مطبعيا حصل في اسم

بلد المساعدة و لكن المشكلة ان احدا لا يعترف بالاخطاء حتى لو كانت مطبعية.

***عملت مع محمد سعيد الصحاف في الميدان الاذاعي و التلفزي ايام كان مديرا للاذاعة و التلفزيون.. ما هي الانطباعات التي خرجت بها من العمل معه و هل كان، برايك، يصلح لقيادة الاعلام في الفترة التي سبقت سقوط النظام؟**

-عندما عينت مديرا لاذاعة بغداد عام 1974 كان لطيف نصيف جاسم مديرا عاما للمؤسسة العامة للاذاعة و التلفزيون و كان محمد سعيد الصحاف قد نقل من هذه المؤسسة انذاك.

اما في عهد الصحاف فكانت لدي مساهمات ثقافية في الاذاعة.. و علاقتي الشخصية بالصحاف او لطيف نصيف ليست طيبة و اعتبر الاثنين كذبة ليس الا.

اما عن قيادة الاعلام قبل سقوط النظام فانني ارى ان العيب الاول هو في النظام و ان الصحاف شخص مذعور عليه تنفيذ التعليمات و عندما كان يتحدث في التلفزيون فانه يفترض ان صدام حسين يتابع كلماته و لذلك اصبح مهزلة.

***في ظل الالتباس و تعدد التيارات ما هو تقييمك لدور الاعلام العراقي الحالي و كيف تتوقع دوره في المستقبل؟**

-تعريفي للاعلام العراقي يختلف عما هو قائم حاليا.. انا ارى انه لا يوجد اعلام عراقي بالمعنى الدقيق للكلمة.. صحف كثيرة لا تعرف او تعرف من يمولها و زحام شديد دون لون او طعم او رائحة.. الاعلام العراقي غير المأجور لم يولد بعد وهو في مخاضه العسير.

***عملت في فترة مبكرة عقب 17 تموز 1968 في المنطقة الكردية مسؤولا حزبيا و سياسيا.. كيف تقيم تجربتك في الوسط الكردي؟**

-ان تجربتي في الوسط الكردي خاصة جدا فانا لست غريبا على المنطقة بل انا ابنها.. فانا من مواليد دهوك و قد اكملت الابتدائية و المتوسطة و الثانوية فيها و اعرفها قبل ان تتوسع بيتا بيتا و اعرف ينابيعها واحدا واحدا.. و اعرف جبالها صخرة صخرة.. انها المدينة الاولى لي رغم اننا ننحدر من عائلة عربية.

كنت اتكلم الكردية بطلاقة الا انني ضعفت فيها بعد انقطاعي زمنا طويلا عنها بعد سقوط النظام زرت ثلاث مدن في سفرتي الاخيرة للعراق هي بغداد و الموصل و دهوك.. و في (زاويته) كنت ضيفا على قائد سابق للمنطقة عمل مع المرحوم الملا مصطفى البارزاني.

لحسن الحظ عملت مسؤولا لحزب البعث في محافظة دهوك حين كان الاعداد يجري لبيان الحادي عشر من اذار عام 1970 و احتفلنا بالبيان مع السيدين علي خليل و عيسى السينجاري النائبين العسكريين للملا مصطفى. و ربما كان من غير المتوقع لدى البعض ان يعرف ان علاقة حميمة تربطني مع اهل دهوك و عشائرها و منتسبي

الحزب الديمقراطي خاصة.. و سأروي حكاية ابطالها احياء موجودين في دهوك:

كان الصديق عبد الرزاق كرماڤي نائب قائد المنطقة لقوات الكرد التي تحارب الحكومة المركزية في بغداد في تلك الفترة و كان عمه على فراش الموت في دهوك.. فبعث لي رسولا الى داري ليطلب مني ان اذهب الى قرية شندوخة جنوبي دهوك و اجلبه معي اليها لرؤية عمه. ذهبت وحدي في سيارة الى المنطقة و كان السيد عبد الرزاق محاطا بخمسين رجلا تقريبا من البيشمركة المسلحة فترجلت للسلام عليه و ركبنا السيارة معا الى بيت عمه.. ثم اعدته الى المنطقة نفسها.

لك ان تتخيل الصورة المسؤول الحزبي بمحافظة يذهب الى جبل شندوخة ليأتي بنائب قائد المنطقة الذي كان يعادي الحزب و السلطة التي يمثلها هذا الحزبي "انا" ثم يعيده اليها.. اعتقد ان ثقافة المرء و حسه الانساني يسبقان السياسة و يسموان عليها.. و هناك وقائع كثيرة لا اريد الخوض فيها فقد لا تصدق.

بعد بيان الحادي عشر من اذار حظيت بفرصة تاريخية: فقد كنت مبعوثا من لجنة السلام انذاك الى المرحوم الملا مصطفى البارزاني حيث وصلت قرب (كلاله) مقر الزعيم الكردي الراحل و كان المرحوم ادريس البارزاني نجله في استقبالي فاخذني في سيارته في طريق جبلي يمين الشارع حتى وصلنا قرية صغيرة تحيطها الجبال من كل جانب ثم دخلنا بيت المرحوم الملا مصطفى او دار ضيافته.

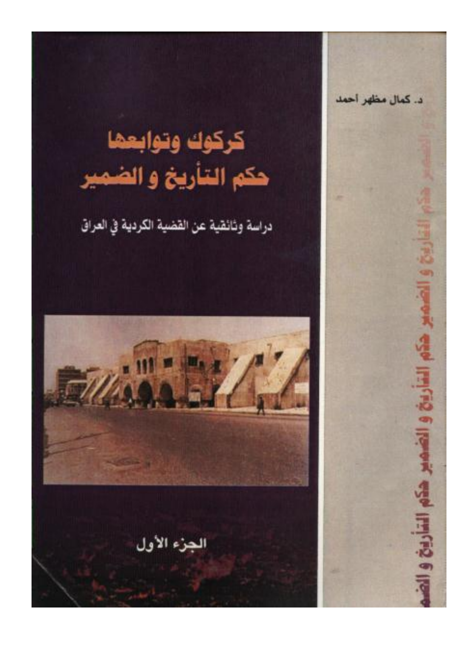
كان المبنى يتكون من غرفتين: الاولى على اليمين مخصصة للنوم و الى اليسار غرفة للجلوس فيها اثاث متواضع و منضدة حديدية جلس وراءها ذلك القائد. تحدثنا في السياسة و الصوفية و الدين بلغة عربية سليمة و كان متواضعا الى حد كبير فهو يرفض ان تسميه الا باسمه.. كان ذكيا حاضر البديهة.. عندما دخل عليه احد الاشخاص و تحدث باللغة الكردية سالني بعد خروجه: انت تفهم اللغة الكردية؟ قلت له نعم.. و عجبت كيف انتبه الى ذلك.

كتبت عن ذلك القائد الفذ في جريدة الرسالة التي كانت تصدر في مدينة الموصل عام 1970 صفحة كاملة و هي محفوظة في المكتبة العامة و يمكن الرجوع اليها.. و لازلت احتفظ بغليون خشبي صنعه تلك الليلة المرحوم البارزاني لي شخصيا.

***هل نجحتم في استقطاب و كسب عناصر كردية الى الحزب و هل قبلوا عن قناعة ام لاعتبارات شخصية و انتفاعية؟ و من هي اهم الشخصيات المعروفة التي انخرطت في صفوف البعث؟**

-لم يكن النظام في ذلك الوقت عام 1969 و هو بعد لاتفاق اذار للسلام مهتما بموضوع تبعيث المنطقة الكردية وانما حصل ذلك بعد ان تولى صدام حسين السلطة عام 1979 فوضع كل ثقله من اجل ضم الكرد الى حزب البعث فكان حريصا ان يجعل منهم بعثيين اكثر من حرصه على ان يبقيهم عراقيين.

كتب



كركوك و توابعها
حكم التأريخ و الضمير

تأليف: د. كمال مظهر احمد

عرض: نوزاد احمد

تعرضت مدينة كركوك خلال اكثر من قرن لحملات التتريك و التعريب و محاولة تشويه واقعها الكردستاني و تشويه حقائقها التاريخية و الجغرافية و الديموغرافية ذات الصلة بالكرد و كردستان، شهدت المنطقة سياسة التعريب التي مارستها الحكومات العراقية المتعاقبة بحق كركوك المدينة و توابعها منذ قيام الدولة العراقية عام 1921 و التي وصلت خلال العقود الاربعة الاخيرة و بالتحديد منذ تسلم الشوفينيين و البعثيين مقاليد السلطة في العراق الى مرحلة التطهير العرقي و الابادة الجماعية، و هكذا جرت محاولات عديدة لنسيان كردستانية مدينة كركوك و توابعها و محاولة تشويه جغرافيتها و تاريخها. من هنا

جاء تأليف الكتاب التاريخي القيم "كركوك و توابعها حكم التأريخ و الضمير" للكاتب و الباحث و المؤرخ الكردي المعروف الدكتور كمال مظهر احمد و صدر الجزء الاول من الكتاب هذا العام و طبع على نفقة حكومة اقليم كردستان. و الكتاب محاولة رصينة و جادة لاظهار كردستانية كركوك و توابعها من خلال استناده الى العديد من الكتب و الوثائق التاريخية الهامة.لاثبات كردستانية كركوك و توابعها يعود الكاتب الى عمق التاريخ في المنطقة و يبدأ من وقائع و تاريخ كركوك في ظل الاسلام و الخلفاء وصولاً الى العهد العثماني و حال مدينة كركوك و الامارات الكردية في ذلك العهد من خلال الواقع الاقتصادي و

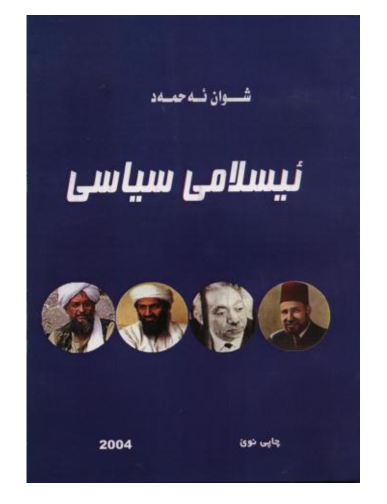
السياسي للمدينة و كما وصفت في كتب الرحالة و كيفية تواجد العرب و التركمان فيها و اوضاع كركوك في ظل الاحتلال البريطاني و في بداية عهد الانتداب و امام مؤتمر القاهرة عام 1921 و موقف كركوك و توابعها من ترشيح الامير فيصل في العراق و حركات الشيخ محمود في كردستان و اخيراً كركوك و توابعها في اطار مشكلة الموصل.

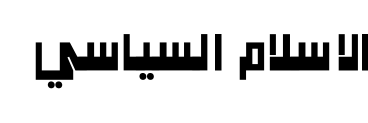
في مقدمة الكتاب و هي بعنوان "نبذة تأريخية" يقول الكاتب: "من الثابت تأريخياً ان مدينة كركوك تم بناؤها من قبل اللولوبيين او من قبل الخوريين و هما شعبان اديا دوراً اساسياً في تكوين الشعب الكردي كما انهما اقدم شعبين معروفين سكنا كردستان و تربطهما صلات حضارية و لغوية قوية. ورد اسم اللولوبيين الذين سكنوا سهلي شهرزور و زهاو مع امتداداتهما، ورد واضحاً في الكتابات القديمة التي تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد. و كما نلاحظ لاحقاً ان كركوك دخلت ضمن ايالة شهرزور ادارياً ردحاً من الزمن أي ضمن الوطن الاصلي للولوبيين، كما ارتبطت بها سياسياً طيلة التأريخ القديم و الوسيط و الحديث".

جاء اسم كركوك في الكتب التاريخية القديمة و الوسيطة و الحديثة الى جانب مدينتي اربيل و السليمانية كاشارة الى منطقة كردستان التي يعيش فيها الكرد منذ قدم الزمان، سجلت "دائرة المعارف الاسلامية" الكثير من الحقائق التاريخية، ففي مقالة "كركوك" ورد ان "ولاية شهرزور ضمت 32 سنجقاً كانت كركوك واحدة منها، و تحولت مدينة كركوك منذ ذلك الوقت الى المقر الرسمي لباشوات شهرزور". و كان ولاة شهرزور و حكام كركوك الاوائل من الزعماء الكرد المعروفين في زمنهم، فان اول وال لايالة شهرزور في العهد العثماني كان الزعيم الاردلاني بيكه بك، كما ان اول حاكم عين لسنجق كركوك في عهد سليمان القانوني كان مأمون بيك ابن بيكه بك. و لم يطرأ تغيير يذكر على الواقع الاداري لكركوك و توابعها ضمن ايالة شهرزور على مدى حقبة تاريخية طويلة في ظل الحكم العثماني الا بعد اكتشاف النفط فيها و احتلالها من قبل القوات البريطانية.

ان البريطانيين على الرغم من تجاهلهم لطموحات الشعب الكردي المشروعة في اتفاقياتهم و مراسلاتهم السرية في سنوات الحرب الاولى بخصوص مستقبل الاصقاع غير التركية من الامبراطورية العثمانية، الا انهم اشاروا فيها صراحة الى مصطلح كردستان و اطارها الجغرافي، ففي المذكرة المفصلة التي اصدرتها وزارة الخارجية البريطانية بتأريخ 21 تشرين الثاني عام 1918 و رد نص صريح يبين ان كردستان العراق تمتد الى الشرق من نهر دجلة الى ما وراء جبل حمرين.

ففي ضوء قناعاته اقام الملك فيصل الاول طوال سنوات حكمه الاثنتي عشرة العلاقات مع العديد من الزعماء الكرد بمن فيهم زعماء كركوك يلتقيهم و يتبادل معهم الرسائل، كما اتخذت في عهده سلسلة من الاجراءات الدستورية و القانونية لصالح حل القضية الكردية، منها تأسيس مديرية خاصة للمعارف الكردية كان مقرها في مدينة كركوك، الا ان اجرأ قرار اتخذ في عهده كان الاعتراف بحق الكرد في اقامة حكومة خاصة بهم تدخل كركوك و توابعها ضمنها، ففي الحادي و العشرين من كانون الاول سنة 1922 اصدرت الحكومتان البريطانية و العراقية البيان الذي جاء فيه "تعترف حكومة صاحب الجلالة البريطانية و الحكومة العراقية بحق الكرد القاطنين ضمن حدود العراق في تأسيس حكومة كردية داخل هذه الحدود، و تأملان في ان تتفق مختلف العناصر الكردية بأسرع ما يمكن على الشكل الذي يودون ان تتخذه تلك الحكومة و على الحدود التي يرغبون ان تمتد اليها و ان يرسلوا مندوبين مسؤولين الى بغداد لبحث علاقاتهم الاقتصادية و السياسية مع حكومة صاحب الجلالة و حكومة العراق".





للمؤلف: شوان احمد، 2004

عرض: نوزاد احمد

انتهت الحرب الباردة بانتصار الليبرالية الغربية على الايديولوجية الشيوعية، بدأت حينها الاوساط السياسية و الاستراتيجية الغربية اكثر من ذي قبل الحديث عن التهديدات و المخاوف المستترة التي تحملها الاصولية الاسلامية فيما بعد، و اطلقت على هذه التهديدات المستقبلية "تهديدات خضراء" كناية على ظهور مخاوف سيطرة الاصوليين الاسلاميين. و بعد احداث 11 سبتمبر المؤلة واجهت القوى الغربية الدور التخريبي للاسلام السياسي و الاصولية الجهادية و ادركت بعمق التهديدات التي

تأتي و تزداد يوماً بعد يوم من هذه القوة. و لأن واقع المجتمع الكردي بعد ربيع الحرية و الانتشار الواسع للارهاب الاسلامي لم يكن بعيداً عن هذه الظاهرة، بدأ الاسلام السياسي بالتوغل داخل نسيج المجتمع الكردي و اصبح جزءاً من واقعه السياسي و الاجتماعي، حيث احتل الخطاب الاصولي مساحة واسعة من الساحة السياسية و الاجتماعية و بدأ جناحا الحركة الاسلامية يعملان من اجل "تعديل" خريطة المجتمع الكردي و الدخول في مفاصلها الاساسية. من هنا اصبح المثقف الكردي محكوماً بالتصدي لهذا الخطر الداهم و كان عليه ان ينظر بتأنٍ الى هذه الظاهرة الجديدة و ان يبحث عن مرجعية و بدايات تأريخ الحركة الاصولية الاسلامية. كما عليه ان يبدأ من بدايات ظهور الاسلام السياسي في المنطقة و من اين تبدأ هذه الظاهرة بالتحرك و ماهي العوامل الثقافية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي ارست ارضية خصبة في القرن الماضي لولادة و نشوء هذه الحركة.

بدأ الكاتب و المترجم شوان احمد منذ اواسط التسعينيات في البحث عن هذه المسائل و كشف مكنوناتها و مكوناتها و ما يتعلق بالاصولية الاسلامية و ظاهرة الاسلام السياسي. و هذا الكتاب الذي نحن بصدده هو ثمرة جهوده خلال السنوات المنصرمة تلك في هذا المجال.

يتناول الكتاب بصورة عامة الاسلام السياسي و الذي يتكون من 344 صفحة و يتألف من ثلاثة فصول رئيسة على النحو الآتي:

الفصل الاول عبارة عن مقالات و دراسات تتضمن 14 موضوعاً مختلفاً جاءت عناوينها كالآتي: مدخل حول فكر حسن البنا و سيد قطب، مراجعة لتجربة اخوان المسلمين، سيد قطب و نظرية تكفير المجتمع و الدولة، استراتيجية عمل الاسلام السياسي ما بعد سيد قطب، مدخل حول جماعات التكفير، مصر و الاصولية و بن لادن، هكذا تحدثت زينب الغزالي، كوميديا الاسلام السياسي، تعامل تنظيم الاخوان المسلمين مع ثورة يوليو، تنظيم الجهاد و المزيد من الانقسامات، الاخوان و الاسلام، الاسلاميون السودانيون و الصراع حول السلطة، ماسخادف و الاعتراف المتأخر، الاسلام السياسي في واقعنا الكردي.

الفصل الثاني من الكتاب يتكون من قراءة و عرض مجموعة من الكتب التي تتناول ظاهرة الاسلام السياسي و قادته و شخصياته المعروفة، الى جانب عرض بعض من كتب المؤلفين العلمانيين التي تتناول علاقة الاسلام بالعالم الغربي و ظاهرة الارهاب و العنف.

و عرض في هذه الفصل 14 كتاباً في هذا الحقل على النحو الآتي: الاسلام و اصول الحكم، سيد قطب و ثورة يوليو، اسامة بن لادن، سيرة العرب الافغانيين، الدكتور فرج علي فودة، تأريخ الاخوان المسلمين بين الحقيقة و الخرافة، الاخوان و الارهاب، كيف يبرر تنظيم الاخوان المسلمين لمؤسساته و لسرية، الاخوان المسلمون من الارشادات الى التخويف، مصر و الاسلام السياسي، سيناريو الجزائر الاسود،

الحركة المسلحة في الجزائر، الاسلام و اوروبا و الغرب، محاولة انفصال القوميات المحتلة و المستغلة من الخلافة العثمانية.

و في الفصل الثالث نقرأ مجموعة من المقالات المترجمة الى اللغة الكردية كتبت من قبل مفكرين عرب و اروبيين متخصصين في حقل الاسلام السياسي كالدكتور هشام شرابي و الدكتور احمد البغدادي و الدكتور نبيل شرف الدين و اوليفيه روا و الدكتور عبد العظيم رمضان و عبدالله امام و غيرهم. جاءت عناوين هذا الفصل كالآتي: الاخوان المسلمون في عهد حكومة انور السادات، جماعات التكفير في عهد حكومة السادات، الاسلام السياسي و المجتمع المدني، الاسلام الاصولي و البورجوازية الصغيرة، خرافة دولة الخلافة، من هو اسامة بن لادن، محطات الارهاب افغانستان نموذجاً، جمال عبد الناصر و اخوان المسلمين، حوار مع اوليفيه روا.

الفكر الاصولي الاسلامي

قراءة سوسيولوجية نقدية

تأليف: فؤاد مجيد ميسري، 2003

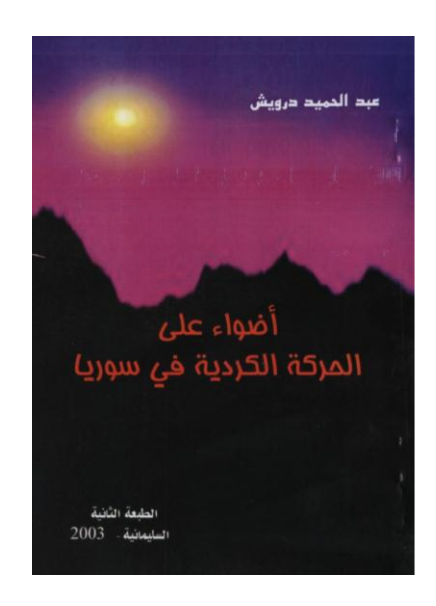
عرض: نوزاد

من المعروف ان الفكر الاسلامي كسائر الاجتهادات الفكرية و الدينية المعروفة في التأريخ اعتمد و لا يزال يعتمد على عملية التأصيل، أي البحث عن الطرق الاستدلالية و الوسائل التحليلية و الاستنباطية للربط بين الاحكام الشرعية و الاصول التي تتفرع عنها او لتبرير ما ينبغي الايمان به و يستقيم استناداً الى فهم صحيح للنصوص الاولى المؤسسة للاصول التي لا اصل قبلها و لا بعدها – كما تراها الاصولية-، و لقد ازدادت المشاكل المتعلقة بالتأصيل تعقيداً و تسلطاً على الفكر الاسلامي مع انتشار الحركات السياسية الداعية الى اعادة تطبيق الشريعة كما وردت و قيدت فيما وصفته بالمجموعة العقائدية التقليدية المغلقة. و لذلك تصنف هذه الحركات مع التيارات الاصولية تمييزاً لها عن المذاهب الاصولية القديمة التي كانت تعتمد على المناقشات و المناظرات التنظيرية من اجل التأصيل

الذي كان يمثل عملية اجتهادية بالفعل، بينما يكتفي الاصوليون الحاليون بفرض رأيهم عن طريق تسلم السلطة السياسية ثم تكييف التعليم مع ما يقتضيه التأصيل الموروث. كانت هناك مناقشات و مناظرات اجتهادية في العصر الذهبي للحضارة الاسلامية وصلت هذه الاجتهادات لغاية القرن العاشر الهجري، حيث كانت اراء ابن رشد و التوحيدي و ابن سينا و غيرهم في اوجها، و لكن ظهور الامام الغزالي و سيطرة افكاره على جل العقل الاسلامي و محاولة للحد من الاجتهادات وضع العقل الاسلامي في جمود فكري مما ولدت منه اصولية متزمتة على امتداد القرون التالية لحين وصولها الى عصرنا الحالي. اذن من اجل فهم الفكر الاصولي الاسلامي و الحركات الاسلامية الارهابية ينبغي ان نعود الى بدايات ظهورها في العصور الغابرة. من هنا جاء تأليف كتاب "الفكر الاصولي الاسلامي – قراءة سوسيولوجية نقدية" و بـ 406 صفحات للمفكر و الكاتب الكردي المعروف فؤاد مجيد ميسري.

يتألف الكتاب من ستة فصول رئيسة، يحمل الفصل الاول عنوان "ظهور و نشوء حركة الخوارج"، حيث يعيد بنا المؤلف الى بدايات ظهور هذه الحركة، ثم يتناول الباحث تنظير الفكر الاصولي بدءاً من حركة الخوارج التي لا تؤمن و لا تستند الا بالنصوص التأسيسية، و في هذا الفصل يصل المؤلف الى احياء الفكر الاصولي في نهاية القرن التاسع عشر. و في الفصل الثاني يضعنا امام ميراث الفكر الاصولي الاسلامي متمثلاً بحركة الاخوان المسلمين في مصر و بقية الدول العربية و الاسلامية فيما بعد. اما في الفصل الثالث فنصل الى اوكار الفكر الاصولي في مصر و العوامل التي ادت الى ظهوره و انبعاثه مجدداً في النصف الاول من القرن الماضي. يتناول الفصل الرابع تاريخ جماعة اخوان المسلمين و الجماعات التكفيرية الاخرى و سيد قطب.

و في الفصل الخامس نقرأ نظرية اخوان المسلمين حول السلطة و كيف استمدت هذه النظرية لبناتها الاساسية من الفكر الاصولي القديم أي من ابن تيمية و الغزالي وصولاً الى محمد رشيد رضا و حسن البنا. و اخيراً نقرأ في الفصل السادس مفهوم السلطة في نظرية الحاكمية – الجاهلية.



اضواء على الحركة الكردية في سوريا

تأليف: عبد الحميد درويش
عرض: دانا احمد

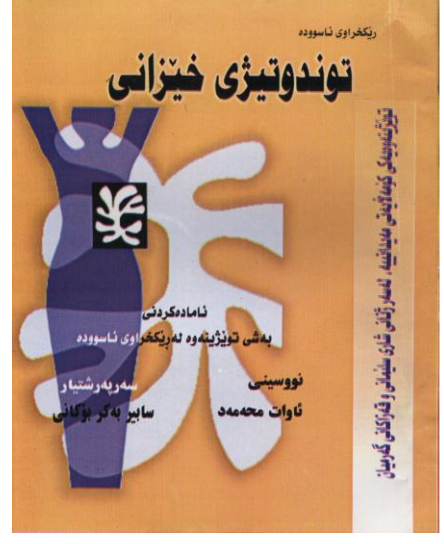
انحرط الكاتب في العمل السياسي لسنوات طوال في صفوف حزب وطني، و عمل في قيادته، و بعد ذلك شغل سكرتير الحزب، و قد حفظ كثيراً من المعلومات و الوقائع التأريخية من خلال المسؤوليات الحزبية التي تولاها و المهام السياسية التي قام بها على لصعد المختلفة في تلك المرحلة. فقد شرع بكتابة هذا الجهد المتواضع من خلال مساهمته في نضال الحزب، و رغم كل الصعوبات و العراقيل التي تعرقل مشروعه، يقول الكاتب بهذا الصدد: (و عندما بدأت بالكتابة من خلال مساهمتي المتواضعة في نضال الحزب، كنت اعلم بأنني اواجه مشكلة صعبة وهي عدم توفر ارشيف خاص بالحزب استعين به، و ان الكثير من الوثائق الهامة التي تتعلق بمسيرة حزبنا و علاقته مع الجهات الاخرى قد فقدت، او اتلفت جراء الاوضاع الاستثنائية التي فرضت عدم الاحتفاظ بها، او اتلافها في مراحل متتالية خشية وقوعها في ايدي اجهزة الامن التي تتعقبنا باستمرار).

من هنا بذل الكاتب جهداً متواصلاً لكي يحصل على ما يمكن حصوله من وثائق و ادبيات تتعلق بتأريخ الحزب و موقفه من الاحزاب السياسية في المراحل المعينة، و قد تنسى له العثور على جزء هام من ذلك بفصل رفاقه الذين احتفظوا بجهودهم الخاصة و مبادراتهم الفردية بما توفر لهم من وثائق و ادبيات..

و قد تكون الكتاب من مدخل و عدة مباحث: تأسيس الحزب، التغييرات الكبيرة، بداية الخلافات، في بيروت مع عبدالله اسحاقي، سقوط حكم الانفصال، وفد المصالحة و الزيارة الثانية لكردستان، مواجهة الانشقاق، في سجن غويران، العلاقة مع الحركة الكردية في كردستان تركيا، تحول ايجابي في موقف السلطة و بداية الحوار، ازدياد الضغط على

حزبنا، المؤتمر الوطني، قيادة مرحلية ام حزب ثالث؟؟ محنة الحزب الديمقراطي الكردستاني في تركيا، في مواجهة الحزام العربي، حقيقة موقف حزبنا من اعادة القتال في كردستان، الانشقاقات المتوالية و اسبابها، لجنة التنسيق الكردستانية، ميثاق التعاون المشترك، لجنة التنسيق مرة اخرى..

و في الختام قال: (لقد مرت القضية الكردية في مرحلة الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي – و الشرقي (السابق)، بوضع دقيق و معقد للغاية، و واجه المناضلون الوطنيون الرد جراء ذلك وضعاً شاذاً و صعباً لم يكن من السهل تجاوزه بالاساليب النضالية المعهودة المتمثلة بالنضال السياسي و الكفاح المسلح و غيرها من الاساليب، اما اليوم فان القضية الكردية قطعت شوطاً واسعاً نحو الامام رغم العقبات و العراقيل التي تواجهها، و المصاعب التي مازالت تكتنف سيرتها، فقد اصبحت محط اهتمام واسع لدى اوساط الرأي العام العالمي و المجتمع الدولي و المنظمات الانسانية و الدولية مما يبشر بحل عادل في المستقبل القريب لهذه القضية الانسانية العادلة على اساس الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي و رغبته الحرة في العيش مع الشعوب المجاورة التي تهيمن حكوماتها على اجزاء كردستان).



العنف الأسري

اوات محمد

عرض: برهان محمد خالد

يعتبر العنف من اهم المشاكل الأجتماعية التي يتعرض له بني البشر و خصوصاً النساء منها و الأطفال، و في السنوات الأخيرة بدأت الصيحات و النداءات تتعالى من خلال البحوث و الندوات عالمياً و اقليمياً و محلياً للحد من ازدياد العنف و خصوصاً العنف الأسري منه و اثاره السلبية على حياة الأجيال القادمة لأنه لا يخص مجتمعاً معيناً او جنساً معيناً.

للمؤلف اوات محمد و بأشراف صابر بكر بوكاني صدر عن منظمة (آسوده) المعنية بالمرأة كتاب (العنف الأسري) حيث يعتبر الكتاب (البحث) مرجعاً للباحثين المهتمين بالشؤون الأجتماعية كما انه يتضمن وثائق عديدة، الكتاب على درجة جيدة من الوضوح للقاريء و يقدم معلومة و يكشف الوضع الأقتصادي و الأجتماعي و التربوي لكلتا المنطقتين (السليمانية – كرميان) التي شملت البحث و يتضمن ايضاً ملاحق قيمة من جداول احصائية و نصوص الكتب الموجهة من قبل المنظمة الى الجهات المعنية للمساعدة في تقديم الوثائق و الاحصاءات القديمة، كما يتضمن اسماء الباحثين المشاركين و المشاركين ميدانياً في البحث.

و يتطرق الباحث الى ظاهرة العنف العائلي و يلخصها في مفردات منها:

أ-توضيح عام عن العنف ضد المرأة في كل من (السليمانية - كرميان).

ب-قياس التفاوت في مستوى العنف في كل من (السليمانية – كرميان) من حيث العمر، المستوى المعيشي، المستوى الدراسي، وجود الأطفال و عدم وجوده، مكان المعيشة او (المسكن).

كما اعتمد في البحث على الفرق العاملة ميدانياً كأحصائية عامة، و يحاول الباحث ان يقول ان المجتمع يستخدم العنف على كل المستويات و مع جميع التغييرات.و لا يمكننا ان نكون مكتوفي الأيدي عندما نرى بروز ظواهر سلبية من غير ان نفوض في بحثه بشكل دقيق و نصل الى نتائجه و نجد لها الحلول المناسبة اقلاً للتقليل منها.

و يتابع و يقول احدى الصفات المهمة للمجتمع الحالي متكونة من معرفة او تعريف كل الظواهر التي تقع في المجتمع او التي من نتاج العقل الأجتماعي و التي دفعت بمنظمة (آسوده) للقيام بهذا البحث و الحاجة الملحة لمجتمعنا لبحث كهذا.

يعرف الكاتب (العنف) في الفصل الأول من البحث و يلخصه الى:

العنف، العنف ضد النساء، العائلة (العنف التربوي، العنف الاسري). اما في الفصل الثاني يطرح سؤالاً في غاية الأهمية:

"موقع المرأة في العقل الأجتماعي و قبول جنس المرأة في مجتمعنا" و يعود مرة اخرى الى موضوعه الرئيس (العنف بشكل عام) و يعدد العنف على اساس انواعه التي يمارس ضد المجتمع بشكل منظم "العنف تربوي، البوليسي، السياسي، الاقتصادي، عنف العادات (التقاليد)، عنف السلطة".

كما يتضمن الكتاب صورا لنماذج (الفورمات) المقدمة للأستفتاء في البحث و عن كيفية اجراء البحث و معوقاته منها: "مشاكل البحث، اهمية البحث، نتائج (انجازات) البحث، حدود البحث و التشخيص".



مسؤولية الصحفي المدنية عن اخطائه المهنية

دراسة مقارنة

تأليف: سامان فوزي عمر

عرض: دانا احمد

ان حرية الصحافة و الرأي و التعبير عنصر اساس لاقامة مجتمع مدني يقوم على نظام المؤسسات الديمقراطية، و باتت حقاً مقيداً بقواعد قانونية من اجل تنظيمها و عدم سلب حقوق المجتمع و افراده عن طريق التشهير. كما التطور العلمي و الاعلامي الذي شهده العالم اجمع في الاونة الاخيرة و بسبب انتشار شبكات الانترنيت و الوسائل الاعلامية الاخرى و وصول بوادر هذه التطورات الى اقليم كردستان العراق بات من اللازم معرفة الاحكام القانونية المناسبة للتعامل مع هذه الوسائل الاعلامية الحديثة و تحديد المسؤولية في حالة نشر المحتويات غير القانونية و بيان مدى ملاءمة القوانين الحالية المنظمة لحرية الصحافة و المطبوعات للوسائل الحديثة التي افرزتها تكنولوجيا المعلومات الجديدة، و كذلك شهدت منطقة اقليم كردستان العراق خلال العقد الاخير من القرن الماضي تطوراً ملحوظاً في مجال حرية الصحافة، بصورة تنوعت فيها الصحف و زاد عددها و ظهرت الصحف الاهلية ايضاً. و على ضوء التطور الكمي و النوعي في الصحف ازدادت الدعاوى المقامة على الصحفي ايضاً.

من هنا جاءت هذه المحاولة الجادة من قبل باحثه الحاذق لكشف النقاب عن احكام المسؤولية المدنية للصحفيين و ما يكتنفه من الغموض.

اما عن خطة البحث، فتتكون هذه الدراسة من ستة فصول و توجد في ثنايا كل فصل شروح و تفصيلات لعناوين فرعية، تناول في الفصل الاول: معنى الصحافة و نشأتها و وظائفها، و خصص الفصل الثاني: لحقوق و واجبات الصحفي و اخلاقيات مهنة الصحافة في حين ان الفصل الثالث مكرس لدراسة طبيعة و اركان المسؤولية، و في الفصلين الرابع و الخامس دعوى المسؤولية المدنية

على الصحفي و جزاؤها بالتعاقب، و الفصل السادس دراسة الصحافة الالكترونية و التشهير على شبكات الانترنيت.

و قد عرف الاستاذ فريد اسسرد الكتاب خير تعريف بقوله:

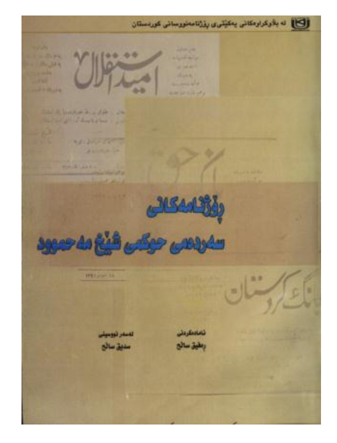
(... هذا الكتاب يتناول بدقة و بشكل علمي هذا الموضوع الشائك و يحاول مؤلفه، الاستاذ سامان فوزي، ان يوضح ان حرية الصحافة ضرورية جداً للمجتمع المدني و انها احد عوامل التطور الاجتماعي العام، لكنها في نفس الوقت ليست حرية مطلقة و ان الصحفي الذي تخوله الديمقراطية حق التعبير عن رأيه بحرية ليست مطلق اليدين في التعبير، و ان حريته المخولة مقيدة بقواعد قانونية حتى لا تبدر منه ما يمكن اعتباره مساً بحقوق المجتمع و افراده.

هذا الكتاب ضروري جداً لكل صحفي لانه يعمق وعيه القانوني و يوسع افقه الثقافي و طالما ان الصحافة مقبلة على تطور لا مثيل له، فان حاجة الصحفي الى المصادر التي تعزز وعيه، ستزداد بالتأكيد و ستزداد، كذلك، حاجته الى الموازنة بين الحرية و المسؤولية، و لا سيما ان الركن الاساسي في حرية الصحافة، و كذلك في المجتمع المدني، هو الموازنة الدقيقة بين استخدام الحرية و الاحساس بالمسؤولية).

صحف فترة حكم الشيخ محمود

اعداد: رفيق صالح

تحقيق: صديق صالح , عرض: دانا



في الاونة الاخيرة تم طبع كتاب ارشيفي مهم من قبل اتحاد صحفيي كردستان , يضم الكتاب بيبلوغرافيا الصحف الموجودة في فترة حكم الشيخ محمود الحفيد , اعده الاستاذ رفيق صالح وحققه السيد صديق صالح , حيث يبدأ الكتاب بتعريف عام عن الجرائد الصادرة انذاك ومن ثم يذكر اسماء العاملين فيها والهيئة الادارية وكل ما يتعلق بصدورها والمتعلقة بتلك الفترة وذكر الحالة السياسية والظروف التي اثرت في صدورها او عدم صدورها .

نشر الكاتبان صور تلك الجرائد بشكلها الذي صدر في وقتها موضحا اسلوبها الفني لكشف جماليتها من ناحية التصميم .



ذكريات حلبجة

تأليف: بكر حمه صديق عارف

ترجمة: حسن عبدالكريم

عرض: هيمن حميد

اصدر الكاتب بكر حمه صديق عارف كتيباً بعنوان "ذكريات حلبجة" ترجمه الى اللغة العربية حسن عبدالكريم ومن ثم ترجم الى اللغة الانكليزية من قبل الاستاذ فؤاد طاهر صادق. يضم الكتيب عدة مواضيع منها: تأريخ حلبجة، من اين جاءت تسمية حلبجة، موقع مدينة حلبجة، الملامح الحضارية القديمة لحلبجة، تأريخ الحركة السياسية في حلبجة، الحياة في حلبجة قبل حدوث كارثة القصف الكيمياوي، كارثة قصف حلبجة بالاسلحة الكيمياوية، مشاهد من القصف الكيمياوي، حول الشهداء والمصابين والاضرار، النتائج المترتبة على القصف الكيمياوي.. الخ.

قبل كارثة القصف الكيمياوي كان عدد سكان المدينة وتوابعها وحسب احصاء عام 1977 يبلغ 91937 شخصا موزعا على 216 قرية، وفي احصاء عام 1987 بلغ عدد السكان 115540 شخصا وكان عدد سكان المدينة وحدها سبعين الفا. وبعد قصف المدينة بالاسلحة الكيمياوية وتدمير القرى المحيطة بها وترحيل سكان قرى كثيرة اخرى بقيت فقط 18 قرية من مجموع 260 قرية، اما بقية القرى فقد تم تدميرها وترحيل سكانها اجباريا، وقد بنت الحكومة بدلا من القرى المدمرة مجمعين سكنيين باسم (مجمع عنب) و (مجمع زمقي)، وقد تم تدمير وابادة جميع الثروات الحيوانية والطبيعية والزراعية.

في صباح يوم 1988/3/16 ومع بزوغ الشمس تدفق المواطنون الى الاسواق والدكاكين والشوارع كالايام الاعتيادية، وفجأة هزت اصوات الطائرات سماء مدينة حلبجة مصحوبة باصوات انفجار قنابل النابالم والكيمياوي، حيث استمر القصف لمدة خمس ساعات، ولم تمض سبع دقائق على الغارة حتى عادت سرب آخر من الطائرات وشرعت بقصف المدينة يمينا ويسارا. كانت الطائرات تعاود الهجوم بمعدل مرة واحدة كل عشر دقائق وراح ضحيتها اكثر من خمسة آلاف شخص.

مجلات

مجلة مركز الدراسات الاستراتيجية



صدر العدد 41 من المجلة الفصلية "مجلة مركز الدراسات الاستراتيجية" في نوفمبر 2003، يرأس تحريرها الكاتب فريد اسسرد , يحتوي العدد على المواضيع الاتية: الموارد المائية في اقليم كردستان بقلم كامران احمد حمه، اليمن و دول مجلس التعاون الخليجي بقلم عبد الخالق عبدالله، النظام القانوني للانهر الدولية في الشرق الاوسط – دلشاد هورامي، ابعاد تطور النفط و الغاز في بحر قزوين للدكتور مسعود درخشان، تصفية الماء المالح و دورها في تخفيف مشكلة المياه – عباس خوشناو، و ثمة بحث قيم بقلم الكاتب يوسف كوران بعنوان: الجبهة التركمانية دراسة حول الفكر القومي التركماني. اضافة الى مواضيع اخرى هناك ملف عن الكويت نقرأ فيه: اسباب عدم تبلور الاحزاب السياسية في الكويت بقلم عبدالرضا الهمداني و عملية التحديث السياسي في الكويت للكاتب نفسه.

الملحق العربي لـ"كلاويزى نوى"



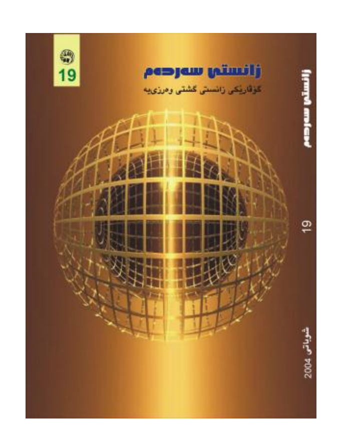
صدر مؤخراً العدد السابع من الملحق العربي لمجلة "كلاويزى نوى" و هي مجلة ادبية ثقافية يصدرها منتدى كلاويزى الادبي و الثقافي، يرأس تحريرها الناقد عبدالله طاهر برزنجي، يحتوي هذا العدد على المواضيع الاتية: مرجعية النص دراسة نقدية تحليلية بقلم الدكتور ظاهر لطيف كريم، ان هذا البحث هو محاولة لايجاد نظرة شعورية لدى الشاعر الكردي بيره ميرد في مرحلة شيخوخته و

قابليته التعبيرية و امكانية توزيع اساليبه الشعرية من حسية و معنوية و سردية. و كتب القاص و الروائي الكردي غفور صالح عبدالله حول ملف الرواية الكردية بين 1930-1990. و ثمة دراسة نقدية تحليلية لقصيدة الشاعرة الكردية المبدعة كزال احمد بقلم الناقد نوروز شوكت. اراء حول الشعر الكردي و الثقافة الكردية بقلم الشاعر لطيف هلمت. شفاهية السرد العربي بقلم عبد الستار جبر الاسدي. اللات و الغرى قصة محيي الدين زنكنه. قصائد شعرية لكاظم الحجاج و كريم دشتي و حسن عبد راضي و شيرين كمال و سامي هادي و صلاح محمد. و هناك لقاء طويل مع الروائي المصري صنع الله ابراهيم اجراه رئيس التحرير.



بانەروز = المستقبل

بانه روز اي المستقبل، مجلة ثقافية منوعة تصدرها جمعية كركوك الثقافية في مدينة كركوك باللغة الكردية، صدر مؤخراً العدد الثالث منها في شباط 2004، يرأس تحريرها الشاعر لطيف هلمت، تحتوي المجلة على مواضيع عامة و متنوعة لتنوير الشرائح الواسعة من ابناء مدينة كركوك، نقرأ فيها: لنعمل من اجل اثبات حقوقنا – محمد الشيخ عبدالكريم سولةيى، دفاع الكرد عن المناطق الكردستانية المحررة – شاهو عثمان سيد قادر، سقوط صدام سقوط للايديولوجية القومية العربية بقلم عبد الخالق حسين، كركوك مدينة كردستانية، الموت الكيميائي من قوره تو الى بعقوبة ترجمة و اعداد محمد صالح حمه توفيق، ما لم يفعله مجلس ادارة كركوك بقلم عدالت عبدالله، قلعة كركوك في الاثار التاريخية للباحث كمال نوري معروف، قبل الخطوة الاولى زاوية يكتبها الكاتب و المثل المسرحي علي كريم، و في الغلاف الداخلي الاخير و في زاوية منبر بانه روز كتب الباحث لطيف فاتح فرج ملاحظاته حول الاوضاع الحالية في مدينة كركوك.



زانستى سردم

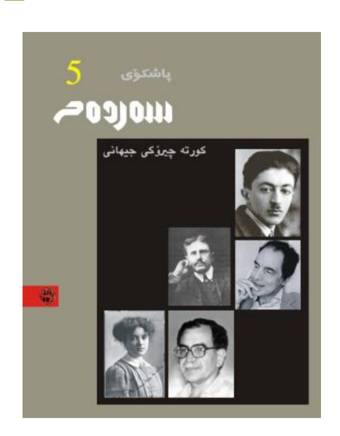
[علوم العصر]

صدر العدد 19 من مجلة "زانستی سەردەم" اي علوم العصر، التي تصدرها دار سردم للطباعة و النشر و يرأس تحريرها الاستاذ اكرم قرەداغي، يحتوي هذا العدد على مواضيع نفسية و طبية و جنسية و سايكولوجية و فيزيائية و كيميائية عديدة اضافة الى مواضيع اخرى حول الانترنيت و تربية الاطفال و علم الاجتماع و الرياضة و الصناعة و الفلك.



مجلة سەردەم

صدر العدد 31 من مجلة "سەردەم" المختصة بنشر الدراسات الفلسفية والفكرية والادبية المترجمة , يحتوي هذا العدد على مواضيع عدة منها : عملية الاصلاح لاريك فروم , الاسلوب الوجودي في التفلسف لجون ماكواري , بنيامين باربر و عالم الماكدونالد لهاشم صالح , حوار مع فريدريك دورينمات , ترجمة اغاني الغجر , ملف خاص حول الديمقراطية يتضمن مجموعة مقالات مترجمة منها : الديمقراطية فكرة مستجدة- الان تورين , الديمقراطية من وجهة نظر الفلاسفة , ماركس والديمقراطية – بابك احمدي , العالم الاسلامي و ممارسة الديمقراطية , الدفاع عن الديمقراطية , نظريات الديمقراطية ....



ملحق سەردەم للقصة القصيرة المترجمة

صدر العـدد الخـامس مـن ملحـق سـردم للقصـة القصيرة المترجمة، ضم هذا العـدد 18 قصـة قصيـرة لكتاب عالميين و شرق اوسطيين، ترجمـت مـن قبـل لفيـف مـن الادبـاء و المترجمـين الكـرد، نقـرأ قصصـاً لهـؤلاء الكتـاب: كـاترين مانسـفيلد، اوراسـيو كيروكـا، ارسـكين كالـدويل، يشـار كمـال، ايتـالو كـالفينو، فيرنانـدو سـورنتينو، أ. هينـري، صـادق هـدايت، جنيفر دي كوزمان، ايـرون شـو، جان راي، سـيرجيو راميريز، على اشرف درويشيان.



مجلة آينده

صدر العدد (53) من مجلة آينده التي تصدر في دار سردم للطباعة والنشر ويرأس تحريرها الشاعر (دلشاد عبدالله) ضم العدد مواضيع عديدة منها:

حـول النقـد الأدب الكـردي بقلـم عطـا نهـائي، الشعر والإيقاع بقلم شاهو سعيد، سوبرماتيزم بقلـم كـارا رسـول، حـول ادب بـورخيس ترجمـة آزاد برزنجي. دور اللعب في عملية التربية والتفكير بقلـم فـائق سـعيد، الكتابـة للأطفـال ترجمـة احمـد قـادر سعيد، حوار مطول مع الفنان ريبوار سـعيد، اضافة الى قصائد وقصص عديدة.

Vol,1. Spring 2004

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by Sardam Printing & Publishing House

Administrative Board Manager

Sherko Bekas

Editing director

Nawzad Ahmad Aswad

Editorial Staff

Rauf Begard
Azad Berzinji
Shaho Saeed
Dana Ahmad



Sardam Print ... lishing House
www. ... info

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: 1500 دينار عراقي